الفقه

موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي

من فقه الزهراء عليها السلام

المجلد الخامس

خطبتها عليها السلام في المسجد / القسم الرابع

المرجع الديني الراحل

آية الله العظمى

الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي

(أعلى الله درجاته)

الطبعة الأولى
١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧م

تهميش وتعليق:

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

بيروت . لبنان

الفقه

من فقه الزهراء عليها السلام

المجلد الخامس

خطبتها عليها السلام في المسجد / القسم ٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين

السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة

السلام عليك أيتها الرضية المرضية

السلام عليك أيتها الفاضلة الزكية

السلام عليك أيتها الحوراء الإنسية

السلام عليك أيتها التقية النقية

السلام عليك أيتها المحدثة العليمة

السلام عليك أيتها المظلومة المغصوبة

السلام عليك أيتها المضطهدة المقهورة

السلام عليك يا فاطمة بنت رسول الله

ورحمة الله وبركاته

البلد الأمين ص٢٧٨. مصباح المتهجد ص٧١١

بحار الأنوار ج٩٧ ص١٩٥ ب١٢ ح٥ ط بيروت

حرمة الغدر

مسألة: يحرم الغدر ـ كما سبق ـ وحرمته عقلية قبل أن تكون شرعية؛ لأن الغدر من الظلم القبيح، وإذا فشا ذلك في المجتمع وغدر كل بالآخر انفصمت عروة المجتمع، ويبدأ بالتآكل والتلف، وينعدم التآلف والتآخي، ويظهر الهرج والمرج، ومن الواضح أن انفصام المجتمع واختلال النظام أصل كل شر.

والغدر: ضد الوفاء، وما فعله القوم كان غدراً في حق رسول الله ﷺ وعترته الطاهرة عليهم السلام.

ورد في حديث جنود العقل وجنود الجهل: «والوفاء وضده الغدر»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ثلاث هن شين الدين: الفجور، والغدر، والخيانة»[2]. وقال عليه السلام: «الغدر شيمة اللئام»[3].

وقال عليه السلام: «الغدر يضاعف السيئات»[4].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم: « يا علي، علمت أن جبرئيل عليه السلام أخبرني أن أمتي تغدر بك من بعدي، فويل ثم ويل ثم ويل لهم ـ ثلاث مرات ـ قلت: يا رسول الله، وما ويل؟. قال: واد في جهنم أكثر أهله معادوك والقاتلون لذريتك والناكث لبيعتك،فطوبى ثم طوبى ثم طوبى

---

[1] الكافي: ج١ ص٢٢ كتاب العقل والجهل ح١٤.

[2] غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٦٢ ق٦ ب٥ ف٦ ح١٠٥٩٧.

[3] غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٩١ ق٣ ب٣ ف١ الغدر ح٦٤٩٨.

[4] غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٩١ ق٣ ب٣ ف١ الغدر ح٦٤٩٩.

ـ ثلاث مرات ـ لمن أحبك ووفى لك. قلت: يا رسول الله، وما طوبى؟. قال: شجرة في دارك في الجنة، ليس دار من دور شيعتك في الجنة إلا وفيها غصن من تلك الشجرة تهدل عليهم بكل ما يشتهون»[٥].

وفي (نهج البلاغة): «إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ، وَلاَ أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ، وَمَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ، وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْساً، وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ، مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ وَدُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ، فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لاَ حَرِيجَةَ لـه فِي الدِّينِ»[٦].

وعن ابن نباتة قال: أتى ابن ملجم أمير المؤمنين عليه السلام فبايعه فيمن بايع ثم أدبر عنه، فدعاه أمير المؤمنين عليه السلام فتوثق منه وتوكد عليه أن لا يغدر ولا ينكث ففعل، ثم أدبر عنه فدعاه أمير المؤمنين عليه السلام الثانية فتوثق منه وتوكد عليه أن لايغدر ولا ينكث ففعل، ثم أدبر عنه فدعاه أمير المؤمنين عليه السلام الثالثة فتوثق منه وتوكد عليه ألا يغدر ولا ينكث. فقال ابن ملجم: والله يا أمير المؤمنين ما رأيتك فعلت هذا بأحد غيري؟. فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

أريد حباءه و يريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

امض يا ابن ملجم فوالله ما أرى أن تفي بما قلت»[٧].

---

[٥] تفسير فرات الكوفي: ص٢١٥ ومن سورة الرعد ح٢١٥ -٢٨٨.

[٦] نهج البلاغة، الخطب: ٤١ ومن خطبة له عليه السلام وفيها ينهى عن الغدر ويحذر منه.

[٧] الإرشاد للشيخ المفيد: ج١ ص١٢ فصل فمن الأخبار التي جاءت بذكره عليه السلام الحادث قبل كونه وعلمه به قبل حدوثه.

الاجتماع المحرم

مسألة: يحرم الاجتماع على الغدر، وخاصة في الغدر على النبي والوصي والعترة الطاهرة عليهم السلام.

وفي الحديث: «إن الشياطين اجتمعوا إلى إبليس، فقالوا لـه: ألم تكن أخبرتنا أن محمداً إذا مضى نكثت أمته عهده ونقضت سنته، وأن الكتاب الذي جاء به يشهد بذلك، وهو قوله: [وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ][8]، فكيف يتم هذا وقد نصب لأمته عَلَماً وأقام لهم إماماً؟.

فقال لهم إبليس: لا تجزعوا من هذا، فإن أمته ينقضون عهده ويغدرون بوصيه من بعده، ويظلمون أهل بيته، ويهملون ذلك لغلبة حب الدنيا على قلوبهم، وتمكن الحمية والضغائن في نفوسهم، واستكبارهم وعزهم، فأنزل الله تعالى [وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ][9]»[10].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في وصيته لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا علي، إن قريشاً ستظاهر عليك وتجتمع كلمتهم على ظلمك وقهرك، فإن وجدت أعواناً فجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فكف يدك واحقن دمك، فإن الشهادة من ورائك، لعن الله قاتلك»[11].

---

[8] سورة آل عمران: ١٤٤.

[9] سورة سبأ: ٢٠.

[10] بحار الأنوار: ج٦٦ ص٨٣ -٨٤ ب٣٠ ح٢٩، والبحار: ج٩٠ ص٥٩ -٦٠ ب١٢٨.

[11] مستدرك الوسائل: ج١١ ص٧٤ ب٢٨ ح١٢٤٦١.

التستر على الغدر بالزور

مسألة: يحرم التستر على الغدر بالزور، والذي يعني ذلك[١٢] الكذب والدجل، وبعبارة أخرى: يحرم جمع الغدر مع الزور فإنهما معصيتان، فإذا اجتمعتا كانت الحرمة أشد، فإن التستر والجمع يزيد المحرمين حرمة[١٣]، فتأمل.

قال تعالى: [فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ][١٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «شاهد الزور لا تزول قدماه حتى تجب له النار»[١٥].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا ينقضي كلام شاهد الزور من بين يدي الحاكم حتى يتبوأ مقعده من النار، وكذلك من كتم الشهادة»[١٦].

وفي رسالة خرجت من أبي عبد الله عليه السلام إلى أصحابه: «فاتقوا الله وكفوا ألسنتكم إلا من خير، وإياكم أن تذلقوا ألسنتكم بقول الزور والبهتان والإثم والعدوان، فإنكم إن كففتم ألسنتكم عما يكرهه الله مما نهاكم عنه كان خيرا لكم عند ربكم من أن تذلقوا ألسنتكم به، فإن ذلق اللسان فيما يكرهه الله

---

[١٢] أي هذا التستر هو الخداع.

[١٣] أي لو فرض أن الغدر كانت حرمته مغلظة بمقدار عشر درجات وكذلك الزور، فإن التستر على الغدر بالزور يزيد غلظة حرمة كل منها إلى ١٢ درجة مثلاً.

[١٤] سورة الحج: ٣٠.

[١٥] وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٣٢٤ ب٩ ح٣٣٨٤٦.

[١٦] الكافي: ج٧ ص٣٨٣ باب من شهد بالزور ح٣.

عنه مرداة للعبد عند الله، ومقت من الله وصمم وبكم وعمى يورثه الله إياه يوم القيامة، فتصيروا كما قال الله: [صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ][17] يعني: لاينطقون [وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ][18] وإياكم وما نهاكم الله عنه أن تركبوه وعليكم بالصمت إلا فيما ينفعكم الله به من أمر آخرتكم ويأجركم عليه»[19].

سياسة الطغاة

مسألة: يمكن أن يستنبط من كلام الصديقة فاطمة عليها السلام هاهنا قاعدة شبه مطردة تكشف عن منهجية الطغاة والمنحرفين، وهي أنهم لا يقتصرون على الغدر والخيانة، بل لابد وأن ينساقوا نحو جريمة أخرى هي الزور والدجل، فالغدر والزور متلازمان عادة، وكل طاغية أو غادر يحاول التستر على جريمته بذلك وإضفاء الشرعية الكاذبة عليها.

روى نصر عن عمر بن سعد بإسناده، قال: قال معاوية لعمرو: يا أبا عبد الله، إني أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى الله! وشق عصا المسلمين، وقتل الخليفة، وأظهر الفتنة، وفرق الجماعة، وقطع الرحم!. فقال عمرو: من هو؟. قال: علي. قال: والله يا معاوية، ما أنت وعلي بحملي بعير، ليس لك هجرته ولا سابقته، ولا صحبته ولا جهاده، ولا فقهه ولا علمه، ووالله إن لـه مع ذلك لحظاً

[17] سورة البقرة: ١٧١.

[18] سورة المرسلات: ٣٦.

[19] بحار الأنوار: ج٧٥ ص٢١١ -٢١٢ ب٢٣ ح٩٣.

في الحرب ليس لأحد غيره، ولكني قد تعودت من الله تعالى إحساناً و بلاءً جميلاً، فما تجعل لي إن شايعتك على حربه وأنت تعلم ما فيه من

.....

الغرر والخطر؟. قال: حكمك. فقال: مصر طعمة»[٢٠].

وفي حديث قال معاوية لعمرو بن عاص: يا أبا عبد الله، إني أكره أن يتحدث العرب عنك أنك إنما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا. قال: دعني عنك. قال معاوية: إني لو شئت أن أمنيك وأخدعك لفعلت. قال عمرو: لالعمر الله ما مثلي يخدع لأنا أكيس من ذلك. قال لـه معاوية: ادن مني برأسك أسارك. قال: فدنا منه عمرو يساره فعض معاوية أذنه، وقال: هذه خدعة»[٢١].

حرمة الزور

مسألة: يحرم الزور بشكل عام، وخاصة على رسول الله ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، أي أن حرمته تشتد وتتأكد، والعقوبة تتضاعف وتتغلظ.

والزور: هو الكذب والباطل، وهاهنا بمعنى أن ينسب إليهم ما لم يقولوه، وقد ادعى غاصبو فدك أن الرسول ﷺ قال: (نحن معاشر الأنبياء لانورث وما تركناه صدقة)، وهذه النسبة إلى الرسول ﷺ غدر وزور.

قولها عليها السلام: «أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور»، يمكن أن تقرأ (أ فَتَجْمَعُون...) من الثلاثي المجرد، والمعنى هل تضمون إلى سيئة الغدر سيئة

---

[٢٠] شرح نهج البلاغة: ج٢ ص٦٤ -٦٥ قدوم عمرو بن العاص على معاوية.

[٢١] وقعة صفين: ص٣٨ حديث عمرو مع معاوية.

الزور وتجمعونهما؟. حيث جمعوا بين (الغدر) وبين (الاعتلال عليه بالزور والكذب) فيكون (اعتلالاً) مفعولاً لـ (تجمعون).

وهذا بعد وفاته ﷺ شبيه بما بُغي له من الغوائل في حياته

ويمكن أن تقرأ (أَ فَتُجْمِعُون) من باب الإفعال، من أجمع القوم على الشيء، أي اتفقوا عليه وعزموا، والمعنى هل تتفقون وتعزمون على الغدر وتعتلّون وتستدلون عليه بقول الزور؟. فـ (اعتلالاً) على هذا (حال).

وربما يقوى الأول لمكان (إلى)[٢٢]، فتأمل.

وهذا بعد وفاته ﷺ شبيه بما بُغي له من الغوائل في حياته

هل أصحاب النبي ﷺ كلهم كالنجوم؟

مسألة: يستفاد من كلام الصديقة الطاهرة عليها السلام:

أولاً: إن الغدر برسول الله ﷺ جرى في زمن حياة الرسول الأعظم ﷺ وقد استمر إلى ما بعد وفاته، وأن هناك من كان يبغي للنبي ﷺ الغوائل في حياته.

وثانياً: إن التزوير على رسول الله ﷺ جرى في حياته، وبعد مماته أيضاً، ولذلك قال الرسول ﷺ: «كثرت عليَّ الكذابة»[٢٣].

ومن كلامها عليها السلام هذا ـ والأدلة على ذلك كثيرة ـ يعرف أن ما يذهب إليه جمع من أبناء العامة من تنزيه الصحابة بأجمعهم خطأ وباطل، فهل من يغدر

---

(٢٢) إذ يقال: (أجمع القوم على كذا) لا إلى كذا، وفي كلام الصديقة الكبرى عليها السلام (أفتجمعون إلى ..).

(٢٣) الكافي: ج١ ص٦٢ باب اختلاف الحديث ح١.

برسول الله ﷺ نزيه؟. وهل يعقل أن يقول الرسول ﷺ: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)؟.

.....

قال ابن عباس: وضع رسول الله ﷺ يده على صدره فقال: «أنا المنذر»، وأومأ إلى منكب علي عليه السلام وقال: «أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون بعدي»[٢٤].

وقال العلامة المجلسي رحمه الله: وبهذه الأخبار يظهر أن حديث: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" من مفترياتهم، كما اعترف بكونه موضوعاً شارح الشفاء وضعّف رواته، وكذا ابن حزم والحافظ زين الدين العراقي، وسيأتي القول في ذلك إن شاء الله تعالى[٢٥].

وفي (دعائم الإسلام): إنما قال رسول الله ﷺ: «الأئمة من أهل بيتي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»، ولو كان كما قالت العامة: "أصحابي" ـ وهم كل من رآه و صحبه كما زعموا ـ لكان هذا القول يبيح قتلهم أجمعين؛ لأنهم قد تحاجزوا بعده واختلفوا وقتل بعضهم بعضاً، ولو أن مقتدياً اقتدى بواحد منهم لحل لـه قتل الطائفة التي قاتلها علي عليه السلام على قولهم، ثم يبدو لـه فيقتدي بآخر من الطائفة الأخرى فيحل لـه قتل الطائفة الأولى والطائفة التي هو فيها، ولن يأمر الله عزوجل ولا رسوله ﷺ بالإقتداء بقوم مختلفين لا يعلم المأمور بالإقتداء بهم من يقتدي به منهم، وهذا قول بيِّن الفساد ظاهر

---

[٢٤] بحار الأنوار: ج٣٥ ص٤٠٦ ب٢٠ ضمن ح٢٩.

[٢٥] بحار الأنوار: ج٣٥ ص٤٠٦ ب٢٠.

فساده يغني عن الاحتجاج على قائله[٢٦].

وفي (الصوارم المهرقة) ـ بعد الإشارة إلى ما رووه من "أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم" ـ قال: وفيه بحث سنداً ومتناً:

.....

أما أولاً: فلما قال بعض الفضلاء من أولاد الشافعي في شرح كتاب (الشفاء) للقاضي عياض المالكي: إن حديث " أصحابي كالنجوم" أخرجه الدارقطني في (الفضائل)، وابن عبد في (العلم) من طريقه من حديث جابر، وقال: هذا إسناد لا يقوم به حجة؛ لأن في طريقه الحارث بن غضين وهو مجهول. ورواه عبد بن حميد في (مسنده) من رواية عبد الرحيم بن زيد، عن أبيه، عن المسيب، عن عمر، قال البزار: منكر لا يصح. ورواه ابن عدي في (الكامل) من رواية حمزة بن أبي حمزة النصيبي، عن نافع، عن عمر، بلفظ: "بأيهم أخذتم" بدل قولـه: "اقتديتم" وإسناده ضعيف؛ لأجل حمزة لأنه متهم بالكذب. ورواه البيهقي في (المدخل) من حديث ابن عباس وقال: متنه مشهور وأسانيده ضعيفة لم يثبت في هذا الباب إسناد. وقال ابن حزم: إنه مكذوب موضوع باطل. وقال الحافظ زين الدين العراقي: وكان ينبغي للمصنف أن لايذكر هذا الحديث بصيغة الجزم لما عرفت حاله عند علماء الفن...

وأما ثانياً: فلأن المخاطبين في متن الحديث بلفظ: "اقتديتم واهتديتم" إن كانوا هم الصحابة أو الصحابة مع غيرهم فلا يستقيم، إذ لا مساغ للفصيح أن يقول لأصحابه أو لهم مع غيرهم: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم

---

[٢٦] دعائم الإسلام: ج١ ص٨٦ -٨٧ ذكر من يجب أن يؤخذ عنه العلم.

اهتديتم" وهو ظاهر، وإن كانوا غير الصحابة فهو خلاف الظاهر، إذ الظاهر أن كل من خاطبه النبي ﷺ بهذا الخطاب المتبادر منه الخطاب الشفاهي كان بمرأى منه ﷺ فكان صحابياً، ولو سلم ذلك لكان الظاهر إخبار راويه بأن الرسول ﷺ قال لجميع من أسلم غير الصحابة: "أصحابي كالنجوم" إلى آخره، ولما لم يكن في روايتكم شيء من هذا التخصيص بطل ادعاؤكم في ذلك.

.....

وأيضاً يلزم على هذا التقدير أن كل من اقتدى بقول بعض الجهال بل الفساق من الصحابة أو المنافقين منهم وترك العمل بقول بعض العلماء الصالحين منهم يكون مهتدياً!، ويلزم أن يكون المقتدي بقتلة عثمان والذي تقاعد عن نصرته تابعا للحق مهتدياً، وأن يكون المقتدي بعائشة وطلحة والزبير الذين بغوا وخرجوا على علي عليه السلام وقاتلوه مهتدياً!، وأن يكون المقتول من الطرفين في الجنة!، ولو أن رجلاً اقتدى بمعاوية في صفين فحارب معه إلى نصف النهار ثم عاد في نصفه فحارب مع علي عليه السلام إلى آخر النهار لكان في الحالين جميعاً مهتدياً تابعاً للحق!، والتوالي بأسرها باطلة ضرورة واتفاقاً.

والذي يسد باب كون عموم الصحابة كالنجوم ما قال الفاضل التفتازاني في (شرح المقاصد) من أن: ما وقع بين الصحابة من المحاربات والمشاجرات على الوجه المسطور في كتب التواريخ والمذكور على ألسنة الثقات يدل بظاهره على أن بعضهم قد حاد عن طريق الحق وبلغ حد الظلم والفسق، وكان الباعث عليه الحقد والعناد والحسد واللداد وطلب الملك والرئاسات والميل إلى اللذات والشهوات، إذ ليس كل صحابي معصوماً، ولا كل من لقي النبي ﷺ بالخير

موسوماً، إلا أن العلماء لحسن ظنهم بأصحاب رسول الله ﷺ ذكروا لها محامل وتأويلات بها يليق وذهبوا إلى أنهم محفوظون عما يوجب التضليل والتفسيق صوناً لعقائد المسلمين من الزيغ والضلالة في حق كبار الصحابة سيما المهاجرين منهم والأنصار المبشرين بالثواب في دار القرار، انتهى.

ويتوجه إلى ما ذكره آخراً من تعليل ذكر العلماء المحامل والتأويلات لما وقع

.....

بين الصحابة بحسن ظنهم فيه: أن بعد العلم بوقوع ما وقع بينهم لا وجه لحسن الظن بالكل إلا التعصب فيهم، وأما من زعموه كبار الصحابة وعنوا به الثلاثة فهم أول من أسس أساس الظلم والعدوان بغصب الخلافة عن أهل البيت عليهم السلام والإقدام بكيت وكيت، وإنما صاروا كباراً بغصبهم الخلافة وحكومتهم على الناس بالجلافة، ولهذا قال بعض علماء العامة: كلٌ زينته الخلافة إلا علي بن أبي طالب عليه السلام . روي أنه لما دخل علي عليه السلام الكوفة دخل عليه حكيم من العرب فقال: والله يا أمير المؤمنين لقد زيّنتَ الخلافة وما زينتك، ورفعتها وما رفعتك، وهي كانت أحوج إليك منك إليها، انتهى.

وأما ما ذكره من البشارة لهم بالثواب في دار القرار، فإن أشار به إلى حديث بشارة العشرة فهو موضوع لا يصح إلا في واحد منهم عليه السلام كما سيأتي بيانه، وإن أشار به إلى غيره من الأحاديث فلعل بعد ظهور صحته يكون بشارة الثواب فيه مشروطاً بشروطه...

والحاصل: أنه لا يتحتم بمجرد الصحابية الحكم بالإيمان والعدالة وحسن الظن فيهم واستيهالهم للإقتداء بهم والاستهداء منهم؛ وذلك لأنه لا ريب في

أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به وموته على الإسلام، وأن الإيمان والعدالة مكسبان وليسا طبعيين جبليين، فالصحابي كغيره في أنه لا يثبت إيمانه إلا بحجة، لكن قد جازف أهل السنة كل المجازفة فحكموا بعدالة كل الصحابة من لابس منهم الفتن ومن لم يلابس، وقد كان فيهم المقهورون على الإسلام، والداخلون على غير بصيرة، والشكاك كما وقع من فلتات ألسنتهم كثيراً، وكان فيهم: شاربو الخمر وقاتلو النفس وسارقو الرداء وغيرها من المناكير، بل كان فيهم

.....

المنافقون كما أخبر به الباري جل ثناؤه ورواه البخاري في (صحيحه) وغيره في غيره، وكانوا في عهده ﷺ ساكنين في مدينته يصحبونه ويجلسون في مجلسه ويخاطبهم ويخاطبونه ويدعون بالصحابة ولم يكونوا بالنفاق معروفين ولامتميزين ظاهراً، قال الله سبحانه: [وَلَوْ نَشاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ][٢٧]، بل كان فيهم من يبتغي له الغوائل ويتربص به الدوائر ويمكر ويسعى في هدم أمره، كما ذكره أبو بكر أحمد البيهقي في كتاب (دلائل النبوة) حيث قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وذكر الإسناد مرفوعاً إلى أبي الأسود عن عروة قال:

لما رجع رسول الله ﷺ من تبوك إلى المدينة حتى إذا كان ببعض الطريق مكر به ناس من أصحابه، فأتمروا أن يطرحوه من عقبة في الطريق وأرادوا أن يسلكوه معه، فأخبر رسول الله ﷺ خبرهم فقال: «من شاء منكم أن يأخذ بطن

---

[٢٧] سورة محمد: ٣٠.

الوادي فإنه أوسع لكم»، فأخذ النبي ﷺ العقبة وأخذ الناس بطن الوادي إلا النفر الذين أرادوا المكر به فاستعدوا وتلثموا، وأمر رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر فمشيا معه، وأمر عماراً أن يأخذ بزمام الناقة وأمر حذيفة أن يسوقها، فبينا هم يسيرون إذ سمعوا ذكرة القوم من ورائهم قد غشوهم، فغضب رسول الله ﷺ وأمر حذيفة أن يردهم فرجعوا متلثمين فرعبهم الله حين أبصروا حذيفة وظنوا أن مكرهم قد ظهر وأسرعوا حتى خالطوا الناس، وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله ﷺ فلما أدركه، قال له: «اضرب الراحلة يا حذيفة، وامش أنت يا عمار»، فأسرعوا وخرجوا من العقبة ينتظرون الناس،

فقال النبي ﷺ: «يا حذيفة هل عرفت من هؤلاء الرهط والركب أحداً؟». فقال حذيفة: عرفت راحلة فلان وفلان وكانت ظلمة الليل غشيتهم وهم ملتثمون. فقال ﷺ: «هل علمتما ما شأن الركب وما أرادوا؟». قالا:لا يا رسول الله ﷺ. قال: «فإنهم مكروا ليسيروا معي حتى إذا أظلمت لي العقبة طرحوني منها». قالا: أفلا تأمر بهم يا رسول الله إذا جاءك الناس فنضرب أعناقهم. قال: «أكره أن يتحدث الناس ويقولون: إن محمداً قد وضع يده في أصحابه». فسماهم لهما ثم قال: «اكتماهم». وفي كتاب أبان بن عثمان، قال الأعمش: وكانوا اثني عشر سبعة من قريش!.

وعلى تقدير ثبوت الإيمان والعدالة يمكن زوالهما كما في بلعم صاحب موسى عليه السلام حيث قال سبحانه وتعالى: [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا

فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۞ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ][٢٨]، وكان بلعم أوتي علم بعض كتب الله، وقيل: يعرف اسم الله الأعظم ثم كفر بآيات الله، وكما وقع من الطامة الكبرى في سبعين ألفاً من بني إسرائيل وأولاد الأنبياء الذين كانوا في دين موسى عليه السلام فارتدوا في حياته بمجرد غيبته عنهم مدة قليلة إلى الطور، واستضعفوا وصية هارون النبي عليه السلام وكادوا يقتلونه ويدفعونه باليد والرجل واقتدوا بالسامري في عبادة العجل، وإذا كان هذا حال هؤلاء النجباء من أولاد الأنبياء الذين لم يدنسهم سبق الشرك والكفر في حياة نبيهم

.....

ووجود نبي آخر ووصيه فيهم، فما ظنك بحال جماعة مضى أكثر عمرهم في الكفر والجاهلية، بعد وفاة نبيهم، مع أنه لم يكن يحصل لهؤلاء عن ذلك العجل الحنيذ جاه أو مال عتيد، وكان لمن وافق أبا بكر في غصب خلافة نبينا الحميد من طمع الجاه والمال ما ليس عليه مزيد، فعقدوا لواء السلطنة بسيفهم خالد بن الوليد، وسدوا لسان أبي سفيان بتفويض ولاية الشام إلى ولده يزيد، ودفعوا فتنة زبير بما أراد وأريد، وفوضوا إلى غيرهم كمغيرة وأبا عبيدة حكومة صنعاء وزبيد، إلى غير ذلك مما يطول به النشيد، وإذا كان كذلك فلابد من تتبع

---

[٢٨] سورة الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦.

أحوالهم وأقوالهم في حياة النبي ﷺ وبعد موته، ليعلم من مات منهم على الإيمان والعدالة ومن مات ميتة جاهلية، انتهى[٢٩].

وقد يستفاد من كلامها عليها السلام خاصة بلحاظ كلمة (شبيه) أن من بغوا الغوائل لـه ﷺ بعد مماته هم نفس من بغوا لـه الغوائل في حياته ﷺ!

ويدل كلامها عليها السلام أيضاً على تعدد بل كثرة الغوائل التي خططوا لها في حياته ﷺ بلحاظ الجمع المحلى، وبلحاظ القرائن المقالية والمقامية أيضاً.

فعن محمد بن موسى بن نصر الرازي، قال: حدثني أبي، قال: سُئل الرضا عليه السلام عن قول النبي ﷺ: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"، وعن قوله ﷺ: "دعوا لي أصحابي"؟. فقال عليه السلام: «هذا صحيح يريد من لم يغير بعده ولم يبدل». قيل: وكيف يعلم أنهم قد غيروا أوبدلوا؟. قال: «لما يروونه من أنه ﷺ قال: "ليذادن برجال من أصحابي يوم القيامة عن حوضي كما تذاد غرائب الإبل عن الماء، فأقول: يا رب أصحابي أصحابي؟. فيقال لي:

.....

إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: بُعداً لهم وسحقاً"، أفترى هذا لمن لم يغير ولم يبدل»[٣٠].

وفي (تفسير العياشي): عن الحسين بن المنذر، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: [أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ] القتل أم الموت؟. قال: «يعني أصحابه الذين فعلوا ما فعلوا»[٣١].

---

[٢٩] الصوارم المهرقة: ص٣ -٩.

[٣٠] عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٨٧ ب٢٢ ح٣٣.

[٣١] تفسير العياشي: ج١ ص٢٠٠ من سورة آل عمران ح١٥٣.

وقال رسول الله ﷺ: « ليجيئن قوم من أصحابي من أهل العلية والمكانة مني ليمروا على الصراط، فإذا رأيتهم ورأوني وعرفتهم وعرفوني اختلجوا دوني، فأقول: أي رب أصحابي أصحابي؟. فيقال: ما تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم حيث فارقتهم. فأقول: بُعداً وسحقاً»[٣٢].

وفي صحاحهم بإسنادهم إلى ابن عباس قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً ـ ثم قال ـ [كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ][٣٣]»، إلى آخر الآية، ثم قال: «ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصيحابي؟. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: كما قال العبد الصالح: [وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ][٣٤]. فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا

.....

مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»[٣٥].

ورووا عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «ليردن عليَّ الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رأيتهم ورفعوا اليَّ اختلجوا دوني، فلأقولن: أي رب

---

[٣٢] كتاب سليم بن قيس: ص٥٩٩ الحديث الرابع.

[٣٣] سورة الأنبياء: ١٠٤.

[٣٤] سورة المائدة: ١١٧.

[٣٥] صحيح البخاري: ج٥ ص١٩١ -١٩٢ كتاب تفسير القرآن، صحيح مسلم: ج٨ ص١٥٧ باب في صفة يوم القيامة.

أصيحابي أصيحابي؟. فليقالن لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[٣٦].

وفي البخاري: أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم. فقال: هلم. فقلت: أين؟. قال: إلى النار والله. قلت: وما شأنهم؟. قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم. فقال: هلم. قلت: أين؟. قال: إلى النار والله. قلت: ما شأنهم؟. قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل همل النعم»[٣٧].

ورووا عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول ـ وهو بين ظهراني أصحابه ـ: إني على الحوض انتظر من يرد عليَّ منكم، فو الله ليقتطعن دوني رجال فلأقولن: أي رب مني ومن أمتي. فيقول: إنك لا تدري ما عملوا بعدك ما زالوا يرجعون على أعقابهم»[٣٨].

ورووا عن أسماء بنت أبي بكـــر قالت: قال رسول الله ﷺ: «إني علـــى

.....

الحوض حتى انظر من يرد عليَّ منكم، وسيؤخذ ناس من دوني فأقول: يا رب مني ومن أمتي. فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك، والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم»[٣٩].

---

[٣٦] صحيح مسلم: ج٧ ص٧٠ -٧١ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، صحيح البخاري: ج٧ ص٢٠٧ كتاب الرقاق.

[٣٧] صحيح البخاري: ج٧ ص ٢٠٨ كتاب الرقاق.

[٣٨] صحيح مسلم: ج٧ ص٦٦ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

[٣٩] صحيح البخاري: ج٧ ص٢٠٩ كتاب الرقاق، صحيح مسلم: ج٧ ص٦٦ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

ورووا عن أم سلمة (رضي الله عنها) عن النبي ﷺ، أنه قال: «إني لكم فرط على الحوض فإياي لا يأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال، فأقول: فيم هذا؟. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً»[٤٠].

ورووا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأذودن رجالاً عن حوضي كما تذاد الغريبة من الإبل عن الحوض»[٤١].

إلى غير ذلك من الروايات التي رووها وهي تدل على عدم صحة ما ادعوه من عدالة جميع الصحابة كما هو واضح.

التخطيط للمستقبل

مسألة: كما أن الرسول الأعظم ﷺ خطط وعمل للحاضر وحال حياته وللمستقبل وبعد مماته[٤٢] في قبال تخطيط الأعداء في حياته ولما بعد مماته والذي أشارت إليه هاهنا الصديقة الزهراء عليها السلام .. كذلك يجب على المصلح أن يعمـــل

.....

ويخطط للمستقبل ولما بعد وفاته، كما يعمل ويخطط للحاضر وفي حال حياته، إذ إن (المسؤولية) و(واجب الأمر والنهي) لا يُمتثل بمجرد الهداية والإرشاد طوال العمر فقط، إذ بالمقدور عبر تأسيس المؤسسات الاستراتيجية وعبر تربية

---

[٤٠] صحيح مسلم: ج٧ ص٦٧ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

[٤١] صحيح البخاري: ج٣ ص٧٨ كتاب المساقاة، صحيح مسلم: ج٧ ص٧٠ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

(٤٢) عبر سيل من الإرشادات والخطط ومنها استخلافه الثقلين ـ الكتاب والعترة ـ على الناس من بعده حيث قال ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين ... ».

الأفراد وعبر التخطيط المستقبلي: هداية كم أكبر ولمدة أطول وعلى امتداد الأزمان.

وعلى هذا فالواجب لمن يعرف أن العدو يبتغي الغوائل (حسب تعبيرها عليها السلام) في زمن حياة المصلحين (وعلى رأسهم سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد وفاتهم، أن يتخذ الحيطة والحذر، وأن يخطط لإحباط ذلك أو لفضحه على الأقل، كما فعلت الصديقة الكبرى عليها السلام. وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام.

روي أنه دخل ضرار صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على معاوية بن أبي سفيان بعد وفاته عليه السلام فقال لـه معاوية: يا ضرار، صف لي علياً؟. قال: أوتعفيني. قال: لا أعفيك. قال: ما أصف منه، كان والله شديد القوى، بعيد المدى، يتفجر العلم من أنحائه، والحكمة من أرجائه، حسن المعاشرة، سهل المباشرة»(٤٣).

ما لقي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الغوائل

مسألة: يستحب بيان ما لقي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في حياته من الغوائل والمشاكل، ولا يصح التعلل لعدم ذلك بأن فيه فضحاً وتعرية لعدد من الصحابة، إذ أية حرمة لمن يبغي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغوائل؟.

.....

وقد يجب بيان ذلك، فإن ذكر ما لاقى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من المشاكل والمصاعب

(٤٣) شرح نهج البلاغة: ج١٨ ص٢٢٥.

يوجب الاعتقاد به ﷺ والتأسي بوجوده أكثر فأكثر؛ لأن المصلحين الذين يلاقون العنت والإرهاق والشدائد يكونون أسوة للمصلحين الآتين الذين يريدون تغيير المجتمع من السيئ إلى الحسن، أو من الحسن إلى الأحسن.

قال رسول الله ﷺ: «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت»(٤٤).

وقال تعالى: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ](٤٥). وقال عزوجل: [قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْراهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ](٤٦).

وقال سليم: وحدثني علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ في بعض طرق المدينة فأتينا على حديقة. فقلت: يا رسول الله، ما أحسنها من حديقة؟. قال: ما أحسنها ولك في الجنة أحسن منها.

ثم أتينا على حديقة أخرى فقلت: يا رسول الله، ما أحسنها من حديقة؟.

قال: ما أحسنها ولك في الجنة أحسن منها.

حتى أتينا على سبع حدائق أقول: يا رسول الله، ما أحسنها؟. ويقول: لك في الجنة أحسن منها.

فلما خلا لـه الطريق اعتنقني ثم أجهش باكياً وقال: بأبي الوحيد الشهيد.

فقلت: يا رسول الله، ما يبكيك؟.

.....

(٤٤) المناقب: ج٣ ص٢٤٧ فصل مساواته يعقوب ويوسف عليهما السلام.

(٤٥) سورة الأحزاب: ٢١.

(٤٦) سورة الممتحنة: ٤.

فقال: ضغائن في صدور أقوام لايبدونها لك إلا من بعدي، أحقاد بدر وترات أحُد. قلت: في سلامة من ديني؟.

قال: في سلامة من دينك، فأبشر يا علي فإن حياتك وموتك معي، وأنت أخي، وأنت وصيي، وأنت صفيي ووزيري ووارثي والمؤدي عني، وأنت تقضي ديني وتنجز عداتي عني، وأنت تبرئ ذمتي وتؤدي أمانتي، وتقاتل على سنتي الناكثين من أمتي والقاسطين والمارقين، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى ولك بهارون أسوة حسنة، إذ استضعفه قومه وكادوا يقتلونه، فاصبر لظلم قريش إياك وتظاهرهم عليك، فإنك بمنزلة هارون من موسى ومن تبعه وهم بمنزلة العِجل ومن تبعه، وإن موسى أمر هارون حين استخلفه عليهم إن ضلوا فوجد أعواناً أن يجاهدهم بهم، وإن لم يجد أعواناً أن يكف يده ويحقن دمه ولا يفرق بينهم.

يا علي، ما بعث الله رسولاً إلا وأسلم معه قوم طوعاً وقوم آخرون كرهاً، فسلط الله الذين أسلموا كرهاً على الذين أسلموا طوعاً، فقتلوهم ليكون أعظم لأجورهم. يا علي، وإنه ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها، وإن الله قضى الفرقة والاختلاف على هذه الأمة ولو شاء لجمعهم على الهدى حتى لا يختلف اثنان من خلقه، ولا يتنازع في شيء من أمره، ولا يجحد المفضول ذا الفضل فضله، ولو شاء عجل النقمة فكان منه التغيير حتى يكذب الظالم، ويعلم الحق أين مصيره، ولكن جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة دار القرار [لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤُا بِمَا عَمِلُوا ويَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى] (٤٧).

.....

(٤٧) سورة النجم: ٣١.

فقلت: الحمد لله شكراً على نعمائه وصبراً على بلائه، وتسليماً ورضىً بقضائه»[٤٨].

حرمة إثارة المشاكل

مسألة: يحرم على الإنسان أن يثير المشاكل ويحيك المؤامرات ضد الرسول ﷺ، أو ضد آله الأطهار عليهم السلام، أو ضد منهجه ودعوته ورسالته ﷺ، في حياته وبعد مماته ﷺ وإلى يومنا هذا وحتى قيام الساعة، وتشمل الحرمة كل من قام بذلك في أي زمن من الأزمان.

قال تعالى: [وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ][٤٩].

وقال عزوجل: [إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً][٥٠].

فإن الواجب هو مناصرة الرسول ﷺ لا أن يكون الإنسان حيادياً بالنسبة إليه، فكيف بابتغاء المشاكل عليه ﷺ؟! فإنه من أشد المحرمات.

قال سبحانه: [أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لـه نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ][٥١].

وفي (البحار) عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال عند توجههما ـ أي طلحة والزبير ـ إلى مكة للاجتماع مع عائشة في التأليب عليه بعد أن حمد الله تعالى

---

(٤٨) كتاب سليم بن قيس: ص٥٦٩ -٥٧٠ الحديث الثاني.

(٤٩) سورة التوبة: ٦١.

(٥٠) سورة الأحزاب: ٥٧.

(٥١) سورة التوبة: ٦٣.

وأثنى عليه: «أما بعد، فإن الله عزوجل بعث محمداً ﷺ للناس كافة وجعله رحمة للعالمين، فصدع بما أمر به، وبلغ رسالة ربه، فلمّ به الصدع، ورتق به الفتق، وآمن به السبل، وحقن به الدماء، وألف به بين ذوي الإحن والعداوة، والوغر في الصدور، والضغائن الراسخة في القلوب، ثم قبضه الله إليه حميداً، لم يقصر في الغاية التي إليها أدى الرسالة، ولأبلغ شيئاً كان في التقصير عنه القصد، وكان من بعده ما كان من التنازع في الإمرة، فتولى أبو بكر وبعده عمر، ثم تولى عثمان فلما كان من أمره ما كان أتيتموني فقلتم: بايعنا. فقلت: لاأفعل. قلتم: بلى. فقلت: لا.وقبضت يدي فبسطتموها،ونازعتكم فجذبتموها، وحتى تداككتم عليَّ كتداكك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى ظننت أنكم قاتليّ، وأن بعضكم قاتل بعض، وبسطت يدي فبايعتموني مختارين، وبايعني في أولكم طلحة والزبير طائعين غير مكرهين، ثم لم يلبثا أن استأذناني في العمرة، والله يعلم أنهما أرادا الغدرة، فجددت عليهما العهد في الطاعة، وأن لا يبغيا الأمة الغوائل، فعاهداني ثم لم يفيا لي ونكثا بيعتي، ونقضا عهدي، فعجباً لهما من انقيادهما لأبي بكر وعمر وخلافهما لي، ولست بدون أحد الرجلين، ولو شئت أن أقول لقلت: اللهم اغضب عليهما بما صنعا وأظفرني بهما»[٥٢].

معنى الغوائل

قولها عليها السلام: «وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي لـه من الغوائل في حياته» الغوائل بمعنى: الشرور والدواهي والحوادث المهلكة، وكانت المهالـك

[٥٢] بحار الأنوار: ج٣٢ ص٩٨ -٩٩ ب١ ح٦٩.

التي أوجدوها لرسول الله ﷺ في حياته كثيرة جداً وفي مختلف الشؤون الدينية والدنيوية.

فالمراد أن غدركم وزوركم بعد وفاة رسول الله ﷺ شبيه بغدركم وزوركم عليه في حال حياته ﷺ؛ لأنهم كثيراً ما غدروا به حينذاك خصوصاً في ليلة العقبة، كما زوروا عليه وقالوا عنه ما لم يقله حتى قال ﷺ: «كثرت عليَّ الكذابة، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»(٥٣).

والتعبير بـ (بغي لـه من الغوائل) يفصح عن محاولاتهم إهلاك الرسول ﷺ بخطط خفية، فإن الغائلة هي الحادثة المهلكة والداهية، وغاله: أهلكه وأخذه من حيث لا يدري، فبغي لـه من الغوائل يعني حاولوا إهلاكه وقتله غيلة وغدراً ومن حيث لا يعلم ـ حسب زعمهم ـ كما في العقبتين حيث أرادوا قتل النبي ﷺ والوصي عليه السلام (٥٤)، وهكذا غدروا وغاولوا إلى أن وصل بهم الأمر أن دسوا السم إلى رسول الله ﷺ فقضى مسموماً شهيداً..

ففي (البحار)، عن (تفسير العياشي)، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «تدرون مات النبي ﷺ أو قُتل، إن الله يقول: [أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ](٥٥) فسُمّ قبل الموت، إنهما سمتاه». فقلنا: إنهما وأبويهما شر من

(٥٣) الكافي: ج١ ص٦٢ باب اختلاف الحديث ح١.

(٥٤) للتفصيل انظر بحار الأنوار: ج٢١ ص١٨٥ ب٢٩.

(٥٥) سورة آل عمران: ١٤٤.

خلق الله[٥٦].

(٥٦) بحار الأنوار: ج٢٨ ص٢٠ -٢١ ب١ ح٢٨.

القرآن هو الحَكم

مسألة: يجب اتخاذ وجعل كتاب الله الحَكَم في المخاصمات، والرجوع إليه في معرفة الحق من الباطل؛ فإنه المصدر الأول لتبيين الحق وهو العدل والفصل، كما يجب الرجوع إلى العترة الطاهرة عليهم السلام فإنهم عِدل القرآن.

قال سبحانه: [لَّقَدْ أَنزَلْنَآ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىَ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ](٥٧). وعن يونس بن عبد الرحمن قال: قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام: بما أوحد الله؟. فقال: «يا يونس، لا تكونن مبتدعاً، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله ضلّ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيه صلى الله عليه وآله كفر»(٥٨).

وقال تعالى: [إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوَاْ إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ](٥٩)، والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى معناها الدعوة إلى كتابه في أصول الدين وفروعه، وفي حل المنازعات وما أشبه ذلك.

على خلاف غير المؤمنين حيث قال عنهم: [وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىَ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَآ أُوْلَـئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِذَا دُعُوَاْ إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ](٦٠).

---

(٥٧) سورة النور: ٤٦.

(٥٨) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٤٠ ب٦ ح٣٣١٥٧.

(٥٩) سورة النور: ٥١.

(٦٠) سورة النور: ٤٧ - ٤٨.

روى السدي: أنه لما غنم النبي ﷺ بني النضير وقسم أموالهم، قال عثمان لعلي عليه السلام: ائت النبي ﷺ واسأله كذا فإن أعطاك فأنا شريكك، وأنا أسأله فإن أعطاني فأنت شريكي. فسأله عثمان أولاً فأعطاه فأبى أن يشرك علياً، فقاضاه إلى النبي ﷺ فأبى وقال: إنه ابن عمه فأخاف أن يقضي لـه. فنزلت ﴿وَإِذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿بَلْ أُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٦١]، فلما بلغه ما أنزل فيه جاء إلى النبي ﷺ وأقر بالحق لعلي عليه السلام [٦٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء، حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا أنزل في القرآن إلاّ وقد أنزله الله فيه»[٦٣].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «إذا حدثتكم بشيء فاسألوني عن كتاب الله عزوجل»[٦٤]. وقال أبو عبد الله عليه السلام: «ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا ولـه أصل في كتاب الله عزوجل ولكن لا تبلغه عقول الرجال»[٦٥].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وفصل ما بينكم، ونحن نعلمه»[٦٦].

---

(٦١) سورة النور: ٤٧ - ٥١.

(٦٢) الصراط المستقيم: ج٣ ص٣٧ النوع الثالث في عثمان.

(٦٣) الكافي: ج١ ص٥٩ باب الرد إلى الكتاب والسنة ح١.

(٦٤) تهذيب الأحكام: ج٧ ص٢٣١ ب٢١ ح٣٠.

(٦٥) وسائل الشيعة: ج٢٦ ص٢٩٤ ب٤ ح٣٣٠٢٥.

(٦٦) بحار الأنوار: ج٨٩ ص٩٨ ب٨ ح٦٧.

وعن سليم بن قيس الهلالي، قال: قلت لأمير المؤمنين عليه السلام: إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن ومن الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تخالف الذي سمعته منكم، وأنتم تزعمون أن ذلك باطل، أفترى الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعمدين ويفسرون القرآن برأيهم؟.

قال: فأقبل عليَّ عليه السلام فقال لي: «يا سليم، قد سألت فافهم الجواب. إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وخاصاً وعاماً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عهده حتى قام فيهم خطيباً، فقال: أيها الناس، قد كثرت عليَّ الكذابة، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. ثم كذب عليه من بعده حين توفي رحمة الله على نبي الرحمة وصلى الله عليه وآله، وإنما يأتيك بالحديث أربعة نفر ليس لهم خامس:

رجل منافق مظهر للإيمان متصنع بالإسلام، لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعمداً، فلو علم المسلمون أنه منافق كذاب لم يقبلوا منه ولم يصدقوه، ولكنهم قالوا: هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رآه وسمع منه، وهو لا يكذب ولا يستحل الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أخبر الله عن المنافقين بما أخبر، ووصفهم بما وصفهم، فقال الله عزوجل: [وإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ](٦٧)، ثم بقوا بعده وتقربوا إلى أئمة الضلال

(٦٧) سورة المنافقون: ٤.

والدعاة إلى النار بالزور والكذب والنفاق والبهتان، فولوهم الأعمال وحملوهم على رقاب الناس، وأكلوا بهم من الدنيا، وإنما الناس مع الملوك في الدنيا إلاّ من عصم الله، فهذا أول الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله ﷺ شيئاً فلم يحفظه على وجهه، ووهم فيه ولم يتعمد كذباً، وهو في يده يرويه ويعمل به، ويقول: أنا سمعته من رسول الله ﷺ. فلو علم المسلمون أنه وهم لم يقبلوا، ولو علم هو أنه وهم فيه لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله ﷺ شيئاً أمر به ثم نهى عنه وهو لايعلم، أو سمعه نهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، حفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون أنه منسوخ إذ سمعوه لرفضوه.

ورجل رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله بغضاً للكذب، وتخوفاً من الله وتعظيماً لرسوله ﷺ، ولم يوهم بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به كما سمعه ولم يزد فيه ولم ينقص، وحفظ الناسخ من المنسوخ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ.

وإن أمر رسول الله ﷺ ونهيه مثل القرآن: ناسخ ومنسوخ، وعام وخاص، ومحكم ومتشابه، وقد كان يكون من رسول الله ﷺ الكلام لـه وجهان: كلام خاص، وكلام عام. مثل القرآن يسمعه من لا يعرف ما عنى الله به وما عنى به رسول الله ﷺ، وليس كل أصحاب رسول الله ﷺ كان يسأله فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهم، حتى أن كانوا ليحبون أن يجيء الطارئ والأعرابي فيسأل رسول الله ﷺ حتى يسمعوا منه.

وكنت أدخل على رسول الله ﷺ كل يوم دخلة وفي كل ليلة دخلة، فيخليني فيها أدعه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أنه لم يكن يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، وربما كان ذلك في منزلي يأتيني رسول الله ﷺ، فإذا دخلت عليه في بعض منازلـه خلا بي وأقام نساءه فلم يبق غيري وغيره، وإذا أتاني للخلوة في بيتي لم تقم من عندنا فاطمة عليها السلام ولا أحد من ابنيّ عليهما السلام.

وكنتُ إذا سألته أجابني، وإذا سكتُ أو نفدت مسائلي ابتدأني، فما نزلت عليه آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليَّ، فكتبتها بخطي ودعا الله أن يفهمني إياها ويحفظني، فما نسيت آية من كتاب الله منذ حفظتها وعلمني تأويلها، فحفظته وأملاه عليَّ فكتبته.

وما ترك شيئاً علمه الله من حلال وحرام، أو أمر ونهي، أو طاعة ومعصية، كان أو يكون إلى يوم القيامة إلاّ وقد علمنيه، وحفظته ولم أنس منه حرفاً واحداً، ثم وضع يده على صدري ودعا الله أن يملأ قلبي علماً وفهماً، وفقهاً وحكماً ونوراً، وأن يعلمني فلا أجهل، وأن يحفظني فلا أنسى.

فقلت لـه ذات يوم: يا نبي الله، إنك منذ يوم دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً مما علمتني، فلِمَ تمليه عليَّ وتأمرني بكتابته، أتتخوف علي النسيان؟.

فقال: يا أخي، لست أتخوف عليك النسيان ولا الجهل»[٦٨].

(٦٨) كتاب سليم بن قيس: ص٦٢٠ - ٦٢٦ الحديث العاشر.

في باب التعارض

مسألة: في تعارض الخبرين أو الطائفتين من الروايات، يجب الرجوع إلى القرآن الحكيم فهو (المرجع) وليس (المرجّح).

قال رسول الله ﷺ: «إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه»(٦٩).

وعن ابن أبي يعفور، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به؟. قال: «إذا ورد عليكم حديث فوجدتم لـه شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله ﷺ، وإلا فالذي جاءكم به أولى به»(٧٠).

وعن أيوب بن الحر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف»(٧١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «ما لم يوافق من الحديث القرآنَ فهو زخرف»(٧٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «خطب النبي ﷺ بمنى فقال: أيها الناس، ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلتــه، وما جاءكم يخالــف كتاب الله

(٦٩) الكافي: ج١ ص٦٩ باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب ح١.

(٧٠) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص١١٠ ب٩ ح٣٣٣٤٤.

(٧١) بحار الأنوار: ج٢ ص٢٤٢ ب٢٩ ح٣٧.

(٧٢) الكافي: ج١ ص٦٩ باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب ح٤.

فلم أقله»[٧٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من خالف كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وآله فقد كفر»[٧٤].

الظواهر حجة بدون الضميمة

مسألة: كلام الصديقة الطاهرة عليها السلام صريح في حجية ظواهر الكتاب العزيز ـ إلاّ ما خرج بالدليل ـ وصحة بل لزوم التمسك بها، خلافاً لبعض من لايرى ذلك، وقد سبق نظيره.

لا يقال: تمسكها عليها السلام بها في المقام هو المتمم، وبه أمكن التمسك كما قال البعض؟.

لأنه يقال: ظاهر (الحَكَمية) غير ذلك، وكذلك ظاهر (ناطقاً فصلاً)[٧٥].

وهذا لا ينافي ضرورة الرجوع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام لمعرفة تفسير القرآن وعلومه، كما أنه لا ينافي ضرورة تأويل مثل قوله تعالى: [يَدُ اللّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ][٧٦]، وقوله عزوجل: [إِلَىَ رَبّهَا نَاظِرَةٌ][٧٧] لقيام الدليل القطعي على ذلك.

عن عبد الله بن سنان، عن أبيه، قال: حضرت أبا جعفر محمد بن علي

(٧٣) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص١١١ ب٩ ح٣٣٣٤٨.

(٧٤) الكافي: ج١ ص٧٠ باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب ح٦.

(٧٥) أي ظاهر تعبيرها بـ (حكماً) أنه الحاكم بالاستقلال، وكذا ظاهر (ناطقاً فصلاً) لا بالضميمة.

(٧٦) سورة الفتح: ١٠.

(٧٧) سورة القيامة: ٢٣.

الباقر عليه السلام ودخل عليه رجل من الخوارج. فقال: يا أبا جعفر أي شيء تعبد؟. قال: «الله». قال: رأيتَه؟. قال: «لم تره العيون بمشاهدة العيان، ورأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يُعرف بالقياس، ولا يُدرك بالحواس، ولا يُشبّه بالناس، موصوف بالآيات، معروف بالعلامات، لا يجور في حكمه، ذلك الله لا إله إلا هو». قال: فخرج الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته[٧٨].

وقال علي بن موسى الرضا عليه السلام في قول الله عزوجل: [وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ * إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ][٧٩]، قال: «يعني مشرقة تنتظر ثواب ربها»[٨٠].

وعن الهروي، قال: قلت لعلي بن موسى الرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله، ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث "أن المؤمنين يزورون ربهم في منازلهم في الجنة"؟.

فقال عليه السلام: «يا أبا الصلت، إن الله تبارك وتعالى فضل نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم على جميع خلقه من النبيين والملائكة، وجعل طاعته طاعته، ومتابعته متابعته، وزيارته في الدنيا والآخرة زيارته، فقال عزوجل: [مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ][٨١]، وقال: [إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ][٨٢]، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله تعالى. ودرجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الجنة أرفع الدرجات، فمن زاره في درجته في الجنة من منزله فقد

(٧٨) الأمالي للصدوق: ص٢٧٨ المجلس٤٧ ح٤.

(٧٩) سورة القيامة: ٢٣.

(٨٠) التوحيد: ص١١٦ ب٨ ح١٩.

(٨١) سورة النساء: ٨٠.

(٨٢) سورة الفتح: ١٠.

زار الله تبارك وتعالى».

قال: فقلت لـه: يا ابن رسول الله ﷺ، فما معنى الخبر الذي رووه "أن ثواب لا إله إلاّ الله النظر إلى وجه الله تعالى"؟.

فقال عليه السلام: «يا أبا الصلت، من وصف الله تعالى بوجه كالوجوه فقد كفر، ولكن وجه الله تعالى أنبياؤه ورسله وحججه (صلوات الله عليهم) هم الذين بهم يتوجه إلى الله عزوجل وإلى دينه ومعرفته، وقال الله تعالى: [كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ ويَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ والإِكْرامِ][٨٣]، وقال عزوجل: [كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ][٨٤]، فالنظر إلى أنبياء الله تعالى ورسله وحججه عليهم السلام في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين يوم القيامة، وقد قال النبي ﷺ: من أبغض أهل بيتي وعترتي لم يرني ولم أره يوم القيامة، وقال: إن فيكم من لا يراني بعد أن يفارقني. يا أبا الصلت، إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان، ولا يُدرك بالأبصار والأوهام...»[٨٥].

وعن محمد بن الفضيل، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام هل رأى رسول الله ﷺ ربه عزوجل؟. فقال: «نعم بقلبه رآه، أما سمعت الله عزوجل يقول: [مَا كَذَبَ الْفُؤادُ مَا رَأى][٨٦]، لم يره بالبصر ولكن رآه بالفؤاد»[٨٧].

---

(٨٣) سورة الرحمن: ٢٦ -٢٧.

(٨٤) سورة القصص: ٨٨.

(٨٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١ ص١١٥ - ١١٦ ب١١ ح٣.

(٨٦) سورة النجم: ١١.

(٨٧) بحار الأنوار: ج٤ ص٤٣ ب٥ ضمن ح١٩.

التأكيد على حكمية القرآن

مسألة: يجب العمل على تكريس هذه الحقيقة في أذهان الناس وهي أن القرآن حَكَم وعدل وناطق وفصل.

فالقرآن يحكم بين الأطراف المتنازعة، ويقضي على من عليه الحق لمن له ذلك، وهو عادل في حكمه فلا يجور، كما أن القرآن ناطق فصل، ونطقه هو ظهور مفاده، وليس مثل بعض الآيات الكونية حيث إنها ليست ناطقة بمنزلة نطق القرآن، وإن كانت هي ناطقة أيضاً، بمعنى تسبيحها ودلالتها على وجود الله سبحانه وتعالى وجملة من صفاته.

قال تعالى: [تُسَبِّحُ لـه السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأرْضُ وَمَن فِيهِنّ وَإِن مّن شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ](٨٨).

والقرآن فصل بين الحق والباطل سواء في المنازعات العقائدية أم غيرها، فهو يظهر ويبين جانب الحق، كما أنه يعري جانب الباطل ويكشف زيفه، قال سبحانه: [وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ](٨٩).

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يا سعد، تعلموا القرآن؛ فإن القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق ـ إلى أن قال ـ حتى ينتهي إلى رب العزة فيناديه تبارك وتعالى: يا حجتي في الأرض وكلامي الصادق الناطق ارفع رأسك وسل تعط، واشفع تشفع، كيف رأيت عبادي؟. فيقول: يا رب،

(٨٨) سورة الإسراء: ٤٤.

(٨٩) سورة ص: ٢٠.

صانني وحافظ عليّ ولم يضيع شيئاً، ومنهم من ضيعني واستخف بحقي وكذب بي، وأنا حجتك على جميع خلقك. فيقول الله عزوجل: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لأُثيبن عليك اليوم أحسن الثواب، ولأُعاقبن عليك اليوم أليم العقاب»(٩٠).

وقال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي ثم أمتي، ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وبأهل بيتي»(٩١).

قولها عليها السلام: «هذا كتاب الله حكماً وعدلاً وناطقاً فصلاً». أي: كيف تنسبون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله الحديث المكذوب والحال أن كتاب الله حَكَم بيننا وبينكم، وهو يدل على كذب هذا الحديث وعدم صدوره عن الرسول صلى الله عليه وآله؟.

ثم إن هذا الحاكم عادل لا يجور، وناطق وفاصل فهو يفصل بين الحق والباطل، ونطقه عبارة عن: ظهور مفاده وخصوصياته وأحكامه.

لا يقال: كيف يكون القرآن ناطقاً فصلاً والحال أننا لا نراه يفصل في كثير من الخصومات العقائدية والفكرية والاجتماعية وغيرها؟.

لأنه يقال: القرآن ناطق فصل بمعنى الاقتضاء، فهو كلمة الله الكاشفة عن الحقيقة ومن شأنه الفصل في الخصومة، لا بمعنى الجبر والقسر في فعليته، بل

(٩٠) وسائل الشيعة: ج٦ ص١٦٥ ب١ ح٧٦٣٦.

(٩١) الكافي: ج٢ ص٦٠٠ كتاب فضل القرآن ح٤.

هذه الكلمة شأنها الفصل لو أراد الناس فصلاً إلهياً. وبعبارة أخرى: القرآن جُعل مقتضياً للفصل وليس علة تامة مما يستلزم الجبر، بل لفاصليته الفعلية شروط

.....

ومنها قابلية القابل وخضوعه للحق وعدم عناده، قال تعالى: [أَنَزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا][٩٢]، فالقرآن ناطق فصل تشريعاً، أي شرع هكذا، أما تكويناً وفي مرحلة التطبيق فحسب القابليات وما أشبه.

وعن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ـ في حديث ـ: «إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن؛ فإنه شافع مُشفّع، وماحل مصدّق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل، وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، ولـه ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، لـه نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه، ولا تُبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فليجل جال بصره، وليبلغ الصفة نظره، ينج من عطب، ويتخلص من نشب؛ فإن التفكر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلص، وقلة التربص»[٩٣].

هل متشابه القرآن فصل؟

---

(٩٢) سورة الرعد: ١٧.

(٩٣) وسائل الشيعة: ج٦ ص١٧١ ب٣ ح٧٦٥٧.

مسألة: كل القرآن ناطق فصل وحَكَم عدل حتى المتشابه منه؛ فإن المتشابه متشابه ظاهره وواضح الدلالة والمقصود في واقعه، وإن كان لا نعلم به، فوضوحه عند من نزل الكتاب في بيوتهم، وبعبارة أخرى: إن المتشابه متشابه

.....

عند البعض وليس عند الكل، فهو متشابه على من لم يخاطب به. فيلزم الرجوع إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام لمعرفة المراد من المتشابه منه، وحينئذ يكون فصلاً وحَكَماً.

والفرق بين المحكم والمتشابه:

إن المحكم غير متوقف فهمه إلا على الشروط العامة، مثل أن يكون من أهل اللغة عارفاً بها، وإلا فإن من لا يعرف العربية لا يفهم من المحكم شيئاً إلا بعد الترجمة وما أشبه، كما هو واضح.

والمتشابه يتوقف على شرط إضافي هو لزوم صدور التوضيح ممن نزل القرآن في بيوتهم ومن خوطبوا به. ولتقريب المعنى إلى الذهن نمثل بكلمات رمزية اتفق عليها شخصان؛ فإنها لهما محكمة وللثالث متشابهة، لكنه لو اطلع على الرمز أضحت لديه محكمة أيضاً. وبعبارة أخرى: يكون التشابه بالعرض وليس بالذات، وذلك لمصحلة رآها الباري عزوجل، ولكي يبين الناس ضرورة الرجوع إلى العترة الطاهرة عليهم السلام.

قال تعالى: [هُوَ الّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مّحْكَمَاتٌ هُنّ أُمّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمّا الّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ

الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاّ اللّهُ وَالرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلّ مّنْ عِندِ رَبّنَا وَمَا يَذّكّرُ إِلاّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ](٩٤). وفي تفسير الآية أن الراسخون في العلم: «أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام»(٩٥).

وفي حديث آخر: «الراسخون في العلم هم آل محمد عليهم السلام»(٩٦).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من عمل بالمقاييس فقد هلك وأهلك، ومن أفتى الناس وهو لا يعلم الناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه فقد هلك وأهلك»(٩٧).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام ـ في حديث ـ قال: «والمحكم من القرآن مما تأويله في تنزيله، مثل قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ وَامْسَحُوا بِرءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ]، وهذا من المحكم الذي تأويله في تنزيله، لا يحتاج تأويله إلى أكثر من التنزيل»(٩٨).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «دعوا عنكم ما اشتبه عليكم مما لا علم لكم به، وردّوا العلم إلى أهله تؤجروا وتُعذروا عند الله»(٩٩).

---

(٩٤) سورة آل عمران: ٧.

(٩٥) الكافي: ج١ ص٤١٥ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية ح١٥.

(٩٦) تفسير العياشي: ج١ ص١٦٣ من سورة آل عمران ح٤.

(٩٧) الأمالي للصدوق: ص٤٢١ المجلس٦٥ ح١٦.

(٩٨) وسائل الشيعة: ج١ ص٣٩٩ ب١٥ ح١٠٤٢.

(٩٩) تحف العقول: ص٣٥٣ احتجاجه عليه السلام على الصوفية لما دخلوا عليه.

يقول: [يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ][100]، ويقول: [وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ][101] وبيّن عزوجل فيما وزع من الأقساط، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح[102] من حظ الذكران والإناث ما أزاح به علة المبطلين.

آيات الإرث

مسألة: لكلامها عليها السلام عقد إيجاب وعقد سلب، فعقد الإيجاب أن ما وزعه الله من الأقساط على الورثة وشرّعه لهم ينبغي أن يعطى لكل منهم كما وزعه الباري عزوجل وشرّع. وعقد السلب عدم جواز أن يُعطى لغيرهم قسط، وكذلك الفقرتان اللاحقتان، فما فعله ابن أبي قحافة كان مخالفاً لكلا عقدي السلب والإيجاب.

قولها عليها السلام: «يقول: [يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ][103]، ويقول: [وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ داوُد][104]». قد تقدم بيان الآيتين وأنهما وردتا في إرث الأنبياء عليهم السلام، بالإضافة إلى آيات الإرث العامة المتقدمة.

ثم إنه ليس ذكرها عليها السلام الآية الثانية الدالة على إرث سليمان النبي عليه السلام مجرد بيان مصداق آخر لتأكيد المدعى، بل فيها فوائد أخرى أيضاً، فإن الآية الأولى دعاء وطلب، والثانية إخبار وتحقق[105].

---

(١٠٠) سورة مريم: ٦.

(١٠١) سورة النمل: ١٦.

(١٠٢) وفي بعض النسخ: (أتاح).

(١٠٣) سورة مريم: ٦.

(١٠٤) سورة النمل: ١٦.

(١٠٥) فلا يبقى مجال لاعتراض من ربما يقول: إن [فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ وَلِيّاً ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ]

لا يقال: ما وجه استدلالها عليها السلام بإرث سليمان من داود ويحيى من ذكريا عليهما السلام مع أن الشريعة الإسلامية ناسخة للأديان السابقة، والاحتجاج في إرثها من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم؟.

إذ يقال:

أولاً: كلامها عليها السلام رد على ابن أبي قحافة حيث استدل بما نسبه إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الرواية: «إنا معاشر الأنبياء لا نورّث ...»، وهي معارضة بصريح الكتاب العزيز، بدليل إرث سليمان من داود وغيره من غيره عليهم السلام.

وثانياً: إن الشريعة الإسلامية لم تنسخ كل ما كان في الشرائع السابقة كما هو بديهي(١٠٦) بل بعضه فقط، فما قام الدليل على نسخه نسخ، وإلا كان على

ما كان، لاستصحاب الشرائع السابقة، بل للعمومات والاطلاقات وغيرها على ما ذكرناه في (الأصول)(١٠٧).

قولها عليها السلام: «وبيّن عزوجل فيما وزّع من الأقساط»؛ لأن الله سبحانه جعل لكل وارث قسطاً من التركة. والتوزيع: التقسيم، والأقساط: جمع القسط أي

◄سورة مريم: ٥ - ٦، دعاء وطلب وليس دليلاً على أن الله قد أقر ذلك وأعطاه. والجواب أولاً: إن الآية الثانية دليل على أن الله قد أقر ذلك كما في المتن. وثانياً: إنه لا يعقل أن يطلب النبي عليه السلام ما لم يشرّعه الله، أي: ما هو خلاف الشرع، ولا يعقل أن يكون النبي جاهلاً بهذا الحكم الواضح.

(١٠٦) إذ الأمور الاعتقادية وكثير من الأحكام الشرعية: (كالحج والصلاة و...في العبادات، وكذا النكاح والطلاق والبيع والشراء و...في العقود والإيقاعات، والإرث والقصاص و...في الأحكام)، وكثير من الأخلاق والآداب وشبهها أبقيت على ما كانت أو جرى فيها بعض التغيير فحسب، وفي صورة الشك يستصحب ذلك على ما بين في علم الأصول.

(١٠٧) الأصول: من تأليفات الإمام الشيرازي رحمه الله ويقع في ثمانية أجزاء.

الحصة.

.....

«وشرع من الفرائض والميراث»: فإنه تعالى فرض لكل وارث إرثاً. و(الفرائض): جمع الفريضة، بمعنى الحصة المفروضة والمقدرة.

ولعل الحكمة في مقابلة الميراث بالفرائض ـ في هذه الخطبة الشريفة ـ هو أن هناك مواريث فرض ومواريث غير فرض، قال سبحانه: [وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَىَ وَالْيَتَامَىَ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مّعْرُوفاً][108]، حيث يستحب إعطاؤهم على ما هو مذكور في محله[109].

قولها عليها السلام: «وأباح من حظ الذكران والإناث»، أي: إن الله سبحانه وتعالى أباح وحلّل التركة للذكران والإناث من الأولاد وغيرهم من الأقرباء بعد ما كان ممنوعاً عليهم في حياة المورّث، أو أن ذلك في قبال الحظر على غيرهم.

والذكران: جمع الذكر، والإناث: جمع الأنثى.

قولها عليها السلام: «ما أزاح به علة المبطلين»، أي: أزال به علة أهل الباطل، أو الذين يريدون الإبطال في حكم إعطاء الإرث وعدم منح الورثة حقهم، أو المبدعين في الزيادة والنقيصة عما فرضه الله سبحانه وتعالى.

---

(١٠٨) سورة النساء: ٨.

(١٠٩) راجع تفسير (تبيين القرآن): ج١ سورة النساء، وفيه: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ أي: قسمة التركة، ﴿أُوْلُواْ الْقُرْبَىَ﴾ بأن شهد وقت القسمة فقراء قرابة الميت الذين لا يرثون، ﴿وَالْيَتَامَىَ وَالْمَسَاكِينُ﴾ ويتاماهم ومساكينهم، ﴿فَارْزُقُوهُمْ مّنْهُ﴾ أي: أعطوهم شيئاً من التركة على وجه الندب، وذلك فيما إذا رضي سائر الورثة وكانوا كباراً، ﴿وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مّعْرُوفاً﴾ حسناً غير خشن؛ فإنه كثيراً ما يتوقع هؤلاء أن يُعطوا شيئاً كثيراً من التركة.

سبب تركيزها عليها السلام على فدك

ربما يتساءل البعض عن السبب في تشدد الصديقة فاطمة عليها السلام في قضية الميراث، ومحاجة القوم أشد المحاجة حولها وهي قضية مادية، وأهل البيت عليهم السلام أرفع شأناً من الترافع في القضايا المادية الدنيوية، فكيف بشن معركة وإدارة صراع وتحمل أخطار في ذلك، حيث أدى ذلك إلى ما أدى إليه من ظلم وجور في حقها (صلوات الله عليها)!! إضافة إلى وجود قضية أخرى أهم هي مسألة الخلافة، فربما كان الأحرى التركيز عليها؟.

والجواب:

أولاً: إن القضية كانت مسألة (التلاعب بأحكام الله) ـ في إرث أولاد الأنبياء عليهم السلام وربما الأعم من ذلك ـ و(محاولة نسف حكم شرعي) قبل أن تكون قضية إرث مادي.

ثانياً: إن القضية كانت بمثابة وضع الحجر الأساس لبدء مسيرة البدعة والتحريف في أحكام الله، والدس والوضع على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومخالفة كتاب الله، وكان بدايتها هذا الحديث المجعول وتضييع آيات الإرث.

فكان لابد من التصدي بكل حزم لأية محاولة تحريف، وكان لابد من فضح قادة التحريف ليقفوا عند حدهم، أو (ليتحجموا) على أقل الفروض بعد أن يشاهدوا افتضاح أمرهم من بعد تلك المقاومة من قبل العترة الطاهرة عليهم السلام وخاصة من قبل الصديقة الزهراء عليها السلام.

ثالثاً: إن الرأي العام كان أكثر تقبلاً لطرح ظلامة غصب فدك من طرح

ظلامة غصب الخلافة[١١٠]، فلذلك كان تأثير الكلام أشد عند طرح القضية الأولى من طرح الثانية.

رابعاً: إن طرح قضية الإرث وإثباتها والمطالبة بها، كان من طرق طرح قضية الخلافة وإثباتها والمطالبة بها.

خامساً: إن فدك ـ بما كانت تدر من محصول هائل ـ كانت سلاحاً اقتصادياً كبيراً بيد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكان الغاصبون للخلافة يرمون إلى تجريده عليه السلام من هذا السلاح وهذه القوة الاقتصادية، والدفاع عن الحق المالي واجب، فكيف لو كان يرام منه تشييد دعائم الدين ونصرة المظلوم والتصدي للظالم؟.

وإلا فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى عثمان بن حنيف الأنصاري: «وَنِعْمَ الْحَكَمُ اللَّهُ، وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وَغَيْرِ فَدَكٍ»[١١١].

لا ضريبة على الإرث

مسألة: كلامها عليها السلام واضح الدلالة فيما هو الظاهر من آيات الإرث من أن ما يخلفه الميت يقسّم بين الورثة لا غير، فلا يحق للدولة فرض ضريبة على الإرث، ومن يرتكب ذلك فإنه من (المبطلين) حسب كلامها عليها السلام، فإنه تعالى قد وزع الأقساط وشرّع من الفرائض والميراث كما ورد في الآيات

(١١٠) وذلك لعلل عديدة منها: إن القوم كانت لهم تارات مع الإمام علي عليه السلام لما قتل من أشياخهم وأقربائهم ببدر وحنين وغيرها، وكانوا يتخوفون ـ لشدة عدله ـ من خلافته، ولم تكن لهم تارات على السيدة الزهراء عليها السلام كما أن قضيتهم كانت الخلافة لا فدك.

(١١١) نهج البلاغة، الخطب: ٤٥ ومن كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على البصرة.

(عليها السلام) بذلك في خطبتها، ولم يكن منه الضرائب على الإرث، فهي أمر غير شرعي وغير مباح، فالضرائب على الإرث كما هو في بعض الدول الإسلامية! مما لم يوزعه الله ولم يشرعه ولم يبحه.

مضافاً إلى حرمة مطلق الضرائب إلا ما قرره الشرع من الخمس والزكاة وما أشبه.

و(من) في قولها عليها السلام: بيانية [١١٢] وليست تبعيضية كما هو واضح.

من مصاديق اللطف

مسألة: إزاحة علة المبطلين لطف، وهو واجب على الله تعالى في الجملة، ـ كما قرر في علم الكلام ـ إلا أن البحث قد يأتي في المصاديق[١١٣] والحدود[١١٤] والتزاحم[١١٥]، وقد يستكشف بالبرهان الإني[١١٦].

قال تعالى: [لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ][١١٧].

وقال سبحانه: [فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ][١١٨].

---

(١١٢) أي: إن (من الأقساط) بيان لـ (ما وزع)، و(من الفرائض) بيان لـ (ما شرع) إذ شرع معطوف على وزع، و(من حظ) بيان لـ (ما أباح).

(١١٣) أي: ما هو مصداق اللطف؟. وهل هذا مصداق أو لا؟.

(١١٤) أي: في حدود اللطف الواجب.

(١١٥) أي: مزاحمة بأمر أهم.

(١١٦) أي: يستكشف اللطف وأن هذا لطف عبر معلوله.

(١١٧) سورة النساء: ١٦٥.

إزاحة علة المبطلين

مسألة: يلزم إزاحة علة المبطلين؛ فإن إبطال حجج أهل الباطل والتصدي لها واجب، وهذا هو معنى إزاحة العلة، حتى لا يكون للناس حجة على الله سبحانه وتعالى في أعمالهم الباطلة.

وفي قولها عليها السلام إشارة واضحة إلى أن ابن أبي قحافة من المبطلين وأهل الباطل، فإن المبطلين في مقابل المحقين وهم أهل الحق.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «في كل خلف من أمتي عدلاً من أهل بيتي ينفي عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجهال، وإن أئمتكم وفدكم إلى الله فانظروا من توفدوا في دينكم وصلواتكم»(١١٩).

وقال تعالى: [فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ](١٢٠).

وقال سبحانه: [وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُواً](١٢١).

وقال عزوجل: [كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ

---

(١١٨) سورة الأنعام: ١٤٩.

(١١٩) قرب الإسناد: ص٣٧.

(١٢٠) سورة غافر: ٧٨.

(١٢١) سورة الكهف: ٥٦.

أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ][١٢٢].

(١٢٢) سورة غافر: ٥.

هل إزالة التظني تكوينية؟

مسألة: يجب إزالة التظني، في الجملة.

وليس المراد من (أزال التظني) الإزالة التكوينية التامة، وإلا لزم تخلف مراده عن إرادته وهو خلف، بل المراد الإزالة بنحو المقتضي، أو الإزالة التشريعية وهي جزء العلة للإزالة التكوينية.

نعم قولـه تعالى: [لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً][123] المراد به الإذهاب تكويناً أيضاً، فهو أعم مما هو باختيارهم عليهم السلام وما ليس باختيارهم[124].

قولها عليها السلام: «وأزال التظني»، التظني: إعمال الظن والأخذ بالشبهة، وأصله التظنن فأبدل من أحدى النونات ياء.

وفي اللغة: التظني: التحري، وهو من التظنن، حذفت النون الأخيرة وجعلوا اشتقاق الفعل على ميزان تفعلي[125].

و«الشبهات»: تشمل الشك والوهم.

---

(١٢٣) سورة الأحزاب: ٣٣.

(١٢٤) أي: إن الله تعالى قد أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وهذا الإذهاب بلحاظ (ما أُذهب) على قسمين: فما لم يكن باختيارهم (كالطينة المباركة، والجينات الوراثية، والأصلاب والأرحام) تعلقت إرادة الله بانتخاب الأفضل الأطهر، وما كان داخل دائرة اختيارهم (كعدم ارتكاب المحرمات، والمكروهات وما أشبه) فإنهم بريؤون عن الرجس فيهن بإرادتهم، وصح نسبة ذلك إلى الله كما في [وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ] ـ سورة الأنفال: ١٧ ـ فقد أذهب الله عنهم الرجس إما مباشرة إو تسبيباً.

(١٢٥) كتاب العين: ج٨ ص١٥١ مادة ظنن.

فإنه لولا القرآن الحكيم لكان من الممكن التظني والشبهة بالنسبة إلى الأحكام السابقة والسابقين[١٢٦]، فإن الغابر يأتي بمعنى السابق كما يأتي بمعنى اللاحق، وهو من ألفاظ الأضداد ـ على اصطلاحهم ـ وقد ذكرنا في بعض كتبنا أن الظاهر في أمثال هذه الألفاظ أن الضدين فيها من باب المصاديق لا من باب وضع اللفظ لأحدهما مرة وللآخر مرة [١٢٧].

ويمكن أن يكون المراد من «في الغابرين» أي: في الآتين، وهم الذين يأتون بعد نزول القرآن، فلا يكون لهم تظن وشبهات بالنسبة إلى أحكام الإرث وغيره.

عن محمد بن مسلم، عن الإمام الباقر عليه السلام: «إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، وليس بالرأي والتظني»[١٢٨].

ومن أدعية الصحيفة السجادية: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِي رُوعِي مِنَ التَّمَنِّي وَالتَّظَنِّي وَالْحَسَدِ ذِكْراً لِعَظَمَتِكَ، وَتَفَكُّراً فِي قُدْرَتِكَ، وَتَدْبِيراً عَلَى عَدُوِّكَ»[١٢٩].

إثارة الشبهات محرمة

مسألة: من الواجب رد الشبهات ودفع الشكوك وإن كانت بالنسبة إلى الغابرين.

---

(١٢٦) حيث اتهم ابن أبي قحافة السابقين من الأنبياء عليهم السلام أيضاً بعدم الإرث.

(١٢٧) فاللفظ وضع للجامع فهو من المشترك المعنوي لا اللفظي.

(١٢٨) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص١٢٣ باب الصوم للرؤية والفطر للرؤية ح١٩٠٨.

(١٢٩) الصحيفة السجادية: الدعاء رقم ٢٠ وكان من دعائه عليه السلام في مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال.

أما (إثارة الشبهة) في أذهان الناس فهـي محرمـة، حتى إذا كانت بحجة إثراء

.....

البحث وتحريك العقول، فإنها تناقض فلسفة القرآن الكريم الذي جاء [هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَالْفُرْقَانِ][١٣٠] ومناقض لقولها عليها السلام في وصف القرآن: «أزال التظني والشبهات في الغابرين».

نعم إذا كان طرح الشبهة في مقام دفعها تحصيناً وتعليماً وللرد بشروطه كان جائزاً ، ومن الشروط قابلية القابل[١٣١]، وأن يكون الدفع دافعاً للشبهة حقيقة.

ومن الواضح أن إثارة الشبهات مع عدم تحقق الشرطين إضلال.

عن ابن أبي نصر، عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله عزوجل: [وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ][١٣٢]، قال: «يعني من اتخذ دينه رأيه بغير إمام من أئمة الهدى»[١٣٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم، وأكثروا من سبهم والقول فيهم والوقيعة، وباهتوهم كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام، ويحذرهم الناس، ولايتعلمون من بدعهم، يكتب الله لكم بذلك الحسنات، ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة»[١٣٤].

---

(١٣٠) سورة البقرة: ١٨٥.

(١٣١) أي قابلية المستمع لأن يتفهم ويستوعب ويقتنع بالرد كما استمع للشبهة.

(١٣٢) سورة القصص: ٥٠.

(١٣٣) الكافي: ج١ ص٣٧٤ باب فيمن دان الله عزوجل بغير إمام من الله جل جلاله ح١.

(١٣٤) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٢٦٧ ب٣٩ ح٢١٥٣١.

وفي الحديث: «من أتى ذا بدعة فعظّمه فإنما سعى في هدم الإسلام»[١٣٥].

كلا بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً

وعن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، عن علي عليه السلام، قال: «من مشى إلى صاحب بدعة فوقره فقد مشى في هدم الإسلام»[١٣٦].

وهكذا يجب رد أهل الشبهة والبدعة.

كلا بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً

دوافع الظلم والغدر

مسألتان: من اللازم استكشاف الدوافع الحقيقية وراء التعليلات الظاهرية التي يتخذها المبطلون، ويحرم الانخداع بالتلبيسات الشيطانية فيما كان اختيارياً ولو باختيارية مقدماته، وقضية فدك من أظهر مصاديق ذلك كما ظهر من كلاماتها عليها السلام حيث غصبها القوم إتباعاً للشيطان وهوى النفس.

قولها عليها السلام: «كلا» أي ليس الأمر كما تزعمون من أن الرسول صلى الله عليه وآله قال هذا الحديث، «بل سولت لكم أنفسكم أمراً»، أي: أظهرت لكم أنفسكم إظهاراً سوءً في أمر فدك واغتصابها، وبعبارة أخرى زينت لكم أنفسكم أمراً قبيحاً وسهلته لكم، ومعنى ذلك أنه لم تكن مصادرتكم لفدك عن باعث عقلي ولا لدافع شرعي على خلاف ما ادعاه ابن أبي قحافه ونسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله في الحديث المفترى: «نحن معاشر الأنبياء ...»، وإنما كان ذلك بدافع

---

(١٣٥) المحاسن: ج١ ص٢٠٨ ب٦ ح٧٢.

(١٣٦) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٢٦٧ -٢٦٨ ب٣٩ ح٢١٥٣٣.

هوى النفس وحرصاً على الدنيا وطمعاً في لذائذها، وكان سحقاً لحق (أي فدك) وتكريساً لغصب حق آخر ومصادرته وهو الخلافة.

.....

قولها عليها السلام: «سولت»، التسويل بمعنى تحسين ما ليس بحسن وتحبيبه إلى الإنسان ليقوم به. وهذا هو عمل إبليس (لعنه الله)، وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان عابد في بني إسرائيل لم يقارف من أمر الدنيا شيئاً، فنخر إبليس نخرة فاجتمع إليه جنوده، فقال: من لي بفلان؟.

فقال بعضهم: أنا.

فقال: من أين تأتيه؟.

فقال: من ناحية النساء.

قال: لست له، لم يجرب النساء.

قال لـه آخر: فأنا له.

قال: من أين تأتيه؟.

قال: من ناحية الشراب واللذات.

قال: لست له، ليس هذا بهذا.

قال آخر: فأنا له.

قال: من أين تأتيه؟.

قال: من ناحية البر.

قال: انطلق فأنت صاحبه.

فانطلق إلى موضع الرجل فأقام حذاءه يصلي، قال: وكان الرجل ينام

والشيطان لا ينام، ويستريح والشيطان لا يستريح، فتحول إليه الرجل وقد تقاصرت إليه نفسه واستصغر عمله.

فقال: يا عبد الله، بأي شيء قويت على هذه الصلاة؟.

.....

فلم يجبه ثم أعاد عليه. فقال: يا عبد الله، إني أذنبت ذنباً وأنا تائب منه، فإذا ذكرت الذنب قويت على الصلاة.

قال: فأخبرني بذنبك حتى أعمله وأتوب؛ فإذا فعلته قويت على الصلاة.

قال: ادخل المدينة فسل عن فلانة البغية، فأعطها درهمين ونل منها.

قال: ومن أين لي الدرهمين، وما أدري ما الدرهمين؟.

فتناول الشيطان من تحت قدميه درهمين فناوله إياهما، فقام ودخل المدينة بجلابيبه يسأل عن منزل فلانة البغية، فأرشده الناس وظنوا أنه جاء يعظها، فجاء إليها بالدرهمين وقال: قومي.

فقامت فدخلت منزلها، وقالت: ادخل، وقالت: إنك جئتني في هيئة ليس يؤتى مثلي في مثلها، فأخبرني بخبرك، فأخبرها.

فقالت لـه: يا عبد الله، إن ترك الذنب أهون من طلب التوبة، وليس كل من طلب التوبة وجدها، وإنما ينبغي أن يكون هذا شيطاناً مثل لك، فانصرف فإنك لا ترى شيئاً.

فانصرف وماتت من ليلتها فأصبحت وإذا على بابها مكتوب: احضروا فلانة البغية؛ فإنها من أهل الجنة. فارتاب الناس فمكثوا ثلاثاً لا يدفنونها ارتياباً في أمرها، فأوحى الله عزوجل إلى نبي من الأنبياء لا أعلمه إلاّ موسى بن

عمران عليه السلام: أن ائت فلانة فصلّ عليها، وأمر الناس أن يصلوا عليها؛ فإني قد غفرت لها، وأوجبت لها الجنة بتثبيطها عبدي فلاناً عن خطيئته»[١٣٧].

.....

وفي الحديث، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «والشبهة على أربع شعب: على الإعجاب بالزينة، وتسويل النفس، وتأول العوج، ولبس الحق بالباطل»[١٣٨].

وعن كميل بن زياد، عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال ـ في كلام لـه في تسويل الشياطين ـ: «إِنَّهُمْ يَخْدَعُوكَ بِأَنْفُسِهِمْ، فَإِذَا لَمْ تُجِبْهُمْ مَكَرُوا بِكَ وَبِنَفْسِكَ، بِتَحْبِيبِهِمْ إِلَيْكَ شَهَوَاتِكَ، وَإِعْطَائِكَ أَمَانِيَّكَ وَإِرَادَتَكَ، وَيُسَوِّلُونَ لَكَ وَيُنْسُونَكَ، وَيَنْهَوْنَكَ وَيَأْمُرُونَكَ، وَيُحَسِّنُونَ ظَنَّكَ بِاللَّهِ حَتَّى تَرْجُوَهُ، فَتَغْتَرَّ بِذَلِكَ فَتَعْصِيَهُ، وَجَزَاءُ الْعَاصِي لَظَى»[١٣٩].

وقال عليه السلام: «ردع النفس عن تسويل الهوى شيمة العقلاء»[١٤٠].

وفي الغرر: «ردع النفس عن تسويل الهوى ثمرة النبل»[١٤١].

وقال عليه السلام: «سلوا الله سبحانه العافية من تسويل الهوى وفتن الدنيا»[١٤٢].

---

(١٣٧) قصص الأنبياء للجزائري: ص٤٦٦ -٤٦٧ خاتمة الكتاب في نوادر أخبار بني إسرائيل وأحوال بعض الملوك.

(١٣٨) تحف العقول: ص١٦٧ خطبته عليه السلام التي يذكر فيها الإيمان ودعائمه وشعبه والكفر ودعائمه وشعبه.

(١٣٩) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٣٣٧ -٣٣٨ ب٤١ ح١٣٢٠٤.

(١٤٠) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص١١٤ ب٨١ ضمن ح١٣٦٦٨.

(١٤١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٤١ ق٣ ب٢ ف١ مخافة الهوى ح٤٨٧٨.

(١٤٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٠٦ ق٣ ب٣ ف٥ ذم الهوى ح٧٠٠٣.

أقسام الصبر

مسائل: الصبر صبران: صبر جميل وغيره، ولعل المنصرف من الآيات والروايات الواردة في الأثر الوضعي والجزاء الأخروي على الصبر هو الأول، وربما يقال بأن الأثر والأجر الكاملين هو للجميل منهما وإن كان قسيمه أيضاً لايخلو من شيء، وربما يقال بأن غير الجميل أنواع، بعضها يحبط الأجر كاملاً وبعضها في الجملة.

ثم إن الصبر الجميل لـه مراتب ودرجات، وما كان أصله واجباً كان الفضل من مراتب الفضل.

أما صبر الصديقة الطاهرة عليها السلام فكان صبراً جميلاً بأعلى درجاته.

والصبر الجميل هو الذي لا يخالطه شكاية ولا جزع ولا ما شابه ذلك، ويقابله الصبر المقرون بالجزع والشكوى وعدم الرضا بالقضاء القدر.

ومن الواضح أن رضاها عليها السلام بالقضاء ـ لا صبرها فحسب ـ كان في أعلى الدرجات.

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والعترة الطاهرة عليهم السلام.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام يوم ما سموه بالشورى حين عرضوا عليه العمل بسيرة الشيخين: «بل أجتهد برأيي..» وقال: «ليس هذا بأول يوم تظاهرتم فيه علينا فصبر جميل والله المستعان عَى ما تصفون»[١٤٣].

(١٤٣) شرح نهج البلاغة: ج١ ص١٩٤ قصة الشورى.

وقال علي عليه السلام لابن عباس: «يا ابن عباس، هداهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته بوحي من الله يأمرهم بموالاتي، فحمل القوم ما حملهم مما حقد على أبينا آدم عليه السلام من حسد اللعين لـه، فخرج من روح الله ورضوانه، وألزم اللعنة لحسده لولي الله، وما ذاك بضاري إن شاء الله شيئاً. يا ابن عباس، أراد كل امرئ أن يكون رأساً مطاعاً تميل إليه الدنيا وإلى أقاربه، فحمله هواه ولذة دنياه وإتباع الناس إليه أن يغصب ما جعل لي، ولولا اتقائي على الثقل الأصغر أن يبيد، فينقطع شجرة العلم وزهرة الدنيا، وحبل الله المتين، وحصنه الأمين، ولد رسول الله رب العالمين، لكان طلب الموت والخروج إلى الله عزوجل ألذ عندي من شربة ظمآن ونوم وسنان، ولكني صبرت وفي الصدر بلابل، وفي النفس وساوس،

[فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ][١٤٤]، ولقديماً ظُلم الأنبياء، وقُتل الأولياء قديماً في الأمم الماضية والقرون الخالية، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره. والله أحلف يا ابن عباس، أنه كما فتح بنا يختم بنا، وما أقول لك إلا حقاً. يا ابن عباس، إن الظلم يتسق لهذه الأمة، ويطول الظلم، ويظهر الفسق، وتعلو كلمة الظالمين...»[١٤٥]، الحديث.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إنا صُبَّر»[١٤٦].

وعن الإمام الكاظم عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته

(١٤٤) سورة يوسف: ١٨.

(١٤٥) اليقين: ص٣٢٥ ب١٢٢.

(١٤٦) الكافي: ج٢ ص٩٣ باب الصبر ح٢٥.

لعلي عليه السلام: «يا علي، اصبر على ظلم الظالمين؛ فإن الكفر يقبل والردة

.....

والنفاق مع الأول منهم، ثم الثاني وهو شر منه وأظلم ثم الثالث، ثم يجتمع لك شيعة تقاتل بهم الناكثين والقاسطين، والمتبعين المضلين، واقنت عليهم هم الأحزاب وشيعتهم»[١٤٧].

وفي وصية رسول الله صلى الله عليه وآله قرب وفاته: «يا علي، ما أنت صانع لو قد تآمر القوم عليك بعدي وتقدموا عليك، وبعث إليك طاغيتهم يدعوك إلى البيعة، ثم لببت بثوبك تقاد كما يقاد الشارد من الإبل مذموماً مخذولاً محزوناً مهموماً، وبعد ذلك ينزل بهذه الذل؟». قال: فلما سمعت فاطمة ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله صرخت وبكت، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله لبكائها، وقال: «يا بنية، لاتبكين ولا تؤذين جلساءكِ من الملائكة، هذا جبرئيل بكى لبكائكِ وميكائيل وصاحب سر الله إسرافيل. يا بنية، لا تبكين فقد بكت السماوات والأرض لبكائكِ». فقال علي عليه السلام: «يا رسول الله، أنقاد للقوم وأصبر على ما أصابني من غير بيعة لهم، ما لم أصب أعواناً لم أناجز القوم». فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللهم اشهد»[١٤٨].

قولها عليها السلام: «فصبر جميل»، أي فصبري جميل، أو الصبر الجميل أولى. قالوا: إنما يكون الصبر جميلاً إذا قصد به وجه الله تعالى، وفعل للوجه الذي وجب، ذكره السيد المرتضى[١٤٩] (رضوان الله عليه).

---

(١٤٧) بحار الأنوار: ج٢٢ ص٤٨٨ -٤٨٩ ب١ ح٣٣.

(١٤٨) بحار الأنوار: ج٢٢ ص٤٩٣ ب١ ح٣٨.

(١٤٩) أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم

وعن علي بن محمد العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الصادق عليه السلام: في قول الله عزوجل في قول يعقوب: [فَصَبْرٌ جَمِيلٌ][١٥٠] قال: «بلا شكوى»[١٥١].

والله المستعان على ما تصفون

الاستعانة بالله

مسألة: الاستعانة بالله مستحبة وقد تجب، كل منهما في مورده.

ومعناها: طلب العون من الله تعالى، وهو بالقلب واللفظ، وتشمل كل أفعال الإنسان.

وفي سورة الحمد: [إِيّاكَ نَعْبُدُ وإِيّاكَ نَسْتَعِينُ][١٥٢] بحذف المتعلق حيث يفيد العموم.

والفرق بينها وبين التوكل مذكور في محله.

عليه السلام، المشهور بـ (السيد المرتضى) و(الشريف المرتضى) و(ذي الثمانين) و(ذي المجدين) و(علم الهدى)، لقبه بهذا اللقب أمير المؤمنين عليه السلام في قصة معروفة. ولد رحمه الله في بغداد عام ٣٥٥هـ من أسرة هاشمية عالية ◄النسب، فله نسب شريف من ناحية أبيه وأمه. كان السيد المرتضى عالماً جامعاً، ومتكلماً فقيهاً، وأديباً. جمع من العلوم ما لم يجمعه أحد، كان نقيب الطالبيين في عصره. وكان يحظى بمنزلة سامية في العلم والفقه قل نظيرها. صار إماماً في الفقه والكلام ومرجعاً للإمامية في عصره بعد وفاة الشيخ المفيد. له تصانيف مشهورة منها: (الشافي في الإمامة) وكتاب (الطيف والخيال) وكتاب (الغرر والدرر)، وله ديوان شعر فيه أكثر من عشرين ألف بيت. قيل: إنه خلف بعد وفاته ٨٠ ألف مجلداً من مقرئاته ومصنفاته ومحفوظاته. توفي رحمه الله في بغداد عام ٤٣٦هـ، وصلى عليه ابنه .

[١٥٠] سورة يوسف: ١٨.

[١٥١] بحار الأنوار: ج١٢ ص٢٦٧ -٢٦٨ ب٩ ح٣٨.

[١٥٢] سورة الفاتحة: ٥.

فعلى الإنسان أن يتوكل ويستعين بالله جل وعلا فيما ليس بيده، كما عليه

.....

ذلك فيما بيده أيضاً، حيث اللازم أن يعمله ويتوكل، فإن دائرة الاستعانة والتوكل غير دائرة العمل والسعي، وإن كان العمل والسعي أيضاً من الله سبحانه وتعالى لأنه عزوجل مسبّب الأسباب، كما سبق شبه ذلك بالنسبة إلى كل ما في دائرة قدرة الإنسان وما ليس في دائرة قدرته، ومنه أيضاً يتضح المراد بـ «الأمر بين الأمرين» الذي ذكره الإمام (عليه الصلاة والسلام) نافياً الجبر والتفويض[١٥٣].

قولها عليها السلام : «بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون»، اقتباس من الآية المباركة في قصة يوسف (عليه الصلاة والسلام) حيث قال سبحانه: [وَجَآءُوا عَلَىَ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىَ مَا تَصِفُونَ][١٥٤].

وفي هذا الاقتباس إشارات ودلالات لمن تدبره.

قال تعالى: [قَالَ مُوسَىَ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُوَاْ إِنّ الأَرْضَ للّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتّقِينَ][١٥٥].

وقال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: «فعليكم عباد الله بتقوى الله وطاعته، والجد والصبر والاستعانة بالله، والخفوف إلى ما دعاكم إليه أمير المؤمنين عليه السلام »[١٥٦].

---

[١٥٣] راجع الكافي: ج١ ص١٦٠ باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين ح١٣.

(١٥٤) سورة يوسف: ١٨.

(١٥٥) سورة الأعراف: ١٢٨.

[١٥٦] شرح نهج البلاغة: ج١٤ ص١٢ -١٣ أخبار علي عليه السلام عند مسيره إلى البصرة ورسله إلى أهل

وفي نهج البلاغة: «وَأَكْثِرِ الاِسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ، وَيُعِنْكَ عَلَى مَا يُنْزِلُ بِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»[١٥٧].

.....

وقال رسول الله ﷺ: «ألا فاذكروا هادم اللذات، ومنغص الشهوات، وقاطع الأمنيات عند المشاورة للأعمال القبيحة، واستعينوا بالله على أداء واجب حقه، وما لا يحصى من أعداد نعمه وإحسانه»[١٥٨].

فائدة الاستعانة

مسألة: قد يتساءل عن مراد الصديقة فاطمة عليها السلام من الاستعانة بالله، وعن الفائدة المتوخاة فيها، فهل هي استعانة به لاسترجاع فدك؟.

أم هي استعانة به لاستعادة الخلافة المغصوبة؟.

أم هي استعانة به لفضح الغاصبين والظالمين؟.

أم هي استعانة به لكي يمنعهم من المزيد من الظلم والجور؟.

أم هي استعانة به عليهم في الآخرة؟.

والجواب: إن استعانتها عليها السلام به عزوجل في ما عدا الأولين واضح الوجه، وواضح التحقق والفائدة، أما الاستعانة فيهما فهي وظيفة، فكما لايلزم في الدعاء إحراز الإجابة، بل المطلوب الطلب والدعاء فإنه من مصاديق العبودية، كذلك الاستعانة حتى مع إحراز عدم الإجابة فرضاً، بالشكل الذي طلبه، فإن

الكوفة.

[١٥٧] نهج البلاغة، الرسائل: ٣٤ ومن كتاب له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر لما بلغه توجده من عزله بالأشترعن مصر.

[١٥٨] إرشاد القلوب: ج١ ص١٩١ ب٥٢.

للاستعانة والدعاء موضوعية أيضاً.

ثم إن الدعاء يجاب حتماً ـ على ما ذكرناه في بعض كتبنا ـ وإن كانت الإجابة متأخرة، أو بشكل آخر، أو في زمن دون زمن، أو في عالم دون عالم[١٥٩].

.....

كما أن في نفس الاستعانة بالله عليهم فضحاً للظالمين، إلى غير ذلك من فوائدها.

استنباطات

مسائل: ربما يستنبط من اقتباسها عليها السلام الآية الشريفة هاهنا بكاملها أمور:

منها: أن الكثير من الآيات القرآنية كليات وقواعد عامة وإن صيغت في قالب جزئي أو شخصي أو في قالب حكاية تاريخية، ولعل هذا من معاني ما ورد في الروايات من أن القرآن كالشمس[١٦٠].

ومنها: أن من الجائز استخدام الآيات الشريفة في المصاديق المشابهة للاستخدام القرآني، كقراءة آية [إِنّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مّنْهُمْ يُذَبّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ][١٦١] وتطبيقها على طواغيت العصر من باب المصداق.

ومنها: إن الواجب الحذر من تسويل النفس.

ومنها: كفاية كلامها عليها السلام هذا في إدانة القوم وأن نواياهم كانت سيئة

---

[١٥٩] والقدر المسلم استجابة هذه الدعوة زمن ظهور منقذ البشرية عجل الله تعالى فرجه الشريف.

[١٦٠] راجع الكافي: ج٢ ص٦١٠ باب البيوت التي يقرأ فيها القرآن.

[١٦١] سورة القصص: ٤.

وعلى غير ما أظهروها، فإنها (صلوات الله عليها) الصديقة التي يرضى لرضاها الرب ويغضب لغضبها ـ كما قال رسول الله ﷺ[١٦٢] ـ ولا يعقل في من حالها هذه أن تتهم جمعاً كبيراً من المسلمين بغير الحق.

.....

ومنها: كفاية كلامها عليها السلام هذا وما سبقه ويلحقه في تفسيق القوم.

ومنها: دلالة هذا الكلام ونظائره على كون الذين خاطبتهم الصديقة الطاهرة عليها السلام ـ وعلى رأسهم ابن أبي قحافة ـ ظالمين جائرين، وهو كافٍ في إسقاطهم عن صلاحية الخلافة، فلو فرض ـ وفرض المحال ليس بمحال ـ أن الرسول ﷺ لم يعهد ولم يوص بالخلافة للإمام علي عليه السلام ..ولو فرض أيضاً ـ من باب التسليم ـ أنهم جاءوا للخلافة بالشورى واختيار المسلمين ـ ولم يكن شورى ولا اختيار ـ فإنهم بشهادتها عليها السلام هذه وأنهم كذبوا على رسول الله ﷺ ووضعوا الحديث وغيّروا حكم الله في الإرث و... لا يصلحون للخلافة في علتها المبقية، كما يستكشف عن عدم صلاحيتهم في علتها المحدثة، هذا بالإضافة إلى ما سيأتي في باقي الخطبة الشريفة وغيره في غيرها من عدم صلاحيتهم للخلافة حدوثاً وبقاءً.

قال تعالى: [وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمّهُنّ قَالَ إِنّي جَاعِلُكَ لِلنّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرّيّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظّالِمِينَ][١٦٣].

---

[١٦٢] راجع بحار الأنوار: ج٤٣ ص١٩ ب٣ ح٢.

[١٦٣] سورة البقرة: ١٢٤.

فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله وصدقت ابنته، أنتِ معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجة، لا أبعد صوابكِ، ولا أنكر خطابكِ، هؤلاء المسلمون بيني وبينك قلّدوني ما تقلّدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت، غير مكابر ولا مستبد ولا مستأثر، وهم بذلك شهود.

مكانة الصديقة عليها السلام في نفوس المسلمين

إلفات: يمكن لمن يعتقدون بأبي بكر أن يكتشفوا من تصريحه هذا مدى مكانة الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام في نفوس المسلمين الأوائل، وأنهم كانوا يرونها ركن الدين وعين الحجة ومعدن الحكمة ـ لا حكيمة فحسب ـ وموطن الهدى والرحمة ...

ثم إن مثل هذا التصريح ـ بل الأقل منه بكثير ـ لم يصدر عن أبي بكر تجاه عائشة وحفصة، ومنه يعلم البون الشاسع حتى في أعين مخالفي الزهراء عليها السلام بينها وبين معارضاتها.

إقرار ابن أبي قحافة

إلفات آخر: إن إقرار ابن أبي قحافة بكل ذلك إبطال لنفسه بنفسه، حيث أبطل به كل كلماته السابقة واللاحقة في موضوع فدك وغصب الخلافة، وإقراره هذا يؤخذ به دون معاكساته؛ لأن تلك جر النار إلى قرصه، ولاحتفافها بقرائن الجعل الأخرى دون هذا الإقرار.

وقوله: (صدق الله وصدق رسوله وصدقت ابنته)، تصديق منه لتوارث الأنبياء عليهم السلام ودلالة الآيات الشريفة على إرث البنت من أبيها، وأن الأمر كما

ذكرته الصديقة الطاهرة عليها السلام.. وأن حديث (نحن معاشر...) الذي رواه كذب.

وقوله: (ركن الدين وعين الحجة)، إقرار بأن الصديقة عليها السلام وأهل البيت عليهم السلام قوام الدين فلا دين بدونهم، فإن الشيء لا يقوم بلا ركن، كما هو إقرار بأن الصديقة عليها السلام وأهل البيت عليهم السلام لهم الحجة والحجية، فهم حجج الله حقاً، وكلامهم وفعلهم حجة، ومن هنا فإن من يقف في قبال ركن الدين وعين الحجة لا يكون إلا على باطل.

وكذلك قوله: (لا أبعد صوابكِ، ولا أُنكر خطابكِ)، اعتراف صريح بصدق الصديقة الطاهرة عليها السلام وصواب ما قالته، وإقرار بجميع خطابها عليها السلام في إرثها وإرث الأنبياء عليهم السلام ومسألة الخلافة.

قوله: (قلدوني ما تقلدت)، هذا إقرار منه بأن غصبه للخلافة ولفدك لم يكن بأمر من الله ولا من قبل رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا طبق الكتاب العزيز، بل من جهة اجتماع هؤلاء القوم على ذلك.

سكوت القوم

إلفات ثالث: قوله (هم بذلك شهود)، لا دليل على صحته حتى بالنسبة إلى الحاضرين في المسجد، فكانت هذه مجرد دعوى لا دليل عليها، بل الدليل على عدمها.

وأما سكوت جمع منهم عن تكذيبه، فليس دليل على التسليم بكلامه، إذ من الواضح خوف الناس من معارضة الحاكم وتكذيبه، والأدلة التاريخية كثيرة على جو الإرهاب الذي فرض على الناس ساعتئذ، فليراجع في مظانه.

ثم إن السكوت لا يكفي في مقام الشهادة، كما أنه لايدل على الرضا إلا فيما استثني كما ذكره الفقهاء في باب النكاح ورضا البكر[١٦٤].

بين السكوت والرضا

مسألة: كما أن السكوت على الباطل محرم كذلك الرضا به على ما سبق.

عن معمر بن عمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لعن الله القدرية، لعن الله الحرورية، لعن الله المرجئة، لعن الله المرجئة».

قلت: كيف لعنت هؤلاء مرة ولعنت هؤلاء مرتين؟.

فقال: «إن هؤلاء زعموا أن الذين قتلونا كانوا مؤمنين فثيابهم ملطخة بدمائنا إلى يوم القيامة، أما تسمع لقول الله: ﴿الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنا﴾ إلى قوله: ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾[١٦٥] ـ قال: ـ وكان بين الذين خوطبوا بهذا القول وبين القاتلين خمسمائة عام، فسماهم الله قاتلين برضاهم بما صنع أولئك»[١٦٦].

وعن محمد بن الهيثم التميمي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: **[كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون]**. قال: «أما إنهم لم يكونوا يدخلون مداخلهم ولا يجلسون مجالسهم، ولكن كانوا إذا لقوهم ضحكوا في وجوههم وآنسوا بهم»[١٦٧].

---

(١٦٤) راجع موسوعة الفقه للإمام الشيرازي قدس سره: كتاب النكاح.

(١٦٥) سورة آل عمران: ١٨٣.

(١٦٦) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٢٦٨ -٢٦٩ ب٣٩ ح٢١٥٣٦.

(١٦٧) تفسير العياشي: ج ١ ص٣٣٥ من سورة المائدة ح١٦١.

خدعة الغاصبين

لقد حاول أبو بكر أن يبرأ ساحته، وينقل المعركة من معركة بينه وبين الصديقة الزهراء عليها السلام إلى معركة بين (المسلمين) ـ حسب تعبيره ـ وبينها عليها السلام، وهذا من أخطر أنواع المكر.

ثم إن ذلك لا ينفي عنه تجرؤه على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بوضعه الحديث وكذبه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث وضَعَ تلك الرواية أولاً، ولكنه عندما حاججته الصديقة عليها السلام بالقرآن تراجع وقال: (صدقت ابنته..)، وهذا مما يُلزم به هو وأتباعه.

ثم إن استدلاله أضعف من الضعيف، أفهل للمسلمين ـ على فرض أن كانوا كما قال قد قلدوه ما تقلد ... ـ أن يحكموا بخلاف القرآن؟.

وهل الإجماع على فرضه حجة في مقابل الكتاب؟. وقد قال تعالى: **[فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما]**(١٦٨).

أو ما كان الأحرى به أن يلتزم بحكم القرآن ويدعو الناس أيضاً إلى الالتزام به؟!

[كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون](١٦٩).

---

(١٦٨) سورة النساء: ٦٥.

(١٦٩) سورة المطففين: ١٤.

آيات في وجوب الطاعة وحرمة المعصية

قال تعالى: [قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين][١٧٠].

وقال سبحانه: [ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ۞ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين][١٧١].

وقال تعالى: [يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا][١٧٢].

وقال سبحانه: [وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين][١٧٣].

وقال تعالى: [وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين][١٧٤].

وقال سبحانه: [يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون][١٧٥].

---

(١٧٠) سورة آل عمران: ٣٢.

(١٧١) سورة النساء: ١٣ -١٤.

(١٧٢) سورة النساء: ٥٩.

(١٧٣) سورة المائدة: ٩٢.

(١٧٤) سورة الأنفال: ١.

(١٧٥) سورة الأنفال: ٢٠.

وقال تعالى: [ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون][١٧٦].

وقال سبحانه: [قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين][١٧٧].

وقال تعالى: [وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا][١٧٨].

وقال سبحانه: [إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا ۞ خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا ۞ يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا][١٧٩].

وقال تعالى: [ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما][١٨٠].

وقال سبحانه: [إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين ۞ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز][١٨١].

---

(١٧٦) سورة النور: ٥٢.

(١٧٧) سورة النور: ٥٤.

(١٧٨) سورة الأحزاب: ٣٦.

(١٧٩) سورة الأحزاب: ٦٤ -٦٦.

(١٨٠) سورة الفتح: ١٧.

(١٨١) سورة المجادلة: ٢٠ -٢١.

وقال تعالى: [ذلِكَ بِأنهَم شاقوا اللهَ ورسولهَ ومَن يشاقِ اللهَ فإن اللهَ شديدَ العقابِ][١٨٢].

وقال سبحانه: [وما آتاكمَ الرسول فخذوهَ وما نهاكم عنهَ فانتهوا واتقوا اللهَ إن اللهَ شديدَ العقابِ][١٨٣]. وقال تعالى: [وأطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين][١٨٤].

روايات في وجوب الطاعة وحرمة المعصية

عن عاصم بن حميد، عن أبي إسحاق النحوي، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فسمعته يقول: «إن الله عزوجل أدّب نبيه على محبته فقال: [وإنكَ لعلى خلقٍ عظيمٍ][١٨٥]، ثم فوّض إليه فقال عزوجل: [وما آتاكمَ الرسول فخذوهَ وما نهاكم عنهَ فانتهوا][١٨٦]، وقال عزوجل: [من يطعِ الرسول فقد أطاعَ الله][١٨٧] ـ ثم قال ـ وإن نبي الله فوض إلى علي عليه السلام وائتمنه، فسلّمتم وجحد الناس، فوالله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا، وتصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله عزوجل، ما جعل الله لأحد خيراً في خلاف أمرنا»[١٨٨].

---

(١٨٢) سورة الحشر: ٤.

(١٨٣) سورة الحشر: ٧.

(١٨٤) سورة التغابن: ١٢.

(١٨٥) سورة القلم: ٤.

(١٨٦) سورة الحشر: ٧.

(١٨٧) سورة النساء: ٨٠.

(١٨٨) بحار الأنوار: ج١٧ ص٣ -٤ ب١٣ ح١.

وعن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر وأبا عبد الله عليهما السلام يقولان: «إن الله عزوجل فوض إلى نبيه صلى الله عليه وآله أمر خلقه لينظر كيف طاعتهم ـ ثم تلا هذه الآية ـ: **[ما آتاكمَ الرسَول فخذوهَ وما نهاكم عنهَ فانتهَوا]**[189]»[190].

وعن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لبعض أصحاب قيس الماصر: «إن الله عزوجل أدب نبيه فأحسن أدبه، فلما أكمل له الأدب قال: **[وإنكَ لعلى خلقٍ عظيمٍ]**[191]، ثم فوض إليه أمر الدين والأمة ليسوس عباده، فقال عزوجل: **[ما آتاكمَ الرسَول فخذوهَ وما نهاكم عنهَ فانتهَوا]**[192]، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان مسدداً موفقاً مؤيداً بروح القدس لا يزل ولا يخطئ في شيء مما يسوس به الخلق فتأدب بآداب الله ... وليس لأحد أن يرخص ما لم يرخصه رسول الله صلى الله عليه وآله، فوافق أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أمر الله عزوجل ونهيه نهي الله عزوجل، ووجب على العباد التسليم له كالتسليم لله تبارك وتعالى»[193].

وعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «وضع رسول الله صلى الله عليه وآله دية العين ودية النفس، وحرم النبيذ وكل مسكر». فقال له رجل: وضع رسول الله صلى الله عليه وآله من غير أن يكون جاء فيه شيء[194]؟. فقال: «نعم، ليعلم من يطيع الرسول

---

(١٨٩) سورة الحشر: ٧.

(١٩٠) الكافي: ج ١ ص٢٦٦ باب التفويض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى ا لأئمة عليهم السلام في أمر الدين ح٣.

(١٩١) سورة القلم: ٤.

(١٩٢) سورة الحشر: ٧.

(١٩٣) بحار الأنوار: ج١٧ ص٤ -٥ ب١٣ ح٣.

(١٩٤) أي من القرآن، وإلا فالرسول صلى الله عليه وآله لا ينطق عنه نفسه بل مشيئته ميشئة الله عزوجل وإرادته إرادة الله عزوجل.

ممن يعصيه»[١٩٥].

في نوادر محمد بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا والله ما فوض الله إلى أحد من خلقه إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى الأئمة عليهم السلام، فقال: **[إِنا أنزلنا إليكَ الكِتابَ بِالحقِ لِتحكمَ بينَ الناسِ بِما أراكَ الله]**[١٩٦]، وهي جارية في الأوصياء»[١٩٧].

وعن عبد الله بن سليمان، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إن الله أدب محمداً صلى الله عليه وآله تأديبا ففوض إليه الأمر وقال: **[ما آتاكمَ الرسولَ فخذوهَ وما نهاكم عنهَ فانتهوا]**[١٩٨]، وكان مما أمره الله في كتابه فرائض الصلب وفرض رسول الله صلى الله عليه وآله للجدّ فأجاز الله ذلك له، وحرم الله في كتابه الخمر بعينها وحرّم رسول الله صلى الله عليه وآله كل مسكر فأجاز الله ذلك له»[١٩٩].

---

(١٩٥) وسائل الشيعة: ج٢٥ ص٣٥٤ ب٢٤ ح٣٢١٠٩.

(١٩٦) سورة النساء: ١٠٥.

(١٩٧) بصائر الدرجات: ص٣٨٦ ب٥ ح١٢.

(١٩٨) سورة الحشر: ٧.

(١٩٩) بحار الأنوار: ج١٧ ص٩ -١٠ ب١٣ ح١٧.

فالتفتت فاطمة عليها السلام إلى الناس وقالت: معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل

حرمة الإسراع إلى الباطل

مسألة: يحرم الإسراع إلى قيل الباطل، فإن الذهاب إلى الباطل محرم، والإسراع إليه أشد حرمة، كما قلنا مثل ذلك في بعض البنود السابقة.

وبما أن أبا بكر أجابها بجواب مضمونه أن المسلمين هم الذين وافقوا على ما فعلت وفوّضوا الأمر إليه، فكان اللازم أن توجّه الصديقة الزهراء عليها السلام الخطاب إلى أولئك الذين آزروه على غصبه للخلافة ولفدك، فتقصدهم باللوم والعتاب مباشرة.. ولهذا قالت الصديقة عليها السلام: «معاشر المسلمين»، وفي بعض النسخ: «معاشر الناس».

(معاشر): جمع معشر، والمعشر بمعنى: الجماعة. ولعل السبب في التعبير بـ (معاشر) دون معشر؛ لأنهم كانوا مجاميع لاعلى قلب واحد، بل لكل هوى وهدف ومصلحة وسبب في معاضدته للباطل أو سكوته عليه، إذ كانوا جماعات أنصار ومهاجرين وفي كل واحد من هذين جماعات[٢٠٠] ولو كانوا على قلب واحد وإيمان واحد لكان التعبير بمعشر المسلمين.

(قيل الباطل): أي قول الباطل، فإن القيل والقال في القول الشر والباطل، فهما مصدران أيضاً، وقيل: بأنهما اسما مصدر للقول، أما (قيل) المجهول في قبال (قال) المعلوم فهو من الفعل كما لا يخفى.

.....

(٢٠٠) فكان البعض ينطلق خوفاً والبعض طمعاً والبعض عصبية والبعض حسداً و..

والظاهر أن (المسرعة إلى قيل الباطل) قيد احترازي وليس توضيحياً، فقد قيدت عليها السلام ما أطلقه أبو بكر (هؤلاء المسلمين) محاولاً أخذ الشرعية من أنهم أعطوه الصلاحية! فأجابت عن ذلك ضمناً بأن المسلمين المسرعين إلى قيل الباطل المغضين عن الفعل القبيح الخاسر هم الذين أعطوه الصلاحية لا كل المسلمين، فلا إجماع في البين.

هل كانت (معاشر المسلمين) أقلية؟

لا يقال: كيف تقول الصديقة عليها السلام: «معاشر المسلمين»، والحال أنهم كانوا الأقلية من الأقلية كما سبق؟.

إذ يقال: **أولا**: (معاشر المسلمين) و(معاشر الناس) وغيرها تطلق على من هم طرف الخطاب وإن كانوا مجموعة غير كبيرة مجتمعة في مسجد ـ كما في هذه الخطبة ـ أو قاعة أو ما أشبه، ألا ترى صحة أن يخاطب الخطيب أو إمام الجماعة من حضر في مسجده أو مجلسه بـ (معاشر الناس أوصيكم بتقوى الله) وما أشبه؟. هذا وفي بعض النسخ: «معاشر المسرعة» من دون إضافة إلى الناس أو المسلمين.

وثانيا: لقد قلنا إن الذين بايعوا أبا بكر كانوا الأقلية من الأقلية ـ إذ كانوا مجموعة من أهل المدينة فحسب ـ وخطابها الآن لهم وللذين غضوا الطرف عن ظلامتها وسكتوا على ظلمها، فلو فرض دلالة خطابها العام على العموم لم يكن دالاً على عمومية البيعة كما هو واضح من أن يخفى.

وثالثا: لقد ثبت أن من بايع لم يكن بملء اختياره وإرادته، بل كان الأكثر منهم خوفاً ومجموعة منهم طمعاً [٢٠١] أما من بايع اقتناعاً فكان (النادر) لا (الأقلية)

.....

(٢٠١) بحار الأنوار: ج٢٨ ص١٧٥ ب٤ ح١.

فحسب، وقد قال عمر بن الخطاب: (كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرها)[٢٠٢].

ورابعا: لو فرض دلالة الجملة على جمهرة كثيرة، فإن من غير البعيد أن خطابها عليها السلام لمعاشر المسلمين في ذلك الزمن وعلى مر الأزمان ممن تبع أولئك الأوائل ولا يزال مسرعاً إلى قيل الباطل ومغضياً عن الفعل القبيح الخاسر، فلا دلالة إذن على كونهم جمهرة كبيرة في ذلك الزمن.

لا يقال: لماذا استجابتها عليها السلام لمحاولته الخدعة بتحويل الصراع بينه وبينها إلى المسلمين معها؟ أي لماذا وجهت خطابها إلى المسلمين ولامتهم بدل أن تعود مرة أخرى لعتابه والإشكال عليه؟.

إذ يقال: لأنها عليها السلام أتمت الحجة على أبي بكر فيما سبق من الكلام، فبقي أن تتم الحجة على الناس أيضاً، بل هي إتمام الحجة للجميع على مر الدهور والأزمان، فقد أرادت عليها السلام لخطبتها أن تكون مدرسة متكاملة في شتى البحوث ولشتى المستويات، منها الحاكم ومنها المحكومون، ومنها المخاطبون ومنها الآتون فيما بعد، إلى غير ذلك.

الإشاعات المغرضة

مسألة: قد يستفاد من كلام الصديقة الطاهرة عليها السلام ذم ظاهرة اجتماعية قد تكون عامة، وهي أن الناس عادة تسرع إلى الأقاويل الباطلة، ومنها الإشاعات المغرضة ضد المصلحين، فيتوجب على المرء الانتباه وأن لا يخدعه الجمهور، كما يتوجب على المصلح اليقظة والحذر والتخطيط لتلافي ذلك.

المغضية على الفعل القبيح الخاسر

---

(٢٠٢) بحار الأنوار: ج٣٠ ص٤٤٨ ب٢٢ الرابع.

السكوت على القبائح

مسألة: يحرم الإغضاء على الفعل القبيح الخاسر، إذا كان مما استقل العقل بقبحه بحيث يمنعه من النقيض (كالظلم)، أو مما حرّمه الشارع. فإن اللازم على الناس تغيير القبيح لا أن يغضوا الطرف عنه أو يكونوا محايدين بالنسبة إليه، بل يجب النهي عن المنكر.

ونسبة الخسران إلى الفعل القبيح من باب علاقة السبب والمسبب كما قيل في (البلاغة)، وإلا فالإنسان الفاعل للقبيح هو الخاسر، وذلك كقوله تعالى: **[فما ربِحت تِجارتهَم]**(٢٠٣) حيث نسبة الربح إلى التجارة من باب السبب.

نعم، ربما يقال بحقيقية النسبة وذلك بلحاظ تجسم الأعمال، فإن العمل يكون خاسراً أو رابحاً كما لا يخفى على المتأمل.

(المغضية): إغضاء البصر بمعنى خفضه والنظر إلى الأرض، وهذا يستدعي عدم رؤية الإنسان أمامه، كما في قوله تعالى: **[قل للمؤمنِينَ يغضوا مِن أبصارِهِم]**(٢٠٤)، وقال عزوجل: **[وقل للمؤمِناتِ يغضضنَ مِن**

ولعل في قولها عليها السلام: «القبيح» تنبيهاً إلى أن غصب الإرث وفدك والكذب على الرسول صلى الله عليه وآله وغصب الخلافة قبيح عقلاً قبل أن يكون قبيحاً شرعاً، فهو نوع من إثارة دفائن عقولهم، ويتضح ذلك مما لو كان التعبير بـ

.....

(الفعل المحرم) فهي عليها السلام بهذه الكلمة تحاول إثارة عقولهم وفطرتهم،

---

(٢٠٣) سورة البقرة: ١٦.

(٢٠٤) سورة النور: ٣٠.

(٢٠٥) سورة النور: ٣١.

وبـ (الخاسر) تحاول ردعهم عبر التنبيه على الآثار.

(الخاسر): صفة الفعل القبيح، أي أن هذا الفعل يوجب الخسارة، فهو من باب وصف الشيء بحال متعلقه، ويحتمل ـ بعيداً ـ أن يكون صفة معاشر المسلمين على الإنفراد أي: كل واحد منهم خاسر، أو معشر معشر منهم خاسر، من قبيل: ﴿**فانظر إلىٰ طعامِكَ وشرابِكَ لم يتسنه**﴾[٢٠٦] أي: لم يتسنه كل واحد منهما.

ثم إن (الفعل الخاسر) أعم من الخسارة الدنيوية والأخروية، فإنهم لو لم يقوموا بتلك الجرائم من غصب الخلافة وغصب فدك وإبعاد أهل البيت عليهم السلام عن مقامهم، وسكوتهم على الباطل، كانوا كما قال تعالى: ﴿**ولو أن أهل القرىٰ آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماءِ والأرضِ ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**﴾[٢٠٧].

من عادة الناس

مسألة: يستفاد من كلام الصديقة عليها السلام ظاهرة اجتماعية أخرى بحاجة إلى إعادة النظر والسعي للقضاء عليها، وهي أن الناس عادةً لا تصطدم بالحكام الظلمة ولا بالطغاة والفراعنة، وبشكل عام فإنها تفضل السكوت على الباطل والإغضاء عن الجرائم والجنايات التي يرتكبها (الكُبّار) أو غيرهم في المجتمع،

.....

وذلك خوفاً على مصالحهم الشخصية، فإن «الناس عبيد الدنيا والدين لعق على

(٢٠٦) سورة البقرة: ٢٥٩.

(٢٠٧) سورة الأعراف: ٩٦.

ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معايشهم، فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون»[٢٠٨].

وهذا التاريخ ـ بل الحياة المعاصرة ـ أكبر شاهد على ما نقول.

وقد قال النبي عيسى عليه السلام في مواعظه لعبيد الدنيا:

«ويلكم يا عبيد السوء، كيف ترجون أن يؤمنكم الله من فزع يوم القيامة وأنتم تخافون الناس في طاعة الله، وتطيعونهم في معصيته، وتفون لهم بالعهود الناقضة لعهده، بحق أقول لكم لا يؤمن الله من فزع ذلك اليوم من اتخذ العباد أرباباً من دونه.

ويلكم يا عبيد السوء، من أجل دنيا دنية وشهوة رديئة تفرطون في ملك الجنة، وتنسون هول يوم القيامة.

ويلكم يا عبيد الدنيا، من أجل نعمة زائلة وحياة منقطعة تفرون من الله وتكرهون لقاءه، فكيف يحب الله لقاءكم وأنتم تكرهون لقاءه، وإنما يحب الله لقاء من يحب لقاءه، ويكره لقاء من يكره لقاءه، وكيف تزعمون أنكم أولياء الله من دون الناس وأنتم تفرون من الموت وتعتصمون بالدنيا...»[٢٠٩].

---

(٢٠٨) تحف العقول: ص٢٤٥ وعنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٢٠٩) بحار الأنوار: ج١٤ ص٣٠٨ ب٢١ ح١٦.

ترك التدبر محرم

مسألة: يحرم الترك المطلق للتدبر في القرآن الكريم، أي عامة الناس في عامة آياته، فإنه من أجلى مصاديق اتخاذ القرآن مهجوراً، وهو إعراض عن الآيات التي تأمر بالتدبر وتنهى عن الهجر، إلى غير ذلك. قال تعالى: **[كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ]**(٢١٠).

وقال سبحانه: **[أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا]**(٢١١).

وقال تعالى: **[أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا]**(٢١٢).

وقال سبحانه: **[أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ]**(٢١٣).

لكن هل يحرم على الفرد ترك التدبر مطلقاً بعد عمل العموم به؟.

الظاهر ذلك لنفس الأدلة، ولكن لا يلزم التدبر في كل الآيات على مر الأزمنة، بل الواجب بمقدار الصدق العرفي كماً وكيفاً.

والمراد بالتدبر: استخراج أحكامه وفهم الحياة ومعرفة الحق وأخذ العبرة منه ـ كما في أحوال الأمم السالفة ـ والاستعداد للآخرة.

.....

(٢١٠) سورة ص: ٢٩.

(٢١١) سورة النساء: ٨٢.

(٢١٢) سورة محمد ﷺ: ٢٤.

(٢١٣) سورة (المؤمنون): ٦٨.

ثم إن التدبر يختلف معناه عن التفسير بالرأي[٢١٤] الذي ورد فيه: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»[٢١٥]، وقد أشرنا إلى الفرق فيما سبق.

قولها: «أفلا تتدبرون» اقتباس من الآية الكريمة: **[أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها]**[٢١٦].

وفي الروايات: إن معنى الآية أفلايتدبرون القرآن فيقضوا بما عليهم من الحق[٢١٧].

الدعوة للتدبر

مسألة: يستحب إرشاد الناس ودعوتهم للتدبر في القرآن، وقد يجب ذلك كل في مورده، ففي مورد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير الواجب يكون واجباً، فإن عدم التدبر في القرآن كان من أهم أسباب تخلف المسلمين، لآن آياته تكفلت سعادة الدنيا والآخرة ﴿**إذا دعاكم لما يحييكم**﴾[٢١٨].

كما أن من الواجب على دعاة النهضة والتغيير، إضافة إلى توجيه الناس للتدبر في القرآن، أن يرشدوهم لضوابطه وقواعده كي يحولوا دون استغلال المستغلين وتحريفات الضالين.

.....

(٢١٤) فإن التدبر ينطلق من القواعد والأصول، والتفسير بالرأي ينطلق خارجاً عنها. فالمتدبر يلاحظ مثلاً الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير الآيات ـ حيث إنهم قد نزل القرآن في بيوتهم فهم الأعرف به ـ كما يلاحظ المطلق والمقيد والعام والخاص و... ثم يستخرج حكماً مثلاً، والمتدبر يتبع المحكم، بينما المفسر بالرأي يتبع المتشابه ويتصرف بالمحكم كما يشاء و...

(٢١٥) غوالي اللآلئ: ج٤ ص١٠٤ الجملة الثانية في الأحاديث المتعلقة بالعلم وأهله وحامليه ح١٥٤.

(٢١٦) سورة محمد صلى الله عليه وآله: ٢٤.

(٢١٧) بحار الأنوار: ج٢٩ ص٣٠٥ -٣٠٦ ب١١.

(٢١٨) سورة الأنفال: ٢٤.

قولها عليها السلام: «أفلا تتدبرون...» أي: هل تعجزون عن التدبر والتأمل في القرآن؟ أم أنكم قادرون لكن تأبى أنفسكم ذلك، هذا إذا كان (أم) بمعنى: أحد الأمرين، أما إذا كان بمعنى: الإضراب، فمعناه: بل الأقفال التي على قلوبكم تمنعكم من التدبر.

والمراد بالأقفال هو: الطبع على القلب[٢١٩]؛ لأن الإنسان إذا تمادى في المعصية طُبع على قلبه كأن على قلبه القفل، وهذا اقتباس من القرآن أيضاً.

قال سبحانه: **[تِلكَ القرى نقص عليكَ مِن أنبائِها ولقد جاءتهم رسلهم بالبيناتِ فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا مِن قبل كذلكَ يطبعُ اللهُ على قلوبِ الكافرين]**[٢٢٠].

وقال تعالى: **[ثم بعثنا مِن بعدِهِ رسلا إلى قومِهِم فجاءوهم بالبيناتِ فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا بِهِ مِن قبل كذلكَ نطبعُ على قلوبِ المعتدين]**[٢٢١].

وقال سبحانه: **[أولئكَ الذينَ طبعَ اللهُ على قلوبِهِم وسمعِهِم وأبصارِهِم وأولئكَ همُ الغافلون]**[٢٢٢].

وقال تعالى: **[ومِنهُم مَن يستمعُ إليكَ حتى إذا خرجوا مِن عندِكَ قالوا للذينَ أوتوا العلمَ ماذا قال آنفا أولئكَ الذينَ طبعَ اللهُ على قلوبِهِم واتبعوا أهواءهم]**[٢٢٣].

.....

---

(٢١٩) أو الأعم منه ومن الأهواء والشهوات.

(٢٢٠) سورة الأعراف: ١٠١.

(٢٢١) سورة يونس: ٧٤.

(٢٢٢) سورة النحل: ١٠٨.

(٢٢٣) سورة محمد صلى الله عليه وآله: ١٦.

وقال سبحانه: [ذلِكَ بِأنهَم آمنوا ثمَ كفروا فطبِعَ على قلوبِهِم فهَم لايفقهَون][٢٢٤].

طبع على قلوبهم

مسألة: يستفاد من قول الصديقة الطاهرة عليها السلام: «أفلا تتدبرون القرآن.. » أن أولئك القوم لم يكونوا من المتدبرين للكتاب عموماً، والمورد لا يخصص الوارد خاصة بعد تأييد قرائن المقام، وكون سيرتهم العملية على عدم التدبر عموماً، فإنهم لو تدبروا لأرعووا ولما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من الخسران المبين، ولما حصل حتى حروبهم المسماة بالردة وغيرها.

ويستفاد من كلامها عليها السلام أيضاً: إن القوم كانوا ممن طبع الله على قلوبهم وكانت الأقفال عليها.

قال تعالى: [كذلِكَ يطبعَ اللهَ على قلوبِ الذينَ لا يعلمَون][٢٢٥].

وقال سبحانه: [الذينَ يجادِلون فِي آياتِ اللهِ بِغيرِ سلطانٍ أتاهَم كبرَ مقتا عِندَ اللهِ وعِندَ الذينَ آمنوا كذلِكَ يطبعَ اللهَ على كل قلبِ متكبرٍ جبارٍ][٢٢٦].

---

(٢٢٤) سورة (المنافقون): ٣.

(٢٢٥) سورة الروم: ٥٩

(٢٢٦) سورة غافر: ٣٥.

تأثير الأعمال السيئة

مسألة: يستحب بيان أن الأعمال السيئة تؤثر على قلب الإنسان فيؤخذ بسمعه وبصره، وقد يجب بيانه كما ذكر في البند السابق، وإنما تؤثر الأعمال السيئة على قلب الإنسان؛ لأنها توحي إلى القلب، كما أن في عكسه: الأعمال الحسنة توحي إلى الملكات الحسنة، وقد ذكرنا في بعض ما سبق أن كلاً من النفس والبدن يؤثر أحدهما على الآخر وفيه، فليس المراد بالقلب: القلب الصنوبري، وإنما يراد به: النفس، وهذا اقتباس من قوله سبحانه وتعالى: ﴿**كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾[٢٢٧].

و(الرين) هو الوسخ الذي يعلو المرآة ونحوها، وهذا تشبيه للمعقول بالمحسوس؛ لأن الإنسان إذا أساء في العمل انحرف قلبه عن جادة الصواب شيئاً فشيئاً فكأنّ هناك غطاء على قلبه. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منه وإن زاد زادت، فذلك الرين الذي ذكره الله في كتابه: [**كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾[٢٢٨]»[٢٢٩]. وفي الغرر قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «قد قادتكم أزمة الحين، واستغلقت على قلوبكم أقفال الرين»[٢٣٠].

---

(٢٢٧) سورة المطففين: ١٤.

(٢٢٨) سورة المطففين: ١٤.

(٢٢٩) روضة الواعظين: ج٢ ص٤١٤ مجلس في معرفة القلب.

(٢٣٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٢٣ ق١ ب٥ ف٢ ذم زمانه وأهل زمانه ح٢١٤١.

وفي نهج البلاغة قال عليه السلام: «وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ابْتَعَثَهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ، وَيَموجُونَ فِي حَيْرَةٍ، قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ الْحَيْنِ وَاسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ»(٢٣١).

قال الجوهري: (الرين الطبع والدنس. يقال: ران على قلبه ذنبه يرين رينا وريوناً، أي: غلب)(٢٣٢).

وقال بعضهم: الرين الطبع والتغطية.

وقال بعضهم: الرين الصداء.

وقيل: الرين الذنب على الذنب حتى يموت القلب.

وقيل: معنى ران غطى وغشي.

تسلسل السيئات

مسألة: الواجب الحذر من السيئات بل من صغارها أيضاً، فإن السيئات بعضها آخذ بعنق بعض، كما أن الحسنات كذلك، على ما ورد في الرواية.

وهذا ما يستفاد من كلامها عليها السلام إذ أن سيئتهم الكبرى هذه كانت امتداداً لسيئات سابقة لهم، حيث قالت عليها السلام: «ما أسأتم من أعمالكم».

---

(٢٣١) نهج البلاغة، الخطب: ١٩١ ومن خطبة له عليه السلام يحمد الله ويثني على نبيه صلى الله عليه وآله ويوصي بالزهد والتقوى.

(٢٣٢) الصحاح للجوهري: ج٥ ص٢١٢٩ مادة رين.

شهادتان من الزهراء عليها السلام

مسألة: هاهنا شهادتان من سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام:

أولاهما: إنهم أساءوا في أعمالهم، أي الكثير من أعمالهم إن لم نقل كلها، لمكان الجمع المضاف، فتأمل.

فيكشف ذلك أن سيئتهم هذه كانت نتيجة لسيئات أخرى كثيرة، وفي ذلك عبرة للعالمين وأية عبرة.

وثانيتهما: إن قلوبهم أيضاً أصبحت ملوثة ومغطاة بالدنس ﴿**ولكِن تعمَى القلوبَ التِي فِي الصدَورِ**﴾[٢٣٣].

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله عزوجل يقول: [**فإنهَا لا تعمَى الأبصارَ ولكِن تعمَى القلوبَ التِي فِي الصدَورِ**﴾[٢٣٤]، وكيف يهتدي من لم يبصر، وكيف يبصر من لم يتدبر، اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وأقروا بما نزل من عند الله، واتبعوا آثار الهدى، فإنهم علامات الأمانة والتقى، واعلموا أنه لو أنكر رجل عيسى ابن مريم عليه السلام وأقر بمن سواه من الرسل لم يؤمن، اقتصوا الطريق بالتماس المنار، والتمسوا من وراء الحجب الآثار، تستكملوا أمر دينكم وتؤمنوا بالله ربكم»[٢٣٥].

وفي التوقيع الشريف من أبي محمد عليه السلام لإسحاق بن إسماعيل:

---

(٢٣٣) سورة الحج: ٤٦.

(٢٣٤) سورة الحج: ٤٦.

(٢٣٥) الكافي: ج١ ص١٨٢ باب معرفة الإمام عليه السلام والرد إليه ح٦.

«يا إسحاق بن إسماعيل، سترنا الله وإياك بستره، وتولاك في جميع أمورك بصنعه، قد فهمت كتابك رحمك الله، ونحن بحمد الله ونعمته أهل بيت نرق على موالينا، ونسر بتتابع إحسان الله إليهم وفضله لديهم، ونعتد بكل نعمة ينعمها الله عزوجل عليهم، فأتم الله عليكم بالحق، ومن كان مثلك ممن قد رحمه وبصره بصيرتك، ونزع عن الباطل، ولم يعم في طغيانه بعمه، فإن تمام النعمة دخولك الجنة، وليس من نعمة وإن جل أمرها وعظم خطرها إلا والحمد لله تقدست أسماؤه عليها يؤدي شكرها، وأنا أقول: الحمد لله مثل ما حمد الله به حامد إلى أبد الأبد بما منّ به عليك من نعمته، ونجاك من الهلكة، وسهل سبيلك على العقبة، وأيم الله إنها لعقبة كئود، شديد أمرها، صعب مسلكها، عظيم بلاؤها، طويل عذابها، قديم في الزبر الأولى ذكرها. ولقد كانت منكم أمور في أيام الماضي عليه السلام إلى أن مضى لسبيله (صلى الله على روحه) وفي أيامي هذه كنتم فيها غير محمودي الشأن، ولا مسددي التوفيق. واعلم يقيناً يا إسحاق أن من خرج من هذه الحياة الدنيا [**أعمى فهوَ فِي الآخرةِ أعمى وأضل سبِيلا**][٢٣٦]، إنها يا ابن إسماعيل ليس تعمى الأبصار[**ولكِن تعمَى القلوبَ التِي فِي الصدورِ**][٢٣٧] وذلك قول الله عزوجل في محكم كتابه للظالم: [**ربَ لِمَ حشرتنِي أعمى وقد كنتَ بصِيرا**][٢٣٨] قالَ الله عزوجل: [**كذلِكَ أتتكَ آياتنَا فنسِيتها وكذلِكَ اليومَ تنسى**][٢٣٩]، وأي آية يا إسحاق أعظم من حجة الله عزوجل على خلقه، وأمينه

.....

(٢٣٦) سورة الإسراء: ٧٢.

(٢٣٧) سورة الحج: ٤٦.

(٢٣٨) سورة طه: ١٢٥.

(٢٣٩) سورة طه: ١٢٦.

في بلاده، وشاهده على عباده، من بعد ما سلف من آبائه الأولين من النبيين، وآبائه الآخرين من الوصيين (عليهم أجمعين رحمة الله وبركاته). فأين يُتاه بكم؟! وأين تذهبون كالأنعام على وجوهكم؟! عن الحق تصدفون، وبالباطل تؤمنون، وبنعمة الله تكفرون أو تكذبون، فمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض [**فما جزاءَ من يفعل ذلكَ منكم**] ومن غيركم [**إلا خزيَ في الحياةِ الدنيا**][٢٤٠] الفانية، وطول عذاب الآخرة الباقية، وذلك والله الخزي العظيم.

إن الله بفضله ومنّه لما فرض عليكم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليكم، بل رحمة منه لا إله إلا هو عليكم لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَلِيَبْتَلِيَ... مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ، ولتألفوا إلى رحمته، ولتتفاضل منازلكم في جنته، ففرض عليكم الحج والعمرة، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم، والولاية، وكفى بهم لكم باباً ليفتحوا أبواب الفرائض، ومفتاحاً إلى سبيله، ولولا محمد ﷺ والأوصياء من بعده لكنتم حيارى كالبهائم لا تعرفون فرضاً من الفرائض، وهل يدخل قرية إلا من بابها، فلما منّ عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيه قال الله عزوجل لنبيه ﷺ: [**اليومَ أكملتُ لكم دينَكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكمُ الإسلامَ دينا**][٢٤١]، وفرض عليكم لأوليائه حقوقاً أمركم بأدائها إليهم ليحل لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم، وأموالكم، ومأكلكم، ومشربكم، ويعرفكم بذلك النماء والبركة والثروة، وليعلم من يطيعه منكم بالغيب، قال الله عزوجل: [**قل لا أسئلكم عليهِ أجرا**

.....

(٢٤٠) سورة البقرة: ٨٥.

(٢٤١) سورة المائدة: ٣.

إلا المودة في القربى][٢٤٢]. واعلموا أن [**من يبخل فإنما يبخل**] على نفسه وأن الله هو [**الغني وأنتم الفقراء**][٢٤٣] لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ ... فاعملوا من بعد ما شئتم

[**فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**] ثم تردون [**إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**][٢٤٤]، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ والحمد لله كثيراً رب العالمين»[٢٤٥].

بعدا الإصلاح

مسألة: الواجب على الإنسان ـ في إصلاح نفسه ـ أن يتجه اتجاهين ويتحرك حركتين:

١: حركة إلى الداخل، بتطهير قلبه من الشرك والحسد والحقد والبغضاء والنفاق و...

٢: حركة إلى الخارج، بتطهير جوارحه عن اجتراح المعاصي.

ومن ذلك يعرف أن واجب المصلحين هو تطهير المجتمع في كلا البعدين واللازم وضع برامج تفي بكلا الجانبين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ليخشع لله سبحانه قلبك، فمن خشع قلبه خشعت جميع جوارحه»[٢٤٦].

---

(٢٤٢) سورة الشورى: ٢٣.

(٢٤٣) سورة محمد صلى الله عليه وآله: ٣٨.

(٢٤٤) سورة التوبة: ١٠٥.

(٢٤٥) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٣١٩ -٣٢٢ ب٤ ح١٦.

(٢٤٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٦٧ ق١ ب١ ف١٣ القلب السليم آثاره وعلائمه ح٩٠٧.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سُئل ما القلب السليم؟ فقال: «دين بلا شك وهوى، وعمل بلا سمعة ورياء»[٢٤٧].

وفي تفسير القمي [**إلا من أتى الله بقلب سليم**][٢٤٨]، قال: «القلب السليم الذي يلقى الله وليس فيه أحد سواه»[٢٤٩].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «صاحب النية الصادقة صاحب القلب السليم؛ لأن سلامة القلب من هواجس المحذورات بتخليص النية لله تعالى في الأمور كلها، قال الله تعالى: [**يوم لا ينفع مال ولا بنون ۞ إلا من أتى الله بقلب سليم**][٢٥٠]»[٢٥١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا»[٢٥٢].

وقال عليه السلام: «طهّروا قلوبكم من درن السيئات تضاعف لكم الحسنات»[٢٥٣].

.....

---

(٢٤٧) مستدرك الوسائل: ج١ ص١١٣ ب١٢ ح١٢٤.

(٢٤٨) سورة الشعراء: ٨٩.

(٢٤٩) تفسير القمي: ج٢ ص١٢٣ قصة موسى عليه السلام وفرعون.

(٢٥٠) سورة الشعراء: ٨٨ -٨٩.

(٢٥١) مصباح الشريعة: ص٥٣ ب٢٣.

(٢٥٢) نهج البلاغة، الرسائل: ٣١ ومن وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليه السلام كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين.

(٢٥٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٦٧ ق١ ب١ ف١٣ القلب السليم آثاره وعلائمه ح٩٠٥.

بين الإساءة والرين

مسألة: هناك ترابط وثيق بين (الإساءة في العمل) وبين (الرين و الطبع على القلب) وبين (تزيين الشيطان)، وكل منها يؤثر في الآخر ويتأثر به أيضاً، وقد أشارت الصديقة الطاهرة عليها السلام إلى الأولين هاهنا وإلى الثالث فيما سبق[٢٥٤].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من مات قلبه دخل النار»[٢٥٥].

وقال عليه السلام: «الرجل بجنانه»[٢٥٦].

وعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال: «ما من عبد إلا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض، فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً، و هو قول الله عزوجل: **[كلا بل ران على قلوبِهِم ما كانوا يكسِبون]**[٢٥٧]»[٢٥٨].

كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن العبد كلما أذنب ذنباً حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه»[٢٥٩].

---

(٢٥٤) عند قولها: «وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي»، و«اطلع الشيطان رأسه من مفرزة هاتف بكم..».

(٢٥٥) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٤٩.

(٢٥٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٦٦ ق١ ب١ ف١٣ أهمية القلب ح٨٧٦.

(٢٥٧) سورة المطففين: ١٤.

(٢٥٨) الكافي: ج٢ ص٢٧٣ باب الذنوب ح٢٠.

(٢٥٩) بحار الأنوار: ج٧٠ ص٣٣٤ ب١٣٧ ضمن ح١٧.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أذنب العبد كان نقطة سوداء على قلبه، فإن هو تاب وأقلع واستغفر صفا قلبه منها، وإن هو لم يتب ولم يستغفر كان الذنب على الذنب، والسواد على السواد حتى يغمر القلب فيموت بكثرة غطاء الذنوب عليه، وذلك قوله تعالى: [**بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**][٢٦٠]»[٢٦١].

وعن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب انمحت وإن زاد زادت، حتى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبداً»[٢٦٢].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر، وقلب الكافر أسود منكوس»[٢٦٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم صلاة الليل، وإن عمل السيئ أسرع في صاحبه من السكين في اللحم»[٢٦٤].

وعن المدائني، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «كان أبي يقول: إن الله قضى قضاءً حتماً لا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها إياه حتى يحدث العبد ذنباً يستحق بذلك النقمة»[٢٦٥].

وهذه بعض آثار الذنوب والتفصيل في مظانه.

فأخذ بسمعكم وأبصاركم

---

(٢٦٠) سورة المطففين: ١٤.

(٢٦١) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٣٣٣ ب٤٠ ح١٣١٩٠.

(٢٦٢) بحار الأنوار: ج٧٠ ص٣٢٧ ب١٣٧ ح١٠.

(٢٦٣) بحار الأنوار: ج٦٧ ص٥٩ ب٤٤ ح٣٩.

(٢٦٤) المحاسن: ج١ ص١١٥ ب٥٦ ح١١٩.

(٢٦٥) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٣٠٣ ب٤٠ ح٢٠٥٨١.

الأخذ بالسمع والبصر

مسألة: هل يحرم فعل كل ما يأخذ بالسمع والبصر؟. فمثلاً هل تحرم مجالسة البطالين، أو مجالسة أصدقاء السوء، أو النظر إلى برامج عبثية، أو ما أشبه ذلك؟.

قال الإمام السجاد عليه السلام: «أو لعلك رأيتني آلف مجالس البطالين فبيني وبينهم خليتني»[٢٦٦].

الظاهر أن المحرم هو ما وقع طريقاً إلى المعصية ولو بالواسطة[٢٦٧]، فإن (حب الشيء يعمي ويصم)، وحينئذ لا يسمع الإنسان الحق ولا يبصر الحق وإنما يسمع ويبصر ما يوافق شهواته وأهواءه.

هذا وربما أمكن القول بحرمة بعض المراتب منها.

أي: أن هذا الرين أخذ بسمع قلوب القوم وأبصارها، فأصبحت لا تسمع ولا تبصر، كما قال تعالى: [**ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**][٢٦٨].

وفي الحديث: قام رجل إلى علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن الناس وأشباه الناس والنسناس؟.

.....

قال: فقال علي عليه السلام: «أجبه يا حسن».

---

(٢٦٦) مصباح المتهجد: ص٥٨٨ دعاء السحر في شهر رمضان.

(٢٦٧) يبدو أن المراد أن المشاركة في مجلس البطالين مثلاً قد يكون طريقاً مباشراً للمعصية كشرب الخمر أو الغيبة، وقد يكون سبباً لموت القلب والأخذ بالسمع والبصر الذي يكون سبباً للمعصية.

(٢٦٨) سورة الأعراف: ١٧٩.

قال: فقال له الحسن عليه السلام: «سألت عن الناس فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس؛ لأن الله تعالى يقول: **[ثمَ أفِيضوَا مِن حيث أفاضَ النَاس]**[٢٦٩] ونحن منه، وسألت عن أشباه الناس فهم شيعتنا وهم منا وهم أشباهنا، وسألت عن النسناس فهم هذا السواد الأعظم وهو قول الله تعالى في كتابه: **[إِن هَم إِلا كالأنعَامِ بَل هَم أضَل سَبِيلا]**[٢٧٠]»[٢٧١].

قولها عليها السلام: «فأخذ بسمعكم وأبصاركم»؛ لأن الذي يرين على قلبه لاتطيعه جوارحه إلى الحق، فيسمع غير الحق، ويبصر غير الحق، ويتكلم بغير الحق، وغير ذلك من حواسه، فإنها كلها تتجه إلى جادة الخطأ.

---

(٢٦٩) سورة البقرة: ١٩٩.

(٢٧٠) سورة الفرقان: ٤٤.

(٢٧١) تفسير فرات الكوفي: ص٦٤ ومن السورة التي تذكر فيها البقرة ح٦٤ -٣٠.

التأويل والمكيدة الشيطانية

مسألة: يحرم التأويل الشخصي[٢٧٢] للأمور الدينية على خلاف ما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم به، فإن هذا النوع من التأويل هو إحدى مكائد الشيطان وشباكه وبواباته نحو البدعة والضلالة، ومن ذلك يتضح حرمة كثير من تؤيلات الصوفية والعرفاء والفلاسفة وأضرابهم للآيات والنصوص الشريفة، وكذلك تأويلات الظالمين والطغاة والمستكبرين لها، ومنها ما يحاولون به تثبيت حكومتهم على الناس كوجوب إطاعة ولي الأمر ـ وهو الحاكم عندهم فاسقاً كان أم عادلاً ـ مع أن المراد به هو المعصوم عليه السلام، إلى غير ذلك.

قال تعالى: **[يحرفون الكلمَ من بعدِ مواضعِه]**[٢٧٣]، ومن أهم مصاديق التحريف هو حمله على غير المراد.

وفي تفسير القمي: **[وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلمَ عن مواضعِه]**[٢٧٤] قال: من نحّى أمير المؤمنين عليه السلام عن موضعه، والدليل على ذلك أن الكلمة أمير المؤمنين عليه السلام[٢٧٥].

قولها عليها السلام: «ولبئس ما تأولتم» أي: ما تطلبتم من التأويل لإبطال الحق وإحياء الباطل، أو آل إليه أمركم من ذلك.

---

(٢٧٢) وهو التأويل الذي لا يستند إلى حجة كعدم الاعتماد على قول من نزل القرآن في بيوتهم.

(٢٧٣) سورة المائدة: ٤١.

(٢٧٤) سورة المائدة: ١٣.

(٢٧٥) تفسير القمي: ج١ ص١٦٣ -١٦٤ القمار في الجاهلية.

مآل القوم

مسألة: يستفاد من كلام الصديقة الطاهرة عليها السلام أن مآل أمر القوم بئيس، حيث قالت: «ولبئس ما تأوّلتم».

ومعنى التأويل ما ينتهي إليه الأمر من (آل يؤول)، كما قال سبحانه: **[وَأَحسَنَ تَأوِيلا]**(٢٧٦).

أو المراد: بئس تأويلكم وصرفكم القرآن والأحكام عن واقعها.

أو: بئس تأويلكم وصرفكم الخلافة عن أمير المؤمنين عليه السلام إلى من لايستحقها.

ويؤيده ما بعده من الجمل.

(٢٧٦) سورة النساء: ٥٩، سورة الإسراء: ٣٥.

الإشارة بالباطل

مسألة: تحرم الإشارة بالباطل، ويستحب أن يبين للناس ما ارتكبه الغاصبون من الإشارة المنحرفة، وربما كان واجباً على ما ذكرناه سابقاً.

و(أشار إليه) بمعنى: دل عليه وأرشده إليه، فذكر له بأن الطريق هذا لاذاك، وأن الصراط هذا لا ذاك.

ومن الواضح أن الإشارة إلى الباطل ـ بالمعنى المذكور ـ محرمة، كما أن الإشارة إلى الحق واجبة، وربما كانت مستحبة في الحق المستحب كما ذكره الفقهاء في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي قصة الأعرابي الذي سأل عن خليفة رسول الله ﷺ فأرشدوه إلى أبي بكر، فلما عجز عن جوابه جاؤوا به إلى أبي الحسن علي عليه السلام فأخذ الجواب، قال الأعرابي: ويحكم يا أصحاب رسول الله والذي أشرتم إليه بالخلافة ـ يعني ابن أبي قحافة ـ ليس فيه من هذه الخلال خلة.

فعن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام: «أن أعرابياً بدوياً خرج من قومه حاجاً محرماً، فورد على أدحي نعام فيه بيض فأخذه واشتواه وأكل منه، وذكر أن الصيد حرام في الإحرام، فورد المدينة فقال الأعرابي: أين خليفة رسول الله ﷺ فقد جنيت جناية عظيمة؟.

فأرشد إلى أبي بكر، فورد عليه الأعرابي وعنده ملأ من قريش فيهم: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وخالد بن الوليد، والمغيرة بن شعبة.

فسلّم الأعرابي عليهم فقال: يا قوم، أين خليفة رسول الله ﷺ؟.

فقالوا: هذا خليفة رسول الله ﷺ.

فقال: أفتني.

فقال له أبو بكر: قل يا أعرابي.

فقال: إني خرجت من قومي حاجاً، فأتيت على أدحي فيه بيض نعام فأخذته فاشتويته وأكلته، فماذا لي من الحج وما عليَّ فيه، أحلالاً ما حرم عليَّ من الصيد أم حراماً؟.

فأقبل أبو بكر على من حوله فقال: حواري رسول الله ﷺ وأصحابه أجيبوا الأعرابي.

قال له الزبير من بين الجماعة: أنت خليفة رسول الله ﷺ، فأنت أحق بإجابته!.

فقال أبو بكر: يا زبير، حب بني هاشم في صدرك؟.

قال: وكيف لا وأمي صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ.

فقال الأعرابي: إنا لله ذهبت فتياي فتنازع القوم فيما لا جواب فيه، فقال: يا أصحاب رسول الله ﷺ استرجع بعد محمد ﷺ دينه فنرجع عنه؟.

فسكت القوم، فقال الزبير: يا أعرابي، ما في القوم إلا من يجهل ما جهلت.

قال الأعرابي: ما أصنع؟.

قال له الزبير: لم يبق في المدينة من تسأله بعد من ضمه هذا المجلس إلا صاحب الحق الذي هو أولى بهذا المجلس منهم.

قال الأعرابي: فترشدني إليه؟.

قال له الزبير: إن إخباري يسر قوماً ويسخط قوماً آخرين.

قال الأعرابي: وقد ذهب الحق وصرتم تكرهونه؟.

فقال عمر: إلى كم تطيل الخطاب يا ابن العوام، قوموا بنا والأعرابي إلى علي عليه السلام فلا تسمع جواب هذه المسألة إلاّ منه.

فقاموا بأجمعهم والأعرابي معهم حتى صاروا إلى منزل أمير المؤمنين عليه السلام فاستخرجوه من بيته وقالوا: يا أعرابي، اقصص قصتك على أبي الحسن عليه السلام.

فقال الأعرابي: فلِمَ أرشدتموني إلى غير خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟.

فقالوا: يا أعرابي، خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر! وهذا وصيه في أهل بيته، وخليفته عليهم، وقاضي دينه، ومنجز عداته، ووارث علمه.

قال: ويحكم يا أصحاب رسول الله والذي أشرتم إليه بالخلافة ليس فيه من هذه الخلال خلة.

فقالوا: يا أعرابي، سل عما بدا لك ودع ما ليس من شأنك.

قال الأعرابي: يا أبا الحسن، يا خليفة رسول الله إني خرجت من قومي محرماً.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: تريد الحج فوردت على أدحي وفيه بيض نعام فأخذته واشتويته وأكلته.

فقال الأعرابي: نعم يا مولاي.

فقال له: وأتيت تسأل عن خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأرشدت إلى مجلس أبي بكر وعمر، فأبديت بمسألتك فاختصم القوم ولم يكن فيهم من يجيبك على مسألتك؟.

فقال: نعم يا مولاي.

فقال له: يا أعرابي، الصبي الذي بين يدي مؤدبه صاحب الذؤابة فإنه ابني الحسن عليه السلام، فسله فإنه يفتيك.

قال الأعرابي: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته وتنازع القوم وارتدوا.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: حاش لله يا أعرابي، ما مات دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولن يموت.

قال الأعرابي: أفمن الحق أن أسأل خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحواريه وأصحابه فلا يفتوني ويحيلوني عليك فلا تجيبني وتأمرني أن أسأل صبياً بين يدي المعلم، ولعله لا يفصل بين الخير والشر.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا أعرابي، لا تقف ما ليس لك به علم، فاسأل الصبي فإنه ينبئك.

فمال الأعرابي إلى الحسن عليه السلام وقلمه في يده ويخط في صحيفته خطاً، ويقول مؤدبه: أحسنت، أحسنت، أحسن الله إليك.

فقال الأعرابي: يا مؤدب الحسن الصبي فتعجب من إحسانه وما أسمعك تقول له شيئاً حتى كأنه مؤدبك.

فضحك القوم من الأعرابي وصاحوا به: ويحك يا أعرابي سل وأوجز.

قال الأعرابي: فديتك يا حسن، إني خرجت حاجاً محرماً، فوردت على أدحي فيه بيض نعام فشويته وأكلته عامداً وناسياً؟.

قال الحسن عليه السلام: زدت في القول يا أعرابي، قولك عامداً لم يكن هذا من مسألتك هذا عبث.

قال الأعرابي: صدقت ما كنت إلاَّ ناسياً.

فقال له الحسن عليه السلام ـ وهو يخط في صحيفته ـ: يا أعرابي، خذ بعدد البيض نوقاً فاحمل عليها فنيقاً فما نتجت من قابل فاجعله هدياً بالغ الكعبة؛ فإنه كفارة فعلك.

فقال الأعرابي: فديتك يا حسن، إن من النيق ما يزلقن.

فقال الحسن عليه السلام: يا أعرابي، إن من البيض ما يمرقن.

فقال الأعرابي: أنت صبي محدق محرر في علم الله مغرق، ولو جاز أن يكون ما أقوله قلته: إنك خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال له الحسن عليه السلام: يا أعرابي، أنا الخلف من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي أمير المؤمنين عليه السلام الخليفة.

فقال الأعرابي: وأبو بكر ماذا؟.

قال الحسن عليه السلام: سلهم يا أعرابي.

فكبر القوم وعجبوا مما سمعوا من الحسن عليه السلام.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الحمد لله الذي جعل فيَّ وفيَّ ابني هذا ما جعله في داود وسليمان إذ يقول الله عز من قائل: [**ففهمناها سليمان**](٢٧٧)»(٢٧٨).

---

(٢٧٧) سورة الأنبياء: ٧٩.

(٢٧٨) مستدرك الوسائل: ج٩ ص٢٦٦ -٢٧١ ب١٧ ح١٠٨٧١.

الاستشارة المحرمة

مسألة: إذا قلنا بوجوب الاستشارة ووجوب الإشارة ـ بحدودها كما ذكرناه في كتاب (الشورى في الإسلام)[٢٧٩] وغيره[٢٨٠]، فإن الاستشارة والإشارة بشرائط معاكسة للشرائط المطلوبة محرمة ولو في الجملة[٢٨١].

وربما كان بعض المصاديق منها مكروهاً.

---

(٢٧٩) من تأليفات سماحة الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) في قم المقدسة بتاريخ ١٤٠٨ هـ. يقع الكتاب في ١٤٣ صفحة قياس ٢٠ × ١٤. تناول سماحته فيه المواضيع التالية: الفصل الأول: توضيح جوانب من الشورى، المشير والمستشير، المشورة، هل تلزم المشورة، هل يلزم المستشار، كم قدر المشورة. الفصل الثاني: تفصيل الحزب وأقسامه، الأحزاب الدكتاتورية، فشل الأحزاب السياسية في العالم الثالث، الهيكلية العامة للأحزاب السياسية، العلاقات الداخلية في التنظيمات، أقسام التمركز، بدل العضوية، الأحزاب الديمقراطية والدكتاتورية، الأحزاب السياسية والمؤسسات الحكومية، النظام القائم على الحزبين، التجمعات الضاغطة، اللجوء إلى السرية، الفرق بين مجموعات النفوذ والأحزاب السياسية، الزعماء الحقيقيون للأحزاب السياسية، الرأي العام، النظام الحزبي، البرلمان، الحزب والانتخابات. الفصل الثالث: جملة من روايات المشورة.

طبع الكتاب عدة مرات في لبنان وقم المقدسة، منها طبعة دار الفردوس بيروت عام ١٤٠٩هـ. ومؤسسة الوعي الإسلامي بيروت عام ١٤٢٠هـ. ومطبعة الشهيد قم المقدسة، والطبعة العاشرة هيئة محمد الأمين الكويت، عام ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م. ترجم الكتاب إلى اللغة الفارسية تحت عنوان (شورا در إسلام) وطبع في انتشارات الوعي الإسلامي ١٣٧٣هـ ش. وكانت الطبعة السادسة في انتشارات آل الرسول صلى الله عليه وآله قم المقدسة.

(٢٨٠) الحكم في الإسلام.

(٢٨١) كأن يتخذ بطانة من الأشرار ليستشيرهم في الشؤون الخطيرة.

وفي الغرر[٢٨٢] تحت عنوان (لا تشاور هؤلاء):

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مشاورة الجاهل المشفق خطر».

وقال عليه السلام: «استشر عدوك العاقل، واحذر رأي صديقك الجاهل».

وقال عليه السلام: «لا تشاورن في أمرك من يجهل».

وقال عليه السلام: «لا تشاور عدوك واستره خبرك».

وقال عليه السلام: «لا تدخلن في مشورتك بخيلاً، فيعدل بك عن القصد، ويعدك الفقر».

وقال عليه السلام: «لا تشركن في رأيك جباناً، يضعفك عن الأمر (الأمور)، ويعظم عليك ما ليس بعظيم».

وقال عليه السلام: «لا تشركن في مشورتك حريصاً، يهون عليك الشر، ويزين لك الشره».

وقال عليه السلام: «لا تستشر الكذاب؛ فإنه كالسراب يقرب عليك البعيد، ويبعد عليك (إليك) القريب».

وقال عليه السلام: «آفة المشاورة انتقاض الآراء».

وقال عليه السلام: «إذا ازدحم الجواب نفي الصواب».

وقال عليه السلام: «شر الآراء ما خالف الشريعة».

---

(٢٨٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٢ ق٦ ب٤ ف١ لا تشاور هؤلاء ح١٠٠٨٥ -١٠٠٩٥.

المستشار الأجنبي

مسألة: ملاك كلامها عليها السلام يعطي ـ وربما بالأولوية[٢٨٣] ـ حرمة اتخاذ مستشارين من الكفار فيما إذا ترتب عليه الإضرار بالمسلمين، أو سيطرة الأجانب على البلاد والعباد.

قولها عليها السلام: «وساء ما به أشرتم»، فإنهم أشاروا إلى خلاف الصواب بسكوتهم على اغتصاب فدك والسلطة.

وبتعبير آخر: إن الذين أشاروا وإن كانوا عدداً محدوداً منهم، إلاّ أن الباقين حيث سكتوا شاركوهم الإثم فصح نسبة الإشارة إليهم بأجمعهم.

والترتيب بين الجملتين على حسب الطبع، فإن التأويل يسبق الإشارة[٢٨٤] كما لا يخفى.

---

(٢٨٣) فإنه إذا حرم اتخاذ مستشار ضال مسلم، فكيف باتخاذ مستشار ضال كافر.

(٢٨٤) إذ الأول عمل قلبي وذهني، والثاني عمل خارجي.

الغصب درجات

مسألة: يحرم ما اغتصبوه أو اعتاضوه، أشد الحرمة.

فإن الغصب حرام ولو كان بمقدار مثقال ذرة، فكيف بالغصب الذي هو بهذا الحجم، وفي مثل هذا الموضع، ومن سيدة نساء العالمين عليها السلام التي يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها؟.

وكيف بغصب الخلافة حيث ترتب عليه أكبر المفاسد من جيل إلى جيل وإلى يوم ينظرون؟.

فإن الغصب بعضه أشد حرمة من بعض، من ناحية الكمّ ومن ناحية الكيف أيضاً، وكذلك من حيث المصاديق والآثار.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله عزوجل غافر كل ذنب إلاّ رجل اغتصب أجيراً أجره، أو مهر امرأة»[٢٨٦].

وفي حديث المناهي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من خان جاره شبراً من الأرض جعله الله طوقاً في عنقه من تخوم الأرض السابعة حتى يلقى الله يوم القيامة مطوقاً إلا أن يتوب ويرجع»[٢٨٧].

وفي نهج البلاغة: «الحجر الغصيب في الدار رهن على خرابها»[٢٨٨].

.....

(٢٨٥) وفي بعض النسخ: (اعتضتم)، وفي بعضها: (اعتصمتم).

(٢٨٦) مستدرك الوسائل: ج١٤ ص٣١ ب٥ ح١٦٠٢٤، والمستدرك: ج١٥ ص٧٢ ب١١ ح١٧٥٧١.

(٢٨٧) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص١٢ باب ذكر جمل من مناهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ح٤٩٦٨.

(٢٨٨) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٢٤٠.

غصب فدك بداية المسيرة

مسألة: قولها عليها السلام: «وشر ما منه اغتصبتم» يدل على أن ما قام به القوم من اغتصاب الخلافة، واغتصاب فدك، كان شراً عظيماً عليهم بالفعل، لا أنه سيتحول شراً فقط، لظهور العناوين في الفعلية.

ولعل كلمة: (منه) للتبعيض باعتبار أن فدك إنما اغتصبت منها السيطرة والوارد والثمرة وما أشبه؛ لأن الأرض باقية مكانها، وهذا في مقابل الأشياء المنقولة التي تغتصب أعيانها أيضاً وتنقل إلى غير مكانها، فتأمل، لأن غصب كل شيء بحسبه.

وكذلك بالنسبة إلى الخلافة حيث يغتصب الظاهري منها فقط، أما الواقعي وهي الإمامة فباقية لأمير المؤمنين عليه السلام وذريته الطاهرين عليهم السلام.

ويحتمل أن تكون (من) هاهنا بمعنى الابتداء[٢٨٩]، أي أن ما بدأتم منه الغصب (وهو فدك) شر عظيم، إذ أن غصبهم فدكاً كان بداية لأنواع أخرى من الغصب عديدة وكثيرة، كما ظهر طوال تاريخ الثلاثة والأمويين والعباسيين، فقد غصبوا أموال الناس وأغاروا عليهم، وغصبوا النساء والجواري[٢٩٠]، وفرضوا الضرائب[٢٩١] إلى غير ذلك مما هو كثير وكثير.. ويعدّ هذا المعنى إخباراً منها (صلوات الله عليها) بما سيجري في المستقبل متضمناً كل ذلك في كلمة (مِن).

وفي بعض النسخ: «وشر ما منه اعتضتم» من الاعتياض وهو أخذ

(٢٨٩) وذلك كما تقول لمن ابتدأ سيره من نقطة معينة: شر ما منه سرت.

(٢٩٠) كما في حروب الردة وفي قصة مالك بن نويرة وغيرها. راجع بحار الأنوار: ج٢٩ ص٤٥٧ -٤٦١ ب١٣ بيان.

(٢٩١) كما فرض بعضهم الضرائب على الخيل وغيره.

العوض؛ لأنهم باعوا دينهم ودنياهم وأخذوا عوض ذلك فدك[٢٩٢]، كما في قول سبحانه: ﴿لبئس ما شروا به أنفسهم﴾[٢٩٣].

وفي بعضها: «وشر ما منه اعتصمتم» حيث اعتصموا بالدنيا وتركوا حبل الله الذي أمر الله بالاعتصام به وهو أمير المؤمنين علي عليه السلام قال تعالى:

﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾[٢٩٤].

(٢٩٢) كلمة (فدك) يجوز فيها أن تكون منصرفة وغيرمنصرفة.

(٢٩٣) سورة البقرة: ١٠٢.

(٢٩٤) سورة آل عمران: ١٠٣.

تحذير الطغاة

مسألة: تحذير الطغاة ومن يدور في فلكهم واجب في الجملة، والتحذير أعم من التخويف بالعذاب الأخروي والتخويف بالآثار الدنيوية.

والمراد بالمحمل: الحمل، فهو مصدر ميمي. و(الثقل): إشارة إلى عظيم ما يترتب على فعلهم من الخسران والعذاب الدنيوي والأخروي، ومن الواضح أن مطلق المحرمات محمله ثقيل، إلا أن بعضها أثقل من بعض.

فقولها عليها السلام يدل أيضاً على أن أوزار ابن أبي قحافة، وأوزار من دار في فلكه ثقيل في الآخرة.

قال تعالى: **[لِيَحمِلوا أوزارَهُم كامِلَةً يومَ القِيامَةِ وَمِن أوزارِ الذينَ يُضِلّونَهُم بِغَيرِ عِلمٍ أَلا ساءَ ما يَزِرونَ]**(٢٩٥).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «وأيما داعٍ دعا إلى ضلالة فاتبع، فإن عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزراهم شيء»(٢٩٦).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ومن استَنّ شراً فاستُنّ به فعليه وزره ومثل أوزار من اتبعه من غير منتقص من أوزارهم»(٢٩٧).

والوزر في اللغة: هو الثقل، وإنما سميت الذنوب بأنها أوزار؛ لأنها يثقل كاسبها وحاملها.

---

(٢٩٥) سورة النحل: ٢٥.

(٢٩٦) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٢٣٠ ب١٥ ح١٣٩٦١.

(٢٩٧) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٢٣٢ ب١٥ ح١٣٩٦٨.

وفي تفسير القمي: قال علي بن إبراهيم رحمه الله في قوله: [**ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم**][٢٩٨] قال: يحملون آثامهم، يعني الذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السلام وآثام كل من اقتدى بهم، وهو قول الصادق عليه السلام: «والله ما أهريقت محجمة من دم، ولا قرعت عصاً بعصا، ولا غصب فرج حرام، ولا أخذ مال من غير حله، إلا ووزر ذلك في أعناقهما[٢٩٩] من غير أن ينقص من أوزار العالمين بشيء»[٣٠٠].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ـ في حديث ـ: «ورجلان[٣٠١] أسسا ذلك لهم، وعليهما مثل جميع أوزار هذه الأمة إلى يوم القيامة»[٣٠٢].

القسم الواجب

مسألة: القسم في مثل هذا الموضع واجب إذا توقف عليه النهي عن المنكر أو تأكيده بالقدر الواجب.

وقسم الصديقة عليها السلام في هذا الموطن لدفع أدنى شبهة في صحة وصدق كلامها عليها السلام، إذ هل يعقل أن تقسم من يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها على باطل؟!

فلا شك في أن الغاصبين لفدك وللخلافة محملهم ثقيل وغبهم وبيل...

---

(٢٩٨) سورة النحل: ٢٥.

(٢٩٩) أي الأول والثاني.

(٣٠٠) تفسير القمي: ج١ ص٣٨٣ سورة النحل.

(٣٠١) أي الأول والثاني.

(٣٠٢) بحار الأنوار: ج٣١ ص٤٢٧ ب٢٧.

الغب الوبيل

مسألة: الغب الوبيل والعاقبة السوء والعذاب الأخروي لمن غصب الخلافة وفدك، ويلزم الاعتقاد بذلك وبيانه للناس.

والغبّ بالكسر: العاقبة والمستقبل، فإن مستقبل هذه المعصية الكبيرة الشديدة وبال وعقاب.

والوبال: الثقل والمكروه الشديد العظيم، ويراد به العذاب الثقيل الشديد.

أي: إن عاقبة اغتصابكم فدك والخلافة وسكوتكم على الباطل سوف يكون شديداً عليكم في الدنيا والآخرة.

ويحتمل أن يكون قولها عليها السلام: «محمله ثقيلاً» إشارة لحمله في الدنيا، و«غبه وبيلاً» إشارة لعذاب الآخرة.

ثم إن ثقل الحمل في الدنيا نفسي وجسدي وتاريخي، فإن مطلق الغاصب ـ فكيف بغاصب فدك وغاصب الخلافة ـ يعيش في أشد أنواع وخز[٣٠٣] الضمير وتأنيبه وعذاب الوجدان مما يؤثر على أعصابه وجسده، وذلك أيضاً يخلّف له سوء السمعة في الحياة وبعد الممات.

(٣٠٣) الوخز في اللغة: الطعن، وخزه بالرمح والخنجر يخزه وخزا: إذا طعنه. واستعمل في الطعن غير النافذ والنافذ معاً.

إذا كشف لكم الغطاء، وبان ما وراءه الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾(٣٠٤).

إذا كشف الغطاء

مسألة: ينبغي أن يتذكر الإنسان دائماً يوم يُكشف الغطاء فيه، ويذكّر الآخرين بذلك اليوم خاصة الظلمة وأعوانهم ليرتدعوا وليتم الحجة عليهم.

فإن كشف الغطاء يبدأ بعد الموت ويستمر في عالم البرزخ ثم يوم القيامة، حيث ينكشف العالم الآخر للإنسان ويرى الثواب والعقاب بمجرد الموت، كما قال سبحانه: ﴿**فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد**﴾(٣٠٥).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من مات فقد قامت قيامته»(٣٠٦).

وقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «فإن أحدكم إذا مات فقد قامت قيامته يرى ما له من خير أو شر»(٣٠٧).

وحدة العالمين

مسألة: قد يستظهر من قول الصديقة عليها السلام هاهنا ما ذهب إليه بعض المتكلمين، وذكرناه في موضع آخر في تفسير قوله تعالى ﴿**وإن جهنم لمحيطة بالكافرين**﴾(٣٠٨) بلحاظ أن إطلاقه يقتضي الإحاطة في الدنيا أيضاً إلاّ أن النوافذ نحوها مغلقة.

---

(٣٠٤) سورة غافر: ٧٨.

(٣٠٥) سورة ق: ٢٢.

(٣٠٦) بحار الأنوار: ج٥٨ ص٧ ب٤٢.

(٣٠٧) إرشاد القلوب: ج١ ص١٨ ب٢.

(٣٠٨) سورة التوبة: ٤٩، سورة العنكبوت: ٥٤.

فكلامها عليها السلام: «إذا كشف لكم الغطاء .. وبان... وبدا... » قد يستظهر منه وحدة العالَمين في الجملة إلا أن هنالك غطاء على الحواس قبل الممات، فالأمر ليس انتقالاً بالمعنى الدقيق بل رفع حاجز، وذلك كالأعمى الذي لا يبصر مايحيط به من أزهار وأشجار أو أشواك وأحجار، فمع امتلاكه البصر ينكشف له ماحوله ويبين ويبدو، لا أنه ينتقل لمكان آخر، وكذلك فاقد سائر الحواس بالنسبة إليها. والحديث كله في الجملة ومجرد احتمال كما لا يخفى، فلا ينفي الانتقال في مراحل لاحقة أو أزمنة كذلك[٣٠٩] بل المراد أصل احتمال أن قسماً من الأمر قد يكون برفع الحاجز.

قولها عليها السلام: «وبان ما وراءه الضرّاء»، أي: ظهر لكم الضرّاء ورأيتم العذاب بعدما انكشف الغطاء.

عذاب الآخرة

مسألة: يظهر من قول الصديقة عليها السلام: «وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون»، أن عذاب الآخرة فوق كل ما يتخيل أو يتعقل في أقصى درجاتهما كماً وكيفاً، ويظهر أنها عليها السلام أخبرت بأن عذاب القوم فوق ما يتصور.. وكذلك الراضي بفعلهم، والساكت عن جرمهم في الأزمنة اللاحقة، لوحدة الملاك مع الساكتين ذلك الزمن، أو للإطلاق كما أشرنا آنفاً.

وقولها عليها السلام: «وبدا لكم...» اقتباس من الآية الكريمة: ﴿**وَبَدَا لَهُم مِنَ اللهِ مَا لَم يَكُونُوا يَحتَسِبُونَ**﴾[٣١٠].

(٣٠٩) أي لاحقة.

(٣١٠) سورة الزمر: ٤٧.

محطة الخسارة الكبرى

مسألة: إن القوم ـ وعلى رأسهم من غصب الخلافة وفدك ـ مبطلون وخاسرون، حيث قالت الصديقة الطاهرة عليها السلام: «وخسر هنالك المبطلون» وهي الآية المباركة من سورة غافر[٣١١]، والمراد بالمبطلين: الذين يستبدلون الحق بالباطل؛ فإن القوم أبطلوا الحق في فدك والخلافة وجعلوا مكانه الباطل.

ومن السر في قوله: **[هنالك]** أي يوم القيامة مع أن المبطلين يخسرون في الدنيا أيضاً، هو أن (الخسارة الحقيقية) والمصداق الأجلى لها هو هنالك، فإن خسارة المبطلين وإن كانت دنيوية أيضاً لكنها قد لا تتحقق ولا تظهر بشكل كامل كيفاً ودائمٍ زمناً في الدنيا، وإنما تتحقق وتظهر في الآخرة كيفا وكماً لجميع الناس.

قال تعالى: ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**﴾[٣١٢].

وفي الدعاء: «ولا تفضحني على رؤوس الأشهاد»[٣١٣]؛ لأن الأعمال تنكشف بشكل كامل أمام الناس في الآخرة، قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ**﴾[٣١٤].

بين الوحدة والسكوت عن الحق

مسألة: يجب بيان أن القوم كانوا مبطلين وأنهم في الآخرة من الخاسرين، وأنهم سيجدون محمل عملهم ثقيلاً وعاقبته وبيلاً و...، ولا ينبغي الإصغاء لمن

.....

---

(٣١١) سورة غافر: ٧٨.

(٣١٢) سورة غافر: ٥١.

(٣١٣) العدد القوية: ص٢٤ اليوم الخامس عشر.

(٣١٤) سورة الطارق: ٩.

يردع عن ذلك بدعوى أنه مخل بالوحدة إذ:

أولا: لا تعني (الوحدة) عدم البحث والحوار والدفاع عن المعتقد، بل تعني (التنسيق والتعاون) في قبال العدو المشترك وفي نقاط الاشتراك، بل إن الوحدة المبنية على فتح باب الحوار بحرية تامة ستكون أعمق وأوثق، وستدفع نحو التقارب الثقافي والفكري أكثر فأكثر، وغيرها ليس أكثر من تظاهر ونفاق عادةً، وبعبارة أخرى ينبغي أن تتكامل قيمة الوحدة مع قيمة الحرية لا أن تلغيها.

وثانيا: لو صح ذلك لكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أول مخل للوحدة عندما عيّن أمير المؤمنين علياً عليه السلام، وأخذ يؤكد على مناقبه وخلافته ـ وهو يعلم بأن العديد سوف لا يستجيبون؛ لأن بينهم وبينه ثارات بدر وحنين، ولغير ذلك ـ.

وثالثا: نفس كلام الصديقة عليها السلام هذا وسائر ما احتجت به عليهم، دليل على أن الوحدة المطلوبة لا يصح أن تمنع الإنسان عن بيان معتقده ورأيه.

ورابعا: لا يمكن إهمال مثل: «الساكت عن الحق شيطان أخرس»[٣١٥]، وأدلة النهي عن المنكر، وتنبيه الغافل وإرشاد الجاهل وما إلى غير ذلك، وتفصيل الكلام في محله.

ومن الواضح أن الوحدة لا تشمل المعتقدات، بل تشمل ـ في الجملة ـ الأمور السياسية وما شابهها بحسب الموازين الشرعية.

---

(٣١٥) في غرر الحكم ودرر الكلم: ص٧٠ ق١ ب١ ف١٤ قولوا بالحق ولا تمسكوا عن إظهاره ح٩٩١: «لا خير في السكوت عن الحق، كما أنه لا خير في القول بالجهل».

محورية قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

مسألة: يستحب العطف على قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مطلقاً [٣١٦]، كما يستحب العطف على قبور الأنبياء والأوصياء والصلحاء عليهم السلام مطلقاً، وذلك للأدلة الكثيرة العقلية والنقلية المذكورة في مظانها، ومنها[٣١٧]:

لجريان سيرة الصديقة الطاهرة عليها السلام على زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله.. ومن قبله زيارة قبر عمها حمزة عليه السلام[٣١٨] في أحد.

مضافاً إلى عطفها عليها السلام في هذا الموطن على قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ فإن الفعل وإن قالوا بأنه لا جهة له إلا أنه باحتفافه بالقرائن ـ كالمقام ـ يفيد الرجحان.

ولما ورد من أن السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مماته كالسلام عليه في حياته صلى الله عليه وآله وسلم[٣١٩] وفيه نفس الأجر والثواب[٣٢٠]. ولما ورد من فضل زيارة القبور مطلقاً[٣٢١].

ولما ورد من أن الإمام السجاد (صلوات الله عليه) وضع خده على قبر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في (زيارة أمين الله) المباركة[٣٢٢].

---

(٣١٦) أي سواء للمظلوم وغيره، لطلب الشفاعة في قضاء الحوائج وعدمه، بل مجرد الزيارة والعطف نحو القبر الشريف مستحب في ذاته.

(٣١٧) بعض الأدلة الآتية بتنقيح المناط والملاك وبعضها بالإطلاق.

(٣١٨) مستدرك الوسائل: ج٢ ص٣٦٥ ب٤٦ ح٢٢٠٣.

(٣١٩) راجع وسائل الشيعة: ج١٤ ص٣٤٠ ب٥.

(٣٢٠) راجع بحار الأنوار: ج٩٧ ص١٨١ ب٣.

(٣٢١) راجع بحار الأنوار: ج٩٧ ص١١٦ ب٢.

(٣٢٢) راجع وسائل الشيعة: ج١٤ ص٣٩٥ ب٣٠ ح١٩٤٥١.

إضافة إلى أن كل ذلك يزيد من محورية الرسل والأوصياء عليهم السلام والتأسي بهم (صلوات الله عليهم)، وغير خفي ما لذلك من التأثير الكبير على إصلاح الفرد والمجتمع، وبعثه نحو كل معاني الخير والصلاح.. ومن هنا يعلم السر الشيطاني والحقد الكبير والمغزى الخبيث الكائن وراء الدعوة إلى هدم قبورهم[٣٢٣] عليهم السلام، أو تحريم قصدهم والصلاة عندهم، أو نقل الجنائز إليهم وما أشبه ذلك، فإنهم أرادوا بذلك القضاء على قيم الإسلام وتعاليمه.

قال تعالى: **[يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ]**[٣٢٤].

زيارتها عليها السلام لقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقبر حمزة وقبور الشهداء

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «عاشت فاطمة عليها السلام بعد أبيها خمسةً وسبعين يوماً لم تُرَ كاشرةً ولا ضاحكة، تأتي قبور الشهداء في كل جمعة مرتين الاثنين والخميس، فتقول: هاهنا كان رسول الله صلى الله عليه وآله، هاهنا كان المشركون»[٣٢٥].

---

(٣٢٣) في صبيحة يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر محرم الحرام عام ١٤٢٧هـ المصادف للعشرين من شهر شباط عام ٢٠٠٦م قام الإرهابيون التكفيريون بالاعتداء الآثم على مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام في مدينة سامراء المقدسة، حيث قاموا بزرع العبوات الناسفة والمتفجرات في جميع أنحاء المرقد الشريف ومن ثم تفجيره وتدميره بالكامل مؤكدين حقدهم وعدائهم لآل البيت عليهم السلام مقتدين بأسلافهم الوهابيين في هدم قبور أئمة البقيع عليهم السلام، ولكن هيهات هيهات أن يتم لهم ما أرادوه، فهذه سنة الله جارية في خلقه بأن الأرض يورثها عباده الصالحون ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

(٣٢٤) سورة التوبة: ٣٢.

(٣٢٥) الكافي: ج٣ ص٢٢٨ باب زيارة القبور ح٣.

وفي رواية أخرى: عن أبي عبد الله عليه السلام: «أنها عليها السلام كانت تصلي هناك وتدعو حتى ماتت» عليها السلام[٣٢٦]. وعن يونس، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن فاطمة عليها السلام كانت تأتي قبور الشهداء في كل غداة سبت، فتأتي قبر حمزة عليه السلام وتترحم عليه وتستغفر له»[٣٢٧].

وعن محمد بن المفضل، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «جاءت فاطمة عليها السلام إلى سارية في المسجد وهي تقول وتخاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم يكثر الخطب

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فأشهدهم ولا

[٣٢٨]

السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمعصومين عليهم السلام بعد مماتهم

عن الحسن بن علي الوشاء، قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: «إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائهم وشيعتهم، وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً لما رغبوا فيه، كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة»[٣٢٩].

وعن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من زارني حياً وميتاً كنت له شفيعاً يوم القيامة»[٣٣٠].

---

(٣٢٦) الكافي: ج٤ ص٥٦١ باب إتيان المشاهد وقبور الشهداء ح٣.

(٣٢٧) وسائل الشيعة: ج٣ ص٢٢٤ ب٥٥ ح٣٤٦٨.

(٣٢٨) بحار الأنوار: ج٤٣ ص١٩٥ -١٩٦ ب٧ ح٢٥.

(٣٢٩) تهذيب الأحكام: ج٦ ص٧٨ -٧٩ ب٢٦ ح٣، والتهذيب: ج٦ ص٩٣ ب٤٣ ح٢.

(٣٣٠) قرب الإسناد: ص٣١.

وعن ياسر الخادم، قال: قال علي بن موسى الرضا عليه السلام: «لا تشد الرحال إلى شيء من القبور إلا إلى قبورنا، ألا وإني مقتول بالسُم ظلماً ومدفون في موضع غربة، فمن شد رحله إلى زيارتي استجيب دعاؤه وغفر له ذنوبه»(٣٣١).

وفي حديث الأربعمائة قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «أتموا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجكم إذا خرجتم إلى بيت الله؛ فإن تركه جفاء وبذلك أمرتم، وأتموا بالقبور التي ألزمكم الله عزوجل حقها وزيارتها، واطلبوا الرزق عندها»(٣٣٢).

وعن أبي حجر الأسلمي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أتى مكة حاجاً ولم يزرني إلى المدينة جفوته يوم القيامة، ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة، ومن مات في أحد الحرمين مكة والمدينة لم يعرض ولم يحاسب، ومن مات مهاجراً إلى الله عزوجل حشر يوم القيامة مع أصحاب بدر»(٣٣٣).

وقال الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أبتاه، ما جزاء من زارك؟. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا بني، من زارني حياً أو ميتاً، أو زار أباك، أو زار أخاك، أو زارك، كان حقاً عليَّ أن أزوره يوم القيامة وأخلصه من ذنوبه»(٣٣٤).

---

(٣٣١) وسائل الشيعة: ج١٤ ص٥٦٢ ب٨٤ ح١٩٨٢٨.

(٣٣٢) الخصال: ج٢ ص٦١٦ علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه في مجلس واحد أربعمائة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه ح١٠.

(٣٣٣) الكافي: ج٤ ص٥٤٨ باب زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ح٥.

(٣٣٤) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٥٧٧ باب ثواب زيارة النبي والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) ح٣١٥٩.

وروي عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام أنه قال: «من زار جعفراً وأباه عليهما السلام لم يشتك عينه، ولم يصبه سقم، ولم يمت مبتلى»(٣٣٥).

وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «من زارني غفرت له ذنوبه، ولم يمت فقيراً»(٣٣٦). وعن الحسن بن محمد القمي، قال: قال لي الرضا عليه السلام: «من زار قبر أبي عليه السلام ببغداد كان كمن زار قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقبر أمير المؤمنين عليه السلام، إلا أن لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين عليه السلام فضلهما»(٣٣٧). إلى غير ذلك مما حث على زيارتهم ودل على أنهم عليهم السلام أحياء عند ربهم يرزقون ولا فرق بين حيهم وميتهم.

زيارة القبور

وهناك الروايات الكثيرة من الفريقين على استحباب زيارة مطلق القبور، نشير إلى بعضها من مصادرنا:

عن أبي عبد الله عليه السلام ـ في زيارة القبور ـ قال: «إنهم يأنسون بكم، فإذا غبتم عنهم استوحشوا»(٣٣٨).

وعن إسحاق بن عمار، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: قلت له: المؤمن يعلم بمن يزور قبره؟. قال: «نعم، ولا يزال مستأنساً به ما دام عند قبره، فإذا قام وانصرف من قبره دخله من انصرافه عن قبره وحشة»(٣٣٩).

---

(٣٣٥) تهذيب الأحكام: ج٦ ص٧٨ ب٢٦ ح٢.

(٣٣٦) بحار الأنوار: ج٩٧ ص١٤٥ ب ١ ح٣٤.

(٣٣٧) وسائل الشيعة: ج١٤ ص٥٤٥ ب٨٠ ح١٩٧٨٧.

(٣٣٨) وسائل الشيعة: ج٣ ص٢٢٢ ب٥٤ ح٣٤٦٤.

(٣٣٩) الكافي: ج٣ ص٢٢٨ باب زيارة القبور ح٤.

وعن عمرو بن أبي المقدام، قال: مررت مع أبي جعفر عليه السلام بالبقيع، فمررنا بقبر رجل من أهل الكوفة من الشيعة قال: فوقف عليه عليه السلام فقال: «اللهم ارحم غربته، وصل وحدته، وآنس وحشته، وأسكن إليه من رحمتك ما يستغني بها عن رحمة من سواك، وألحقه بمن كان يتولاه»[٣٤٠].

العطف على قبور الأولياء عليهم السلام

وقد ورد في الزيارات:

ثم انكب على القبر وقل: «السلام عليك يا حجة الله وابن حجته...»[٣٤١].

ثم انكب على الضريح فقبّله وقل: «يا ولي الله إن بيني وبين الله عزوجل ذنوباً كثيرة لا يأتي عليها إلا رضى الله ورضاكم، فبحق من ائتمنكم على سره، واسترعاكم أمر خلقه، وقرن طاعتكم بطاعته، وموالاتكم بموالاته، لما استوهبتم ذنوبي، وكنتم شفعائي إلى الله تعالى...»[٣٤٢].

ثم انكب على قبره وقال: «بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين يا حجة الخصام، بأبي أنت وأمي يا باب المقام...»[٣٤٣].

ثم انكب على القبر وقل: «اللهم لرحتمك تعرضت، وبإزاء قبر أخي

---

(٣٤٠) الكافي: ج٣ ص٢٢٩ باب زيارة القبور ح٦.

(٣٤١) ورد ذلك في زيارة مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام. راجع تهذيب الأحكام: ج٦ ص٦١ ب١٨ ح١.

(٣٤٢) مستدرك الوسائل: ج١٠ ص٤٢٥ ب٨٦ ح١٢٢٧٤.

(٣٤٣) فرحة الغري: ص٩٥ ب٦.

نبيك وقفت، عائذاً به من النار، فأعذني من نقتمك وسخطك... »[٣٤٤].

.....

ثم انكب على القبر فقبّله وقل: «سلام الله وسلام ملائكته المقربين والمسلمين لك بقلوبهم يا أمير المؤمنين... »[٣٤٥].

ثم اعطف على علي بن الحسين عليه السلام وهو عند رجل الحسين عليه السلام وقل: «السلام عليك يا ابن رسول الله... »[٣٤٦].

إلى غيرها وغيرها.

رواية صفوان الجمال

وفي رواية صفوان دلالات على ما ذكرناه من استحباب العطف على قبور المعصومين عليهم السلام وزيارتهم والتوسل بهم وبيان بعض ثوابها، إلى غيرها من الروايات الكثيرة الكثيرة وقد نقلنا بعضها في كتاب (الدعاء والزيارة)[٣٤٧].

---

(٣٤٤) بحار الأنوار: ج٩٧ ص٣٠٠ ب٤ ح٢١.

(٣٤٥) بحار الأنوار: ج٩٧ ص٣٠٦ ب٤ ح٢٣.

(٣٤٦) بحار الأنوار: ج٩٨ ص٣٥٤ ب٣٠ ح١.

(٣٤٧) من تأليفات الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) في كربلاء المقدسة، وانتهى سماحته حفظه الله من تأليفه ليلة ٦رمضان المبارك١٣٧٥هـ. يقع الكتاب في ١٠٧٢ صفحة قياس ٢٤×١٧، وقد تناول (أعلى الله مقامه) فيه الأدعية والصلوات والزيارات، التعقيبات المشتركة والمختصة، أدعية الصباح والمساء، أدعية أيام الأسبوع، النوافل اليومية والصلوات المستحبة، جملة من الأدعية المأثورة كدعاء الصباح وكميل والعشرات والاحتجاب والسمات والاعتقاد والعلوي المصري والمشلول ويستشير والحرز اليماني والمجير والجوشن الكبير والصغير ومكارم الأخلاق وأدعية أخرى، الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، أدعية للحوائج، أعمال السنة وملحقاتها، أعمال شهر رجب، أعمال شهر شعبان، أعمال شهر رمضان، أعمال شهر شوال، أعمال ذي القعدة، أعمال ذي الحجة، أعمال شهر محرم، أعمال شهر صفر الخير، أعمال شهر ربيع الأول، أعمال شهر ربيع الثاني، أعمال شهر جمادى الأولى، أعمال

في (إرشاد القلوب): عن صفوان الجمال، قال: لما وافيت مع مولاي جعفر بن محمد الصادق عليه السلام الغري يريد أبا جعفر المنصور. قال لي: «يا صفوان، أنخ الناقة؛ فإن هذا حرم جدي أمير المؤمنين »عليه السلام. فأنختها، فنزل واغتسل وغير ثوبه وتحفى، وقال لي: «افعل مثل ما أفعل».

ففعلت، ثم أخذ نحو الذكوات وقال لي: «قصّر خطاك وألق عينيك إلى الأرض؛ فإن لك بكل خطوة مائة ألف حسنة، وتمحى مائة ألف سيئة، وترفع لك مائة ألف درجة، وتقضى لك مائة ألف حاجة، ويكتب لك ثواب كل صديق وشهيد مات أو قتل».

شهر جمادى الآخرة، أعمال وآداب متفرقة، أعمال يوم النيروز، أعمال شهر نيسان، آداب السفر، آداب الزيارة، زيارة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ملحقات زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، زيارة فاطمة الزهراء عليها السلام، زيارة أئمة البقيع عليهم السلام، سائر الزيارات في المدينة المنورة، زيارة أمير المؤمنين عليه السلام، أعمال مسجد الكوفة، زيارة قبر مسلم بن عقيل وهاني بن عروة رضي الله عنهما، أعمال مسجد السهلة، عمل مسجد زيد ومسجد صعصعة ومسجد الجعفي ومسجد بني كاهل ومسجد غني، زيارة الإمام الحسين عليه السلام، زيارة الناحية المقدسة، التبرك بتربة الحسين عليه السلام، زيارة الكاظمين عليهما السلام، فضل مسجد براثا، زيارة النواب الأربعة رضي الله عنهم، زيارة سلمان الفارسي رضي الله عنه، زيارة الإمام الرضا عليه السلام، زيارة السيد محمد عليه السلام، زيارة الإمامين العسكريين عليهما السلام، زيارة أم القائم عليها السلام، زيارة السيدة حكيمة عليها السلام، زيارة الإمام المهدي عجل الله فرجه، دعاء العهد، دعاء الندبة، الزيارات الجامعة الكبيرة، زيارة المعصومين عليهم السلام، الزيارة بالنيابة عن الغير، زيارة السيدة زينب الكبرى عليها السلام، زيارة بيت المقدس، زيارة الأنبياء عليهم السلام، زيارة أولاد الأئمة عليهم السلام، زيارة فاطمة المعصومة عليها السلام، زيارة العلماء والمؤمنين، حديث الكساء، رقاع الحاجة و... وقد طبع عدة مرات منها: طبعة مؤسسة البلاغ، بيروت عام ١٤١٤. وطبعة مؤسسة الفكر الإسلامي بيروت عام ١٤١٥هـ. وطبعة مكتبة الألفين، الكويت. وطبع في إيران، باللغتين العربية والفارسية. كما أعادت طبعه مؤسسة الفكر الإسلامي قم المقدسة عام ١٤٠٨ هـ باللغتين العربية والفارسية، بخط محمود اشرفي تبريزي. وقد ترجمه آية الله الشيخ اختر عباس النجفي إلى اللغة الأردية تحت عنوان (مفاتيح الجنان جديد)، ويقع في ١٠٦٩ صفحة قياس ٢٤×١٧، وقامت بطبعه إدارة نشر معارف إسلامي لاهور باكستان، ومؤسسة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لاهور باكستان.

ثم مشى ومشيت معه حافياً وعلينا السكينة نسبح الله ونقدسه ونهلله إلى أن بلغنا القبر، فوقف عليه ونظر يمنة ويسرة وخط بعكازته، وقال لي: «اطلب». فطلبت فإذا أثر القبر في الخط، ثم أرسل دمعة وقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون». ثم قال:

«السلام عليك أيها الوصي البر التقي، السلام عليك أيها النبأ العظيم، السلام عليك أيها الصديق الشهيد، السلام عليك أيها الرضي الزكي، السلام عليك يا وصي رسول رب العالمين، السلام عليك يا خيرة الله من الخلائق أجمعين، أشهد أنك حبيب الله وخاصة الله وخالصته، السلام عليك يا ولي الله، وموضع سره، وعيبة علمه، وخازن وحيه».

ثم انكب عليه السلام على القبر الشريف، وقال: «بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين، بأبي أنت وأمي يا نور الله التام، أشهد أنك قد بلغت عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ما حملت، ورعيت ما استحفظت، وحفظت ما استودعت، وحللت حلال الله، وحرمت حرام الله، وأقمت أحكام الله، ولم تتعد حدود الله، وعبدت الله مخلصاً حتى أتاك اليقين، صلى الله عليك وعلى الأئمة من بعدك».

ثم قام عليه السلام فصلّى ركعتين عند الرأس الكريم، ثم قال: «يا صفوان، من زار أمير المؤمنين بهذه الزيارة وصلّى بهذه الصلاة، رجع إلى أهله مغفوراً ذنبه، مشكوراً سعيه، وكتب له ثواب كل من زاره من الملائكة المقربين، وأنه ليزوره في كل ليلة سبعون قبيلة من الملائكة».

قلت: وكم القبيلة؟. قال: «مائة ألف».

ثم خرج القهقرى وهو يقول: «يا جداه، يا سيداه، يا طيباه، يا ظاهراه، لا جعله الله تعالى آخر العهد من زيارتك، ورزقني العود إليك، والمقام في حرمك، والكون معك ومع الأبرار من ولدك، صلى الله عليك وعلى الملائكة المحدقين بك». فقلت: يا سيدي أ تأذن لي أن أخبر أصحابك من أهل الكوفة؟. فقال: «نعم». وأعطاني دراهم فأصلحت القبر[٣٤٨].

التجاء المظلومين للرسول صلى الله عليه وآله وسلم

مسألة: يستحب عطف المظلوم على قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقصده والالتجاء إليه والتوسل به، وكذلك سائر مراقد الأنبياء والأئمة والأولياء عليهم السلام، وهذا مصداق من مصاديق ذلك الأمر العام؛ فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مماته كما هو في حياته، حيّ عند ربه يُرزق، يسمع الكلام ويرد الجواب[٣٤٩]، ويتمكن من الدعاء للمظلوم والشفاعة له حتى يرفع الله ظلامته.

ويعتبر هذا البحث من العقائد الإسلامية المسلّمة، وقد تحدث عنه العلماء في كتب أصول الدين في بحث الشفاعة والتوسل إلى الله بأوليائه الطاهرين.

شمولية الاستحباب

مسألة: لا يختص استحباب العطف على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وزيارته والالتجاء إليه والتوسل به وكذلك الأولياء المعصومين عليهم السلام بالظلم الشخصي الفردي، بل هو أعم منه ومن الظلم النوعي على أمة، ومن ذلك يعلم رجحان تشكيل

(٣٤٨) إرشاد القلوب: ج٢ ص٤٤١ وفي فضل زيارته عليه السلام ومما جاء من الأخبار والآثار.

(٣٤٩) راجع وسائل الشيعة: ج١٤ ص٣٣٧ ب٤.

لجان وهيئات تهتم بإرسال المظلومين في مجاميع إلى مراقد المعصومين عليهم السلام.. وكذلك حال المسيرات الجماهيرية الراجلة وغيرها نحو مراقدهم الشريفة عند نزول بلاء عام كحاكم جائر أو فقر أو غلاء أو مرض عام أو ما أشبه..

وقد يلزم كل ذلك على حسب تشخيص الفقيه أو شورى الفقهاء المراجع، وما أحوجنا اليوم إلى مثل هذه التضرعات والتوسلات.

قبر الوالدين

مسألة: يستحب عطف البنت على قبر أبيها مطلقاً، وهكذا الابن، وكذلك قبر الأم، على ما يستفاد من الروايات.

وهذا أيضاً مصداق آخر للكليات الواردة، إضافة إلى أنه تأسٍ بالصديقة الطاهرة (صلوات الله عليها)، فإن عطف البنت أو الولد على قبر الأب أو الجد مما يندب إليه، خصوصاً إذا كان الأب من أولياء الله الصالحين.

نعم ربما يستثنى من استحباب ذلك قبر الكافر والمنافق، وربما كان محرماً في بعض المصاديق، قال سبحانه: ﴿وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾(٣٥٠).

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «زوروا موتاكم؛ فإنهم يفرحون بزيارتكم، وليطلب أحدكم حاجته عند قبر أبيه وعند قبر أمه بما يدعو لهما»(٣٥١).

---

(٣٥٠) سورة التوبة: ٨٤.

(٣٥١) الكافي: ج٣ ص٢٢٩ -٢٣٠ باب زيارة القبور ح١٠.

من هندسة المسجد النبوي

تقول السيدة زينب عليها السلام راوية هذه الخطبة الشريفة:

(ثم عطفت ـ أي الصديقة الطاهرة عليها السلام ـ على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

حيث كانت الخطبة في المسجد النبوي الشريف، وقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ملاصق للمسجد؛ لأن القبر الطاهر كان في بيت أمير المؤمنين علي وفاطمة (عليهما الصلاة والسلام) حيث كانت وفاته صلى الله عليه وآله وسلم في نفس البيت ودفن هناك، كما جاء ذلك في جملة من الأحاديث التي رواها العامة والخاصة بأنه صلى الله عليه وآله وسلم توفي في بيت فاطمة عليها السلام.

فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما بنى مسجده بنى حوله بيوتاً صغاراً لنفسه وأزواجه وفاطمة عليها السلام وزوجها عليه السلام ولأصحابه، وكان من هندسة البيوت أن جعل لكل بيت من تلك البيوتات بابين، باباً إلى المسجد وباباً في الطرف الآخر إلى الشارع، ولما جاء الأمر الإلهي بسد الأبواب كلها إلاّ باب علي وفاطمة (صلوات الله عليهما) بقي لبيت علي وفاطمة عليها السلام بابان، أما سائر البيوت فلم يبق لها إلا باب واحد إلى الشارع، والقوم عندما هجموا على دار فاطمة وخرجوا بعلي (عليه الصلاة والسلام) إلى المسجد جاءوا به من الباب الذي في الشارع لا الباب الذي كان إلى المسجد.

وقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنتَ شاهدها لم تكثر الخطب

الشعر عند قبر النبي ﷺ

مسألة: يستحب إنشاد مثل هذا الشعر وإنشاؤه على قبر النبي ﷺ.

فإن الشعر المكروه هو الشعر الذي ليس بحق، أما شعر الحق فهو بين مستحب ومباح ولربما وجب، ولذا كان لرسول الله ﷺ شاعر اسمه حسان[٣٥٢].

---

(٣٥٢) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار. كنيته: أبو الوليد، ويقال: أبو الحسام. وهو من الأنصار ومن قبيلة الخزرج. عاش في الجاهلية فقصد ملوك المناذرة والغساسنة ومدحهم ونال جوائزهم، ثم أدرك الإسلام فأسلم وأصبح شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه. كان النبي ﷺ يضع له منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً ينافح عن رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يقول: «إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن رسول الله ﷺ». ويروى أن عمر مر بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظه. فقال حسان: قد كنت أنشد فيه وفيه خير منك. قال: صدقت. لم يشهد مع النبي ﷺ مشهداً وكان يجبن، يقول ابن الكلبي: كان حسان لسناً شجاعاً فأصابته علة أحدثت فيه الجبن. ولما كان يوم الأحزاب، قال النبي ﷺ: «من يحمي أعراض المسلمين؟». قال كعب بن مالك: أنا. وقال ابن رواحة: أنا. وقال حسان: أنا. فقال ﷺ: نعم، اهجهم أنت وسيعينك عليهم روح القدس». وعن عائشة: إن النبي ﷺ، قال: «اهج قريشاً؛ فإنه أشد عليهم من رشق النبل». ويروى أنه قيل لابن عباس: قدم حسان اللعين!. فقال ابن عباس: ما هو بلعين، قد جاهد مع رسول الله ﷺ بنفسه ولسانه. وعن أم عروة بنت جعفر بن الزبير بن العوام، عن أبيها، عن جدها، قال: لما خلف رسول الله ﷺ نساءه يوم أحد، خلفهن في فارع وفيهن صفية بنت عبد المطلب، وخلف فيهن حسان. فأقبل رجل من المشركين ليدخل عليهن. فقالت صفية لحسان: عليك الرجل. فجبن وأبى عليها ـ وفي رواية أخرى ـ أنه قال: لو كان ذاك فيَّ لكنت مع رسول الله ﷺ. فتناولت السيف فضربت به المشرك حتى قتلته، ثم قطعت رأسه وقالت لحسان: قم فاطرحه على اليهود وهم تحت الحصن. قال: والله ما ذاك فيَّ. ـ وفي رواية أخرى ـ أنها قالت لحسان: قم فاسلبه؛ فإني امرأة

وكان أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام) ينشئ الشعر بنفسه كما في ديوانه المنسوب إليه[٣٥٣].

وكذلك بعض الأئمة الطاهرين عليهم السلام كانوا ينشئون الأشعار[٣٥٤].

وهو رجل. فقال: ما لي بسلبه يا بنت عبد المطلب من حاجة. فأخذت رأسه فرميت به عليهم. فقالوا: قد علمنا والله إن هذا لم يكن ليترك أهله خلوفاً ليس معهم أحد، فتفرقوا. كف بصره آخر عمره بعدما عاش مائة ونيفاً من السنين، توفي سنة أربع وخمسين، وقيل: سنة أربعين. وقيل: زمن معاوية.

(٣٥٣) (ديوان أمير المؤمنيني عليه السلام) وهو يشمل أشعاراً منسوبة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومتضمنة لمضامين الروايات والآيات القرآنية، كما وتشمل المباحث الأخلاقية والعقائدية والحماسية. وقد رتبت أشعار هذا الديوان على ترتيب حروف الهجاء وتبتدئ قوافي الأشعار من «الألف» وتنتهي بـ «الياء». وبعض هذه الأشعار غير صادرة عن الإمام عليه السلام؛ فإنه عليه السلام أنشد بعضها جواباً لآخرين. يقول العلامة الشيخ آقا بزرك الطهراني رحمه الله: بأن الديوان المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام جمع من قبل قطب الدين الكيدري شارح (نهج البلاغة)، وهو الشيخ أبو الحسن محمد بن الحسن البيهقي النيشابوري من تلامذة المرحوم الطبرسي، جمع هذه الأشعار على أساس ما جمعه أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الفنجكردي النيشابوري المتوفى سنة ٥١٣هـ. إن النسخة الموجودة والمطبوعة من ديوان الإمام عليه السلام قريبة من النسخة التي جمعها ودونها قطب الدين الكيدري إلا أن في هذه النسخة قد حذفت المصادر والأسانيد لهذه الأشعار، علماً بأن أقدم نسخة من الكتاب جمعها ابن أحمد عبد العزيز الجلودي المتوفى سنة ٣٣٢ باسم (شعر علي عليه السلام). ترجم هذه الأشعار إلى الشعر الفارسي وشرحها الحسين بن معين الدين الميبدي من كبار علماء السنة سنة ٨٩٠هـ. لقد جمع هذا الديوان وشرحه سبعة عشر شخصاً وربما أكثر، وتوجد ما يقارب من ثلاثين نسخة من الديوان وشرحه في المكتبات العامة لمدينتي مشهد وقم في إيران.

(٣٥٤) مثل شعر الإمام الهادي عليه السلام عندما أحضره المتوكل العباسي وطلب منه أن ينشده الشعر، فأنشده عليه السلام:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فلم تنفعهم القلل

واستنزلوا بعد عز من معاقلهم وأسكنوا حفرا يا بئسما نزلوا

والإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام) في كربلاء أنشأ الشعر مكرراً [٣٥٥].
وهكذا أنشأه جملة من الصالحين بحضور الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) [٣٥٦].

ناداهم صارخ من بعد دفنهم أين الأساور والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم تلك الوجوه عليها الدود تقتتل
قد طال ما أكلوا دهرا وقد شربوا وأصبحوا اليوم بعد الأكل قد أكلوا

قال: فبكى المتوكل حتى بلت لحيته دموع عينيه وبكى الحاضرون. راجع بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢١١ -٢١٢ ب٤ ضمن ح٢٥.

(٣٥٥) مثل قوله عليه السلام:

يا دهر أف لك من خليل كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب وطالب قتيل والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل وكل حي سالك سبيل

وقوله عليه السلام مخاطباً ابنته سكينة عليها السلام:

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي منك البكاء إذا الحمام دهاني
لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة ما دام مني الروح في جثماني
وإذا قتلت فأنتِ أولى بالذي تأتينه يا خيرة النسوان

راجع المناقب ج٤ ص٩٩ و١٠٩ فصل في مقتله عليه السلام.

(٣٥٦) مثل قصيدة الفرزق الميمية في مدح الإمام زين العابدين عليه السلام والتي قالها في حضور هشام الأموي الذي تظاهر بعدم معرفته بالإمام عليه السلام في قصة معروفة لدى الكعبة المشرفة، وكذلك قصيدة دعبل الخزاعي التائية والتي قالها في محضر الإمام الرضا عليه السلام فأكرمه الإمام عليه السلام، وغير ذلك مما هو كثير ضمته كتب التاريخ والأدب.

وغير خفي أن هذه الأشعار ـ التي قالتها الصديقة عليها السلام ـ بكل كلماته حجة، سواء كانت إنشاءً منها عليها السلام أو إنشاداً [٣٥٧].

خطاب المعصومين عليهم السلام

مسألة: ينبغي أن يخاطب الإنسان النبي صلى الله عليه وآله والأئمة والأولياء عليهم السلام بعد مماتهم كما يخاطبهم حال حياتهم، كما خاطبت الصديقة الزهراء عليها السلام أباها صلى الله عليه وآله من حيث الاطمئنان بأنه صلى الله عليه وآله يسمع الكلام ويرى المقام ويرد الجواب، إذ إنهم ﴿**أحياء عند ربهم يرزقون**﴾ [٣٥٨].

وقد ورد الأمر بهذا الخطاب كما في الزيارات المأثورة:

جاء في الزيارة الجامعة للأئمة المعصومين عليهم السلام ما نصه: «وَأَشْهَدُ أَنَّكُمُ الأَئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ، الْمَعْصُومُونَ الْمُكَرَّمُونَ، الْمُقَرَّبُونَ الْمُتَّقُونَ، الصَّادِقُونَ الْمُصْطَفَوْنَ، الْمُطِيعُونَ لِلَّهِ، الْقَوَّامُونَ بِأَمْرِهِ، الْعَامِلُونَ بِإِرَادَتِهِ، الْفَائِزُونَ بِكَرَامَتِهِ، اصْطَفَاكُمْ بِعِلْمِهِ، وَارْتَضَاكُمْ لِغَيْبِهِ، وَاخْتَارَكُمْ لِسِرِّهِ، وَاجْتَبَاكُمْ بِقُدْرَتِهِ، وَأَعَزَّكُمْ بِهُدَاهُ، وَخَصَّكُمْ بِبُرْهَانِهِ، وَانْتَجَبَكُمْ بِنُورِهِ، وَأَيَّدَكُمْ بِرُوحِهِ، وَرَضِيَكُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ، وَحُجَجاً عَلَى بَرِيَّتِهِ، وَأَنْصَاراً لِدِينِهِ، وَحَفَظَةً لِسِرِّهِ، وَخَزَنَةً لِعِلْمِهِ، وَمُسْتَوْدَعاً لِحِكْمَتِهِ، وَتَرَاجِمَةً لِوَحْيِهِ، وَأَرْكَاناً لِتَوْحِيدِهِ، وَشُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَعْلاَماً لِعِبَادِهِ، وَمَنَاراً فِي بِلاَدِهِ، وَأَدِلاَّءَ عَلَى

.....

---

(٣٥٧) حيث قال بعض: بأن البيتين الأوليين من باب التمثيل وهما لهند بنت أثاثة، وباقي الأبيات مما أنشأتها الصديقة عليها السلام.

(٣٥٨) سورة آل عمران: ١٦٩.

صِرَاطِهِ، عَصَمَكُمُ اللَّهُ مِنَ الزَّلَلِ، وَآمَنَكُمْ مِنَ الْفِتَنِ، وَطَهَّرَكُمْ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَطَهَّرَكُمْ تَطْهِيراً»[٣٥٩].

وجاء في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام ما نصه: «السلام عليك يا أمير المؤمنين، أنا عبدك وابن عبدك وابن أمتك، جئتك زائراً لائذاً بحرمك، متوسلاً إلى الله بك في مغفرة ذنوبي كلها، متضرعاً إلى الله تعالى وإليك لمنزلتك عند الله، عارفاً عالماً إنك تسمع كلامي وترد سلامي، لقوله تعالى: **[ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون]**[٣٦٠]. فيا مولاي، إني لو وجدت إلى الله تعالى شفيعا أقرب منك لقصدت إليه، فما خاب راجيكم، ولاضلّ داعيكم، أنتم الحجة والمحجة إلى الله، فكن لي إلى الله شفيعاً، فما لي وسيلة أوفى من قصدي إليك، وتوسلي بك إلى الله، فأنت كلمة الله وكلمة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنت خازن وحيه، وعيبة علمه، وموضع سرّه، والناصح لعبيد الله، والتالي لرسوله، والمواسي له بنفسه، والناطق بحجته، والداعي إلى شريعته، والماضي على سنته، فلقد بلغت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما حملت، ورعيت ما استحفظت، وحفظت ما استودعت، وحللت حلاله، وحرمت حرامه، وأقمت أحكامه، ولم تأخذك في الله لومة لائم، فجاهدت القاسطين في حكمه، والمارقين عن أمره، والناكثين لعهده صابراً محتسباً، صلّى الله عليك وسلّم أفضل ما صلى على أحد من أصفيائه وأنبيائه وأوليائه إنه حميد مجيد»[٣٦١].

.....

---

(٣٥٩) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٦١١ زيارة جامعة لجميع الأئمة عليهم السلام ح٣٢١٣.

(٣٦٠) سورة آل عمران: ١٦٩.

(٣٦١) بحار الأنوار: ج٩٧ ص٢٩٥ ب٤ ح٢٠.

وجاء في زيارة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام ما نصه: «السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا وَتْرَ اللَّهِ الْمَوْتُورَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنَّ دَمَكَ سَكَنَ فِي الْخُلْدِ، وَاقْشَعَرَّتْ له أَظِلَّةُ الْعَرْشِ، وَبَكَى له جَمِيعُ الْخَلاَئِقِ، وَبَكَتْ له السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ، وَمَنْ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ مِنْ خَلْقِ رَبِّنَا مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى»[٣٦٢].

وذكر العلامة أحمد بن فهد رحمه الله في (عدة الداعي): روي عن الصادق عليه السلام: «من كانت له حاجة إلى الله عزوجل فليقف عند رأس الحسين عليه السلام وليقل: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ تَشْهَدُ مَقَامِي، وَتَسْمَعُ كَلاَمِي، وَأَنَّكَ حَيٌّ عِنْدَ رَبِّكَ تُرْزَقُ، فَاسْأَلْ رَبَّكَ وَرَبِّي فِي قَضَاءِ حَوَائِجِي، فإنها تقضى إن شاء الله تعالى»[٣٦٣].

وجاء في زيارة الإمام الكاظم عليه السلام ما نصه: «أشهد أنك أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وتلوت الكتاب حق تلاوته، وجاهدت في الله حق جهاده، وصبرت على الأذى في جنبه محتسباً، وعبدته مخلصاً حتى أتاك اليقين، أشهد أنك أولى بالله وبرسوله، وأنك ابن رسول الله حقاً، أبرأ إلى الله من أعدائك، وأتقرب إلى الله بموالاتك، أتيتك يا مولاي عارفاً بحقك، موالياً لأوليائك، معادياً لأعدائك، فاشفع لي عند ربك»[٣٦٤].

---

(٣٦٢) تهذيب الأحكام: ج٦ ص٥٥ ب١٨ ح١.

(٣٦٣) مستدرك الوسائل: ج١٠ ص٣٤٥ ب٥٩ ح١٢١٤٩.

(٣٦٤) بحار الأنوار: ج٩٩ ص١١ ب٢ ح٧.

وجاء في زيارة الإمامين العسكريين عليهما السلام ما نصه: «السلام عليكما يا وليي الله، السلام عليكما يا حجتي الله، السلام عليكما يا نوري الله في ظلمات الأرض، السلام عليكما يا من بدا لله في شأنكما، أتيتكما زائراً عارفاً بحقكما، معادياً لأعدائكما، موالياً لأوليائكما، مؤمناً بما آمنتما به، كافراً بما كفرتما به، محققاً لما حققتما، مبطلاً لما أبطلتما، أسأل الله ربي وربكما أن يجعل حظي من زيارتكما الصلاة على محمد وآله، وأن يرزقني مرافقتكما في الجنان مع آبائكما الصالحين، وأسأله أن يعتق رقبتي من النار، ويرزقني شفاعتكما ومصاحبتكما، ويعرف بيني وبينكما، ولا يسلبني حبكما وحب آبائكما الصالحين، وأن لا يجعله آخر العهد من زيارتكما، ويحشرني معكما في الجنة برحمته»[٣٦٥].

إلى غيرها مما هو كثير.

عدة مسائل

مسألة: ربما يستفاد من ذلك أيضاً استحباب إقامة مجالس العزاء عند قبور المعصومين عليهم السلام، وكان عملها مصداقاً من مصاديقه.

مسألة: ويستفاد ـ من ملاكه ـ استحباب إقامة الاحتفالات الدينية بمناسبة مواليدهم عليهم السلام عند مراقدهم، مع حفظ الآداب الشرعية.

مسألة: ويستفاد استحباب المطالبة بالحقوق عند مراقدهم عليهم السلام، وكذلك عقد الندوات والمؤتمرات وإلقاء المحاضرات حول ذلك.

كل ذلك مع حفظ الموازين الشرعية ورعاية الآداب اللازمة.

.....

(٣٦٥) بحار الأنوار: ج٩٩ ص٦١ ب٦ ح٥.

رثاء البنت

مسألة: يستحب للبنت أن ترثي[٣٦٦] أباها.

وهذا ليس خاصاً بالبنت والأب، بل ما فعلته الصديقة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) مصداق من المصاديق العامة، فالأولاد والآباء والأقرباء إذا تحنن بعضهم على بعض كان له الأجر والثواب، وهو نوع صلة رحم وبرّ كما لايخفى.

عن جميل بن دراج، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله جل ذكره: **[وَاتَّقُوا اللهَ الذِي تَسَائَلون بِهِ وَالأَرحَامَ إِن اللهَ كان عليكم رَقِيبا]**[٣٦٧]؟. قال: فقال: «هي أرحام الناس إن الله عزوجل أمر بصلتها وعظمها ألا ترى أنه جعلها منه»[٣٦٨].

وعن إسحاق بن عمار، قال: بلغني عن أبي عبد الله عليه السلام: «أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، إن أهل بيتي أبوا إلاّ توثباً عليَّ وقطيعة لي فأرفضهم؟.

فقال: إذاً يرفضكم الله جميعاً. قال: فكيف أصنع؟.

قال: تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك؛ فإنك إذا فعلت ذلك كان لك من الله عزوجل عليهم ظهير»[٣٦٩].

.....

وعن عبد الله بن سنان، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن لي ابن عم

---

(٣٦٦) وفي اللغة: رثى فلان فلاناً يرثيه رثياً: أي يبكيه ويمدحه، والاسم المرثية، ورثى له: أي رق له ورحمه، ورثيت له: أي ترحمت وترفقت.

(٣٦٧) سورة النساء: ١.

(٣٦٨) الكافي: ج٢ ص١٥٠ باب صلة الرحم ح١.

(٣٦٩) وسائل الشيعة: ج٢١ ص٥٣٨ ب١٨ ح٢٧٨٠٠.

أصله فيقطعني حتى هممت لقطيعته إياي أن أقطعه؟. قال: «إنك إن وصلته وقطعك وصلكما الله جميعاً، وإن قطعته وقطعك قطعكما الله»[٣٧٠].

وعن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «لما خرج أمير المؤمنين عليه السلام يريد البصرة نزل بالربذة، فأتاه رجل من محارب، فقال: يا أمير المؤمنين، إني تحملت في قومي حمالة وإني سألت في طوائف منهم المواساة والمعونة، فسبقت إليَّ ألسنتهم بالنكد، فمُرهم يا أمير المؤمنين بمعونتي وحثهم على مواساتي. فقال: أين هم؟. فقال: هؤلاء فريق منهم حيث ترى. قال: فنص راحلته فادلفت كأنها ظليم، فادلف بعض أصحابه في طلبها فلأياً بلأيٍ ما لحقت، فانتهى إلى القوم فسلم عليهم وسألهم ما يمنعهم من مواساة صاحبهم فشكوه وشكاهم. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وصل امرؤ عشيرته فإنهم أولى ببره وذات يده، ووصلت العشيرة أخاها إن عثر به دهر وأدبرت عنه دنيا؛ فإن المتواصلين المتباذلين مأجورون، وإن المتقاطعين المتدابرين موزورون. قال: ثم بعث راحلته وقال: حل»[٣٧١].

دراسة التاريخ

مسألة: يجب دراسة التاريخ والتعرف على السلبيات والإيجابيات والعوامل والعلل والنتائج، ومن صغريات ذلك دراسة ما جرى بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وذلك لشدة ارتباط المستقبل بالماضي وتأثره به، ومن مفردات ذلك المسألة اللاحقة.

(٣٧٠) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص١٩٧.

(٣٧١) الكافي: ج٢ ص١٥٣ -١٥٤ باب صلة الرحم ح١٨.

مسألة: يستحب أو يجب بيان أن بعد رسول الله ﷺ حدثت أنباء وهنبثة، كما قالت الصديقة عليها السلام؛ وبيان ذلك يوجب التعرف على المشاكل التي لاقاها المسلمون والفتن التي واجهوها بعد رسول الله ﷺ، فإن تلك المشاكل تعتبر الأساس لمشاكل المسلمين إلى هذا اليوم وجذورها وعللها.

إن الانقلاب على أوامر الرسول ﷺ والإعراض عن خليفته أمير المؤمنين علي عليه السلام بما يتضمن من إعراض عن مناهجه التي أوضحها خليفته.. لا يزال هو السبب الرئيسي لتخلف المسلمين، كما صرح رسول الله ﷺ بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[٣٧٢].

ولكن المسلمين لما تركوا الثقلين الكتاب والعترة ضلوا وأضلوا.

عن أبان بن تغلب، عن مسلم، قال: سمعت أبا ذر، والمقداد بن الأسود، وسلمان الفارسي، قالوا: كنا قعوداً عند رسول الله ﷺ ما معنا غيرنا، إذ أقبل ثلاثة رهط من المهاجرين البدريين. فقال رسول الله: «تفترق أمتي بعدي ثلاث فرق: فرقة أهل حق لا يشوبونه بباطل، مثلهم كمثل الذهب كلما فتنته بالنار ازداد جودة وطيباً وإمامهم هذا أحد الثلاثة، وهو الذي أمر الله به في كتابه [**إماما ورحمة**][٣٧٣]. وفرقة أهل باطل لا يشوبونه بحق، مثلهم كمثل خبث

الحديد كلما فتنته بالنار ازداد خبثاً وإمامهم هذا أحد الثلاثة. وفرقة أهل ضلالة

---

(٣٧٢) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٣٣ ب٥ ح٣٣١٤٤.

(٣٧٣) سورة هود: ١٧، سورة الأحقاف: ١٢.

مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وإمامهم هذا أحد الثلاثة». قال: فسألتهم عن أهل الحق وإمامهم؟. فقال: «هذا علي بن أبي طالب إمام المتقين»، وأمسك عن الاثنين فجهدت أن يسميهما فلم يفعل[٣٧٤].

وعن يحيى البكاء، عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية والباقون هالكون، والناجون الذين يتمسكون بولايتكم ويقتبسون من علمكم ولا يعملون برأيهم، فأولئك ما عليهم من سبيل»[٣٧٥].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة، أعظمها فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحرمون الحلال ويحللون الحرام»[٣٧٦].

وعن زيد بن أسلم، عن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «تفرقت أمة موسى عليه السلام على إحدى وسبعين ملة [فرقة] سبعون منها في النار وواحدة في الجنة، وتفرقت أمة عيسى عليه السلام على اثنتين وسبعين فرقة إحدى وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنة، وتعلو أمتي على الفرقتين جميعا بملة، واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار». قالوا: من هم يا رسول الله؟. قال: «الجماعات الجماعات».

.....

وقال يعقوب بن زيد: كان علي بن أبي طالب عليه السلام إذا حدث هذا

(٣٧٤) الطرائف: ج١ ص٢٤١ ما شهد به العامة على أنهم خالفوا وصايا نبيهم ح٣٤٦.

(٣٧٥) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٤٩ -٥٠ ب٦ ح٣٣١٨٠.

(٣٧٦) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٢٥٧ ب٦ ح٢١٢٧٤.

الحديث عن رسول الله ﷺ تلا فيه قرآناً: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ - إلى قوله - ﴿سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾(٣٧٧)، وتلا أيضاً: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾(٣٧٨)، يعني: «أمة محمد ﷺ»(٣٧٩).

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لرأس اليهود: «على كم افترقتم؟». فقال: على كذا وكذا فرقة. فقال علي عليه السلام: «كذبت».

ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال: «والله لو ثنيت لي الوسادة لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل القرآن بقرآنهم. افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة سبعون منها في النار وواحدة ناجية في الجنة وهي التي اتبعت يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة إحدى وسبعون فرقة في النار وواحدة بالجنة وهي التي اتبعت شمعون الصفا وصي عيسى عليه السلام، وتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنة وهي التي اتبعت وصي محمد ﷺ.

وضرب عليه السلام بيده على صدره ثم قال: «ثلاث عشرة فرقة من الثلاث وسبعين فرقة كلها تنتحل مودتي وحبي واحدة منها في الجنة وهي النمط الأوسط واثنتا عشرة في النار»(٣٨٠).

.....

---

(٣٧٧) سورة المائدة: ٦٥ -٦٦.

(٣٧٨) سورة الأعراف: ١٨١.

(٣٧٩) تفسير العياشي: ج١ ص٣٣١ من سورة المائدة ح١٥١.

(٣٨٠) الاحتجاج: ج١ ص٢٦٣ احتجاجه ع على من قال بالرأي في الشرع والاختلاف في الفتوى.

وعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام: في قوله: **[لتركبنّ طبقا عن طبقٍ]**[٣٨١]، قال: «زرارة، أولم تركب هذه الأمة بعد نبيها طبقاً عن طبق في أمر فلان وفلان وفلان»[٣٨٢].

وعن حمزة بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «أتزعمون أن رحم نبي الله لا تنفع قومه يوم القيامة، بلى والله إن رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة ـ ثم قال ـ يا أيها الناس، أنا فرطكم على الحوض، فإذا جئت وقام رجال يقولون: يا نبي الله، أنا فلان بن فلان. وقال آخر: يا نبي الله، أنا فلان بن فلان. وقال آخر: يا نبي الله، أنا فلان بن فلان. فأقول: أما النسب فقد عرفته ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم القهقرى»[٣٨٣].

وعن خير بن نوف أبي الوداك، قال: قلت لأبي سعيد الخدري: والله ما يأتي علينا عام إلا وهو شر من الماضي، ولا أمير إلا وهو شر ممن كان قبله؟! فقال أبو سعيد: سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما تقول، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا يزال بكم الأمر حتى يولد في الفتنة والجور من لايعرف عددها حتى تملأ الأرض جوراً فلا يقدر أحد يقول: الله، ثم يبعث الله عزوجل رجلاً مني ومن عترتي فيملأ الأرض عدلاً كما ملأها من كان قبله جوراً، وتخرج له الأرض أفلاذ كبدها، ويحثو المال حثواً، ولا يعده عداً، وذلك حين يضرب الإسلام بجرانه»[٣٨٤].

---

(٣٨١) سورة الانشقاق: ١٩.

(٣٨٢) تفسير القمي: ج٢ ص٤١٣ سورة الانشقاق.

(٣٨٣) الأمالي للطوسي: ص٢٦٩ المجلس العاشر ح٥٠٠ -٣٨.

(٣٨٤) بحار الأنوار: ج٢٨ ص١٨ ب١ ح٢٥، والبحار: ج٥١ ص٦٨ ب١ ح٩.

وفي الطرائف والعمدة، بإسنادهما إلى صحيحي البخاري ومسلم والجمع بين الصحيحين، بإسنادهم إلى ابن عباس، قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله عراة حفاتاً غرلاً ـ ثم تلا ـ **[كما بدأنا أول خلقٍ نعيدهُ وعدا علينا إنا كنا فاعلين]**(٣٨٥) ـ ثم قال ـ ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال. فأقول: يا رب أصحابي!! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح: **[وكنتَ عليهم شهيدا ما دمتَ فيهم فلما توفيتني كنتَ أنتَ الرقيبَ عليهم وأنتَ على كل شيءٍ شهيد]**(٣٨٦). فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»(٣٨٧).

نتائج فقد القائد

مسألة: يستحب بيان أن الرسول ﷺ ـ وهو أعظم قائد رآه العالم ـ لو كان حياً وحاضراً وشاهداً لما كثر الخطب، ولما ازدادت المحن والمصائب على الصديقة الطاهرة عليها السلام، وعلى أمير المؤمنين عليه السلام، وعلى أهل البيت الطاهرين عليهم السلام، وعلى الأمة الإسلامية جمعاء.

كما يستحب بيان أن بعض القوم كانوا ينتظرون موته ﷺ ليغتصبوا الخلافة، كما تنتظر كل أمة متخلفة وكل شريحة ضالة موت القائد أو تغييبه.

.....

وهذا يكشف عن عظمة الرسول ﷺ ومدى منزلته ومكانته وإدارته،

---

(٣٨٥) سورة الأنبياء: ١٠٤.

(٣٨٦) سورة المائدة: ١١٧.

(٣٨٧) بحار الأنوار: ج٢٨ ص٢٤ -٢٥ ب١ ح٣٥.

وهي مما تحبّبه إلى الناس فيلتفون حوله، وكل ما أوجب الإلتفاف حول الرسول ﷺ أكثر فأكثر فهو مستحب، بل قد يكون واجباً أيضاً.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى: إن ذلك يكشف عن سوء سريرة القوم وإضمارهم الغدر، وأن وجوده ﷺ الشريف كان هو المانع، فكان النفاق متأصلاً في بعضهم زمن حياته ﷺ وقد تجلّى بعد وفاته، وكان على رأس هؤلاء المنافقين من اغتصب الخلافة وفدك وهجم على دار الصديقة الزهراء عليها السلام وأحرق البيت، وضرب بضعة الرسول ﷺ حتى أدماها وكسر ضلعها وأسقط جنينها المحسن عليه السلام. فلذلك تقول الصديقة: «لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب».

لا يقال: ألم يكن الإمام علي عليه السلام موجوداً وهو من الرسول ﷺ كالنفس من النفس بشهادة ﴿**وأنفسنا وأنفسكم**﴾(٣٨٨)، وكان المثل الأعلى في الحكمة والإدارة والعلم وغير ذلك؟.

إذ يقال: إن وجود القائد الكفوء والمثالي لايكفي وحده في استتباب الأمر وانتظام الأمور في كثير من الأحيان، كما أن وجود هارون عليه السلام خليفة لموسى عليه السلام لم يكف في منع السامري والحيلولة دون عبادة العجل، وكما أن وجود آدم عليه السلام لم يكف في منع قابيل من قتل هابيل عليه السلام، وكما في سائر أنبياء الله عليهم السلام.. حتى الرسول ﷺ بالنسبة للمنافقين وأضرابهم، بل لابد من قابلية القابل أيضاً.. فكثرت الدواهي رغم وجود الإمام علي عليه السلام؛ لأن القوم أعرضوا عنه حسداً وحقداً نتيجة ثارات بدر وحنين وغيرها.

.....

الثلمة العظمى

(٣٨٨) سورة آل عمران: ٦١.

مسألة: أجلى المصاديق للرواية التالية: «إذا مات العالم ـ أو المؤمن الفقيه ـ ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء إلى يوم القيامة»[٣٨٩]، هو وفات رسول الله ﷺ بل استشهاده ﷺ، الذي ذكرته الصديقة عليها السلام إشارة بقولها: «لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب»، فوفاته ﷺ الثلمة العظمى التي لا يسدها شيء، ووجود سائر المعصومين عليهم السلام أيضاً لا يسد تلك الثلمة، فإن لكل وجود من وجوداتهم المباركة خير في حد ذاته، وهو بركة للمعصوم اللاحق أيضاً، ولذا قالت عليها السلام: «إنا فقدناك فقد الأرض وابلها».. ولا ريب أن بعض الآثار تحفظ بالمعصوم اللاحق عليه السلام إذ بوجود كل منهم (رُزق الورى، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء)[٣٩٠]، وتفصيل الكلام في محله.

وقد ورد في حديث الإمام الرضا عليه السلام:

«إِنَّ الإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّينِ، وَنِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَصَلاَحُ الدُّنْيَا، وَعِزُّ الْمُؤْمِنِينَ.

إِنَّ الإِمَامَةَ أُسُّ الإِسْلاَمِ النَّامِي، وَفَرْعُهُ السَّامِي.

بِالإِمَامِ تَمَامُ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ، وَالْجِهَادِ وَتَوْفِيرُ الْفَيْءِ وَالصَّدَقَاتِ، وَإِمْضَاءُ الْحُدُودِ وَالأَحْكَامِ، وَمَنْعُ الثُّغُورِ وَالأَطْرَافِ.

الإِمَامُ يُحِلُّ حَلاَلَ اللَّهِ، وَيُحَرِّمُ حَرَامَ اللَّهِ، وَيُقِيمُ حُدُودَ اللَّهِ، وَيَذُبُّ عَنْ دِينِ اللَّهِ، وَيَدْعو إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ.

.....

الإِمَامُ كَالشَّمْسِ الطَّالِعَةِ الْمُجَلِّلَةِ بِنُورِهَا لِلْعَالَمِ وَهِيَ فِي الأُفُقِ بِحَيْثُ لاَتَنَالُهَا الأَيْدِي وَالأَبْصَارُ.

---

(٣٨٩) مستدرك الوسائل: ج٩ ص٥١ ب١٠٦ ح١٠١٧١.

(٣٩٠) شجرة طوبى: ص٢٧٠ المجلس السادس عشر.

الإِمَامُ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ، وَالسِّرَاجُ الزَّاهِرُ، وَالنُّورُ السَّاطِعُ، وَالنَّجْمُ الْهَادِي فِي غَيَاهِبِ الدُّجَى وَأَجْوَازِ الْبُلْدَانِ وَالْقِفَارِ وَلُجَجِ الْبِحَارِ.

الإِمَامُ الْمَاءُ الْعَذْبُ عَلَى الظَّمَأ، وَالدَّالُّ عَلَى الْهُدَى، وَالْمُنْجِي مِنَ الرَّدَى.

الإِمَامُ النَّارُ عَلَى الْيَفَاعِ الْحَارُّ لِمَنِ اصْطَلَى بِهِ، وَالدَّلِيلُ فِي الْمَهَالِكِ، مَنْ فَارَقَهُ فَهَالِكٌ.

الإِمَامُ السَّحَابُ الْمَاطِرُ، وَالْغَيْثُ الْهَاطِلُ، وَالشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ، وَالسَّمَاءُ الظَّلِيلَةُ، وَالأَرْضُ الْبَسِيطَةُ، وَالْعَيْنُ الْغَزِيرَةُ، وَالْغَدِيرُ وَالرَّوْضَةُ.

الإِمَامُ الأَنِيسُ الرَّفِيقُ، وَالْوَالِدُ الشَّفِيقُ، وَالأَخُ الشَّقِيقُ، وَالأُمُّ الْبَرَّةُ بِالْوَلَدِ الصَّغِيرِ، وَمَفْزَعُ الْعِبَادِ فِي الدَّاهِيَةِ النَّآدِ.

الإِمَامُ أَمِينُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، وَحُجَّتُهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَخَلِيفَتُهُ فِي بِلاَدِهِ، وَالدَّاعِي إِلَى اللَّهِ، وَالذَّابُّ عَنْ حُرَمِ اللَّهِ.

الإِمَامُ الْمُطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالْمُبَرَّأُ عَنِ الْعُيُوبِ، الْمَخْصُوصُ بِالْعِلْمِ، الْمَوْسُومُ بِالْحِلْمِ، نِظَامُ الدِّينِ، وَعِزُّ الْمُسْلِمِينَ، وَغَيْظُ الْمُنَافِقِينَ، وَبَوَارُ الْكَافِرِينَ.

الإِمَامُ وَاحِدُ دَهْرِهِ، لاَ يُدَانِيهِ أَحَدٌ، وَلاَ يُعَادِلُهُ عَالِمٌ، وَلاَ يُوجَدُ مِنْهُ بَدَلٌ، وَلاَ لَه مِثْلٌ وَلاَ نَظِيرٌ، مَخْصُوصٌ بِالْفَضْلِ كُلِّهِ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ مِنْهُ لَه وَلاَ اكْتِسَابٍ، بَلِ اخْتِصَاصٌ مِنَ الْمُفْضِلِ الْوَهَّابِ.

.....

فَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْلُغُ مَعْرِفَةَ الإِمَامِ، أَوْ يُمْكِنُهُ اخْتِيَارُهُ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ضَلَّتِ الْعُقُولُ، وَتَاهَتِ الْحُلُومُ، وَحَارَتِ الأَلْبَابُ، وَخَسَأَتِ الْعُيُونُ، وَتَصَاغَرَتِ

الْعُظَمَاءُ، وَتَحيَّرَتِ الْحُكَمَاءُ، وَتَقَاصَرَتِ الْحُلَمَاءُ، وَحَصِرَتِ الْخُطَبَاءُ، وَجَهِلَتِ الأَلِبَّاءُ، وَكَلَّتِ الشُّعَرَاءُ، وَعَجَزَتِ الأُدَبَاءُ، وَعَيِيَتِ الْبُلَغَاءُ عَنْ وَصْفِ شَأْنٍ مِنْ شَأْنِهِ، أَوْ فَضِيلَةٍ مِنْ فَضَائِلِهِ، وَأَقَرَّتْ بِالْعَجْزِ وَالتَّقْصِيرِ.

وَكَيْفَ يُوصَفُ بِكُلِّهِ، أَوْ يُنْعَتُ بِكُنْهِهِ، أَوْ يُفْهَمُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ، أَوْ يُوجَدُ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ، وَيُغْنِي غِنَاهُ، لاَ كَيْفَ وَأَنَّى وَهُوَ بِحَيْثُ النَّجْمِ مِنْ يَدِ الْمُتَنَاوِلِينَ، وَوَصْفِ الْوَاصِفِينَ.

فَأَيْنَ الاِخْتِيَارُ مِنْ هَذَا، وَأَيْنَ الْعُقُولُ عَنْ هَذَا، وَأَيْنَ يُوجَدُ مِثْلُ هَذَا، أَ تَظُنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ يُوجَدُ فِي غَيْرِ آلِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

كَذَبَتْهُمْ وَاللَّهِ أَنْفُسُهُمْ، وَمَنَّتْهُمُ الأَبَاطِيلَ، فَارْتَقَوْا مُرْتَقاً صَعْباً دَحْضاً، تَزِلُّ عَنْهُ إِلَى الْحَضِيضِ أَقْدَامُهُمْ، رَامُوا إِقَامَةَ الإِمَامِ بِعُقُولٍ حَائِرَةٍ بَائِرَةٍ نَاقِصَةٍ، وَآرَاءٍ مُضِلَّةٍ، فَلَمْ يَزْدَادُوا مِنْهُ إِلاَّ بُعْداً قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ.

وَلَقَدْ رَامُوا صَعْباً، وَقَالُوا إِفْكاً، وَضَلُّوا ضَلاَلاً بَعِيداً، وَوَقَعُوا فِي الْحَيْرَةِ إِذْ تَرَكُوا الإِمَامَ عَنْ بَصِيرَةٍ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ، رَغِبُوا عَنِ اخْتِيَارِ اللَّهِ وَاخْتِيَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلِ بَيْتِهِ إِلَى اخْتِيَارِهِمْ، وَالْقُرْآنُ يُنَادِيهِمْ:

[وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ](٣٩١)، وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: **[وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ]**(٣٩٢) الآيَةَ، وَقَالَ: **[مَا لَكُمْ كَيْفَ**

---

(٣٩١) سورة القصص: ٦٨.

(٣٩٢) سورة الأحزاب: ٣٦.

تحكمون ۞ أم لكم كتاب فيه تدرسون ۞ إن لكم فيه لما تخيرون ۞ أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون ۞ سلهم أيهم بذلك زعيم ۞ أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين](٣٩٣)، وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: **[أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها]**(٣٩٤)، أَمْ طُبِعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَيَفْقَهُونَ، أَمْ قَالُوا سَمِعْنا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ، **[إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون ۞ ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون]**(٣٩٥)، أَمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا بَلْ هُوَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

فَكَيْفَ لَهُمْ بِاخْتِيَارِ الإِمَامِ، وَالإِمَامُ عَالِمٌ لاَ يَجْهَلُ، وَرَاعٍ لاَ يَنْكُلُ، مَعْدِنُ الْقُدْسِ وَالطَّهَارَةِ، وَالنُّسُكِ وَالزَّهَادَةِ، وَالْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ، مَخْصُوصٌ بِدَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَنَسْلِ الْمُطَهَّرَةِ الْبَتُولِ، لاَ مَغْمَزَ فِيهِ فِي نَسَبٍ، وَلاَ يُدَانِيهِ ذُو حَسَبٍ فِي الْبَيْتِ مِنْ قُرَيْشٍ، وَالذِّرْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ، وَالْعِتْرَةِ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ، وَالرِّضَا مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، شَرَفُ الأَشْرَافِ، وَالْفَرْعُ مِنْ عَبْدِ مَنَافٍ، نَامِي الْعِلْمِ، كَامِلُ الْحِلْمِ، مُضْطَلِعٌ بِالإِمَامَةِ، عَالِمٌ بِالسِّيَاسَةِ، مَفْرُوضُ الطَّاعَةِ، قَائِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، نَاصِحٌ لِعِبَادِ اللَّهِ، حَافِظٌ لِدِينِ اللَّهِ»(٣٩٦).

.....

أوزار المستقبل على الأوائل أيضا

مسألة: لايبعد كون «قد كان بعدك أنباء وهنبثة» إشارة للماضي، أي لما

---

(٣٩٣) سورة القلم: ٣٦ -٤١.

(٣٩٤) سورة محمد: ٢٤.

(٣٩٥) سورة الأنفال: ٢٢ -٢٣.

(٣٩٦) الكافي: ج١ ص٢٠٠ -٢٠٢ باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته ح١.

حدث بعد وفاته ﷺ مباشرة، و«لم تكثر الخطب» أعم مما جرى بعد الوفاة ومما سيجري في المستقبل إلى يوم الظهور، فإن (قد كان بعدك) إشارة للأسس و(لم تكثر) إشارة للنتائج على مر الأزمان، أي (لم تكثر الخطب) في هذا الزمن وفي الأزمان اللاحقة.. وهذا إشارة إلى أن كافة المظالم على مر التاريخ وزرها عليهما ومن آزرهما أو رضي بفعلهما إلى يوم القيامة، كما نصت على ذلك روايات عديدة. عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: « **[ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة]** يعني: ليستكملوا الكفر يوم القيامة، **[ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم]** يعني: كفر الذين يتولونهم، قال الله: **[ألا ساء ما يزرون]**[٣٩٧]»[٣٩٨].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلاَّ تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ، فَاتَّقُوا الْبِدَعَ وَالْزَمُوا الْمَهْيَعَ، إِنَّ عَوَازِمَ الأُمُورِ أَفْضَلُهَا وَإِنَّ مُحْدِثَاتِهَا شِرَارُهَا»[٣٩٩].

وقال عليه السلام: «أظلم الناس من سن سنن الجور ومحا سنن العدل»[٤٠٠].

وعن النبي ﷺ، قال: «أيما داع دعا إلى الهدى فاتبع فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء، وأيما داع دعا إلى ضلالة واتبع فإن عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[٤٠١].

وعن ميمون القداح، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «أيما عبد من عباد الله

(٣٩٧) سورة النحل: ٢٥.

(٣٩٨) تفسير العياشي: ج٢ ص٢٥٧ من سورة النحل ح١٦.

(٣٩٩) نهج البلاغة، الخطب: ١٤٥ ومن خطبة له عليه السلام.

(٤٠٠) غرر الحكم: ص٤٥٥ ق٦ ب٥ ف١ ذم الظلم ح١٠٣٨٩.

(٤٠١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص١٢٧.

سنّ سنة هدى كان لـه مثل أجر من عمل بذلك من غير أن ينقص من أجورهم شيء، وأيما عبد من عباد الله سنّ سنة ضلال كان عليه مثل وزر من فعل ذلك من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[٤٠٢].

وعن إسماعيل الجعفي، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «من سنّ سنة عدل فاتبع كان لـه مثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن استن بسنة جور فاتبع كان لـه مثل وزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[٤٠٣].

وعن عبد الرحمن بن أبي عبد الله، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لايتكلم الرجل بكلمة حق يؤخذ بها إلا كان لـه مثل أجر من أخذ بها، ولا يتكلم بكلمة ضلال يؤخذ بها إلا كان عليه مثل وزر من أخذ بها»[٤٠٤].

وعن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «من علّم باب هدى فله مثل أجر من عمل به ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً، ومن علّم باب ضلال كان عليه مثل أوزار من عمل به ولا ينقص أولئك من أوزارهم شيئاً»[٤٠٥].

وجاء في الحديث: إن سائلاً قام على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأل فسكت القوم. ثم إن رجلاً أعطاه فأعطاه القوم. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من استن خيراً فاستن به فله أجره ومثل أجور من اتبعه من غير منتقص من أجورهم، ومن استن شراً فاستن به

---

(٤٠٢) وسائل الشيعة: ج١٦ ص١٧٣ -١٧٤ ب١٦ ح٢١٢٧٤.

(٤٠٣) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٢٢٨ -٢٢٩ ب١٥ ح١٣٩٥٥.

(٤٠٤) بحار الأنوار: ج٢ ص١٩ ب٨ ح٥٢.

(٤٠٥) الكافي: ج١ ص٣٥ باب ثواب العالم والمتعلم ح٤.

فعليه وزره ومثل أوزار من اتبعه غير منتقص من أوزارهم»[٤٠٦].

وعن قيس بن أبي حازم، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: «يا معشر المسلمين، يا أبناء المهاجرين، انفروا إلى أئمة الكفر وبقية الأحزاب وأولياء الشيطان، انفروا إلى من يقاتل على دم حمال الخطايا، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئاً»[٤٠٧].

وعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من يشفع شفاعة حسنة، أو يأمر بمعروف، أو ينه عن منكر، أو دل على خير، أو أشار به فهو شريك. ومن أمر بشر، أو دل عليه، أو أشار به فهو شريك»[٤٠٨]. إلى غيرها من الروايات.

قولها (صلوات الله عليها): «أنباء» جمع نبأ بمعنى الخبر، والمراد بها ما حدث من غصب الخلافة وفدك، والمنازعات والمحاورات والانقلاب على تعاليم السماء.

قولها عليها السلام: «هنبثة» أي: الأمر الشديد، وربما كانت بمعنى الاختلاط في القول وما أشبه.

قولها عليها السلام: «شاهدها» أي لو كنتَ حاضراً.

قولها عليها السلام: «لم تكثر الخطب» أي: لم يستفحل الأمر بهذه الشدة التي وقعت بعدك، فإن (الخطب) في المقام بمعنى: المصيبة العظيمة. ومن المحتمل أن تكون جمع خطبة، أي لم يكثر القيل والقال، بل كان القول قولك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما كان لأحد أن يخالفك.

---

(٤٠٦) تفسير مجمع البيان: ج١٠ ص٢٨٦ سورة الانفطار.

(٤٠٧) الغارات: ج١ ص٢٦ في استنفاره الناس.

(٤٠٨) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص١٧٨ ب١ ح١٣٨١٣.

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا[٤٠٩]

الآثار التكوينية للرسول صلى الله عليه وآله وسلم

مسألة: يحرم التشكيك في الآثار والبركات التكوينية للرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمعصومين عليهم السلام، بل في الولاية التكوينية لهم أيضاً، والتفصيل في محله.

وقد أشرنا إلى بعض البحث في كتاب البيع[٤١٠].

قال تعالى: **[قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك]**[٤١١].

وقال سبحانه: **[وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين]**[٤١٢].

وقال تعالى: **[فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب]**[٤١٣].

وقال سبحانه: **[ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله]**[٤١٤].

---

(٤٠٩) وفي بعض النسخ: (ولا تغب) بدل (فقد نكبوا).

(٤١٠) انظر موسوعة (الفقه) كتاب البيع المجلد الرابع والخامس.

(٤١١) سورة النمل: ٤٠.

(٤١٢) سورة الأنبياء: ٧٩.

(٤١٣) سورة ص: ٣٦.

(٤١٤) سورة آل عمران: ٤٩.

نماذج من الولاية التكوينية للمعصومين عليهم السلام

إني قد أمرت كل شيء بطاعتك

عن محمد، قال: حدثني يونس، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «اجتمعوا أربعة عشر رجلاً أصحاب العقبة ليلة أربع عشرة من ذي الحجة. فقالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما من نبي إلا وله آية فما آيتك في ليلتك هذه؟.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما الذي تريدون؟.

فقالوا: إن يكن لك عند ربك قدر فأمر القمر أن ينقطع قطعتين!.

فهبط جبرئيل عليه السلام وقال: يا محمد، إن الله يقرؤك السلام ويقول لك: إني قد أمرت كل شيء بطاعتك.

فرفع صلى الله عليه وآله وسلم رأسه فأمر القمر أن ينقطع قطعتين فانقطع قطعتين، فسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم شكراً لله وسجد شيعتنا. ثم رفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأسه ورفعوا رؤوسهم.

ثم قالوا: يعود كما كان، فعاد كما كان، ثم قالوا: ينشق رأسه. فأمره فانشق، فسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم شكراً لله وسجد شيعتنا. فقالوا: يا محمد، حين تقدم سفارنا من الشام واليمن فنسألهم ما رأوا في هذه الليلة، فإن يكونوا رأوا مثل ما رأينا علمنا أنه من ربك، وإن لم يروا مثل ما رأينا علمنا أنه سحر سحرتنا به، فأنزل الله: [اقتربت الساعة][٤١٥] إلى آخر السورة[٤١٦].

---

(٤١٥) سورة القمر: ١.

(٤١٦) تفسير القمي: ج٢ ص٣٤١ معجزة شق القمر.

أرني قبره ومقتله

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه كان يطلب قوماً من الخوارج، فلما بلغ الموضع المعروف اليوم بساباط ... أتاه رجل من شيعته، وقال: يا أمير المؤمنين، أنا لك شيعة ومحب، ولي أخ وكنت شفيقاً عليه فبعثه عمر في جنود سعد بن أبي وقاص إلى قتال أهل المدائن فقُتل هناك، وكان من وقت مقتله إلى اليوم سنين كثيرة. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «فما الذي تريد منه؟». قال: أريد أن تحييه لي. قال علي عليه السلام: «لا فائدة لك في حياته». قال: لابد من ذلك يا أمير المؤمنين. قال له: «إذا أبيت إلا ذلك فأرني قبره ومقتله». فأراه إياه، فمد عليه السلام الرمح وهو راكب بغلته الشهباء فركز القبر بأسفل الرمح، فخرج رجل أسمر طويل يتكلم بالعجمة. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «لم تتكلم بالعجمة وأنت رجل من العرب؟». فقال: بلى، ولكن بغضك في قلبي ومحبة أعدائك في قلبي، فانقلب لساني في النار».

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، رده من حيث جاء فلا حاجة لنا فيه. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «ارجع»، فرجع إلى القبر وانطبق عليه[٤١٧].

الأرض تحدثه ويحدثها

عن أسماء بنت واثلة بن الاسقع، قالت: سمعت أسماء بنت عميس الخثعمية تقول: سمعت سيدتي فاطمة عليها السلام تقول: «ليلة دخل بي علي بن أبي طالب عليه السلام أفزعني في فراشي». قلت: فبما فزعتِ يا سيدة النساء؟.

قالت: «سمعت الأرض تحدثه ويحدثها، فأصبحت وأنا فزعة فأخبرتُ

.....

(٤١٧) الفضائل: ص٦٧ خبر آخر معجزة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

والدي ﷺ فسجد سجدة طويلة ثم رفع رأسه، وقال: يا فاطمة، أبشري بطيب النسل؛ فإن الله فضل بعلكِ على سائر خلقه وأمر الأرض أن تحدثه بأخبارها وما يجري على وجهها من شرقها إلى غربها»[٤١٨].

ولاية على الكواكب

عن إبراهيم بن منصور، قال: رأيت الحسن بن علي عليه السلام وقد خرج مع قوم يستسقون. فقال للناس: «أيما أحب إليكم المطر أم البرد أم اللؤلؤ؟.

فقالوا: يا ابن رسول الله، ما أحببت. فقال: «على أن لا يأخذ أحد منكم لدنياه شيئا بالثلاثة». قال: ورأيناه يأخذ الكواكب من السماء ثم يرسلها فتطير كما تطير العصافير إلى مواضعها[٤١٩].

نور للروحانيين

عن محمد بن حجارة، قال: رأيت الحسن بن علي عليه السلام وقد مرت به صريمة من الظباء، فصاح بهن، فأجابته كلها بالتلبية حتى أتت بين يديه.

فقلنا: يا ابن رسول الله، هذا وحش فأرنا آية من السماء؟.

فأومأ عليه السلام نحو السماء ففتحت الأبواب ونزل نور أحاط بدور المدينة، ونزلت الدور حتى كادت أن تخرب. فقلنا: ردها يا ابن رسول الله؟. فقال: «نحن الأولون والآخرون، ونحن الآمرون، ونحن النور ننوّر الروحانيين بنور الله، ونروحهم بروحه، فينا مسكنه وإلينا معدنه، الآخر منا كالأول، والأول منا

---

(٤١٨) مدينة المعاجز: ج١ ص١٢٠ -١٢١ السادس عشر أنه عليه السلام تحدثه الأرض بأخبارها ح٦٨.

(٤١٩) دلائل الإمامة: ص٦٤ ذكر معجزاته عليه السلام.

كالآخر»[٤٢٠].

ويلك ليس بسحر

عن محمد الكناني، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «خرج الحسين بن علي عليهما السلام في بعض أسفاره ومعه رجل من ولد الزبير بن العوام يقول بإمامته، فنزلوا من تلك المنازل تحت نخل يابس قد يبس من العطش، ففرش للحسين عليه السلام تحتها والزبيري بإزائه تحت نخل أخرى وليس عليها رطب.

قال: فرفع عليه السلام يده فدعا بكلام لم أفهمه، فاخضرت النخلة وصارت إلى حالها وأورقت وحملت رطباً. فقال الجمال الذي اكترى منه: هذا سحر والله!. فقال الحسين عليه السلام: ويلك ليس بسحر، ولكنها دعوة ابن نبي مستجابة. قال: فصعدوا إلى النخلة حتى حووا منها كلهم»[٤٢١].

قوموا حتى نصير إليها

عن يحيى ابن أم الطويل، قال: كنا عند الحسين عليه السلام إذ دخل عليه شاب يبكي. فقال له الحسين عليه السلام: «ما يبكيك؟». قال: إن والدتي توفيت في هذه الساعة ولم توص ولها مال، وكانت قد أمرتني أن لا أحدث في أمرها شيئاً حتى أعلمك خبرها. فقال الحسين عليه السلام: «قوموا حتى نصير إلى هذه الحرة».

فقمنا معه حتى انتهينا إلى باب البيت الذي توفيت فيه المرأة وهي مسجاة، فأشرف عليه السلام على البيت ودعا الله ليحييها حتى توصي بما تحب من وصيتها،

.....

(٤٢٠) دلائل الإمامة: ص٦٥ ذكر معجزاته عليه السلام.

(٤٢١) مدينة المعاجز: ج٣ ص٤٥٩ -٤٦٠ الثاني والعشرون النخلة اليابسة أخرج منها الرطب ح٣٠/٩٧٧.

فأحياها الله، وإذا المرأة جلست وهي تتشهد ثم نظرت إلى الحسين عليه السلام، فقالت: ادخل البيت يا مولاي ومرني بأمرك. فدخل وجلس على مخدة ثم قال لها: «وصي يرحمكِ الله». فقالت: يا ابن رسول الله، لي من المال كذا وكذا في مكان كذا وكذا فقد جعلت ثلثه إليك لتضعه حيث شئت من أوليائك، والثلثان لابني هذا إن علمت أنه من مواليك وأوليائك، وإن كان مخالفاً فخذه إليك فلاحق[٤٢٢] في المخالفين في أموال المؤمنين، ثم سألته أن يصلي عليها وأن يتولى أمرها، ثم صارت المرأة ميتة كما كانت[٤٢٣].

السحاب المسخر

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا عبد الله بن محمد البلوي، قال: سمعت عمارة بن يزيد، قال: حدثني إبراهيم بن سعد، قال: لما كانت وقعة الحرة وأغار الجيش على المدينة وأباحها ثلاثاً، وجه بردعة الحمار صاحب يزيد بن معاوية في طلب علي بن الحسين عليه السلام ليقتله أو يسمّه فوجدوه في منزله، فلما دخلوا عليه ركب السحاب وجاء حتى وقف فوق رأسه، وقال: «أيما أحب إليك تكف أو آمر الأرض أن تبلعك؟». قال: ما أردت إلا إكرامك والإحسان إليك. ثم نزل عن السحاب فجلس بين يديه، فقرب إليه أقداحاً فيها ماء ولبن وعسل، فاختار علي بن الحسين عليهما السلام لبناً وعسلاً، ثم غاب من بين يديه حيث لا يعلم[٤٢٤].

---

(٤٢٢) أي الحق المعنوي، أما الحق المادي فكما هو مقرر في الإرث والفرائض.

(٤٢٣) بحار الأنوار: ج٤٤ ص١٨٠ -١٨١ ب٢٥ ح٣.

(٤٢٤) مدينة المعاجز: ج٤ ص٢٥٦ الثالث ركوبه السحاب ح١٢٨٧/٣٥.

ولاية الصنع بإذن الله

قال أبو جعفر: حدثنا عبد الله بن منير، قال: أخبرنا محمد بن إسحاق الصاعدي وأبو محمد ثابت بن ثابت، قالا: حدثنا جمهور بن حكيم، قال: رأيت علي بن الحسين عليه السلام وقد ثبت له أجنحة بريش فطار ثم نزل. فقال: «رأيت الساعة جعفر بن أبي طالب في أعلى عليين». فقلت: وهل تستطيع أن تصعد؟. فقال: «نحن صنعناها فكيف لا نستطيع أن نصعد إلى ما صنعناه، نحن حملة العرش ونحن على العرش، والعرش والكرسي لنا». ثم أعطاني طلعاً في غير أوانه(٤٢٥).

إنه وارث سليمان عليه السلام

عن أنس بن مالك، قال: لقيت علي بن الحسين عليه السلام وهو خارج إلى ينبع ماشياً. فقلت: يا بن رسول الله لو ركبت؟. فقال: «ههنا ما هو أيسر فانظر»، فحملته الريح وحفت به الطير من كل جانب، فما رأيت مرفوعاً أحسن منه يرفد إلى الطير لتناغيه والريح تكلمه(٤٢٦).

الطين المسخر

قال أبو جعفر: وحدثنا أحمد بن منصور الرماني، قال: حدثنا شاذان بن عمر، قال: حدثنا مرة بن قبيصة بن عبد الحميد، قال: قال لي جابر بن يزيد

(٤٢٥) دلائل الإمامة: ص٨٦ ذكر شيء من معجزاته عليه السلام.

(٤٢٦) مدينة المعاجز: ج٤ ص٢٦٠ -٢٦١ الحادي عشر أنه عليه السلام حملته الريح وحفت به الطير ح١٢٩٥/٤٣.

الجعفي: رأيت مولاي الباقر عليه السلام وقد صنع فيلاً من طين، فركبه وطار في الهواء حتى ذهب إلى مكة عليه وعاد. فلم أصدق ذلك منه حتى رأيت الباقر عليه السلام، فقلت له: أخبرني جابر عنك بكذا وكذا فصنع مثله، وركب وحملني معه إلى مكة وردّني[٤٢٧].

نبعة من عصا موسى عليه السلام:

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا أبو محمد، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، قال: حدثنا حكم بن سعد، قال: لقيت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام وبيده عصا يضرب به الصخر فينبع منه الماء. فقلت: يا بن رسول الله ما هذا؟. قال: «نبعة من عصا موسى التي يتعجبون منها»[٤٢٨].

نعم بإذن الله

عن أبي بصير، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام. فقلت له: أنتم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟. قال: «نعم». قلت: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وارث الأنبياء، علم كل ما علموا؟. قال لي: «نعم». قلت: فأنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرءوا الأكمه والأبرص؟. قال: «نعم بإذن الله». ثم قال لي: «ادن مني يا أبا محمد». فدنوت منه فمسح على وجهي وعلى عيني، فأبصرت الشمس والسماء والأرض والبيوت وكل شيء في البلد، ثم قال لي: «أتحب أن تكون هكذا ولك ما للناس وعليك ما عليهم يوم القيامة، أو تعود كما كنت ولك الجنة خالصاً؟».

---

(٤٢٧) دلائل الإمامة: ص٩٦ ذكر معجزاته عليه السلام.

(٤٢٨) مدينة المعاجز: ج٥ ص١٠ -١١ السابع أنه عليه السلام يضرب الصخر فينبع منه الماء ح١٤٢٣/٧.

قلت: أعود كما كنت. فمسح على عيني فعدت كما كنت.

قال: فحدثت ابن أبي عمير بهذا، فقال: أشهد أن هذا حق كما أن النهار حق[٤٢٩].

سمكة مملوحة

قال أبو جعفر: وحدثنا أبو محمد، قال: حدثنا عمارة بن زيد، قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد، قال: رأيت الصادق عليه السلام وقد جيء إليه بسمك مملوح فمسح يده على سمكه فمشت بين يديه، ثم ضرب بيده إلى الأرض فإذا دجلة والفرات تحت قدميه، ثم أرانا سفن البحر، ثم أرانا مطلع الشمس ومغربها أسرع من لمح البصر[٤٣٠].

ولكن رحمة الله وسعت كل شيء

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: قال: حدثنا أبو محمد، عن وكيع، عن عبد الله بن قيس، عن أبي قناقب الصدوجي، قال: رأيت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام وقد سئل عن مسألة، فغضب حتى امتلأ منه مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبلغ أفق السماء، وهاجت لغضبه ريح سوداء حتى كادت تقلع المدينة، فلما هدأ هدأت لهدوئه. فقال عليه السلام: «لو شئت لقلبتها على من عليها ولكن رحمة الله وسعت كل شيء»[٤٣١].

---

(٤٢٩) الكافي: ج١ ص٤٧٠ باب مولد أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام ح٣.

(٤٣٠) دلائل الإمامة: ج١١٣ ذكر معجزاته عليه السلام.

(٤٣١) مدينة المعاجز: ج٥ ص٢١٥ السابع أنه عليه السلام هاجت لغضبه ريح سوداء ح٦/١٥٧٦.

والشمس مسخرة لهم

قال أبو جعفر: وحدثنا عبد الله، قال: حدثنا عمارة بن زيد، قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد، قال: قلت للصادق عليه السلام: أتقدر أن تمسك الشمس بيدك؟.

فقال: «لو شئت لحجبتها عنك». فقلت: افعل. فرأيته قد جرها كما يجر الدابة بعنانها، فاسودت وانكشفت، وذلك بعين أهل المدينة كلهم حتى ردها[٤٣٢].

المشي في النار

عن المفضل بن عمر، قال: وجه المنصور إلى حسن بن زيد ـ وهو واليه على الحرمين ـ: أن أحرق على جعفر بن محمد داره.

فألقى النار في دار أبي عبد الله عليه السلام فأخذت النار في الباب والدهليز، فخرج أبو عبد الله عليه السلام يتخطى النار ويمشي فيها ويقول: «أنا ابن أعراق الثرى، أنا ابن إبراهيم خليل الله»[٤٣٣].

إنه وارث موسى عليه السلام

عن رشيق مولى الرشيد، قال: وجه بي الرشيد في قتل موسى بن جعفر عليه السلام لأقتله، فهز عليه السلام عصا كانت في يده فإذا هي أفعى، وأخذ هارون الحمى ووقعت الأفعى في عنقه حتى وجه إليَّ بإطلاقه فأطلقت عنه[٤٣٤].

---

(٤٣٢) دلائل الإمامة: ص١١٣ ذكر معجزاته عليه السلام.

(٤٣٣) المناقب: ج٤ ص٢٣٦ فصل في خرق العادات له عليه السلام.

(٤٣٤) دلائل الإمامة: ج١٥٨ ذكر معجزاته عليه السلام.

حربة من السماء

عن إبراهيم بن الأسود، قال: رأيت موسى بن جعفر عليه السلام صعد إلى السماء ونزل ومعه حربة من نور. فقال: «أتخوفوني بهذا ـ يعني الرشيد ـ لو شئت لطعنته بهذه الحربة». فأبلغ ذلك الرشيد فأغمي ثلاثاً وأطلقه[٤٣٥].

إخراج الماء من الصخر

قال أبو جعفر: حدثنا سفيان، قال: حدثنا وكيع، قال: رأيت علي بن موسى الرضا عليه السلام في آخر أيامه. فقلت: يا ابن رسول الله، أريد أحدث عنك معجزة فأرنيها؟. فرأيته أخرج لنا ماء من صخرة فسقانا وشربت[٤٣٦].

الجماد يعترف بإمامته

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا علي بن قنطرة الموصلي، قال: حدثنا سعد بن سلام، قال: أتيت على بن موسى الرضا عليهما السلام وقد جاش الناس فيه، وقالوا: لا يصلح للإمامة؛ فإن أباه لم يوص إليه. فقعد منا عشرة رجال فكلموه، فسمعت الجماد الذي من تحته يقول: هو إمامي وإمام كل شيء. وإنه دخل المسجد الذي في المدينة ـ يعني مدينة أبي جعفر ـ فرأيت الحيطان والخشب تكلّمه وتسلّم عليه[٤٣٧].

.....

وما تشاء؟

---

(٤٣٥) مدينة المعاجز: ج٦ ص٢٠١ الحادي عشر صعوده عليه السلام إلى السماء ونزوله بالحربة ح١٥/١٩٤٥.

(٤٣٦) دلائل الإمامة: ص١٨٦ ذكر معجزاته عليه السلام.

(٤٣٧) مدينة المعاجز: ج٧ ص٢٣ الثالث عشر نطق الجماد بإمامته عليه السلام وتسليمها عليه ح١٨/٢١٢٠.

عن معبد بن عبد الله الشامي، قال: دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام. فقلت له: قد كثر الخوض فيك وفي عجائبك، فلو شئت أثبت بشيء وأحدثه عنك؟. قال: «وما تشاء؟». قلت له: تحيي لي أبي وأمي. فقال: «انصرف إلى منزلك فقد أحييتهما». فانصرفت وإذا هما والله حيان في البيت، وأقاما عندي عشرة أيام ثم قبضهما الله تعالى إليه[٤٣٨].

ترزقين بعد الموت ولدا

قال أبو جعفر: حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد، قال: حدثنا إبراهيم بن سهيل، قال: لقيت علي بن موسى الرضا عليه السلام وهو على حماره. فقلت له: من أركبك هذا وتزعم أكثر شيعتك أن أباك لم يوصك ولم يقعدك هذا المقعد، وادعيت لنفسك ما لم يكن لك؟! فقال له: «وما دلالة الإمام عندك؟». قلت: أن يكلم ما وراء البيت، وأن يحيي ويميت. فقال: «أنا أفعل، أما الذي معك فخمسة دنانير، وأما أهلك فإنها ماتت منذ سنة وقد أحييتها الساعة، وأتركها معك سنة أخرى ثم أقبضها إليَّ لتعلم أني إمام بلا خلاف».

فوقع عليَّ الرعد. فقال: «أخرج روعك فإنك آمن». ثم انطلقت إلى منزلي فإذا بأهلي جالسة. فقلت لها: ما الذي جاء بكِ؟. فقالت: كنت نائمة إذا أتاني آت ضخم شديد السمرة، فوصفت لي صفه الرضا عليه السلام فقال لي: يا هذه قومي وارجعي إلى زوجك؛ فإنك ترزقين بعد الموت ولداً. فرزقت والله[٤٣٩].

.....

السدرة اليابسة

(٤٣٨) فرج المهموم: ص٢٣١ -٢٣٢ ب١٠.

(٤٣٩) دلائل الإمامة: ص١٨٧ ذكر معجزاته عليه السلام.

عن أبي هاشم الجعفري، قال: صليت مع أبي جعفر عليه السلام في مسجد المسيب وصلى بنا في موضع القبلة سواء، وذكر أن السدرة التي في المسجد كانت يابسة ليس عليها ورق، فدعا بماء وتهيأ تحت السدرة فعاشت السدرة وأورقت وحملت من عامها[٤٤٠].

البحر وسفنه

عن حكيم بن حماد، قال: رأيت سيدي محمد بن علي عليه السلام وقد ألقى في الدجلة خاتماً، فوقفت كل سفينة صاعداً وهابطاً، وأهل العراق يومئذ يتزايدون، ثم قال لغلامه: «أخرج الخاتم». فسارت الزوارق[٤٤١].

أغثني فإنا من مواليكم

قال أبو هاشم الجعفري: جاء رجل إلى محمد بن علي بن موسى عليه السلام. فقال: يا ابن رسول الله، إن أبي مات وكان له مال ففاجأه الموت، ولست أقف على ماله ولي عيال كثير، وأنا من مواليكم فأغثني.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: «إذا صليت العشاء الآخرة فصل على محمد وآل محمد؛ فإن أباك يأتيك في النوم ويخبرك بأمر المال». ففعل الرجل ذلك فرأى أباه في النوم فقال: يا بني، مالي في موضع كذا فخذه واذهب به إلى ابن رسول الله

فأخبره أني دللتك على المال. فذهب الرجل فأخذ المال وأخبر الإمام عليه السلام بخبر

(٤٤٠) الكافي: ج١ ص٤٩٧ باب مولد أبي جعفر محمد بن علي الثاني عليه السلام ح١٠.

(٤٤١) مدينة المعاجز: ج٧ ص٣٢٠ السادس والعشرون وقوف السفن في البحر ح٤٧/٢٣٥٥.

المال، وقال: الحمد لله الذي أكرمك واصطفاك[٤٤٢].

من طيور الجنة

قال أبو جعفر: حدثنا عبد الله بن محمد، قال: حدثنا عمارة بن زيد، قال: قلت لأبي الحسن: أتقدر أن تصعد إلى السماء حتى تأتي بشيء ليس في الأرض حتى نعلم ذلك؟. فارتفع في الهواء وأنا أنظر إليه حتى غاب، ثم رجع ومعه طير من ذهب في أذنيه أشنقة من ذهب وفي منقاره درة، وهو يقول: "لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله". فقال: «هذا طير من طيور الجنة». ثم سيبه فرجع[٤٤٣].

الولاية على الأرض

عن محمد بن يزيد، قال: كنت عند علي بن محمد عليه السلام إذ دخل عليه قوم يشكون الجوع، فضرب يده إلى الأرض وكان لهم براً ودقيقاً[٤٤٤].

اتسع بهذا واكتم ما رأيت

عن أبي هاشم الجعفري، قال: خرجت مع أبي الحسن عليه السلام إلى ظاهر سر من رأى يتلقى بعض القادمين فأبطئوا، فطرح لأبي الحسن عليه السلام غاشية السرج فجلس عليها، ونزلت عن دابتي وجلست بين يديه وهو يحدثني، فشكوت إليه قصر يدي وضيق حالي، فأهوى بيده إلى رمل كان عليه جالساً فناولني منه كفاً.

.....

قال: «اتسع بهذا يا أبا هاشم واكتم ما رأيت». فخبأته معي ورجعنا فأبصرته فإذا

---

(٤٤٢) الخرائج والجرائح: ج٢ ص٦٦٥ -٦٦٦ فصل في أعلام الإمام محمد بن علي التقي عليه السلام.

(٤٤٣) دلائل الإمامة: ج٢١٨ ذكر بعض معجزاته عليه السلام.

(٤٤٤) مدينة المعاجز: ج٧ ص٤٤٣ الثاني والعشرون البر والدقيق الذي من الأرض ح٢٤/٢٤٤٤.

هو يتقد كالنيران ذهباً أحمر، فدعوت صائغاً إلى منزلي وقلت له: اسبك لي هذه السبيكة. فسبكها وقال لي: ما رأيت ذهباً أجود من هذا وهو كهيئة الرمل، فمن أين لك هذا، فما رأيت أعجب منه!! قلت: كان عندي قديماً[٤٤٥].

الطبع في الحصاة

قال أبو هاشم الجعفري: استؤذن لرجل جميل طويل من أهل اليمن على أبي محمد عليه السلام فجلس إلى جنبي. فقلت في نفسي: ليت شعري من هذا؟. فقال أبو محمد: «هذا من ولد الأعرابية صاحبة الحصاة التي طبع آبائي فيها ـ ثم قال ـ هاتها»، فأخرج حصاة فطبع في موضع منها أملس. فقلت لليماني: رأيته قط؟. قال: لا والله وإني منذ دهر لحريص على رؤيته حتى كان الساعة أتاني شاب لست أراه، فقال: قم فادخل، فدخلت. ثم نهض وهو يقول: رحمة الله وبركاته عليكم منا أهل البيت، ذرية بعضها من بعض. فسألته عن اسمه؟. فقال: اسمي مهجع بن الصلت بن عقبة بن سمعان بن غانم ابن أم غانم[٤٤٦].

الولاية على المطر

قال أبو جعفر: ودخل قوم على الحسن بن علي عليه السلام يشكون قلة الأمطار في سواد العراق وكانوا من أهله، فكتب لهم كتاباً فأمطروا، ثم جاءوا يشكون كثرته فختم في الأرض فأمسك المطر[٤٤٧].

.....

لا ظل له

(٤٤٥) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٣٨ ب٣ ح٢٢.

(٤٤٦) المناقب: ج٤ ص٤٤١ فصل في آياته عليه السلام.

(٤٤٧) دلائل الإمامة: ص٢٢٤ ذكر بعض معجزاته عليه السلام.

قال أبو جعفر: رأيت الحسن بن على عليه السلام يمشي في أسواق سر من رأى ولا ظل له[٤٤٨].

ورق الآس دراهم

قال أبو جعفر: رأيته يأخذ الآس فيجعلها ورقاً، ويرفع طرفه نحو السماء ويده فيردها ملأى لؤلؤاً [٤٤٩].

إلى غيرها وغيرها مما هو كثير جداً وفي كل عصر وزمان.

بركات المعصوم التكوينية

مسألة: يمكن استفادة الآثار التكوينية لوجود المعصوم عليه السلام من كلامها (صلوات الله عليها) هذا ـ إضافة إلى سائر الأدلة العقلية والنقلية على ذلك ـ فإن المجاز لا يصار إليه إلا مع تعذر الحقيقة، والمعنى الحقيقي هنا[٤٥٠] غير متعذر، بل الأدلة عليه.

ومن ذلك يعلم أن لا حاجة للحصر في المعنوي وللقول بأن للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وابلاً معنوياً وإن كان أهم من الوابل المادي؛ لأن فائدة الوابل المادي إنما تكون بسبب الوابل المعنوي.

.....

ويتضح ذلك بملاحظة أن الآية التالية: ﴿**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا**

(٤٤٨) مدينة المعاجز: ج٧ ص٥٧٤ الحادي والأربعون أنه لا ظل له ح٤٤/٢٥٦٢.

(٤٤٩) دلائل الإمامة: ص٢٢٤ ذكر بعض معجزاته عليه السلام.

(٤٥٠) فكما أن الوابل إذا انزل (اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج) بتأثير تكويني حقيقي كذلك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمعصومين عليهم السلام.

﴿لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماءِ والأرضِ ولكن كذبوا﴾[٤٥١] تنطق بـ (الأثر التكويني) الذي جعله الله تعالى للإيمان والتقوى وإنهما في سلسلة العلل، فكيف بوجود سيد الخلائق أجمعين صلى الله عليه وآله وسلم ؟.

وقوله تعالى: ﴿وما كان اللهُ ليعذبهم وأنتَ فيهم وما كان اللهُ معذبهم وهم يستغفرون﴾[٤٥٢] دليل آخر على وجود الترابط التكويني الذي أقره الله سبحانه بين وجود الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبين بعض الظواهر الكونية[٤٥٣].

الشكوى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد الوفاة

مسألة: يستحب للأمة أن تشكو ما بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وبعد وفاته، فإن الشكاية تكون إلى كبير القوم، وحيث إنه لا فرق بين حياته صلى الله عليه وآله وسلم وموته، فإن مثل هذه الشكوى إليه مستحبة.

وفائدة الشكوى: التظلم أولاً، وفضح الظالم ثانياً، وكشف القناع عن وجه الحق ثالثاً[٤٥٤]، ثم التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم وطلب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله سبحانه وتعالى ـ في حياته المعنوية ـ لحل المشكلة وإرجاع الحق إلى أهله رابعاً.

هذا بالإضافة إلى أن التحريض لبثّ الهم والحزن والشكوى إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسائر المعصومين عليهم السلام يوجب مزيد التلاحم والارتباط النفسي والروحي

والمعنوي مع القمم السامقة في الفضيلة والتقوى والعلم والجهاد و...

---

(٤٥١) سورة الأعراف: ١٦٠.

(٤٥٢) سورة الأنفال: ٣٣.

(٤٥٣) المقصود بها هاهنا رفع العذاب بل دفعه.

(٤٥٤) الثالث أعم من الثاني ولم يدرج الثاني فيه لأهمية إفراده بالذكر.

عن أبي معاوية، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من شكا إلى مؤمن فقد شكا إلى الله عزوجل ومن شكا إلى مخالف فقد شكا الله عزوجل»(٤٥٥).

وخرج الإمام الحسين عليه السلام من منزله ذات ليلة وأقبل إلى قبر جده صلى الله عليه وآله، فقال: «السلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين بن فاطمة فرخك وابن فرختك، وسبطك الذي خلفتني في أمتك، فاشهد عليهم يا نبي الله إنهم قد خذلوني وضيعوني ولم يحفظوني، وهذه شكواي إليك حتى ألقاك». قال: ثم قام فصفّ قدميه فلم يزل راكعاً ساجداً(٤٥٦).

وروي: أن أبا بكر وعمر لما أرادا استرضاء فاطمة الزهراء عليها السلام فأبت أن تأذن لهما فطلبا من أمير المؤمنين أن يدخلهما عليها: فدخل علي عليه السلام على فاطمة عليها السلام فقال: «يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، قد كان من هذين الرجلين ما قد رأيتِ، وقد تردد مراراً كثيرة ورددتِهما ولم تأذني لهما، وقد سألاني أن أستأذن لهما عليكِ». فقالت: «والله لا آذن لهما ولا أكلمهما كلمة من رأسي حتى ألقى أبي فأشكوهما إليه بما صنعاه وارتكباه مني»(٤٥٧).

وفي قصة الاسترضاء أيضاً لما دخلا عليها، قالت عليها السلام: «نشدتكما بالله هل سمعتما رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: فاطمة بضعة مني، فمن آذاها فقد آذاني». قالا: نعم. فرفعت يدها إلى السماء فقالت: «اللهم إنهما قد آذياني، فأنا أشكوهما إليك وإلى رسولك، لا والله لا أرضى عنكما أبداً حتى ألقى أبي

---

(٤٥٥) وسائل الشيعة: ج٢ ص٤١٢ ب٦ ح٢٥٠٣.

(٤٥٦) بحار الأنوار: ج٤٤ ص٣٢٧ ب٣٧.

(٤٥٧) علل الشرائع: ج١ ص١٨٦ ب١٤٩ ح٢.

رسول الله وأخبره بما صنعتما، فيكون هو الحاكم فيكما»[٤٥٨].

وروي: أن قوماً مشاةً أدركهم رسول الله ﷺ فشكوا إليه شدة المشي. فقال لهم: «استعينوا بالنسل»[٤٥٩].

وسأل معاوية بن عمار أبا عبد الله عليه السلام عن رجل عليه دين أعليه أن يحج؟. قال: «نعم، إن حجة الإسلام واجبة على من أطاق المشي من المسلمين، ولقد كان أكثر من حج مع رسول الله ﷺ مشاةً، ولقد مر رسول الله ﷺ بكراع الغميم فشكوا إليه الجهد والطاقة والإعياء. فقال: شدوا أزركم واستبطنوا ففعلوا ذلك فذهب ذلك عنهم»[٤٦٠].

وعن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: «أتى رسول الله ﷺ قوم فشكوا إليه سرعة نفاد طعامهم.فقال ﷺ: تكيلون أو تهيلون؟ فقالوا: نهيل يا رسول الله،يعنون الجزاف.فقال لهم:كيلوا فإنه أعظم للبركة»[٤٦١].

وعن عيسى بن جعفر العلوي، عن آبائه عليهم السلام: أن النبي ﷺ قال: «مر أخي عيسى عليه السلام بمدينة وإذا في ثمارها الدود فشكوا إليه ما بهِم. فقال: دواء هذا معكم وليس تعلمون، أنتم قوم إذا غرستم الأشجار صببتم التراب وليس هكذا يجب، بل ينبغي أن تصبوا الماء في أصول الشجر ثم تصبوا التراب؛ لكيلا يقع فيه الدود، فاستأنفوا كما وصف فذهب ذلك عنهم»[٤٦٢].

.....

(٤٥٨) كتاب سليم بن قيس: ص٨٦٩ الحديث الثامن والأربعون.

(٤٥٩) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٢٩٥ باب المشي في السفر ح٢٥٠٢.

(٤٦٠) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٢٩٥ باب المشي في السفر ح٢٥٠٣.

(٤٦١) تهذيب الأحكام: ج٧ ص١٦٣ ب١٣ ح٢٧.

(٤٦٢) وسائل الشيعة: ج١٩ ص٣٢ ب٢ ح٢٤٠٨٣.

وعن النبي ﷺ قال: «ما مطر قوم إلا برحمته، وما قحطوا إلا بسخطه». وقال ﷺ: «قال ربي: لو أن عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولم أسمعهم صوت الرعد». ووفد قوم إليه ﷺ فشكوا إليه القحط. فقال: «اجثوا على ركبكم، وتضرعوا إلى ربكم، واسألوا يسقكم». ففعلوا ذلك فسقوا حتى سألوا أن يكشف عنهم»(٤٦٣).

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: « **[قل أرأيتكم إن أتاكم عذابَ اللهِ بغتة أو جهرة هل يهلكَ إلا القومَ الظالمون]**(٤٦٤)، فإنها نزلت لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأصاب أصحابه الجهد والعلل والمرض، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله: **[قل]** لهم يا محمد **[أرأيتكم إن أتاكم عذابَ اللهِ بغتة أو جهرة هل يهلكَ إلا القومَ الظالمون]**، أي: إنه لا يصيبكم إلاّ الجهد والضر في الدنيا، فأما العذاب الأليم الذي فيه الهلاك لايصيب إلاّ القوم الظالمين»(٤٦٥).

وروي: أن أهل المدينة مطروا مطراً عظيماً، فخافوا الغرق فشكوا إليه. فقال ﷺ: «اللهم حوالينا ولا علينا». فانجابت السحاب عن المدينة على هيئة الإكليل لا تمطر في المدينة وتمطر حواليها، فعاين مؤمنهم وكافرهم أمراً لم يعاينوا مثله(٤٦٦).

وروي: أن رجلاً مات وإذا الحفارون لم يحفروا شيئاً، فشكوا إلى رسول

.....

(٤٦٣) مستدرك الوسائل: ج٦ ص١٩٠ ب٧ ح٦٧٤٠.

(٤٦٤) سورة الأنعام: ٤٧.

(٤٦٥) بحار الأنوار: ج٩ ص٢٠٤ ب١ ضمن ح٦٨.

(٤٦٦) الخرائج والجرائح: ج١ ص٢٩ فصل من روايات العامة.

الله ﷺ، وقالوا: حديدنا لا يعمل في الأرض كما نضرب في الصفا. قال: «ولِمَ، إن كان صاحبكم لحسن الخلق، ائتوني بقدح من ماء». فأدخل يده فيه ثم رشه على الأرض رشاً، فحفر الحفارون فكأنما رمل يتهايل عليهم[٤٦٧].

وعن جابر بن عبد الله: اشتد علينا في حفر الخندق كدية، فشكوا إلى النبي ﷺ فدعا بإناء من ماء فتفل فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو، ثم نضح الماء على تلك الكدية فعادت كالكندر[٤٦٨]. إلى غيرها من الروايات التي تبين جواز الشكوى إلى رسول الله ﷺ وربما رجحانها.

بعد وفاة القائد المؤسس

مسألة: هل أن قولها عليها السلام: «واختل قومك» يكشف عن مصداق لقاعدة كلية هي أن اختلال النظم أو الأمر سنة اجتماعية تحكم المجتمعات ـ عادة ـ بعد وفاة القائد المؤسس، أم أنها صغرى جزئية، والجزئي لا يكون كاسباً ولامكتسباً؟. الظاهر: إنها قضية خارجية ولا يمكن التعميم إلا بإلغاء الخصوصية وكشف الملاك، عبر معرفة شتى العوامل التي تؤدي إلى ذلك، نعم ربما يقال: بأنها قضية شبه طبيعية أي من طبيعة المجتمع ذلك، وسيأتي البحث عنه في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

قولها عليها السلام: «فقدناك» الفقد أن يرى الشيء غائباً بعد ما كان حاضراً.

«الوابل»: المطر، بل المطر الشديد الضخم القطر، كما في اللغة[٤٦٩].

.....

(٤٦٧) بحار الأنوار: ج١٧ ص٣٧٧ -٣٧٨ ب٤ ح٤٥.

(٤٦٨) بحار الأنوار: ج١٧ ص٣٨٢ ب٤ ضمن ح٥٠.

(٤٦٩) انظر لسان العرب: ج١١ ص٧٢٠ مادة (وبل).

«اختل قومك»: من الخلل أي تفرقوا عن الحق وحصل فيهم الخلل.

«فاشهدهم»: الشهود الحضور، وهو يحمل على المعنى الحقيقي لإمكانه كما سبق، فلا مجال لحصره في الحمل على المعنى المجازي فقط كما لا يخفى.

انحراف القوم

مسألة: يدل قول الصديقة الطاهرة عليها السلام «وقد نكبوا» ـ مضافا إلى سائر الأدلة ـ على انحرافهم وعدم عدالة كثير منهم، على خلاف من ادعى عدالة جميع الصحابة. فإن «نكبوا»: أي انحرفوا عن الطريق. و(نكب) بفتح الكاف وكسره كنصر وفرح: أي عدل ومال.

وفي اللغة: نَكَبَ عن الشيءِ وعن الطريق يَنْكُب نَكْباً ونُكُوباً، ونَكِبَ نَكَباً، ونَكَّبَ، وتَنَكَّبَ: عَدَلَ؛ قال الأزهري: وسمعت العرب تقول: نَكَبَ فلانٌ عن الصواب يَنْكُبُ نُكُوباً، إذا عَدَل عنه(٤٧٠).

وعن زيد بن وهب: أن علياً عليه السلام قال للناس ـ وهو أول كلام له بعد النهروان وأمور الخوارج التي كانت ـ فقال: «يا أيها الناس، استعدوا إلى عدو في جهادهم القربة من الله وطلب الوسيلة إليه، حيارى عن الحق لا يبصرونه، وموزعين بالكفر والجور لا يعدلون به، جفاة عن الكتاب، نكب عن الدين، يعمهون في الطغيان، ويتسكعون في غمرة الضلال، **[وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل]**(٤٧١)، وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلاً وكفى بالله

.....

(٤٧٠) لسان العرب: ج١ ص٧٧٠ مادة (نكب).

(٤٧١) سورة الأنفال: ٦٠.

نصيراً»[٤٧٢].

هذا وفي بعض النسخ: (واختل قومك لما غبت وانقلبوا)، فيكون إشارة إلى قوله تعالى: [**أفإن ماتَ أو قتلِ انقلبتَم علىَ أعقابِكم**][٤٧٣].

روى الواقدي وغيره من نقلة أخبارهم: أن النبي ﷺ لما فتح خيبر اصطفى لنفسه قرى من قرى اليهودي، فنزل جبرئيل بهذه الآية: [**وآتِ ذا القربى حقه**][٤٧٤]. فقال محمد ﷺ: «ومن ذو القربى وما حقه؟». قال: فاطمة تدفع إليها فدكاً والعوالي. فاستغلتها حتى توفي أبوها، فلما بويع أبو بكر منعها فكلمته في ردها عليها. وقالت: «إنها لي وإن أبي دفعها إليَّ». فقال أبو بكر: فلا أمنعكِ ما دفع إليكِ أبوكِ. فأراد أن يكتب لها كتاباً فاستوقفه عمر، وقال: إنها امرأة فطالبها بالبينة على ما ادعت. فأمرها أبو بكر فجاءت بأم أيمن، وأسماء بنت عميس مع علي عليه السلام فشهدوا بذلك. فكتب لها أبو بكر[٤٧٥]، فبلغ ذلك عمر فأخذ الصحيفة ومزقها فمحاها، فحلفت أن لا تكلمهما وماتت ساخطة عليهما[٤٧٦].

وفي البخاري: أن فاطمة أرسلت إلى أبي بكر وسألته ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة من فدك وما بقي من خمس خيبر. فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركناه صدقة، وإنما يأكل آل محمد من هذا

.....

(٤٧٢) الغارات: ج١ ص٢١ -٢٢ في استنفاره الناس.

(٤٧٣) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٤٧٤) سورة الإسراء: ٢٦.

(٤٧٥) ولا يبعد أن أبابكر كان يكتب لها الكتاب ثم يرسل إلى عمر لكي يمزقه.

(٤٧٦) نهج الحق: ص٣٥٧ مناوأة فاطمة وغصب فدك.

المال، وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليه. وأبى أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر فهجرته فلم تتكلم معه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبو بكر، وصلى عليها علي عليه السلام (٤٧٧).

وروى العلامة المجلسي رحمه الله في البحار: قال عمر ـ حين حضره الموت ـ: أتوب إلى الله من ثلاث: من اغتصابي هذا الأمر أنا وأبو بكر من دون الناس، ومن استخلافي عليهم، ومن تفضيلي المسلمين بعضهم على بعض. وقال أيضاً: أتوب إلى الله من ثلاث: من ردي رقيق اليمن، ومن رجوعي عن جيش أسامة بعد أن أمره رسول الله ﷺ علينا، ومن تعاقدنا على أهل البيت إن قبض رسول الله أن لا نولي منهم أحداً. ورووا عن عبد الله بن شداد بن الهاد، قال: كنت عند عمر وهو يموت فجعل يجزع. فقلت: يا أمير، أبشر بروح الله وكرامته. فجعلت كلما رأيت جزعه قلت هذا، فنظر إليَّ فقال: ويحك فكيف بالممالأة على أهل بيت محمد ﷺ (٤٧٨).

وعن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، قال: قال أبو بكر في مرضه الذي قبض فيه: أما إني لا آسى من الدنيا إلا على ثلاث فعلتها ووددت أني تركتها، وثلاث تركتها ووددت أني فعلتها، وثلاث وددت أني كنت سألت عنهن رسول الله ﷺ أما التي وددت أني تركتها: فوددت أني لم أكن كشفت بيت فاطمة وإن كان أعلن عليَّ الحرب، ووددت أني لم أكن

.....

أحرقت الفجاءة وأني قتلته سريحاً أو أطلقته نجيحاً، ووددت أني يوم سقيفة بني

(٤٧٧) نهج الحق: ص٣٦٠ مناوأة فاطمة وغصب فدك.

(٤٧٨) بحار الأنوار: ج٣٠ ص١٢٢ -١٢٣ ب١٩ ح١.

ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين عمر أو أبي عبيدة، فكان أميراً وكنت وزيراً. الخبر[٤٧٩].

وروى أبان عن سليم بن قيس في قصة موت معاذ بن جبل بالطاعون حيث قال معاذ: ويل لي ويل لي ويل لي ويل لي، فلما سُئل عن ذلك قال: لموالاتي عدو الله على ولي الله. فقالوا له: إنك لتهجر. فقال: والله ما أهجر هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي بن أبي طالب عليه السلام يقولان: «يا معاذ بن جبل، أبشر بالنار أنت وأصحابك الذين قلتم: إن مات رسول الله أو قتل زوينا الخلافة عن علي فلن يصل إليها» الحديث[٤٨٠].

المؤامرة على أهل البيت عليهم السلام

مسألة: في بعض النسخ هكذا:

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها واجتث أهلك مذ غيبت واغتصبوا

وهو يدل على عظيم المصيبة التي حلّ بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمجرد أن غاب عنهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وارتحل إلى ربه عزوجل، ومن المعلوم حرمة ذلك أشد الحرمة.

---

(٤٧٩) الخصال: ج١ ص١٧١ قول أبي بكر لا آسى من الدنيا إلا على ثلاث ح٢٢٨.

(٤٨٠) كتاب سليم بن قيس: ص٨١٦ -٨٢٥ الحديث السابع والثلاثون.

الحقوق الامتدادية

مسألة: من مصاديق حق الشخص: الحقوق الامتدادية، ومنها حقوقه في ذريته وأهله طولياً وعرضياً[٤٨١]، فكل إكرام للأهل عُدّ إكراماً للشخص الواجب الإكرام، واجب في الجملة، إذ (يحفظ المرء في ولده)[٤٨٢].

وكلامها عليها السلام دليل على أن من له منزلة وقرب من الله تعالى فإن شيئاً من منزلته وقربه يترشح على أهله وأقربائه في الجملة عند الله تعالى، ولا عكس في المبعد[٤٨٣]، وبذلك يحكم العقل، وعليه جرت الشرائع كلها.

ويعدّ كلامها عليها السلام من الأدلة على نقض القاعدة الماركسية التي تحصر للشخص ما يكتسبه بنفسه فقط ـ بل أقل من ذلك[٤٨٤] ـ بالمعنى الضيق الذي فسروه، والتي استندوا إليها في نفي الإرث باعتبار أن الإرث ليس من جهد الشخص فيكون للدولة، فإنها قاعدة لا دليل عليها بل العقل على خلافها، والتفصيل في محله[٤٨٥].

قولها عليها السلام: «كل أهل» أي كل جماعة ...

---

(٤٨١) الطولية في الأبناء والآباء، والعرضية في الأخوة والأخوات وأبناء العمومة وما أشبه.

(٤٨٢) من أقوال رسول الله صلى الله عليه وآله وردت بمعناه روايات متعددة، ذكرته الصديقة الطاهرة عليها السلام في خطبتها التي أوردتها في المسجد النبوي الشريف، راجع الاحتجاج: ج١ ص ١٠٣ احتجاج فاطمة الزهراء عليها السلام على القوم لما منعوها فدك.

(٤٨٣) أي أن المبعد من رحمة الله والمغضوب لا يترشح من بعده لأهله عند الله.. إذ لا تزور وازرة وزر أخرى.

(٤٨٤) حيث قالوا: بأن على كل شخص أن يعمل بقدر طاقته ولا يستفيد إلا بقدر حاجته.

(٤٨٥) راجع (الفقه: الاقتصاد) للإمام المؤلف قدس سره.

«قربى»: أي تقرب إلى الله عزوجل بالإيمان والعمل الصالح.

«منزلة»: أي درجة ومرتبة.

«الأدنين»: جمع أدنى أي الأقرب.

وحاصله: إنا أهل بيت رسول الله ﷺ والأقربون إليه فكيف يتعامل معنا هكذا ظلماً وجوراً، وغصباً وهتكاً؟.

فهذا البيت إشارة إلى أن القوم غصبوا ميراثنا مع إنا قربى الرسول ﷺ ونستحق ميراثه، وقد تقدم أن المراد بالميراث إما الإرث حقيقة لأن القوم ادعوا أن فدكاً[٤٨٦] إرث وأن فاطمة عليها السلام لا ترث، وأما الإرث بمعناه الأعم مما يتركه الميت سواء بالنحلة أم بالميراث، فيتصرف فيهما الورثة بعده.

(٤٨٦) كلمة فدك وردت منصرفة وغير منصرفة.

أبدت رجال لنا نجوى[٤٨٧] صدورهم لما مضيت[٤٨٨] وحالت دونك الترب[٤٨٩]

ضغائن الصدور

مسألة: يستحب بيان أن بعض الصحابة أبدوا ما في صدورهم من الضغائن بعد فقد الرسول عليه السلام.

وهذا الأمر قد يكون مستحباً، وقد يكون واجباً، حسب اختلاف الموارد، بالإضافة إلى أن بيان مثل ذلك يكون درساً للأجيال الآتية حتى يعلموا أن القائد إذا مات أو قُتل يختلف الناس بعده ـ عادة ـ مما يوجب اتخاذ العُدة للحد من الاختلاف والفتن وسائر المفاسد بالقدر الممكن.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «اتق الضغائن التي لك في صدور من لايظهرها إلا بعد موتي، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون». ثم بكى النبي صلى الله عليه وآله فقيل: مم بكاؤك يا رسول الله؟. فقال صلى الله عليه وآله: «أخبرني جبريل عليه السلام أنهم يظلمونه ويمنعونه حقه، ويقاتلونه ويقتلون ولده ويظلمونهم بعده»[٤٩٠].

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وآله في بعض طرق المدينة، فأتينا على حديقة وهي الروضة ذات الشجر. فقلت: يا رسول الله،

---

(٤٨٧) في بعض النسخ: (فحوى).

(٤٨٨) وفي بعض النسخ: (لما نأيت). وفي بعضها: (لما قضيت). وفي بعضها: (لما فقدت وكل الإرث قد غصبوا).

(٤٨٩) وفي بعض النسخ: (حالت دونك الحجب)، وفي بعضها: (حالت دونك الكثب)، وفي بعضها: (حالت بيننا الكثب)

(٤٩٠) كشف اليقين: ص٤٦٧ المبحث الخامس والثلاثون في أمر الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله بتبليغ فضائل علي عليه السلام.

ما أحسن هذه الحديقة!. فقال: ما أحسنها، ولك في الجنة أحسن منها. ثم أتينا على حديقة أخرى فقلت: يا رسول الله، ما أحسنها من حديقة!. فقال: لك في الجنة أحسن منها. حتى أتينا على سبع حدائق أقول: يا رسول الله، ما أحسنها!. فيقول ﷺ: لك في الجنة أحسن منها. فلما خلا له الطريق اعتنقني وأجهش باكياً فقلت: يا رسول الله، ما يبكيك؟. قال ﷺ: ضغائن في صدور أقوام لايبدونها إلا بعدي. فقلت: في سلامة من ديني؟. قال ﷺ: في سلامة من دينك»(٤٩١).

وعن زيد بن أرقم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «أنت سيد الأوصياء، وابناك سيدا شباب أهل الجنة، ومن صلب الحسين يخرج الله عزوجل الأئمة التسعة، فإذا متُ ظهرت لك الضغائن في صدور قوم، ويمنعونك حقك ويتمالون عليك». وبإسناده عن زيد بن أرقم، قال: ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ إلا ببغضهم علي بن أبي طالب وولده عليهم السلام(٤٩٢).

وعن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس، قال: كنت عند عبد الله بن عباس في بيته ومعنا جماعة من شيعة علي عليه السلام، فحدثنا فكان فيما حدثنا أن قال: يا إخوتي، توفي رسول الله ﷺ يوم توفي فلم يوضع في حفرته حتى نكث الناس وارتدوا وأجمعوا على الخلاف، واشتغل علي بن أبي طالب عليه السلام برسول الله ﷺ حتى فرغ من غسله وتكفينه وتحنيطه ووضعه في حفرته، ثم أقبل على

(٤٩١) كشف الغمة: ج١ ص٩٨ في محبة الرسول ﷺ إياه وتحريضه على محبته وموالاته ونهيه عن بغضه.
(٤٩٢) بحار الأنوار: ج٣٦ ص٣٢٠ ب٤١ ح١٧٢.

تأليف القرآن[٤٩٣] وشغل عنهم بوصية رسول الله ﷺ، ولم يكن همته الملك لما كان رسول الله ﷺ أخبره عن القوم، فلما افتتن الناس بالذي افتتنوا به من الرجلين، فلم يبق إلا علي وبنو هاشم وأبو ذر والمقداد وسلمان في أناس معهم يسير، قال عمر لأبي بكر: يا هذا، إن الناس أجمعين قد بايعوك ما خلا هذا الرجل وأهل بيته وهؤلاء النفر، فابعث إليه.

فبعث إليه ابن عم لعمر يقال له: قنفذ.

فقال له: يا قنفذ، انطلق إلى علي فقل له أجب خليفة رسول الله!.

فانطلق فأبلغه، فقال علي عليه السلام: «ما أسرع ما كذبتم على رسول الله، نكثتم وارتددتم، والله ما استخلف رسول الله غيري، فارجع يا قنفذ فإنما أنت رسول فقل له: قال لك علي: والله ما استخلفك رسول الله، وإنك لتعلم من خليفة رسول الله» الحديث[٤٩٤].

وفيه إشارة إلى بعض تلك الضغائن التي كانت في صدورهم فأبدوها بعد رسول الله ﷺ.

الحقد الخفي

مسألة: المخفي من الحقد والضغينة من رذائل الأخلاق لو كان بالنسبة إلى غير المعصومين وما لم يظهر، وأما بالنسبة لهم عليهم السلام فإنه من علائم النفاق ومن أشدّ المحرمات، والحاقد عليهم وإن أخفى حقده آثم باعتبار اختيارية الأمر ولو باختيارية المقدمات، ولو أظهره ازداد إثماً.

---

(٤٩٣) أي تأليف تفسيره وعلومه، وإلا فالقرآن جمع كما هو اليوم في عهد رسول الله ﷺ وبأمر منه ﷺ.

(٤٩٤) كتاب سليم بن قيس: ص٨٦٢ -٨٦٨ الحديث الثامن والأربعون.

نفاق القوم وعصيانهم

مسألة: إن (إبداء القوم نجوى صدورهم) يكشف ـ بتصريحها عليها السلام ـ عن نفاقهم أولاً، ثم تجاهرهم بالمعصية ثانياً، وهذا البيت شهادة منها بذلك وهي صادقة مصدقة، وعندئذ كيف يمكن إتباع المنافقين والعصاة؟.

وأما السر في تنكيرها كلمة الرجال، فقد يكون لأنه الأبلغ في الدلالة من التعريف؛ فإن التنكير قد يكشف عن جو التقية والرعب والرهبة الذي كان حاكماً آنذاك على الناس، وقد يكون لغرض دفع المستمعين للتحقيق مما يسبب علوق القضية بأذهانهم أكثر فأكثر، وقد يدفع إلى الفحص في دائرة أوسع نظراً لوجود العلم الإجمالي، وربما يكتشف أمور أخرى أيضاً.

قولها عليها السلام: «أبدت» بمعنى أظهرت.

«نجوى»: المخفي من الحقد والضغينة ـ بقرينة المقام ـ وهو اسم مصدر لنجوته، والمعنى: إن القوم أظهروا ما في صدورهم من الحقد والعداوة.

«لما مضيت»: كناية عن الموت، ومن الواضح أن إثبات الشيء لا ينفي ما عداه إذ كان هذا البعض وغيرهم قد أبدوا في زمان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً نجوى صدورهم، ولكن ما أبدوه بعد وفاته كان أشد وأقسى وأكثر وأوضح وأكثر علانية.

«حالت»: الحيلولة هنا ظاهرية وليست واقعية كما هو واضح.

«الترب»: التراب والتربة.

وفي بعض النسخ: «الكثب» جمع كثيب أي: ما اجتمع من الرمل.

تجهمتنا رجال واستخف بنا لما فقدت وكل الأرض[٤٩٥] مغتصب[٤٩٦]

حرمة التجهم والاستخفاف

مسألتان: يحرم التجهم بأهل البيت عليهم السلام كما يحرم الاستخفاف بهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي، وقاتليهم، والمعين عليهم، ومن سبهم **[أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم]**[٤٩٧]»[٤٩٨].

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه أبي ليلى، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وتكون عترتي إليه أعز من عترته، ويكون أهلي أحب إليه من أهله، وتكون ذاتي أحب إليه من ذاته»[٤٩٩].

وعن حنان بن سدير، عن سديف المكي، قال: حدثني محمد بن علي عليه السلام وما رأيت محمدياً قط يعدله، قال: «حدثني جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: نادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المهاجرين والأنصار فحضروا بالسلاح، وصعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا معاشر المسلمين، من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يوم القيامة يهودياً. قال جابر: فقمت إليه فقلت: يا رسول الله، وإن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟!. فقال: وإن شهد أن

---

(٤٩٥) وفي بعض النسخ: (كل الإرث)

(٤٩٦) وفي بعض النسخ: (بعد النبي وكل الخير مغتصب)، وفي بعضها: (إذ غبت عنا ونحن اليوم نغتصب)، وفي بعضها: (جهراً وقد أدركونا بالذي طلبوا).

(٤٩٧) سورة آل عمران: ٧٧.

(٤٩٨) جامع الأخبار: ص١٦٠ الفصل الخامس والعشرون والمائة.

(٤٩٩) علل الشرائع: ج١ ص١٤٠ ب١١٧ ح٣.

لاإله إلا الله ؛ فإنما احتجز من سفك دمه أو يؤدي الجزية عن يد وهو صاغر. ثم قال ﷺ : من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يوم القيامة يهودياً، فإن أدرك الدجال كان معه، وإن هو لم يدركه بعث في قبره فآمن به، إن ربي عزوجل مثل لي أمتي في الطين وعلمني أسماءهم كما علم آدم الأسماء كلها، فمر بي أصحاب الرايات فاستغفرت الله لعلي وشيعته»[٥٠٠].

وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من لم يعرف سوء ما أتى إلينا من ظلمنا، وذهاب حقنا، وما ركبنا به، فهو شريك من أتى إلينا فيما ولينا به»[٥٠١].

وروي: أن العباس شكا إلى رسول الله ﷺ ما يلقون من قريش من تعبيسهم في وجوههم، وقطعهم حديثهم عند لقائهم. فغضب ﷺ غضباً شديداً حتى احمرّ وجهه ودرّ عرق بين عينيه، وقال: «والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله». وفي رواية أخرى قال ﷺ : «ما بال أقوام إذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم، والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني»[٥٠٢].

وفي البحار عن أبي هريرة، عنه ﷺ : «ما بال أقوام يؤذون نسبي وذا رحمي، ألا من آذى نسبي وذا رحمي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله عزوجل»[٥٠٣].

---

(٥٠٠) الأمالي للمفيد: ص١٢٦ المجلس الخامس عشر ح٤.

(٥٠١) بحار الأنوار: ج٢٧ ص٥٥ ب١ ح١١.

(٥٠٢) الصوارم المهرقة: ص١١٥ -١١٦.

(٥٠٣) بحار الأنوار: ج٢٧ ص٢٢٥ ب١٠ ح١٩.

وعن هشام بن سالم، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، قال: «من جالس لنا عائباً، أو مدح لنا قالياً، أو وصل لنا قاطعاً، أو قطع لنا واصلاً، أو والى لنا عدواً، أو عادى لنا ولياً، فقد كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم»(٥٠٤).

وعن ابن عباس، قال: قلت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: أوصني؟. قال: «عليك بمودة علي بن أبي طالب عليه السلام، والذي بعثني بالحق نبياً لا يقبل الله من عبد حسنة حتى يسأله عن حب علي بن أبي طالب عليه السلام وهو تعالى أعلم؛ فإن جاءه بولايته قبل عمله على ما كان منه، وإن لم يأت بولايته لم يسأله عن شيء ثم أمر به إلى النار. يا ابن عباس، والذي بعثني بالحق نبياً إن النار لأشد غضباً على مبغض علي عليه السلام منها على من زعم أن لله ولداً. يا ابن عباس، لو أن الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين اجتمعوا على بغضه ولن يفعلوا لعذبهم الله بالنار». قلت: يا رسول الله، وهل يبغضه أحد؟. قال: «يا ابن عباس، نعم يبغضه قوم يذكرون أنهم من أمتي لم يجعل الله لهم في الإسلام نصيباً. يا ابن عباس، إن من علامة بغضهم له تفضيلهم من هو دونه عليه، والذي بعثني بالحق ما بعث الله نبياً أكرم عليه مني، ولا أوصياء أكرم عليه من وصيي علي». قال ابن عباس: فلم أزل له كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأوصاني بمودته، وإنه لأكبر عملي عندي(٥٠٥).

وعن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «المخالف لعلي بعدي كافر،

.....

والشاك به مشرك مغادر، والمحب له مؤمن صادق، والمبغض له منافق، والمحارب

(٥٠٤) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٢٦٤ ب٣٨ ح٢١٥٢٣.

(٥٠٥) بحار الأنوار: ج٢٧ ص٢١٩ -٢٢٠ ب١٠ ح٤.

لـه مارق، والراد عليه زاهق، والمقتفي لأثره لاحق»[٥٠٦].

ثم إنه ينبغي ملاحظة أن ما لا يعد تجهماً واستخفافاً بالنسبة إلى شخص قد يكون تجهماً واستخفافاً بالنسبة لشخص آخر، فعدم القيام مثلاً لرجل من عامة الناس قد لا يكون استخفافاً به لكنه بالنسبة إلى عالم كبير يعد استخفافاً.. وبالنسبة إلى أهل البيت عليهم السلام الأمر أدق وأعظم، وبذلك يمكن الاستناد في وجوب إقامة المواليد ومجالس العزاء عليهم ـ في الجملة ـ إلى هذا الدليل باعتبار أن تركها استخفاف بشأنهم في الجملة، وكذلك عدم الدفاع عنهم لو تعرضوا لهجوم على صفحات الجرائد أو في مختلف وسائل الإعلام، فإنه قد يكون نوعاً من التجهم أو الاستخفاف بهم وبشأنهم وبحقهم عليهم السلام.

هذا كله بالنسبة إلى أهل البيت عليهم السلام أما بالنسبة إلى غيرهم من عامة الناس فالحكم يختلف باختلاف الموارد وينقسم إلى الأحكام الخمسة.

قولـها عليها السلام: «تجهمتنا» التجهم: عبارة عن تقطيب الوجه وعدم البشر، والاستقبال بوجه كريه، يقال: تجهمته إذا كلحت في وجهه، ورجل جهم الوجه أي كالح، وتجهمه وتجهم لـه: إذا استقبله بوجه كريه، وتجهم: أي استقبله بما يكره.

وفي بعض النسخ: (تهجمتنا) أي هجمت علينا.

وفي بعضها: (تهضمتنا) من الهضم أي الظلم.

تجهم بعض الصحابة

(٥٠٦) بحار الأنوار: ج٢٧ ص٢٢٦ ب١٠ ح٢٢.

مسألة: يستحب بيان أن بعض الصحابة ـ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ تجهموا على أهل البيت عليهم السلام واستخفوا بهم.

وهذا من باب الموضوع، وما ذكرناه في البحث الآنف من باب الحكم، فإن التجهم ـ الذي قام به بعض الصحابة تجاه أهل البيت عليهم السلام ـ كان حراماً بل من أشد المحرمات، وكذلك الاستخفاف بالنسبة إليهم كما لا يخفى.

رثاء الفقيد

مسألة: يجوز لصاحب المصيبة أن يرثي فقيده بمثل هذا الرثاء مع رعاية سائر الموازين.

والمقصود من قولها عليها السلام: «.. وكل الأرض مغتصب»، الأراضي التي كانت منحة من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إياها عليها السلام من العوالي وفدك، ويمكن أن يراد من كل الأرض: أراضي البلاد الإسلامية كلها، فإنها بأجمعها كان المفروض أن تكون تحت سلطة خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي نصبه وعيّنه بأمر السماء وفي يوم الإنذار ويوم غدير خم وفي غيرهما من الأيام، وهو الإمام علي بن أبي طالب (عليه أفضل الصلاة والسلام).

ويمكن أن يراد باغتصاب الأرض المعنى الكنائي وهو القيادة الإسلامية التي زالت عن موضعها لأنهم (عليهم الصلاة والسلام) هم وراث الأرض بالمعنى الأعم، فسيطرة غيرهم عليها غير جائز، قال سبحانه: ﴿**أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**﴾[٥٠٧]، وقال تعالى: ﴿**وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون**

.....

(٥٠٧) سورة الأنبياء: ١٠٥.

مشارِقَ الأرضِ ومَغارِبَها﴾[٥٠٨].

وفي بعض النسخ: (كل الإرث) أي إرث المال وإرث الخلافة.

الحكومات والكفاءات

مسألة: من المحرم تنحية الأكفاء وعزل الكفاءات، وهي سياسة الحكومات الاستبدادية عادة، والديمقراطية أحياناً.

أما الاستبدادية فلأن الكفاءات لا تخضع للمستبد، ولأنها[٥٠٩] لا تستطيع التعامل إلا مع العبيد والإمعات..

وأما الديمقراطية فلصراع الخطوط ولتعارض المصالح أو للرؤى الحزبية الضيقة.

وكان الذين أبعدوا أهل البيت عليهم السلام مجموعة من المستبدين الذين لم يكونوا يمتلكون الكفاءة الدينية ولا الدنيوية، وقد عبرت عنهم الصديقة الزهراء عليها السلام فيما مضى من كلامها بـ «نبغ خامل الأقلين»، و«بئس للظالمين بدلاً»، و«خسر هنالك المبطلون»، و...

وقد صرحوا هم بذلك كما قال الثاني: (كل الناس أفقه من عمر حتى المخدرات في البيوت)[٥١٠] إلى غير ذلك..

وكما قال الأول: (أقيلوني أقيلوني، فلست بخيركم)[٥١١].

---

(٥٠٨) سورة الأعراف: ١٣٧.

(٥٠٩) أي الحكومات الاستبدادية.

(٥١٠) كشف اليقين: ص٦٣ ف٣ ب١ المطلب الأول، المبحث الثاني العلم.

(٥١١) الطرائف: ج٢ ص٤٠٢ في استقالة أبي بكر من الخلافة.

الكفاءات الإلهية

مسألة: وأشد من ذلك حرمة مضايقة الكفاءات والاستخفاف بهم، وتتأكد الحرمة وتشتد في أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأن الاستخفاف بهم استخفاف به صلى الله عليه وآله وسلم وهو استخفاف بالله عزوجل، وإيذائهم إيذاء له صلى الله عليه وآله وسلم وهو إيذاء الله تعالى، هذا أولا. **وثانيا:** لأنهم عليهم السلام القمة العليا في الكفاءات الأهلية والقرب من الله.. ومن الواضح اشتداد قبح التعدي والاستخفاف واشتداد العقوبة[٥١٢] كلما ازداد المعتدى عليه والمستخف به منزلة ومكانة ومقاماً.

أهكذا يمتثل أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

مسألة: من كلامها عليها السلام هذا وما سبقه ويلحقه، يعلم هل أن القوم امتثلوا أمر الله ورسوله في أهل البيت عليهم السلام[٥١٣] حيث قال تعالى: ﴿**قل لا أسئلكم عليهِ أجرا إلا المودة في القربى**﴾[٥١٤]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[٥١٥]. قولها عليها السلام: «استخف» بصيغة المجهول.

و«المغتصب» بالفتح أي المغصوب. أي لم يقدرونا بل استخفوا بنا ومنعونا حقنا من الإرث في الخلافة وفدك.

---

(٥١٢) ويكتشف منه بالبرهان الآني اشتداد الحرمة. (منه ﷺ).

(٥١٣) من غصب الخلافة وزويها عن أمير المؤمنين عليه السلام، ومنع الزهراء عليها السلام إرثها وما نحلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ثم الهجوم على دارها وحرق الدار عليها وضربها وكسر ضلعها وإسقاط جنينها ...، وإخراج أمير المؤمنين عليه السلام ملبباً بحمائل سيفه ليبايع القوم، وغير ذلك مما جرى على أهل البيت عليهم السلام من ظلم وقتل وتشريد مما يطول شرحه.

(٥١٤) سورة الشورى: ٢٣.

(٥١٥) مستدرك الوسائل: ج٧ ص٢٥٥ ب٤٧ ح٨١٨١.

ألقاب ممدوحة

مسألة: يستحب مخاطبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالألقاب التي خاطبته بها الصديقة الطاهرة عليها السلام كالبدر والنور وما أشبه ذلك، وهكذا بالنسبة إلى سائر المعصومين عليهم السلام.

وفي القرآن الكريم في وصفه صلى الله عليه وآله وسلم: **[وسِراجا منِيرا]**[٥١٧]. ومن شعر العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وصفه (صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين) [٥١٨]:

يا مخجل الشمس والبدر المنير إذا تبسم الثغر لمع البرق منه أضا

كم معجزات رأينا منك قد ظهرت يا سيدا ذكره يشفي به المرضى

وقال الشاعر لما حملت آمنة بنت وهب عليها السلام برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأتوا أهل مكة يهنئونها حيث أضاء النور في وجهها:

يـا آمنـة بشـراكِ رب السمـا هنـاكِ

بمحمد مناكِ سبحان من أعطاكِ

هذا البشير هذا النذير

هذا هو البدر المنير يا حبذا بشراكِ

صلوا على خير الأنام المصطفى بدر التمام

يشفع إلى كل الأنام هو سيد الأملاك[٥١٩]

---

(٥١٦) وفي بعض النسخ (تنزل).

(٥١٧) سورة الأحزاب: ٤٦.

(٥١٨) بحار الأنوار: ج١٦ ص٣٠ ب٥.

(٥١٩) الأنوار في مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ص١٣٨.

وقال الشاعر في معجزة شق القمر:

والقمر البدر المنير شقــه ... فقيل سحر عجب لما رأى(٥٢٠)

وقال السيد الحميري رحمه الله في مدح أمير المؤمنين عليه السلام:

علي أميــر المــؤمنيـــن وعزهــم ... إذا النـاس خافـوا مهلكـات العواقب
علي هو الحامي المرجى فعاله ... لدى كل يوم باسل الشر غاصب
علي هو المرهوب و الذائد الذي ... يذود عن الإسلام كل مناصب
علي هو الغيث الربيع مع الحبا ... إذا نزلت بالناس إحدى المصائب
علي هو العدل الموفق والرضا ... وفارج لبس المبهمات الغرائب
علي هو المأوى لكل مطرد ... شريد ومنحوب من الشر هارب
علي هو المهدي والمقتدى به ... إذا الناس حاروا في فنون المذاهب
علي هو القاضي الخطيب بقوله ... يجيء بما يعيى به كل خاطب
علي هو الخصم القوول بحجة ... يرد بها قول العدو المشاغب
علي هو البدر المنير ضياؤه ... يضيء سناه في ظلام الغياهب
علي أعز الناس جارا وحاميا ... وأقتلهم للقرن يوم الكتائب
علي أعم الناس حلما ونائلا ... وأجودهم بالمال حقا لطالب
علي أكف الناس عن كل محرم ... وأبقاهم لله في كل جاب

هل النور علة للهداية؟

مسألة: (النور) ـ وهو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ مقتض للهداية وليس علة تامة، وإلا لزم الجبر كما هو واضح، وعلى ذلك فالواجب على الجميع ـ كفائياً ـ توفير شروط الهداية، والمحرم على الجميع إيجاد موانعها، قال تعالى: ﴿**فالذين آمنوا به**

.....

(٥٢٠) المناقب: ج١ ص١٢٣ فصل في معجزات أفعاله عليه السلام.

﴿وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾[٥٢١]، وقال جل وعلا: ﴿يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم﴾[٥٢٢]، فهو ﷺ قائم بالهداية بالمعنى الأول[٥٢٣] وهو مع ذلك مقتضٍ لها، إذ لا تجب الخوارق لإيصال الرسالة إلى جميع البشرية مع وجود الموانع التي يصنعها الناس، ولذلك سيعرض الحق على القاصر يوم القيامة.

وأما المعنى الثاني للهداية[٥٢٤] فقد يقال بعدم وجوبها عليه ﷺ وإن كان قد قام بما أمكن من باب اللطف.

قولها عليها السلام: «نوراً» لعل الوجه في استخدامها صفة النور للنبي ﷺ لاالضياء الإشارة إلى مرآتيّته ﷺ لتعاليم الله وعدم استقلاليته عنه عزوجل، بل هو (الرسول) بمعنى الكلمة ـ وهذا لا ينافي ما فوض إليه في أمر التشريع والتكوين على تفصيل مذكور في محله ـ إذ أن الضياء يطلق على (ما منه النور) والنور يطلق على (ما عَبْرَه النور)، قال تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا﴾[٥٢٥]، فهو واسطة الفيض الإلهي هذا كله لو لوحظ منسوباً إلى الله تعالى وإلا ـ بأن لوحظ منسوباً للعالمين فإنه ضياء وغيره نور ـ بالقدر الذي استقى منه.

---

(٥٢١) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٥٢٢) سورة الصف: ٨.

(٥٢٣) أي (إراءة الطريق).

(٥٢٤) أي (الإيصال للمطلوب).

(٥٢٥) سورة يونس: ٥.

الاستضاءة بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم

مسألة: الاستضاءة بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم واجبة، وكذلك بالهداة والدعاة المعصومين عليهم السلام.

و(يستضاء به) يراد به الفعلية أو الأعم منه ومن الشأنية، ولا يمنعه ما قيل من استعمال المشترك في أكثر من معنى لما ذكرناه في (الأصول).

لا يقال: الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بدر ونور يستضاء به في حياته وبعد مماته، فكيف عبرت عليها السلام بـ (كنت)؟.

إذ يقال:

أولاً: من المحتمل تجرد (كان) هاهنا عن الزمن، كما في ﴿**وكان الله عليما حكيما**﴾[٥٢٦] ونظائره، فتأمل[٥٢٧].

ثانياً: يقال: إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بوجوده الخارجي نور وبدر، وبوجوده عند الله حياً يرزق نور وبدر، وبكلماته وسيرته نور وبدر، وبامتداده عبر ذريته وغير ذلك نور وبدر، و(كان) بلحاظ فقد الأول فحسب، أو يراد الأعم والمضي بلحاظ الأول فقط.

---

(٥٢٦) سورة النساء: ١٧و٩٢و١٠٤و١١١و١٧٠، سورة الفتح: ٤.

(٥٢٧) إذ الظاهر أنها عليها السلام في مقام بيان نتائج فقده صلى الله عليه وآله وسلم وما نجم من الآثار السلبية عليه، وما سبق قرينة على ذلك (إنا فقدناك فقد الأرض وابلها..) الخ.

الإرشاد إلى الاستضاءة

مسألة: إرشاد الناس إلى الاستضاءة بنور رسول الله ﷺ وإقناعهم ـ عبر السبل العلمية والعاطفية وغيرها ـ بأنه ﷺ (النور) الظاهر بنفسه المظهر لغيره (من الحقائق الأخلاقية والتربوية والاجتماعية والسياسية وغيرها) ـ في قبال من يطرح بدائل أخرى، وفي مقابل تشكيكات المشككين ـ واجب.

فإن بيان ذلك وبيان مصاديقه من أحواله ﷺ وأخلاقه وحكمه ومواعظه وسلوكه و... تعظيم له وتعريف به مما يوجب التفاف الناس حوله ﷺ أكثر فأكثر، والتفاف الناس حول الرسول ﷺ واجب؛ لأنه يؤدي إلى الانقياد والطاعة والسعادة في الدارين قال سبحانه: ﴿**وما أرسلنا من رسولٍ إلا ليطاع بإذن الله**﴾[٥٢٨]، وقال تعالى: ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾[٥٢٩] إلى غير ذلك.

قولها عليها السلام: «الكتب» أي السور والآيات؛ لأن جبرئيل عليه السلام كان يأتي بها وينزلها على رسول الله ﷺ تارة بعد تارة ومرة بعد أخرى، وربما يكون هذا السبب في الإتيان بصيغة الجمع، والمعنى أنت صاحب القرآن والكتب السماوية والأعرف بأحكام الله، وقد حكمت لنا بالإرث والخلافة، ولكن القوم غيروا الكتاب وبدلوا السنة وغصبوا الخلافة والميراث.

---

(٥٢٨) سورة النساء: ٦٤.

(٥٢٩) سورة النساء: ٥٩.

السر في النزول التدريجي للقرآن

مسألة: هناك أسرار وحِكَم في النزول التدريجي للقرآن ينبغي الإشارة إليها وبيانها.

وربما يستفاد من قولها عليها السلام: «عليك ينزل من ذي العزة الكتب» أن المراد بالكتب الأعم من القرآن الكريم، إذ أن ما كان ينزل على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ينقسم إلى قسمين: (الفرقان) و(الحديث القدسي)، وربما كانت الأقسام الأخرى أكثر قال تعالى: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[٥٣٠].

عن عبد الله بن سنان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: عن القرآن والفرقان؟. قال: «القرآن جملة الكتاب وأخبار ما يكون، والفرقان المحكم الذي يعمل به، وكل محكم فهو فرقان»[٥٣١].

ثم إن هناك وجوه دقيقة في نزول القرآن على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالتدريج خلال ثلاث وعشرين سنة، رغم نزوله عليه صلى الله عليه وآله وسلم دفعة واحدة ليلة القدر:

منها: إن نزوله الثاني التدريجي كان بلحاظ المقامات المختلفة والتطبيقات وشبه ذلك.

ومنها: إن النزول الثاني ربما تضمن أو تطلب شرحاً وتفسيراً وتوضيحاً.

ومنها: ما ذكر في وجه إطالة موسى عليه السلام الجواب في [**قال هِيَ عَصَايَ..**][٥٣٢].

.....

---

(٥٣٠) سورة النجم: ٣ -٤.

(٥٣١) تفسير العياشي: ج١ ص٩ في ما أنزل القرآن ح٢.

(٥٣٢) سورة طه: ١٨.

ومنها: الترابط المستمر مع الله فإنه لطف منه تعالى به ﷺ وعروج له ﷺ وأنه حبل ربط مستمر وتكامل له ﷺ.

ومنها: أن بيان التشريع الجديد وكذلك تطبيقه بحاجة إلى التدرج عادة، إلى غير ذلك.

قال العلامة المجلسي قدس سره: في قوله: **[وَقرآنا فرقناه]** أي: وأنزلنا عليك قرآناً فصلناه سوراً وآيات، أو فرقنا به الحق عن الباطل، أو جعلنا بعضه خبراً وبعضه أمراً وبعضه نهياً وبعضه وعداً وبعضه وعيداً، أو أنزلناه متفرقاً لم ننزله جميعاً إذ كان بين أوله وآخره نيف وعشرون سنة، **[لِتقرأهَ على الناسِ على مكث]** أي: على تثبت وتؤدة ليكون أمكن في قلوبهم، وقيل: لتقرأه عليهم مفرقاً شيئاً بعد شيء، **[ونزلناهُ تنزيلا]**(٥٣٣) على حسب الحاجة ووقوع الحوادث(٥٣٤).

وجاء في علة تحريم الخمر عن الإمام الكاظم عليه السلام: «إن الله عزوجل إذا أراد أن يفترض فريضة أنزلها شيئاً بعد شيء حتى يوطن الناس أنفسهم عليها ويسكنوا إلى أمر الله عزوجل ونهيه فيها، وكان ذلك من فعل الله عزوجل على وجه التدبير فيهم أصوب وأقرب لهم إلى الأخذ بها وأقل لنفارهم منها»(٥٣٥).

---

(٥٣٣) سورة الإسراء: ١٠٦.

(٥٣٤) بحار الأنوار: ج٩ ص١٢٢ ب١.

(٥٣٥) الكافي: ج٦ ص٤٠٦ باب تحريم الخمر في الكتاب ح٢.

وكان جبرئيل بالآيات يؤنسنا[٥٣٦] فقد فقدت[٥٣٧] وكلّ الخير محتجب

العلاقة بين العترة والسماء

مسألتان: يجب ـ عينياً ـ معرفة العلاقة بين عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والسماء في الجملة، ويجب ـ كفائياً ـ بيان العلاقة للناس، وأما ذكر المفردات والمصاديق، كالمصداق الذي ذكرته الصديقة الكبرى عليها السلام هاهنا: (وكان جبرئيل بالآيات يؤنسنا) فهو مستحب.

والظاهر أن أنسهم عليهم السلام كان بشيئين: بجبرائيل عليه السلام وبالآيات حتى لو كانت الباء هاهنا[٥٣٨] للسببية لا المعية.

والظاهر من هذا أن أنسهم بجبرائيل عليه السلام كان مباشرة لا بالواسطة، إذ كانوا يسمعون الصوت ويحسون بوجوده وإن لم يروا شخصه أحياناً[٥٣٩] كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «كنت أسمع الصوت وأبصر الضوء سنين سبعاً ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينئذ صامت ما أذن له بالإنذار والتبليغ»[٥٤٠].

علماً بأن المعصومين عليهم السلام كانوا يرون الملائكة ومنهم جبرئيل في كثير من الأحيان، وهذا لا يعني رؤيته للوحي، فإن الرؤية للوحي المعهود القرآني كان خاصاً بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(٥٣٦) وفي بعض النسخ: (وكان جبريل روح القدس زائرنا).

(٥٣٧) وفي بعض النسخ: (فغبت عنا)، وفي بعضها: (فغاب عنا).

(٥٣٨) أي: في (بالآيات).

(٥٣٩) راجع بحار الأنوار: ج٢٦ ص١٨ ب١.

(٥٤٠) شرح نهج البلاغة: ج١ ص١٥ القول في نسب أمير المؤمنين علي عليه السلام وذكر لمع يسيرة من قضائه.

إيناس الغير

مسألة: يستحب أن يؤنس الإنسان غيره ـ في حدود الشريعة ـ مطلقاً، وبالآيات بصورة خاصة.

وقد يكون ذلك واجباً، على ما ذكرناه في ما سبق.

وكان أنسهم (عليهم الصلاة والسلام) بالآيات لأنها الرابط بينهم وبين إله العالمين، إضافة إلى أنها كانت ترفع وحشتهم عن مشاكل ومصاعب الحياة، فإنهم (عليهم الصلاة والسلام) كانوا يعانون من شتى المشاكل والمصائب والمحن السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها التي كان يثيرها ضدهم الكفار والمنافقون والحاقدون والجاهلون ومن أشبه، فكانت الآيات خير مؤنس لهم.

حجب كل الخير

مسألة: يستحب بيان أن الخير كله قد احتجب بفقد الرسول ﷺ.

والمراد بكل الخير: كل الخير المنبعث من وجود رسول الله ﷺ الذي انقطع بموته، لا كل خيرات السماء والأرض التي هي أعم من ذلك، ولا كل خيره ﷺ المستمر بعد موته.

وبعبارة أخرى: المحتجب هو (كل الخير)، لا (الخير كله)، أي المجموع هو المحتجب لا الجميع، ويحتمل الإبقاء على الظاهر، من باب المبالغة.

ضاقت البلاد عليها

مسألة: يستحب بيان أن البلاد ضاقت على الصديقة فاطمة عليها السلام لما لاقته من الظلم والعدوان، وقد صرحت عليها السلام بذلك في هذا الشعر وغيره.

وهذا البيت مما ذكره السيد المرتضى رحمه الله.

أي: إن الأرض ضاقت عليَّ بعد ما كانت رحبة بوجودك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو كناية عن عظم المصائب التي وردت على الصديقة الطاهرة عليها السلام بعد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم.

مكانة السبطين

مسألة: يلزم الاعتقاد بمكانة السبطين الحسن والحسين عليهما السلام وفي حقهم روايات كثيرة عن الفريقين.

في البحار عن أبي هريرة، قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن لكل نبي وصياً وسبطين، فمن وصيك وسبطاك؟. فسكت ولم يرد عليَّ الجواب، فانصرفت حزيناً، فلما حان الظهر. قال: «ادن يا أبا هريرة». فجعلت أدنو وأقول: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، ثم قال: «إن الله بعث أربعة آلاف نبي، وكان لهم أربعة آلاف وصي وثمانية آلاف سبط، فو الذي نفسي بيده لأنا خير النبيين، ووصيي خير الوصيين، وإن سبطَي خير الأسباط ـ ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم ـ سبطي خير الأسباط الحسن والحسين سبطا هذه الأمة، وإن الأسباط كانوا من ولد يعقوب وكانوا اثني عشر رجلاً، وإن الأئمة بعدي اثنا عشر رجلاً من أهل بيتي، علي أولهم، وأوسطهم محمد، وآخرهم محمد، وهو مهـــدي هذه الأمـــة

الذي يصلي عيسى خلفه، ألا إن من تمسك بهم بعدي فقد تمسك بحبل الله، ومن تخلى منهم فقد تخلى من حبل الله»[٥٤١].

وقال رسول الله ﷺ في حق الحسين عليه السلام إذ دخل عليه فأخذه ﷺ وقبّله ثم قال: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه. يا حسين، أنت الإمام، ابن الإمام، أبو الأئمة، التسعة من ولدك أئمة أبرار»[٥٤٢].

وعن أبي أيوب الأنصاري، قال: مرض رسول الله ﷺ مرضة فأتته فاطمة عليها السلام تعوده، فلما رأت ما برسول الله ﷺ من المرض والجهد استعبرت وبكت حتى سالت دموعها على خديها. فقال لها النبي ﷺ: «يا فاطمة، إني لكرامة الله إياكِ زوّجتكِ أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً. إن الله تعالى اطلع إلى أهل الأرض اطلاعة فاختارني منها فبعثني نبياً، واطلع إليها ثانية فاختار بعلكِ فجعله وصياً». فسرت فاطمة عليها السلام فاستبشرت.

فأراد رسول الله ﷺ أن يزيدها مزيد الخير. فقال: «يا فاطمة، إنا أهل بيت أعطينا سبعاً لم يعطها أحد قبلنا ولا يعطاها أحد بعدنا: نبينا أفضل الأنبياء وهو أبوكِ، ووصينا أفضل الأوصياء وهو بعلكِ، وشهيدنا أفضل الشهداء وهو عمكِ، ومنا من جعل الله له جناحين يطير بهما مع الملائكة وهو ابن عمكِ، ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناكِ. والذي نفسي بيده لا بد لهذه الأمة من مهدي وهو والله من ولدكِ»[٥٤٣].

---

(٥٤١) بحار الأنوار: ج٣٦ ص٣١٢ ب٤١ ح١٥٧.

(٥٤٢) كفاية الأثر: ص٨١ -٨٣ باب ما جاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في النصوص على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

(٥٤٣) الأمالي للطوسي: ص١٥٤ -١٥٥ المجلس السادس ح٢٥٦ -٨.

وعن ليث بن أبي سليم، قال: أتى النبي ﷺ علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام كلهم يقول: «أنا أحب إلى رسول الله ﷺ. فأخذ ﷺ فاطمة مما يلي بطنه، وعلياً مما يلي ظهره، والحسن عن يمينه، والحسين عن يساره، ثم قال ﷺ: «أنتم مني وأنا منكم»(٥٤٤).

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: «أخذ رسول الله ﷺ بيد الحسن والحسين عليهما السلام، فقال: من أحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»(٥٤٥).

وعن حنان بن سدير الصيرفي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثني محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام، قال: «كان النبي ﷺ جالساً في مسجده، فجاء علي عليه السلام فسلم وجلس، ثم جاء الحسن بن علي عليه السلام فأخذه النبي ﷺ وأجلسه في حجره وضمه إليه و قبله، ثم قال له: اذهب فاجلس مع أبيك، ثم جاء الحسين عليه السلام ففعل النبي ﷺ مثل ذلك، وقال له: اجلس مع أبيك، إذ دخل رجل المسجد فسلم على النبي ﷺ خاصة، وأعرض عن علي والحسن والحسين عليهم السلام، فقال له النبي ﷺ: ما منعك أن تسلم على علي وولديه، فو الذي بعثني بالهدى ودين الحق لقد رأيت الرحمة تنزل عليه وعلى ولديه»(٥٤٦).

وعن زيد بن أرقم، قال: خرج رسول الله ﷺ وإذا علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم»(٥٤٧).

---

(٥٤٤) الأمالي للصدوق: ص١٣ المجلس الرابع ح٢.

(٥٤٥) الأمالي للصدوق: ص٢٢٩ المجلس الأربعون ح١١.

(٥٤٦) الأمالي للطوسي: ج٢٢٣ المجلس الثامن ح٣٨٧ -٣٧.

(٥٤٧) بحار الأنوار: ج٣٧ ص٤٢ -٤٣ ب٥٠ ح١٨.

وعن أنس قال: اتكأ النبي ﷺ على علي. فقال: «يا علي، أما ترضى أن تكون أخي وأكون أخاك، وتكون وليي ووصيي ووارثي، تدخل رابع أربعة الجنة: أنا وأنت والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا ومن تبعنا من أمتنا عن أيمانهم وشمائلهم. قال: بلى يا رسول الله»(٥٤٨).

وعن حذيفة، قال النبي ﷺ في خبر: «أما رأيت العارض الذي عرض لي؟».

قلت: بلى.

قال: «ذاك ملك لم يهبط إلى الأرض قبل الساعة، فاستأذن الله تعالى أن يسلم عليَّ ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيده نساء أهل الجنة»(٥٤٩).

الخسف بالسبطين

مسألة: يحرم خسف السبطين الحسن والحسين عليهما السلام وإرادة الشر بهما كما يحرم إيذاؤهما؛ فإن ذلك إيذاء للصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، وإيذاؤها إيذاء لرسول الله ﷺ، وإيذاؤه إيذاء الله عزوجل كما في الروايات(٥٥٠).

(٥٤٨) بشارة المصطفى: ص٢٤٣.

(٥٤٩) المناقب: ج٣ ص٣٩٤ فصل في معالي أمورهما عليهما السلام.

(٥٥٠) راجع غوالي اللآلئ: ج٤ ص٩٣ الجملة الثانية في الأحاديث المتعلقة بالعلم وأهله وحامليه ح١٣١، وفيه قال رسول الله ﷺ: «فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله أكبه الله في النار».

عن ابن عباس، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن علياً وصيي وخليفتي، وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين ابنتي، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ولداي، من والاهم فقد والاني ومن عاداهم فقد عاداني، ومن ناوأهم فقد ناوأني، ومن جفاهم فقد جفاني، ومن برهم فقد برني، وصل الله من وصلهم، وقطع الله من قطعهم، ونصر الله من أعانهم، وخذل الله من خذلهم. اللهم من كان له من أنبيائك ورسلك ثقل وأهل بيت فعلي وفاطمة والحسن والحسين أهل بيتي وثقلي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»(٥٥١).

قولها عليها السلام: «سبطاك» الحسن والحسين عليهما السلام

والنصب: التعب.

أي: أن القوم أرادوا خسف السبطين وهذا ما أوجب تعبي.

(٥٥١) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص١٧٩ باب الوصية من لدن آدم عليه السلام ح٥٤٠٤.

تمني الموت في رثاء الفقيد

مسألة: يجوز إظهار تمني الموت في رثاء الفقيد.

وهذا من باب الرثاء وبيان عظمة المصاب، فيكون تعبيراً مجازياً لبيان شدة المصيبة، وإن كان يجوز ذلك من باب الواقع أيضاً أي بالمعنى الحقيقي إذا كان تمني الموت في مورده، كما في مصاب المعصومين عليهم السلام... على عكس الذين لايتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم كما قال سبحانه: ﴿**فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ۞ ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم**﴾(٥٥٢).

المظلوم وتمنى الموت

مسألة: تمني الموت بشكل عام مكروه، ولكنه جائز للمظلوم.

وفي المقابل يستحب الدعاء بطول العمر، كما ورد ذلك في المأثور:

عن محمد بن عطية، عن أبي عبد الله عليه السلام ـ في دعاء كل ليلة من شهر رمضان المبارك ـ تقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِيمَا تَقْضِي وَتُقَدِّرُ مِنَ الأَمْرِ الْمَحْتُومِ فِي الأَمْرِ الْحَكِيمِ مِنَ الْقَضَاءِ الَّذِي لاَ يُرَدُّ وَلاَ يُبَدَّلُ أَنْ تَكْتُبَنِي مِنْ حُجَّاجِ بَيْتِكَ الْحَرَامِ الْمَبْرُورِ حَجُّهُمْ، الْمُكَفَّرِ عَنْهُمْ سَيِّئَاتُهُمْ، الْمَغْفُورِ ذُنُوبُهُمْ، الْمَشْكُورِ سَعْيُهُمْ، وَأَنْ تَجْعَلَ فِي مَا تَقْضِي وَتُقَدِّرُ مِنَ الأَمْرِ الْمَحْتُومِ فِي الأَمْرِ الْحَكِيمِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنَ الْقَضَاءِ الَّذِي لاَ يُرَدُّ وَلاَ يُبَدَّلُ أَنْ تُطِيلَ عُمُرِي، وَأَنْ تُوَسِّعَ عَلَيَّ فِي

(٥٥٢) سورة الجمعة: ٦ - ٧.

رِزْقِي، وَأَنْ تَجْعَلَنِي مِمَّنْ تَنْتَصِرُ بِهِ لِدِينِكَ، وَلاَ تَسْتَبْدِلْ بِي غَيْرِي»[٥٥٣].

وفي دعاء بعد صلاة الفجر يوم الفطر: «اللهم إني أسألك أن تجعل فيما شئت وأردت، وقضيت وقدرت، وحتمت وأنفذت، أن تطيل عمري، وتنسئ في أجلي»[٥٥٤].

وفي دعاء بعد صلاة أربع ركعات في يوم الجمعة: «أن تصلي على محمد وآله وأن تسمع دعائي، وتجيب ندائي، وترحم تضرعي، وتقبل عليَّ، وتقبل توبتي، وتديم عافيتي، وتسهل قضاء حاجتي وديني، وتوسع عليَّ في رزقي، وتصح جسمي، وتطيل عمري، وتغفر ذنبي، وتوفقني لما يرضيك، وتقلبني إلى رضوانك»[٥٥٥].

وفي دعاء السحر لمولانا علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام الذي رواه أبو حمزة الثمالي: «وأن تجعل فيما تقضي وتقدر أن تطيل عمري، وتوسع رزقي، وتؤدي عني أمانتي وديني، آمين رب العالمين»[٥٥٦].

كراهة تمني الموت

عن أبي محمد العسكري عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: «جاء رجل إلى الصادق عليه السلام. فقال: قد سئمت الدنيا فأتمنى على الله الموت؟.

فقال عليه السلام: «تمن الحياة لتطيع لا لتعصي؛ فلأن تعيش فتطيع خير لك من

(٥٥٣) الكافي: ج٤ ص١٦١ -١٦٢ باب الدعاء في العشر الأواخر من شهر رمضان ح٣.

(٥٥٤) بحار الأنوار: ج٨٨ ص٣ ب٢ ح١.

(٥٥٥) جمال الأسبوع: ص٣١٧ -٣١٨ ف٣١ الدعاء بعد هذه الصلاة.

(٥٥٦) مصباح الكفعمي: ص٦٢٢ -٦٢٣ ف٤٥.

أن تموت فلا تعصي ولاتطيع»[٥٥٧].

وفي (الأمالي) للشيخ الطوسي، عن أم الفضل، قالت: دخل رسول الله ﷺ على رجل يعوده وهو شاك فتمنى الموت. فقال رسول الله ﷺ: «لاتتمن الموت؛ فإنك إن تك محسناً تزدد إحساناً إلى إحسانك، وإن تك مسيئاً فتؤخر تستعتب، فلا تمنوا الموت»[٥٥٨].

وقال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت بضر نزل به»[٥٥٩].

وقال ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت؛ فإن هول المطلع شديد، وإن من سعادة المرء أن يطول عمره، ويرزقه الله الإنابة»[٥٦٠].

تمني الموت في فقد المعصوم عليه السلام

مسألة: يجوز تمني الموت في فقد الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وقد يكون مستحباً، والإفراد بالذكر للأهمية كما في بعض أقسام الخاص بعد العام، فإنه من باب أجلى المصاديق لما تقدم.

نعم، أصل تمني الموت مكروه كما سبق، لكنه قد يستحب تمنيه في بعض الأحيان، كما تمنت الصديقة الطاهرة عليها السلام الموت لفقد أبيها ﷺ، وتمنته ثانية لكثرة ما ورد عليها من المصائب[٥٦١]..

---

(٥٥٧) بحار الأنوار: ج٦ ص١٢٨ ب٤ ح١٥.

(٥٥٨) الأمالي للطوسي: ج٣٨٥ المجلس الثالث عشر ح٨٣٧ -٨٨

(٥٥٩) الدعوات: ص١٢٢ فصل في فنون شتى من حالات العافية والشكر عليها ح٢٩٦.

(٥٦٠) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج١ ص٧.

(٥٦١) راجع بحار الأنوار: ج٤٣ ص١٧٦ ب٧ ح١٥.

وكما تمناه أمير المؤمنين عليه السلام في قصص عديدة مشهورة، حيث قال عليه السلام: «أنتظر أشقاها أن يخضب لحيتي من دم رأسي بعهد معهود أخبرني به حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»(٥٦٢).

وقال الإمام السجاد عليه السلام في الشعر المنسوب إليه:

«فيا ليت أمي لم تلدني ولم أكن يزيد يراني في البلاد أسير»

وكما قالت السيدة زينب (عليها الصلاة والسلام) في يوم كربلاء: «ليت الموت أعدمني الحياة»(٥٦٣).

وكما تمناه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حيث قال: «يَا سَيِّدِي، نَجِّنِي مِنْ حَبْسِ هَارُونَ وَخَلِّصْنِي مِنْ يَدِهِ. يَا مُخَلِّصَ الشَّجَرِ مِنْ بَيْنِ رَمْلٍ وَطِينٍ وَمَاءٍ، وَيَا مُخَلِّصَ اللَّبَنِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ، وَيَا مُخَلِّصَ الْوَلَدِ مِنْ بَيْنِ مَشِيمَةٍ وَرَحِمٍ، وَيَا مُخَلِّصَ النَّارِ مِنْ بَيْنِ الْحَدِيدِ وَالْحَجَرِ، وَيَا مُخَلِّصَ الأَرْوَاحِ مِنْ بَيْنِ الأَحْشَاءِ وَالأَمْعَاءِ، خَلِّصْنِي مِنْ يَدِ هَارُونَ»(٥٦٤).

قولها عليها السلام: «الكثب»، أي التراب.

الدعاء على النفس بالموت

مسألة: يعلم مما سبق حكم الدعاء على النفس بالموت وكراهته في الأصل، إلا أنه قد يستفاد رجحانه في ما كان من قبيل قولها عليها السلام: «اللهم عجل وفاتي سريعاً».

---

(٥٦٢) وسائل الشيعة: ج٢ ص٨٤ ب٤١ ح١٥٥٩.

(٥٦٣) بحار الأنوار: ج٤٢ ص٢ بقية الباب ٣٧ ح٢.

(٥٦٤) وسائل الشيعة: ج٨ ص١٤٠ ب٣٢ ح١٠٢٥٣.

مصيبة وفاة الرسول ﷺ

مسألة: يستحب بيان أن مصيبة وفاة رسول الله ﷺ لا تعدلها مصيبة إطلاقاً، لأنه لا يعدل الرسول ﷺ شيء في الكون كله إطلاقاً، حسب ما دل على ذلك العقل والنقل. وإذا كان كذلك فإن إقامة العزاء على فقده على مر الأزمان أولى من كل مصاب مهما جد وقرب.

والوجه في قولها عليها السلام: «إنا رزئنا.. » بصيغة الجمع، أن رزية فقده ﷺ رزية عامة عمت آثارها جميع المسلمين، بل البشرية جمعاء في ذلك الزمن إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة، بل الكائنات بأجمعها، وهو واضح ثبوتاً واثباتاً[٥٦٦].

أما قولها: «من البرية» الظاهر أنه بيان لـ «ذو شجن»، مع أن ما رزئوا به لم يرزأ به ذو شجن لا من البرية ولا من غيرها[٥٦٧]، فلأنه محط الحاجة على حسب قابلية القابل.

الرزء: المصيبة بفقد الأعزة.

الشجن: الحزن.

العجم: غير العرب من الفرس والترك والهنود وغيرهم.

---

(٥٦٥) وفي بعض النسخ: (من البلية) فيكون بياناً لـ (ما).

(٥٦٦) فإنهم الأقرب والمحطة الأولى للفيوضات، ثم أن من يعرف قيمة المفقود والفقيد أكثر رزءاً وهماً وغماً ممن لا يعرف قيمته.

(٥٦٧) كالملائكة والجن وسائر مخلوقات الله تعالى.

الطهر الطاهر

مسألة: يلزم الاعتقاد بأن رسول الله ﷺ طهر طاهر مطهر، من طهر طاهر مطهر، وكذلك والديه وأجداده إلى آدم عليه السلام بأجمعهم من المؤمنين الطاهرين، فلم يكن ﷺ إلا في صلب طاهر ورحم طاهر. وأنه ﷺ كان من أشرف الخلق والأعراق والأنساب.

قال تعالى: [**الذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**][٥٦٨].

وعن أبي الجارود، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل: [**وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**][٥٦٩]؟. قال: «يرى تقلبه في أصلاب النبيين من نبي إلى نبي، حتى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم »عليه السلام[٥٧٠].

قال الشيخ المفيد (رضوان الله عليه): (اعتقادنا في آباء النبي ﷺ أنهم مسلمون من آدم إلى أبيه عبد الله، وأن أبا طالب كان مسلماً، وأمه آمنة بنت وهب كانت مسلمة. وقال النبي ﷺ: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لن آدم». وروي أن عبد المطلب كان حجة وأبا طالب كان وصيه)[٥٧١].

وقال العلامة المجلسي قدس سره: (اتفقت الإمامية (رضوان الله عليهم) على أن والدي الرسول ﷺ وكل أجداده إلى آدم عليه السلام كانوا مسلمين، بل كانوا من الصديقين إما أنبياء مرسلين، أو أوصياء معصومين، ولعل بعضهم لم يظهر

(٥٦٨) سورة الشعراء: ٢١٨ -٢١٩.

(٥٦٩) سورة الشعراء: ٢١٩.

(٥٧٠) تأويل الآيات الظاهرة: ص٣٩٣ سورة الشعراء وما فيها من الآيات في الأئمة الهداة.

(٥٧١) الاعتقادات، للشيخ المفيد: ص١١٠ باب الاعتقاد في آباء النبي ﷺ.

الإسلام لتقية أو لمصلحة دينية. قال أمين الدين الطبرسي (رحمه الله) في (مجمع البيان): قال أصحابنا: إن آزر كان جد إبراهيم عليه السلام لأمه أو كان عمه، من حيث صح عندهم أن آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى آدم عليهم السلام كلهم كانوا موحدين وأجمعت الطائفة على ذلك. ورووا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا لم يدنسني بدنس الجاهلية». ولو كان في آبائه عليهم السلام كافر لم يصف جميعهم بالطهارة مع قوله سبحانه: **[إِنَمَا المشرِكون نَجَس]**(٥٧٢)، ولهم في ذلك أدلة ليس هنا موضع ذكرها، انتهى)(٥٧٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «نزل جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد، إن ربك يقرؤك السلام ويقول: إني قد حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك، فالصلب صلب أبيك عبد الله بن عبد المطلب، والبطن الذي حملك فآمنة بنت وهب، وأما حجر كفلك فحجر أبي طالب»(٥٧٤).

قولها عليها السلام: «محضا» أي خالصة.

خليقته: أي خُلُقه.

الضرائب: جمع الضريبة وهي الطبيعة.

الأعراق: جمع العرق وهو أصل كل شيء، أي الآباء والأجداد.

فأنت خير عباد الله كلهم وأصدق الناس حيث الصدق والكذب

(٥٧٢) سورة التوبة: ٢٨.

(٥٧٣) بحار الأنوار: ج١٥ ص١١٧ ب١.

(٥٧٤) الكافي: ج١ ص٤٤٦ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووفاته ح٢١.

خير العباد

مسألة: الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو أشرف الخلق وهو خير عباد الله كلهم، ويلزم الاعتقاد بذلك، ويأتي من بعده علي أمير المؤمنين وفاطمة (سلام الله عليهما)، ومن بعدهما الحسن والحسين عليهما السلام ثم المهدي (عجل الله تعالى فرجه) ثم سائر الأئمة (عليهم أفضل الصلاة والسلام) على ما يستفاد من الروايات.

عن أبي هارون العبدي، قال: أتيت أبا سعيد الخدري فقلت له: هل شهدت بدراً؟. قال: نعم. فقلت له: ألا تحدثني بشيء مما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في علي عليه السلام وفضله؟. فقال: بلى أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرض مرضة نقه منها. فدخلت عليه فاطمة عليها السلام تعوده وأنا جالس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما رأت ما برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الضعف خنقتها العبرة حتى بدت دموعها على خدها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما يبكيكِ يا فاطمة!. قالت: «أخشى الضيعة يا رسول الله». فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يا فاطمة، أما علمتِ أن الله اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختار منهم أباكِ فبعثه نبياً، ثم اطلع ثانية فاختار منهم بعلكِ فأوحى إليَّ فأنكحته واتخذته وصياً، أما علمتِ أنكِ بكرامة الله إياكِ زوجكِ أغزرهم علماً، وأكثرهم حلماً، وأقدمهم سلماً».

فاستبشرت فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يزيدها مزيد الخير كله الذي قسمه الله لمحمد وآل محمد، فقال لها: «يا فاطمة ولعلي ثمانية أضراس ـ يعني: مناقب ـ إيمان بالله، ورسوله، وحكمته، وزوجته، وسبطاه الحسن والحسين، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر. يا فاطمة، إنا أهل بيت أعطينا ست خصال لم يعطها أحد من

الأولين ولا يدركها أحد من الآخرين غيرنا: نبينا خير الأنبياء وهو أبوكِ،

ووصينا خير الأوصياء وهو بعلكِ، وشهيدنا خيرنا الشهداء وهو حمزة عم أبيكِ، ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناكِ، ومنا مهدي الأمة الذي يصلي عيسى خلفه ـ ثم ضرب على منكب الحسين عليه السلام فقال ـ من هذا مهدي الأمة»[٥٧٥].

وعن الأعمش، عن جعفر بن محمد عليه السلام، قال: سألته عن أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأحقهم بالأمر؟. فقال: «علي بن أبي طالب عليه السلام، وبعده الحسن ثم الحسين سبطا رسول الله وابنا خيرة النسوان، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد، ثم من بعده الأئمة الهداة المهديون عليهم السلام؛ فإن فيهم الورع، والعفة، والصدق، والصلاح، والاجتهاد، وأداء الأمانة إلى البر والفاجر، وطول السجود، وقيام الليل، واجتناب المحارم، وانتظار الفرج بالصبر، وحسن الصحبة، وحسن الجوار»[٥٧٦].

وعن أصبغ بن نباتة الحنظلي، قال: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام يوم افتتح البصرة وركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال: «أيها الناس، ألا أخبركم بخير الخلق يوم يجمعهم الله». فقام إليه أبو أيوب الأنصاري فقال: بلى يا أمير المؤمنين حدثنا؛ فإنك كنت تشهد ونغيب. فقال: «إن خير الخلق يوم يجمعهم الله سبعة من ولد عبد المطلب لا ينكر فضلهم إلا كافر، ولا يجحد به إلا جاحد». فقام عمار بن ياسر (رحمه الله) فقال: يا أمير المؤمنين، سمهم لنا لنعرفهم؟. فقال: «إن خير الخلق يوم يجمعهم الله الرسل، وإن أفضل الرسل محمد صلى الله عليه وآله، وإن أفضل

كل أمة بعد نبيها وصي نبيها حتى يدركه نبي، ألا وإن أفضل الأوصياء وصي

(٥٧٥) كشف الغمة: ج٢ ص٤٨١ -٤٨٢ ب٩.

(٥٧٦) إرشاد القلوب: ج٢ ص٤٢١ باب فيه بعض قضاياه عليه السلام في الحد وفي أخذ الحد.

محمد (عليه وآله السلام)، ألا وإن أفضل الخلق بعد الأوصياء الشهداء، ألا وإن أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبي طالب له جناحان خضيبان يطير بهما في الجنة لم ينحل أحد من هذه الأمة جناحان غيره شيء كرم الله به محمداً ﷺ وشرفه، والسبطان الحسن والحسين والمهدي عليهم السلام يجعله الله من شاء منا أهل البيت ـ ثم تلا هذه الآية: ـ **[ومن يطعِ اللهَ والرسولَ فأولئكَ معَ الذينَ أنعمَ اللهُ عليهم منَ النبيينَ والصديقينَ والشهداءِ والصالحينَ وحسنَ أولئكَ رفيقا ۞ ذلكَ الفضل منَ اللهِ وكفى باللهِ عليما]**(٥٧٧)»(٥٧٨).

وعن عبد الله بن ميمون القداح، عن جعفر، عن أبيه، قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «منا سبعة خلقهم الله عزوجل لم يخلق في الأرض مثلهم: منا رسول الله ﷺ سيد الأولين والآخرين وخاتم النبيين، ووصيه خير الوصيين، وسبطاه خير الأسباط حسناً وحسيناً، وسيد الشهداء حمزة عمه، ومن قد طاف [طار] مع الملائكة جعفر، والقائم»(٥٧٩).

وعن الأصبغ بن نباتة، قال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: أفضل الكلام قول: لا إله إلا الله، وأفضل الخلق أول من قال: لا إله إلا الله. فقيل: يا رسول الله، ومن أول من قال: لا إله إلا الله؟. قال: أنا، وأنا نور بين يدي الله جل جلاله وأوحده وأسبحه، وأكبره وأقدسه وأمجده، ويتلوني نور شاهد مني. فقيل: يا رسول الله،

.....

ومن الشاهد منك؟ فقال: علي بن أبي طالب أخي وصفيي، ووزيري وخليفتي

(٥٧٧) سورة النساء: ٦٩ -٧٠.

(٥٧٨) الكافي: ج١ ص٤٥٠ باب مولد النبي ﷺ ووفاته ح٣٤.

(٥٧٩) قرب الإسناد: ص١٣ - ١٤.

ووصيي وإمام أمتي، وصاحب حوضي وحامل لوائي. فقيل له: يا رسول الله، فمن يتلوه؟. فقال: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، ثم الأئمة من ولد الحسين إلى يوم القيامة»(٥٨٠).

وعن ابن عباس، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وهو آخذ بيد علي عليه السلام وهو يقول: «يا معشر الأنصار، يا معشر بني هاشم، يا معشر بني عبد المطلب، أنا محمد، أنا رسول الله، ألا إني خلقت من طينة مرحومة في أربعة من أهل بيتي: أنا وعلي وحمزة وجعفر». فقال قائل: يا رسول الله، هؤلاء معك ركبان يوم القيامة؟. فقال: «ثكلتك أمك، إنه لن يركب يومئذ إلا أربعة أنا وعلي وفاطمة وصالح نبي الله، فأما أنا فعلى البراق، وأما فاطمة ابنتي فعلى ناقتي العضباء، وأما صالح فعلى ناقة الله التي عقرت، ، وأما علي فعلى ناقة من نوق الجنة زمامها من ياقوت، عليه حلتان خضراوان، فيقف بين الجنة والنار وقد ألجم الناس من العرق يومئذ، فتهب ريح من قبل العرش فتنشف عنهم عرقهم، فيقول الملائكة والأنبياء والصديقون: ما هذا إلا ملك مقرب أو نبي مرسل! فينادي مناد: ما هذا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولكنه علي بن أبي طالب أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا والآخرة»(٥٨١).

وعن عمار بن ياسر (رضوان الله عليه)، أنه قال: لما سار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى صفين وقف بالفرات وقال لأصحابه: «أين المخاض؟».

قالوا: يا مولانا، ما نعلم أين المخاض. فقال لبعض أصحابه: «امض إلى هذا

(٥٨٠) كمال الدين: ج٢ ص٦٦٩ ب٥٨ ح١٤.

(٥٨١) الخصال: ج١ ص٢٠٤ -٢٠٥ الركبان يوم القيامة أربعة ح٢٠.

التل وناد: يا جلندى، أين المخاض؟». قال: فسار حتى وصل إلى التل ونادى: يا جلندى، أين المخاض؟. قال: فأجابه من تحت الأرض خلق كثير فبهت ولم يعلم ما يصنع، فأتى إلى الإمام عليه السلام وقال: يا مولاي، جاوبني خلق كثير.

فقال عليه السلام: «يا قنبر، امض وقل: يا جلندى بن كركر، أين المخاض؟». قال: فمضى قنبر وقال: يا جلندى بن كركر، أين المخاض؟». فكلمه واحد وقال: (ويلكم من عرف اسمي واسم أبي وأنا في هذا المكان قد صرت تراباً وقد بقي قحف رأسي عظماً نخرة رميماً ولي ثلاثة آلاف سنة ما يعلم أين المخاض، فهو والله أعلم بالمخاض مني، ويلكم ما أعمى قلوبكم، وأضعف يقينكم، ويلكم امضوا إليه واتبعوه فأين خاض خوضوا معه؛ فإنه أشرف الخلق على الله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) (٥٨٢).

قال الشيخ المفيد رحمه الله: (واعتقاد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأنه كان الخليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مقامه، والإمام المقدم على الكافة بعد وفاته، وأنه أفضل الخلق من بعده، وأن الموالاة له موالاة لرسول الله، والمعاداة له معاداة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه كان القائم بالقسط في دين الله بمودته، والبراءة من أعدائه الدائبين بمخالفته. واعتقاد إمامة الحسن والحسين عليهما السلام من بعده، وأن الأئمة بعد الحسين عليه السلام من ولده بالنص عليهم، والتوقيف على إمامتهم، والدعوة إلى اعتقاد فرض طاعتهم، والقربة إلى الله بولايتهم، والبراءة إليه ممن انطوى على داوتهم، وانتظار دولة الحق في عاقبتهم، والقطع على أنهم

أفضل من سائر رعيتهم. واعتقاد وجوب ولاية أمير المؤمنين، وعداوة الكافرين،

---

(٥٨٢) الفضائل: ص١٤٠ وفي ذكر اللوح المحفوظ الذي نزل به جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

والمودة لأهل الطاعة في الدين، والنصيحة لأهل التوحيد والمعرفة واليقين)[٥٨٣].

الصادق المصدق

مسألة: يجب الاعتقاد بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو أصدق الخلق، فما أخبر به من وحي وحكم وتاريخ وغيب وغيرها صدق صحيح بلا شك.

وفي الحديث: «الصادق المصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[٥٨٤].

وفي (مكارم الأخلاق): «إن رسولك الصادق المصدق قال: ...»[٥٨٥].

وفي (البحار): عن زاذان، عن ابن عمر، قال: حدثنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو الصادق المصدق، قال: «إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأولين والآخرين نادى مناد بصوت يسمع به البعيد كما يسمع به القريب: أين علي بن أبي طالب عليه السلام أين علي الرضا عليه السلام؟. فيؤتى بعلي الرضا عليه السلام فيحاسبه حساباً يسيراً، ويكسى حلتان خضراوان، ويعطى عصاه من الشجرة وهي شجرة طوبى، فيقال له: قف على الحوض فاسق من شئت وامنع من شئت»[٥٨٦].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام عند ما أخبر عن مقتل ولده الحسين عليه السلام بكربلاء: «والذي نفس علي بيده لقد حدثني الصادق المصدق أبو القاسم صلى الله عليه وآله وسلم أني سأراها في خروجي إلى أهل البغي علينا، وهذه أرض كرب وبلاء يدفن فيها

.....

الحسين وسبعة عشر رجلاً من ولدي وولد فاطمة، وإنها لفي السماوات معروفة

---

(٥٨٣) أحكام النساء: ص١٥ -١٦ باب ما يعم كافة المكلفين فرضه ولا يسقط عنهم مع كمال عقولهم.

(٥٨٤) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٢٠٩ ب٤٩ ح٢٢٣٥٤.

(٥٨٥) مكارم الأخلاق: ص٢٨٤ ب١٠ ف٢ دعاء آخر.

(٥٨٦) بحار الأنوار: ج٨ ص٢٥ ب٢٠ ح٢٣.

تذكر أرض كرب وبلاء كما تذكر بقعة الحرمين وبقعة بيت المقدس»[٥٨٧].

وقال علي عليه السلام وهو ينعى نفسه: «إن الصادق المصدق عهد إليَّ لينبعثن أشقاها فليقتلك كما انبعث أشقى ثمود»[٥٨٨].

ومن دعائهم عليهم السلام: «اللهم صل على محمد وآل محمد، اللهم إن الصادق المصدق محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنك قلت: ما ترددت في شيء أنا فاعله كترددي في قبض روح عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته. اللهم صل على محمد وآل محمد، وعجل لوليك الفرج والعافية والنصر، ولا تسؤني في نفسي ولا في أحد من أحبت برحمتك يا أرحم الراحمين.

قالوا عليهم السلام: من قال ذلك في دبر كل صلاة فريضة عاش حتى ملّ الحياة»[٥٨٩].

---

(٥٨٧) الأمالي للصدوق: ص٥٩٨ المجلس السابع والثمانون ح٥.

(٥٨٨) شواهد التنزيل: ج٢ ص٤٣٤ ومن سورة والشمس ح١٠٩٧.

(٥٨٩) الدعوات: ص١٣٤ فصل في فنون شتى من حالات العافية والشكر عليها ح٣٣٢.

البكاء على الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

مسألة: يستحب البكاء على فقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما عاش الإنسان وما بقيت له عين تسكب، كما قالت الصديقة الطاهرة عليها السلام في هذه الخطبة، وكما بكت هي (صلوات الله عليها) كذلك حتى التحقت بأبيها صلى الله عليه وآله وسلم فكانت من البكائين.

قال أبو عبد الله عليه السلام:

«البكاءون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد، وعلي بن الحسين عليهم السلام ... أما فاطمة فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى تأذى بها أهل المدينة. فقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائكِ. فكانت تخرج إلى المقابر، مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف»(٥٩٠).

قولها عليها السلام «تهمال»: من الهمل كالتكرار، همل عينه أي فاضت.

سكب الماء: أي صبه.

الاجتماع للبكاء

مسألة: ربما يستفاد من كلامها عليها السلام «نبكيك» بصيغة المخاطب مع الغير، أنه يستحب الاجتماع وعقد مجالس الحزن والبكاء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله الأطهار عليهم السلام، كما هو المتعارف اليوم بين الشيعة أعزهم الله.

(٥٩٠) الخصال: ج١ ص٢٧٢ -٢٧٣ البكاءون خمسة ح١٥.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال لفضيل: «تجلسون وتحدثون؟».

قال: نعم جعلت فداك.

قال: «إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا. يا فضيل، من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر»(٥٩١).

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: «اجتمعوا وتذاكروا تحف بكم الملائكة، رحم الله من أحيا أمرنا»(٥٩٢).

وقال الصادق عليه السلام: «حدثوا عنا ولا حرج، رحم الله من أحيا أمرنا»(٥٩٣).

(٥٩١) قرب الإسناد: ص١٨.

(٥٩٢) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٢ ب١٠ ح١٥٥٤٠.

(٥٩٣) الدعوات: ص٦٣ ب١ فصل في ألح الدعاء وأوجزه.

المتولي للظلم

مسألة: ينبغي تنبيه المتولي للظلم بعاقبة أمره وأنه النار، حيث قالت عليها السلام: «يوم القيامة أنى سوف ينقلب»، أي: في نار جهنم. والمتولي هو المباشر للشيء، وهو إشارة إلى ابن أبي قحافة وابن الخطاب ومن ساندهم من القوم على غصب الخلافة وغصب فدك والظلم على أهل بيت النبوة عليهم السلام.

قولها عليها السلام: «حامتنا» حامة الشخص خاصته، والمراد به أهل البيت عليهم السلام وفي الحديث المتواتر المروي عن الفريقين: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جلل على حسن وحسين وعلي وفاطمة عليهم السلام ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي وحامتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»(٥٩٤).

المؤسس لظلم أهل البيت صلى الله عليه وآله وسلم

مسألة: يستفاد من كلامها عليها السلام حيث قالت: «ظلم حامتنا» ولم تقل (ظلمي) بأن ما فعله القوم كان هو الأساس في ظلم ذريتها والأئمة المعصومين عليهم السلام إلى يوم القيامة، وينبغي بيان ذلك للناس.

فالأول والثاني هما من أسس الظلم على أهل البيت عليهم السلام، فلولا إحراق بيت فاطمة عليها السلام لما تجرأ القوم على حرق خيام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء بكربلاء(٥٩٥)، ولما تجرأ المنصور على حرق دار الإمام الصادق عليه السلام(٥٩٦).

---

(٥٩٤) بحار الأنوار: ج٣٥ ص٢٢٦ ب٥.

(٥٩٥) لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين: ص١٥٥.

(٥٩٦) راجع الكافي: ج١ ص٤٧٣ باب مولد أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام ح٢.

ولولا ضرب الثاني الصديقة الطاهرة عليها السلام بكعب السيف[٥٩٧] ولطم الوجه[٥٩٨] وغير ذلك، لما تجرؤوا على ضرب زينب (سلام الله عليها)[٥٩٩] ولولا غصبهم الخلافة من علي عليه السلام لما تجرأ بنو أمية وبنو العباس على غصب الخلافة من الأئمة الطاهرين (سلام الله عليهم أجمعين).

وقد ورد في الزيارات: «وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ لَكُمْ، وَمَهَّدَتِ الْجَوْرَ عَلَيْكُمْ، وَطَرَّقَتْ إِلَى أَذِيَّتِكُمْ وَتَحَيُّفِكُمْ، وَجَارَتْ ذَلِكَ فِي دِيَارِكُمْ وَأَشْيَاعِكُمْ، بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَإِلَيْكُمْ يَا سَادَاتِي وَمَوَالِيَّ وَأَئِمَّتِي مِنْهُمْ وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ»[٦٠٠].

وفي زيارة عاشوراء المقدسة: «فلعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت، ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم، وأزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها»[٦٠١].

وفي الزيارة أيضا: «أشهد أنك حجة الله في أرضه، وأشهد أن الذين خالفوك وأن الذين قتلوك والذين خذلوك وأن الذين جحدوا حقك ومنعوك إرثك ملعونون على لسان النبي الأمي وقد خاب من افترى، لعن الله الظالمين لكم من الأولين والآخرين وضاعف لهم العذاب الأليم، عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين... السلام عليك يا أول مظلوم انتهك دمه، وضيعت فيه حرمة

(٥٩٧) راجع كتاب سليم بن قيس الهلالي: ص٨٦٤ الحديث الثامن والأربعون.

(٥٩٨) راجع بحار الأنوار: ج٢٩ ص١٩٢ ب١١.

(٥٩٩) راجع بحار الأنوار: ج٤٥ ص١١٦ ب٣٩.

(٦٠٠) مستدرك الوسائل: ج١٠ ص٤١٣ ب٨٦ ح١٢٢٧٣.

(٦٠١) كامل الزيارات: ص١٧٦ ب٧١.

الإسلام، فلعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت»[٦٠٢].

وأيضاً: «لعن الله أمة قتلتك، لعن الله أمة ظلمتك، لعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور والبدعة عليكم أهل البيت»[٦٠٣].

وعن سعيد بن المسيب: أنه لما ورد نعي الحسين عليه السلام المدينة وقتل ثمانية عشر من أهل بيته وثلاث وخمسين رجلا من شيعته وقتل علي ابنه بين يديه بنشابة وسبي ذراريه، خرج عبد الله بن عمر إلى الشام منكراً لفعل يزيد ومستنفرا للناس عليه حتى أتى يزيد وأغلظ له القول، فخلا به يزيد وأخرج إليه طوماراً طويلاً كتبه عمر إلى معاوية وأظهر فيه أنه على دين آبائه من عبادة الأوثان وأن محمداً كان ساحراً غلب على الناس بسحره وأوصاه بأن يكرم أهل بيته ظاهراً ويسعى في أن يجتثهم عن جديد الأرض ولا يدع أحداً منهم عليها... فلما قرأه ابن عمر رضي بذلك ورجع وأظهر للناس أنه محق فيما أتى به ومعذور فيما فعله، ولنعم ما قيل:

ما قتل الحسين عليه السلام إلا في يوم السقيفة، فلعنة الله على من أسس أساس الظلم والجور على أهل بيت النبي صلوات الله عليهم أجمعين»[٦٠٤].

---

(٦٠٢) بحار الأنوار: ج٩٨ ص٢٣٧ ب١٨ ص٣٨.

(٦٠٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٢٦٩ -٢٧٠ ب٦٨ ح١.

(٦٠٤) بحار الأنوار: ج٤٥ ص٣٢٨ ب٤٧.

رجوع الزهراء عليها السلام إلى المنزل

مسألة: الانكفاء قد يدل على الرجوع بدون الوصول إلى المقصد الذي خرج الإنسان لأجله[٦٠٥]، لذا تقدم منها (عليها الصلاة والسلام): «فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه»، أي: لا يرجع خائباً بل يرجع ظافراً. ولعل هذه الجملة تدل على استحباب الرجوع إذا لم يجد الإنسان ما أراده وكان بقاؤه من أسباب الوهن والضعف.

قولها عليها السلام: «ثم انكفأت» أي رجعت إلى الدار، والظاهر أن رجوعها كان من طريق الشارع لا من الباب المشرع إلى المسجد.

وانكفأ: أي رجع، من قولهم: كفأت القوم إذا أرادوا وجهاً فصرفتهم عنه إلى غيره، فانكفئوا أي رجعوا.

وربما يدل (ثم) على أن الصديقة عليها السلام لم تخرج من المسجد فور انتهاء خطبتها، بل إنها تريثت قليلاً ثم خرجت، ولعل السبب في ذلك حالتها الصحية أثر ما جرى عليها من الظلم والضرب وكسر الضلع وإسقاط الجنين، فكانت حالتها مؤلمة جداً، وقد أنهكتها الخطبة أيضاً، فكانت بحاجة إلى نوع تريث ثم الخروج، فصلوات الله وسلامه عليها، ولعنة الله على من ظلمها وجحد حقها

[٦٠٥] وفي اللغة: انكفأت بهم السفينة انقلبت. وانكفأ: مال ورجع. أنكفأ القوم: انهزموا ولم يصلوا إلى ما أرادوا.

وحق بعلها وبنيها عليهم السلام.

.....

سبل مواجهة الطاغوت

مسألة: المواجهة مع الطاغوت قد تتخذ شكل الكر والفر، وربما لزم الانسحاب المؤقت، كما لو كان استمرار الهجوم ناقضاً للغرض، سواء في جبهات القتال، أو في الحرب الإعلامية، أو الحرب السياسية والدبلوماسية، أو غيرها.

وهذا ما يستفاد من مواقف الصديقة الكبرى عليها السلام ومنها هذا الموقف، حيث (انكفأت)، إذ لم يكن في البقاء بعدها في المسجد فائدة، وكان لابد من مواصلة الهجوم على الباطل والدفاع عن الحق بعد العودة للمنزل وبطريقة أخرى.

اللقب المناسب

مسألة: ما ذكرناه سابقاً من استحباب ذكر لقب (أمير المؤمنين) عند التحدث عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ـ كما عبرت في المقام السيدة زينب عليها السلام راوية هذه الخطبة الشريفة ـ لا ينفي استحباب وصفه عليه السلام والإشارة إليه بسائر ألقابه أو كناه، فيكون الأمر عندئذ من قبيل تزاحم المستحبات، أو من قبيل الاستحباب التخييري، أو ما أشبه.. والبلاغة تقتضي انتخاب الأنسب بالمقام.

ولا تخفى الدقة والبلاغة في انتخاب السيدة زينب عليها السلام لقب (أمير المؤمنين) هاهنا، حيث الكلام عن الخلافة وغصبها ومن هو الأحق بها، فإن هذا اللقب بالإضافة إلى التصريح به في الروايات، منحه رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام حين قال في غدير خم: «سلموا عليه بإمرة المؤمنين»[٦٠٦].

ثم إن إطلاق هذا اللقب على الإمام عليه السلام قد يكون واجباً كما يقال في مورد الرواية وما يشاركه في الملاك، فتأمل. نعم الاعتقاد بأنه عليه السلام أمير المؤمنين واجب كما لا يخفى. ومن المعلوم أن المراد بالمؤمنين: الأعم من المؤمنين بألسنتهم أو بقلوبهم، فإن للمؤمن ثلاثة اطلاقات:

١: إطلاق بالمعنى الخاص[٦٠٧].

٢: وإطلاق بالمعنى الأخص[٦٠٨].

---

[٦٠٦] الأمالي للصدوق: ص٣٥٥ المجلس٥٦ ح١٠.

[٦٠٧] وهو كل مؤمن بالله والرسول والولاية.

[٦٠٨] وهو المؤمن بالمعنى السابق زائداً الالتزام بتعاليم الشريعة والولاية.

٣: وإطلاق بالمعنى الأعم[٦٠٩].

كما لا يخفى على من راجع الآيات والروايات.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: ما الإسلام؟. فقال: «دين الله اسمه الإسلام، وهو دين الله قبل أن تكونوا حيث كنتم وبعد أن تكونوا، فمن أقر بدين الله فهو مسلم، ومن عمل بما أمر الله عزوجل به فهو مؤمن»[٦١٠].

وعن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن الإيمان؟. فقال: «شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء من عند الله، وما استقر في القلوب من التصديق بذلك». قال: قلت: الشهادة أليست عملاً؟. قال: «بلى». قلت: العمل من الإيمان؟. قال: «نعم، الإيمان لا يكون إلا بعمل والعمل منه، ولا يثبت الإيمان إلا بعمل»[٦١١].

وعن الوشاء، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: سمعته يقول: «الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، وما قسم في الناس شيء أقل من اليقين»[٦١٢].

وعن سفيان بن السمط، قال: سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن الإسلام والإيمان ما الفرق بينهما، فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه، ثم التقيا في الطريق وقد أزف من الرجل الرحيل. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «كأنه قد أزف منك رحيل؟» فقال: نعم. فقال عليه السلام: «فالقني في البيت». فلقيه فسأله عن الإسلام والإيمان ما

---

[٦٠٩] وهو كل مسلم، وأمير المؤمنين في بعض معانيه يراد به هذا المعنى، إذ هو عليه السلام أمير لكل مسلم.

[٦١٠] الكافي: ج٢ ص٣٨ باب في أن الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلها ح٤.

[٦١١] بحار الأنوار: ج٦٦ ص٢٢ ب٣٠ ح٤.

[٦١٢] بحار الأنوار: ج٦٧ ص١٣٦ ب٥٢ ح٢.

الفرق بينهما؟. فقال عليه السلام: «الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس، شهادة أن لاإله إلا الله وحده لا شريك لـه وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان فهذا الإسلام ـ وقال: ـ الإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا فإن أقر بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلماً وكان ضالاً»[٦١٣].

وعن سماعة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن الإسلام والإيمان أهما مختلفان؟. فقال: «إن الإيمان يشارك الإسلام والإسلام لا يشارك الإيمان». فقلت: فصفهما لي؟. فقال: «الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله، به حقنت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس. والإيمان الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام، وما ظهر من العمل به، والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة، إن الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر، والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن، وإن اجتمعا في القول والصفة»[٦١٤].

وعن خضر بن عمرو، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «المؤمن مؤمنان: مؤمن وفى لله بشروطه التي شرطها عليه، فذلك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وذلك من يَشفع ولايُشفع لـه، وذلك ممن لا تصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة. ومؤمن زلت به قدم فذلك كخامة الزرع كيفما كفأته الريح انكفأ، وذلك ممن تصيبه أهوال الدنيا والآخرة، ويُشفع لـه وهو على خير»[٦١٥].

---

[٦١٣] الكافي: ج٢ ص٢٤ -٢٥ باب أن الإسلام يحقن به الدم وتؤدى به الأمانة وأن الثواب على الإيمان ح٤.

[٦١٤] بحار الأنوار: ح٦٥ ص٢٤٨ ب٢٤ الأخبار ح٨.

[٦١٥] الكافي: ج٢ ص٢٤٨ باب في أن المؤمن صنفان ح٢.

وعن الكناني، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيهما أفضل الإيمان أم الإسلام، فإن من قبلنا يقولون: إن الإسلام أفضل من الإيمان؟. فقال: «الإيمان أرفع من الإسلام». قلت: فأوجدني ذلك؟. قال: «ما تقول فيمن أحدث في المسجد الحرام متعمداً؟». قال: قلت: يضرب ضرباً شديداً. قال: «أصبت، فما تقول فيمن أحدث في الكعبة متعمداً؟». قلت: يقتل. قال: «أصبت، ألا ترى أن الكعبة أفضل من المسجد وأن الكعبة تشرك المسجد والمسجد لا يشرك الكعبة، وكذلك الإيمان يشرك الإسلام والإسلام لا يشرك الإيمان»[٦١٦].

وعن عبد العزيز القراطيسي، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فذكرت له شيئاً من أمر الشيعة ومن أقاويلهم. فقال: «يا عبد العزيز، الإيمان عشر درجات بمنزلة السلّم له عشر مراقي، وترتقي منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولن صاحب الواحدة لصاحب الثانية لست على شيء، ولا يقولن صاحب الثاية لصاحب الثالثة لست على شيء، حتى انتهى إلى العاشرة ـ قال ـ وكان سلمان في العاشرة، وأبوذر في التاسعة، والمقداد في الثامنة. يا عبد العزيز، لاتسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، إذا رأيت الذي هو دونك فقدرت أن ترفعه إلى درجتك رفعاً رفيقاً فافعل، ولا تحملن عليه ما لايطيقه فتكسره؛ فإنه من كسر مؤمناً فعليه جبره، لأنك إذا ذهبت تحمل الفصيل حمل البازل فسخته»[٦١٧].

---

[٦١٦] بحار الأنوار: ج٦٥ ص٢٥٠ ب٢٤ الأخبار ح١١.

[٦١٧] الخصال: ج٢ ص٤٤٨ الإيمان عشر درجات ح٤٩.

علم بمواقف الزهراء عليها السلام

مسألة: من الواضح أن ذهاب الصديقة الطاهرة (صلوات الله عليها) إلى المسجد وإلقاءها الخطبة كان بعلم من أمير المؤمنين عليه السلام وبتنسيق معه، وقولها: «وأمير المؤمنين يتوقع رجوعها إليه» و«يتطلع طلوعها عليه» مما يلمح إلى ذلك.

بل كان موقفها عليها السلام بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله وبحكم من السماء، مضافاً إلى كونها عليها السلام وكونهم عليهم السلام أوعية مشيئة الله عزوجل ولهم الولاية التشريعية على ما هو مذكور في محله.

والفرق بين (يتطلع) و(يتوقع): أن التوقع يحصل ولو بكون الإنسان في داخل الدار، أما التطلع فالمنصرف منه تكرار الخروج والنظر إلى الطريق بانتظار عودة الغائب، كأنه يلحظه ساعة بعد ساعة، وكأنه يخرج مرة ويدخل أخرى وهكذا كالذي ينتظر إنساناً آتياً.

من مصاديق الانتظار

مسائل: هل يستفاد من فعله عليه السلام (توقعه رجوعها) و(تطلعه طلوعها) استحباب انتظار الزوج رجوع زوجته؟. واستحباب انتظار رجوع المظلوم عن ظلامته؟. وكذلك استحباب انتظار عودة المعصوم عليه السلام؟. وما شابهها[٦١٨].

لا يبعد ذلك[٦١٩].

.....

[٦١٨] كانتظار الزوجة لرجوع زوجها.

[٦١٩] وذلك بتنقيح المناط أو إلغاء الخصوصية ولأدلة الأسوة.

قال أبو عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: **[ذلِكَ بِأن مِنهُم قِسِّيسِينَ وَرُهبانا وَأنهُم لا يَستكبِرُونَ]**[٦٢٠]. قال: «أولئك كانوا قوماً بين عيسى ومحمد ينتظرون مجيء محمد »صلى الله عليه وآله[٦٢١].

وعن أبي الجارود، قال: خرج أبو جعفر عليه السلام على أصحابه يوماً وهم ينتظرون خروجه. فقال لهم: «تنجزوا البشرى من الله، ما أحد يتنجز البشرى من الله غيركم»[٦٢٢].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «كأني أنظر إلى القائم عليه السلام على ظهر النجف، فإذا استوى على ظهر النجف ركب فرساً أدهم أبلق بين عينيه شمراخ، ثم ينتفض به فرسه فلا يبقى أهل بلدة إلا وهم يظنون أنه معهم في بلادهم، فإذا نشر راية رسول الله صلى الله عليه وآله انحط إليه ثلاثة عشر ألف ملك وثلاثة عشر ملكاً كلهم ينتظر القائم عليه السلام، وهم الذين كانوا مع نوح عليه السلام في السفينة، والذين كانوا مع إبراهيم الخليل عليه السلام حيث ألقي في النار، وكانوا مع عيسى عليه السلام حيث رفع، وأربعة آلاف مسومين ومردفين، وثلاثمائة وثلاثة عشر ملكاً يوم بدر، وأربعة آلاف ملك الذين هبطوا يريدون القتال مع الحسين بن علي عليه السلام فلم يؤذن لهم، فصعدوا في الاستئذان وهبطوا وقد قتل الحسين عليه السلام، فهم شعث غبر يبكون عند قبر الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة، وما بين قبر الحسين عليه السلام إلى السماء مختلف الملائكة»[٦٢٣].

---

[٦٢٠] سورة المائدة: ٨٢.

[٦٢١] تفسير العياشي: ج١ ص٣٣٥ -٣٣٦ من سورة المائدة ح١٦٢.

[٦٢٢] المحاسن: ج١ ص١٦٠ ب٢٨ ح١٠٢.

[٦٢٣] كمال الدين: ج٢ ص٦٧١ -٦٧٢ ب٥٨ ح٢٢.

وقال عليه السلام: «الختم على طين قبر الحسين عليه السلام أن يقرأ عليه **[إِنَا أنزلناهَ فِي ليلةِ القدرِ]**[٦٢٤]». وروي: «إذا أخذته فقل: بسم الله اللهم بحق هذه التربة الطاهرة، وبحق البقعة الطيبة، وبحق الوصي الذي تواريه، وبحق جده وأبيه، وأمه وأخيه، والملائكة الذين يحفون به، والملائكة العكوف على قبر وليك ينتظرون نصره (صلى الله عليهم أجمعين)، اجعل لي فيه شفاء من كل داء، وأماناً من كل خوف، وغنى من كل فقر، وعزّاً من كل ذل، وأوسع به علي في رزقي وأصح به جسمي»[٦٢٥].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا كان المؤمن يحاسب تنتظره أزواجه على عتبات الأبواب كما ينتظرن أزواجهن في الدنيا من الغيبة. قال: فيجيء الرسول فيبشرهن، فيقول: قد والله انقلب فلان من الحساب. قال: فيقلن: بالله!. فيقول: قد والله لقد رأيته انقلب من الحساب. قال: فإذا جاءهن قلن: مرحباً وأهلاً، ما أهلك الذين كنت عندهم في الدنيا بأحق بك منا»[٦٢٦].

انتظار المعصوم عليه السلام

مسألة: انتظار (المعصوم عليه السلام) عبادة سواء كان انتظاراً لظهوره، أم للطفه، وسواء كان في زمن الغيبة أم غيرها.

وفي رواية هجرة النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة: «لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قباء فنزل بهم ينتظر قدوم علي عليه السلام. فقال له أبو بكر: انهض بنا إلى المدينة؛ فإن

---

[٦٢٤] سورة القدر.

[٦٢٥] مستدرك الوسائل: ج١٠ ص٣٤١ ب٥٦ ح١٢١٣٨.

[٦٢٦] الزهد: ص٩١ ب١٧ ح٢٤٤.

القوم قد فرحوا بقدومك و هم يستريثون إقبالك إليهم، فانطلق بنا ولا تقم هاهنا تنتظر علياً فما أظنه يقدم إليك إلى شهر!.

فقال له رسول الله ﷺ: كلا ما أسرعه، ولست أريم حتى يقدم ابن عمي وأخي في الله عزوجل وأحب أهل بيتي إليَّ، فقد وقاني بنفسه من المشركين. قال: فغضب عند ذلك أبو بكر واشمأز وداخله من ذلك حسد لعلي عليه السلام، وكان ذلك أول عداوة بدت منه لرسول الله ﷺ في علي عليه السلام، وأول خلاف على رسول الله ﷺ، فانطلق حتى دخل المدينة وتخلف رسول الله ﷺ بقباء حتى ينتظر علياً »عليه السلام[٦٢٧].

تهيئة المقدمات

مسألة: تهيئة المقدمات ـ وهي من مقومات الانتظار ـ عبادة أخرى.

وأما في المقام (انتظار قدوم الصديقة عليها السلام من المسجد)، فإن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن مأموراً في هذه الفترة بأكثر من ذلك فاكتفى بالانتظار والتطلع، وربما كان يأتي ببعض المقومات لا نعلمها.

قال رسول الله ﷺ: «أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله تعالى»[٦٢٨].

وفي خبر الشيخ الشامي الذي قدم على أمير المؤمنين عليه السلام، قال: فأي الأعمال أحب إلى الله عزوجل؟.

قال عليه السلام: «انتظار الفرج»[٦٢٩].

.....

---

[٦٢٧] بحار الأنوار: ج١٩ ب١١٦ ب٧ ح٢.

[٦٢٨] صحيفة الرضا عليه السلام: ص٥٤ متن الصحيفة ح٦٢.

[٦٢٩] معاني الأخبار: ص١٩٩ باب معنى الغايات ح٤.

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «ما أحسن الصبر وانتظار الفرج، أما سمعت قول العبد الصالح: **[وارتقبوا إني معكم رقيب]**[٦٣٠] و **[فانتظروا إني معكم من المنتظرين]**[٦٣١]، فعليكم بالصبر؛ فإنه إنما يجيء الفرج على اليأس، وقد كان الذين من قبلكم أصبر منكم»[٦٣٢].

وعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي خالد الكابلي، قال: دخلت على سيدي علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام. فقلت له: يا ابن رسول الله، أخبرني بالذين فرض الله طاعتهم ومودتهم وأوجب على خلقه الاقتداء بهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى أن قال ـ فقلت: يا ابن رسول الله، ثم يكون ماذا؟. قال عليه السلام: «ثم تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله والأئمة بعده يا أبا خالد، إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل أهل كل زمان؛ لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسيف، أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سراً وجهراً ـ و قال عليه السلام ـ انتظار الفرج من أعظم الفرج»[٦٣٣].

وعن عمرو بن شمر، عن جابر، قال: دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام ونحن جماعة بعد ما قضينا نسكنا فودعناه، وقلنا له: أوصنا يا ابن رسول الله. فقال: «ليعن قويكم ضعيفكم، وليعطف غنيكم على فقيركم،

---

[٦٣٠] سورة هود: ٩٣.

[٦٣١] سورة الأعراف: ٧١، سورة يونس: ٢٠و١٠٢.

[٦٣٢] قرب الإسناد: ص١٦٨.

[٦٣٣] الاحتجاج: ج٢ ص٣١٨ احتجاجه عليه السلام في أشياء شتى من علوم الدين وذكر طرف من مواعظه البليغة.

ولينصح الرجل أخاه كنصحه لنفسه، واكتموا أسرارنا، ولا تحملوا الناس على أعناقنا، وانظروا أمرنا، وما جاءكم عنا فإن وجدتموه في القرآن موافقاً فخذوا به، وإن لم تجدوا موافقاً فردوه، وإن اشتبه الأمر عليكم فقفوا عنده وردوه إلينا حتى نشرح لكم من ذلك ما شرح لنا، فإذا كنتم كما أوصيناكم ولم تعدوا إلى غيره فمات منكم ميت قبل أن يخرج قائمنا كان شهيداً، ومن أدرك قائمنا فتقتل معه كان له أجر شهيدين، ومن قتل بين يديه عدواً لنا كان له أجر عشرين شهيداً»[٦٣٤].

مطلق الانتظار

مسألة: انتظار الخير عبادة في الجملة، وهو بين واجب ومستحب.

نعم، مطلق الانتظار على أقسام، فمنه ـ مضافاً إلى ما سبق من الوجوب والاستحباب ـ ما هو محرم ومكروه ومباح بحسب اختلاف الموارد، على ما ورد في الفقه. قال تعالى: **[وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة]**[٦٣٥].

وقال سبحانه: **[قل انتظروا إنا منتظرون]**[٦٣٦].

وقال تعالى: **[قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين]**[٦٣٧].

وقال سبحانه: **[من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا]**[٦٣٨].

وعن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن محمد بن عبد الله، قال: قلت للرضا عليه السلام: إن أبي حدثني، عن آبائك عليهم السلام، أنه قيل لبعضهم: إن في بلادنا

---

[٦٣٤] بحار الأنوار: ج٥٢ ص١٢٢ -١٢٣ ب٢٢ ح٥.

[٦٣٥] سورة البقرة: ٢٨٠.

[٦٣٦] سورة الأنعام: ١٥٨.

[٦٣٧] سورة يونس: ١٠٢.

[٦٣٨] سورة الأحزاب: ٢٣.

موضع رباط يقال له: قزوين، وعدواً يقال له: الديلم، فهل من جهاد أو هل من رباط؟. فقال: عليكم بهذا البيت فحجوه، ثم قال فأعاد عليه الحديث ثلاث مرات كل ذلك يقول: عليكم بهذا البيت فحجوه ـ إلى أن قال ـ فقال أبو الحسن عليه السلام: «صدق هو على ما ذكر»[٦٣٩].

وعن منصور بن حازم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل مجوسي أو مشرك من غير أهل الكتاب كانت تحته امرأة فأسلم أو أسلمت؟. قال: «ينتظر بذلك انقضاء عدتها، وإن هو أسلم أو أسلمت قبل أن تنقضي عدتها فهما على نكاحهما الأول، وإن هو لم يسلم حتى تنقضي العدة فقد بانت منه»[٦٤٠].

وعن أبي عبد الله أو أبي الحسن عليهما السلام، قال: قلت له: رجل طلق امرأته، فلما مضت ثلاثة أشهر ادعت حبلاً؟. قال: «ينتظر بها تسعة أشهر»[٦٤١].

وعن يونس، عن الرضا عليه السلام، في السمك الجلال أنه سأله عنه؟. فقال: «ينتظر به يوم وليلة»[٦٤٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أكرموا الخبز». قيل: يا رسول الله، وما إكرامه؟. قال: «إذا وضع لم ينتظر به غيره»[٦٤٣].

وعن علي بن يقطين، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن رجل أوصى إلى

.....

---

[٦٣٩] وسائل الشيعة: ج١١ ص١٢٢ - ١٢٣ ب٤٤ ح١٤٤١١.

[٦٤٠] الكافي: ج٥ ص٤٣٥ -٤٣٦ باب نكاح أهل الذمة والمشركين يسلم بعضهم ولا يسلم بعض ... ح٣.

[٦٤١] وسائل الشيعة: ج٢٢ ص٢٢٤ ب٢٥ ح٢٨٤٤٥.

[٦٤٢] تهذيب الأحكام: ج٩ ص١٣ ب١ ح٤٨.

[٦٤٣] وسائل الشيعة: ج٢٤ ص٣٩١ ب٨٣ ح٣٠٨٦٠.

امرأة فأشرك في الوصية معها صبياً؟. فقال: «يجوز ذلك، وتمضي المرأة الوصية ولا ينتظر بلوغ الصبي»[٦٤٤].

وعن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما ترى في رجل ضرب امرأة شابة على بطنها فعقر رحمها وأفسد طمثها، وذكرت أنه قد ارتفع طمثها عنها لذلك، وقد كان طمثها مستقيماً؟. قال: «ينتظر بها سنة، فإن صلح رحمها وعاد طمثها إلى ما كان وإلا استحلفت، وأغرم ضاربها ثلث ديتها لفساد رحمها، وارتفاع طمثها»[٦٤٥].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من حبس نفسه على صلاة فريضة ينتظر وقتها فصلاها في أول وقتها، فأتم ركوعها وسجودها وخشوعها، ثم مجد الله عزوجل وعظمه وحمده، حتى يدخل وقت صلاة أخرى لم يلغ بينهما، كتب الله له كأجر الحاج المعتمر، س وكان من أهل عليين»[٦٤٦].

وقال أبو عبد اللّه عليه السلام: «خمسة ينتظر بهم إلا أن يتغيروا: الغريق، والمصعوق، والمبطون، والمهدوم، والمدخن»[٦٤٧].

وعن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال: سألته عن الرجل ينام عن الغداة حتى تبزغ الشمس، أيصلي حين يستيقظ أو ينتظر حتى تنبسط الشمس؟.

فقال: «يصلي حين يستيقظ». قلت: يوتر أو يصلي ركعتين؟.

---

[٦٤٤] الكافي: ج٧ ص٤٦ باب من أوصى إلى مدرك وأشرك معه الصغير ح١.

[٦٤٥] من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص١٥١ باب ما يجب على من ركل امرأة في فرجها فزعمت أنها لا تحيض ح٥٣٣٥.

[٦٤٦] وسائل الشيعة: ج٤ ص١١٦ ب٢ ح٤٦٦٣.

[٦٤٧] تهذيب الأحكام: ج١ ص٣٣٧ ب١٣ ح١٥٦.

قال: «بل يبدأ بالفريضة»[٦٤٨].

وعن حفص بن البختري، قال: «من خرج من مكة أو المدينة أو مسجد الكوفة أو حائر الحسين (صلوات الله عليه) قبل أن ينتظر الجمعة، نادته الملائكة: أين تذهب لا ردك الله»[٦٤٩].

وفي الغيبة للنعماني: (باب ما روي فيما أمر به الشيعة من الصبر والكف والانتظار للفرج وترك الاستعجال بأمر الله وتدبيره)[٦٥٠].

وعن عبد الرحمن بن كثير، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام يوماً وعنده مهزم الأسدي. فقال: جعلني الله فداك، متى هذا الأمر الذي تنتظرونه فقد طال علينا؟.

فقال عليه السلام: «يا مهزم، كذب المتمنون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلّمون، وإلينا يصيرون»[٦٥١].

هذه بعض مصاديق الانتظار المختلفة في الحكم بين واجب ومستحب ومكروه ومحرم ومباح.

---

[٦٤٨] الاستبصار: ج١ ص٢٨٦ ب١٥٦ ح٢.

[٦٤٩] بحار الأنوار: ج٩٧ ص١٣٢ ب٣ ح١٩.

[٦٥٠] الغيبة، للنعماني: ص١٩٤ ب١١.

[٦٥١] الغيبة، للنعماني: ص١٩٧ - ١٩٨ ب١١ ح٨.

التكلم بعد الاستقرار

مسألة: هل يستفاد من هذا استحباب أن يتكلم الإنسان بعد الاستقرار، لا في حالة الحركة والاضطراب؟.

لا يبعد ذلك.

وقد يقال: بالعدم[٦٥٢]؛ لأن فعلها عليها السلام أعم من كونه لذلك أو لجهة أخرى[٦٥٣].

وهناك روايات عديدة في آداب الكلام نشير إلى بعضها:

عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «إن لسان ابن آدم يشرف كل يوم على جوارحه كل صباح فيقول: كيف أصبحتم؟. فيقولون: بخير إن تركتنا. ويقولون: الله الله فينا. ويناشدونه ويقولون: إنما نثاب ونعاقب بك»[٦٥٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «لا يزال العبد المؤمن يكتب محسناً ما دام ساكتاً، فإذا تكلم كتب محسناً أو مسيئاً»[٦٥٥].

وعن القاسم بن سليمان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «سمعت أبي يقول: من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[٦٥٦].

---

[٦٥٢] أي: عدم الدلالة لا عدم الاستحباب؛ فإنه مسكوت عنه.

[٦٥٣] كالتعب والإرهاق وغير ذلك.

[٦٥٤] وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٨٩ ب١١٩ ح١٦٠٤٦.

[٦٥٥] الكافي: ج٢ ص١١٦ باب الصمت وحفظ اللسان ح٢١.

[٦٥٦] الزهد: ص١٠ باب الصمت إلا بخير وترك الرجل ما لا يعنيه والنميمة ح١٩.

وعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الكلام ثلاثة: فرابح وسالم وشاجب، فأما الرابح الذي يذكر الله، وأما السالم فالساكت، وأما الشاجب فالذي يخوض في الباطل»[٦٥٧].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إياكم وجدال المفتون! فإن كل مفتون ملقى حجته إلى انقضاء مدته، فإذا انقضت مدته أحرقته فتنته بالنار»[٦٥٨].

وجاء في وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر رحمه الله: «يا أبا ذر، إن الله عزوجل عند لسان كل قائل، فليتق الله امرؤ وليعلم ما يقول. يا أبا ذر، اترك فضول الكلام وحسبك من الكلام ما تبلغ به حاجتك. يا أبا ذر، كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما يسمع. يا أبا ذر، ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان»[٦٥٩].

وعن سليمان بن جعفر الجعفري، قال: سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول: حدثني أبي عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام عن سيد الشهداء حسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال: «مر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام برجل يتكلم بفضول الكلام، فوقف عليه ثم قال: يا هذا، إنك تملي على حافظيك كتاباً إلى ربك، فتكلم بما يعنيك ودع ما لايعنيك»[٦٦٠].

وسئل علي بن الحسين عليه السلام عن الكلام والسكوت أيهما أفضل؟.

فقال عليه السلام: «لكل واحد منهما آفات، فإذا سلما من الآفات فالكلام

---

[٦٥٧] مستدرك الوسائل: ج٥ ص٢٩٣ ب٥ ح٥٨٩٤.

[٦٥٨] وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٩٨ -١٩٩ ب١٢٠ ح١٦٠٧٧.

[٦٥٩] بحار الأنوار: ج٧٤ ص٨٧ ب٤ ح٣.

[٦٦٠] الأمالي للصدوق: ص٣٢ -٣٣ المجلس التاسع ح٤.

أفضل من السكوت». قيل: وكيف ذاك يا ابن رسول الله؟. قال: «لأن الله عزوجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت إنما يبعثهم بالكلام، ولا استحقت الجنة بالسكوت، ولا استوجب ولاية الله بالسكوت، ولا توقيت النار بالسكوت، ولا تجنب سخط الله بالسكوت، إنما ذلك كله بالكلام، وما كنت لأعدل القمر بالشمس، إنك تصف فضل السكوت بالكلام ولست تصف فضل الكلام بالسكوت»[٦٦١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كان المسيح عليه السلام يقول: لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله؛ فإن الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون»[٦٦٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام ـ في رسالته إلى أصحابه ـ قال:

«فاتقوا الله وكفوا ألسنتكم إلا من خير ـ إلى أن قال: ـ وعليكم بالصمت إلا فيما ينفعكم الله به من أمر آخرتكم ويأجركم عليه، وأكثروا من التهليل والتقديس، والتسبيح والثناء على الله، والتضرع إليه والرغبة فيما عنده من الخير الذي لا يقدر قدره، ولايبلغ كنهه أحد، فاشغلوا ألسنتكم بذلك عما نهى الله عنه من أقاويل الباطل التي تعقب أهلها خلوداً في النار من مات عليها ولم يتب إلى الله ولم ينزع عنها»[٦٦٣].

---

[٦٦١] الاحتجاج: ج٢ ص٣١٥ احتجاجه عليه السلام في أشياء شتى من علوم الدين وذكر طرف من مواعظه البليغة.

[٦٦٢] الكافي: ج٢ ص١١٤ باب الصمت وحفظ اللسان ح١١.

[٦٦٣] وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٩٦ - ١٩٧ ب١٢٠ ح١٦٠٧٣.

استقرار الدار

مسألة: لا يبعد أن يراد بـ (فلما استقرت بها الدار) المعنى الحقيقي[٦٦٤]، حيث إن الجمادات ـ على عكس ما نتصوره ـ تشعر وتتفاعل، كما صرح القرآن الكريم بذلك والأحاديث الكثيرة:

قال تعالى: ﴿**قالتا أتينا طائعين**﴾[٦٦٥].

وقال سبحانه: ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها**﴾[٦٦٦].

وقال تعالى: ﴿**وإن من شيء إلا يسبح بحمده**﴾[٦٦٧].

وقال سبحانه: ﴿**يا جبال أوبي معه والطير**﴾[٦٦٨].

وما ورد من شهادة أعضاء الإنسان عليه[٦٦٩] وشهادة مصلاه له[٦٧٠].

إلى غير ذلك.

وعلى هذا فلا يستغرب من إرادة المعنى الحقيقي، وهو أن الدار قد استقرت برجوع الصديقة عليها السلام إليها حقيقة بعد أن اضطربت لمغادرتها.

---

[٦٦٤] في قبال المعنى المجازي، أي: استقرت هي عليها السلام في الدار.

[٦٦٥] سورة فصلت: ١١.

[٦٦٦] سورة الأحزاب: ٧٢.

[٦٦٧] سورة الإسراء: ٤٤.

[٦٦٨] سورة سبأ: ١٠.

[٦٦٩] إشارة إلى قوله تعالى: [**يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون**] سورة النور: ٢٤.

[٦٧٠] راجع من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٢٩٩ باب الموت في الغربة ح٢٥١٠.

وأما المعنى المجازي فهو مبني على القلب[٦٧١] أي: سكنت، كأنها عليها السلام اضطربت بخروجها وخطبتها.

فلسفة الحوار

مسألة: ليس هذا الخطاب عتاباً بالمعنى الحقيقي، فإن الحوار بين أمير المؤمنين علي عليه السلام والصديقة الزهراء عليها السلام بهذا الأسلوب كان بياناً للواقع وأهميته وشدة الظلامة التي جرت عليها، ولم يكن على وجه العتاب المعهود بلا شك ولا إشكال، فقد يبين الإنسان الواقع بشكل مجرد عادي، وقد يبينه في تمثيل وتشبيه وبلاغة وأدب تصويري وفي شكل حوار، مضافاً إلى أنه كان من اللازم أن يعرف الناس سبب صبر الإمام عليه السلام حيث كان ذلك بأمر خاص من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم حفظاً للإسلام والمسلمين في تلك الظروف الحرجة.

ولعل ما ورد من حديث الملائكة مع الله سبحانه وتعالى[٦٧٢] كان من هذا القبيل. وكذلك قصة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة المعراج حيث راجع الله تعالى مراراً للتخفيف من الصلوات وركعاتها[٦٧٣].

وإلا فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم **[ما ينطِقُ عنِ الهوى ۞ إن هوَ إلا وحيٌ يوحى]**[٦٧٤]،

.....

---

[٦٧١] أي: إنها عليها السلام استقرت في الدار، ولكن اللفظ مقلوب فعبر باستقرار الدار بها.

[٦٧٢] ربما يكون إشارة إلى قول الملائكة: **[وإذ قال ربكَ للملائكةِ إني جاعلٌ في الأرضِ خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسدُ فيها ويسفكُ الدماءَ ونحن نسبّحُ بحمدكَ ونقدّسُ لكَ قال إني أعلمُ ما لاتعلمون]** سورة البقرة: ٣٠.

[٦٧٣] راجع تفسير القمي: ج٢ ص١٢ معراج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

[٦٧٤] سورة النجم: ٣ -٤.

والملائكة ﴿بل عباد مكرمون ۞ لا يسبقونه بالقول﴾[٦٧٥]. بل من المحتمل قريباً أن تكون قصة النبي موسى عليه السلام والخضر عليه السلام من هذا القبيل[٦٧٦]..

إذ كيف يمكن حسب المتعارف، أن نبياً من أولي العزم ـ بعد أن وطن نفسه على التعلم من غيره، وكان ذلك الغير شخصاً عينه الله لتعليمه وكان أيضاً نبياً من أنبياء الله سبحانه، وبعد أن وعده أن لا يسأله إلا بعد تمام الأمر ـ يكرر السؤال والاعتراض؟! إذا لم يكن كل ذلك على سبيل التعليم بهذه الصورة الحوارية.

ومن الاستطراد في الاطراد أن نقول: إن بكاء النبي يعقوب عليه السلام على يوسف عليه السلام ـ وهو نبي والنبي أعظم شأناً وأرفع مكانة وأسمى روحاً من كافة البشرية ـ مدة أربعين سنة، وهو يعلم أن ولده حي، وأن رؤيا يوسف عليه السلام سوف تتحقق بعد تلك المدة.. لابد أن يكون لهذا البكاء الطويل معنى حكيم غير ظاهره، بما في ذلك أنه قد يقال إن الله سبحانه أراد أن يجعل للعاطفة والحنان (ينبوعاً) تستقي منه البشرية على مر التاريخ، وإلا لربما كان لقائل أن يقول: إن مثل ذلك لا يفعله حتى الإنسان العادي فكيف بنبي من أنبياء الله. فإن المعنويات كالماديات لها منابع يستقي منها، فكما أن البحر مستقى الماء، والشمس مصدر الطاقة، والهواء محطة للأمواج ومنبع التنفس للإنسان والحيوان والنبات، كذلك الأمر في المعنويات فالعلم والحلم والشجاعة والسماحة والعاطفة وغيرها من المعنويات يلزم أن يكون لها معادن وينابيع يستقي الناس منها تلك الصفات،

.....

وينبغي أن يكون لها انموذج وقمم ليتخذها الإنسان أسوة؛ لأن الإنسان ـ بطبعه ـ

[٦٧٥] سورة الأنبياء: ٢٦ - ٢٧.

[٦٧٦] راجع سورة الكهف: ٦٥ -٨٢.

ينظر إلى من هو فوقه ويستقي منه الفضيلة، فأراد الله سبحانه أن يكون النبي يعقوب عليه السلام ذلك المستقى العاطفي للناس، والله سبحانه العال..

وربما يكون ذلك أيضاً من علل تجلي بعض الصفات في إمام وتجلي صفات أخرى في إمام آخر، والله العالم.

والحاصل: إن هذا الحوار والخطاب الموجه من الصديقة عليها السلام للإمام عليه السلام لم يكن للعتاب المعهود قطعاً، بل لجهة أو جهات ذكرت إجمالاً وسيأتي نوع من التفصيل والتوضيح بعد قليل إن شاء الله.

لماذا صبر الإمام عليه السلام؟

مسألة: كان صبر الإمام علي عليه السلام على ما لاقته الصديقة الطاهرة عليها السلام من الظلم، وصبره على غصب الخلافة.. من أكبر أنواع الجهاد في سبيل الله عزوجل، حيث إنه أخذ بتطبيق وتنفيذ ما وصاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اللحظات الأخيرة من حياته الشريفة بالصبر على كل ذلك، فقد نزل جبرئيل بأمر الله عزوجل وأخذ العهد على ذلك.

فبالإسناد إلى أبي الحسن عليه السلام، قلت: ألا تذكر ما في الوصية؟. قال: «ذلك سر الله ورسوله». قلت: أكان فيها خلاف القوم على علي؟. قال: نعم حرفاً حرفاً، والله والله لقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي وفاطمة: فهمتما ما شرط ربكما وكتب لكما. قالا: قبلنا وصبرنا على ما ساءنا»[٦٧٧].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي، ما أنت صانع إذا قام القوم عليك

---

[٦٧٧] الصراط المستقيم: ج٢ ص٩٢ ب٩ ف١٧ ح١١.

وتقدموك وبعثوا طاغيتهم إليك يدعوك إلى البيعة، ثم لبت بثوبك تنقاد كما يقاد الشارد من الإبل مخذولاً مذموماً محزوناً مهموماً»؟. فقال علي عليه السلام: «أنقاد لهم وأصبر على ما أصابني من غير بيعة لهم»[٦٧٨].

وفي موضع آخر قال جبرائيل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: «قل لعلي عليه السلام: إن ربك يأمرك أن تغسل ابن عمك؛ فإنها السنة لا يغسل الأنبياء غير الأوصياء، وهي حجة الله لمحمد على أمته فيما أجمعوا عليه من قطيعة ما أمرهم به». ثم دفع جبرائيل الصحيفة التي كتبها القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدفعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي عليه السلام وقال: «أمسكها فإن فيها الشروط على قطيعتك وذهاب حقك، وما قد أزمعوا عليه من ظلمك تكون عندك توافيني غداً بها وتحاجهم بها»[٦٧٩].

وفي الحديث: لما ثقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخيف عليه الموت دعا بعلي وفاطمة والحسنين، وأخرج من في البيت واستدنى علياً عليه السلام وأخذ بيد فاطمة عليها السلام بعد بكاء الجميع ووضعها في يد علي. وقال: «هذه وديعة الله ووديعة رسوله عندك فاحفظني فيها فإنك الفاعل، هذه والله سيدة نساء العالمين، هذه مريم الكبرى، والله ما بلغت نفسي هذا الموضع حتى سألت الله لها ولكم فأعطاني. يا علي، أنفذ ما أمرتك به فاطمة فقد أمرتها بأشياء أمرني بها جبرائيل وهي الصادقة الصدوقة، واعلم أني راض عمن رضيَت عنه ابنتي فاطمة، وكذلك ربي والملائكة، وويل لمن ظلمها وابتزها حقها، اللهم إني منهم بريء». ثم سماهم

ثم ضم الأربعة إليه، وقال: «اللهم إني لهم ولمن شايعهم سلم وزعيم يدخلون

---

[٦٧٨] بحار الأنوار: ج٢٢ ص٤٩٣ ب١ ح٣٨.

[٦٧٩] الصراط المستقيم: ج٢ ص٩٤ -٩٥ ب٩ ف١٧ ح١٤.

الجنة، وحرب لمن عاداهم ولمن شايعهم زعيم أن يدخلوا النار. يا فاطمة، لاأرضى حتى ترضى، ثم والله والله لا أرضى حتى ترضى، ثم والله والله لا أرضى حتى ترضى»[٦٨٠]. وقال علي عليه السلام: «كنت مسنداً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى صدري. فقال لي: تحول أمامي. فتحولت وأسنده جبرائيل، فقال لي: ضم كفيك بعضها إلى بعض. ففعلت، فقال: قد عهدت إليك وأخذت العهد من أمين ربي جبرائيل وميكائيل، فبحقهما عليك إلا أنفذت وصيتي، وعليك بالصبر والورع ومنهاجي لا طريق فلان وفلان، وخذ ما آتاك الله بقوة. وأدخل يديه مضمومتين فيما بين كفي فكأنه أفرغ بينهما شيئاً. وقال: قد أفرغت بين يديك الحكمة فلا يعزب عنك من أمري شيء، فإذا حضرتك الوفاة أوص إلى وصيك من بعدك على ما أوصيتك، واصنع هكذا لا كتاب ولا صحيفة»[٦٨١].

وعن كتاب (خصائص الأئمة) للسيد الرضي الموسوي رحمه الله: ثم قال له: «يا أخي، إن القوم سيشغلهم عني ما يريدون من عرض الدنيا وهم عليه قادرون فلا يشغلك عني ما شغلهم، فإنما مثلك في الأمة مثل الكعبة نصبها الله علماً، وإنما تؤتى من كل فج عميق وناد سحيق، وإنما أنت العلم علم الهدى، ونور الدين وهو نور الله. يا أخي، والذي بعثني بالحق لقد قدمت إليهم بالوعيد، ولقد أخبرت رجلاً رجلاً بما افترض الله عليهم من حقك، وألزمهم من طاعتك، فكل أجاب إليك وسلم الأمر إليك، وإني لأعرف خلاف قولهم، فإذا قبضت

.....

وفرغت من جميع ما وصيتك به وغيبتني في قبري، فالزم بيتك واجمع القرآن

---

[٦٨٠] الصراط المستقيم: ج٢ ص٩٢ -٩٣ ب٩ ف١٧ ح١٢.

[٦٨١] الصراط المستقيم: ج٢ ص٩٢ ب٩ ف١٧ ح١١.

على تأليفه[٦٨٢]، والفرائض والأحكام على تنزيله، ثم امض ذلك على عزائمه وعلى ما أمرتك به، وعليك بالصبر على ما ينزل بك منهم حتى تقدم عليَّ»[٦٨٣].

وقال علي أمير المؤمنين عليه السلام: «دعاني النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند موته، وأخرج من في البيت غيري وفيه: جبرائيل والملائكة أسمع الحس ولا أرى شيئاً، فدفع إليَّ وصية مختومة. وقال لي: أتاني بها جبرائيل الساعة، ففضها واقرأها. ففعلت فإذا فيها كل ما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوصيه لا تغادر حرفاً، وكان في أول الوصية: هذا ما عهد محمد بن عبد الله وأوصى به وأسنده إلى وصيه علي بن أبي طالب، وشهد جبرائيل وميكائيل وإسرافيل على ما أوصى وقبضه وصيه، وضمانه على ما ضمن يوشع لموسى ووصي عيسى والأوصياء من قبلهم، على أن محمداً أفضل النبيين، وعلياً أفضل الوصيين، وقبض على الوصية على ما أوصت الأنبياء وسلمه إليه، وهذا أمر الله وطاعته على أن لا نبوة لعلي ولا لغيره بعد محمد وكفى بالله شهيداً. ثم كان فيما شرط عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمر جبرائيل بأمر الرب الجليل موالاة أولياء الله ورسوله، والبراءة والعداوة لمن عادى الله ورسوله، والصبر وكظم الغيظ على انتهاك الحرمة والقتل، فقبل ذلك. فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأعلمهم بذلك فقبلوا كذلك، وختمت الوصية بخواتيم من ذهب لم تمسه النار ودفعت إلى علي عليه السلام»[٦٨٤].

---

[٦٨٢] أي: جمع تفسير القرآن وتأويله وعلومه، وإلا فإن القرآن جمع بهذا الشكل في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبأمر مباشر منه.

[٦٨٣] خصائص الأئمة عليهم السلام: ص٧٢ قطعة من الأخبار المروية في إيجاب ولاء أمير المؤمنين عليه السلام.

[٦٨٤] الصراط المستقيم: ج٢ ص٩١ ب٩ ف١٧ ح٩.

احترام الزوجة

مسألتان: يستفاد استحباب احترام الزوجة لزوجها، ورجحان التكنية له من خطابها عليها السلام لأمير المؤمنين عليه السلام بـ (يا ابن أبي طالب)، فتأمل[٦٨٥].

وكذلك بالنسبة إلى كل إنسان محترم، فإن الكنية فيها من الاحترام ما ليس في الاسم الصريح.

أبو طالب عليه السلام والمواقف المشرفة

لعل عناية الصديقة عليها السلام بانتخاب هذه الكنية (يا ابن أبي طالب) للتلميح بأن أبا طالب عليه السلام هو ذلك الشخص العظيم الشجاع الذي أوقف نفسه للدفاع عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.. فمن الحري بابنه أن يقوم بنفس الدور أيضاً في هذا اليوم، فيحامي عن بنت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

قال أبو طالب عليه السلام وهو يخاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وأبشر بذاك وقر منه عيونا

ودعوتني وعلمت أنك ناصحي ... ولقد دعوت وكنت ثم أمينا

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

---

[٦٨٥] ربما يكون وجهه أن تكنيتها عليها السلام قد يكون لجهة أخرى كالتي سيذكرها المصنف رحمه الله بعد أسطر، وربما كان لجهات عديدة منها الاحترام وما سيأتي.

وكان رسول الله ﷺ يقول: «لما مات أبو طالب نالت قريش مني من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب»[٦٨٦].

وقال النبي ﷺ أيضاً: «ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب»[٦٨٧].

ولما رأى رسول الله ﷺ قريشاً تهجموا على أذيته، قال ﷺ: «يا عم، ما أسرع ما وجدت بعدك»[٦٨٨].

إلى غير ذلك مما يدل على قمة إيمان أبي طالب عليه السلام وشدة حمايته عن رسول الله ﷺ.. على ما ذكرناه في بعض كتبنا [٦٨٩].

---

[٦٨٦] أسنى المطالب في نجاة أبي طالب: ص٢٠.

[٦٨٧] أسنى المطالب في نجاة أبي طالب: ص٢٠.

[٦٨٨] أسنى المطالب في نجاة أبي طالب: ص٢٠.

[٦٨٩] راجع كتاب (من المساجد والمزارات في الحرمين الشريفين) للإمام الشيرازي الراحل قدس سره.

خذلان القوم للإمام عليه السلام

مسألة: يستحب بيان أن القوم خذلوا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حتى بلغ من المظلومية أنه اشتمل شملة الجنين، وقعد حجرة الظنين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلاَّ أَهْلُ بَيْتِي، فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ، وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَا، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظَمِ، وَعَلَى أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ الْعَلْقَمِ»(٦٩٠).

وقال عليه السلام: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَأَكْفَئُوا إِنَائِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا: أَلاَ إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ فَاصْبِرْ مَغْمُوماً أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً، فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ وَلاَ ذَابٌّ وَلاَ مُسَاعِدٌ إِلاَّ أَهْلَ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ، فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ»(٦٩١).

ولما تظلم عليه السلام قال له الأشعث بن قيس: لِمَ لم تقاتل؟.

فأجاب عليه السلام: «بأن لي أسوة بسنة الأنبياء».

وأجاب عليه السلام الأشعث مرة أخرى: «بأنه عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليَّ أن لاأجاهد إلا إذا وجدت أعواناً فلو وجدت أعواناً لجاهدت، وقد طفت على المهاجرين

(٦٩٠) نهج البلاغة، الخطب: ٢٦ـ ومن خطبة له عليه السلام وفيها يصف العرب قبل البعثة ثم يصف حاله قبل البيعة له.

(٦٩١) نهج البلاغة، الخطب: ٢١٧ـ ومن كلام له عليه السلام في التظلم والتشكي من قريش.

والأنصار فلم أجد سوى أربعة، ولو وجدت أربعين يوم بويع لأخي تيم لجاهدتهم»[٦٩٢].

ومن كتاب معاوية المشهور إلى علي عليه السلام: (وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار ويداك في يدي ابنيك الحسن والحسين يوم بويع أبو بكر، فلم تدع أحداً من أهل بدر والسوابق إلا دعوتهم إلى نفسك، ومشيت إليهم بامرأتك، وأدليت إليهم بابنيك، واستنصرتهم على صاحب رسول الله فلم يجبك منهم إلا أربعة أو خمسة ... ومهما نسيت فلا أنسى قولك لأبي سفيان لما حركك وهيجك: لو وجدت أربعين ذوي عزم منهم لناهضت القوم)[٦٩٣].

ويقول ابن أبي الحديد: (فأما قوله: لم يكن لي معين إلا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت، فقول ما زال علي عليه السلام يقوله، ولقد قاله عقيب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لو وجدت أربعين ذوي عزم)[٦٩٤].

وعن عبد الله بن عبد الرحمن، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام: «أن علياً عليه السلام حمل فاطمة (صلوات الله عليها) على حمار، وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة عليها السلام الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل لو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلناه به!. فقال علي عليه السلام: أكنت أترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ميتاً في بيته لاأجهزه، وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه.. وقالت فاطمة عليها السلام: ما صنع

---

[٦٩٢] الصراط المستقيم: ج٣ ص١٢ النوع الثاني في عمر.

[٦٩٣] شرح نهج البلاغة: ج٢ ص٤٧ حديث السقيفة.

[٦٩٤] شرح نهج البلاغة: ج٢ ص٢٢ حديث السقيفة.

أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، وصنعوا هم ما الله حسيبهم عليه»[٦٩٥].

وعن سدير، قال: كنا عند أبي جعفر عليه السلام فذكرنا ما أحدث الناس بعد نبيهم صلى الله عليه وآله واستذلالهم أمير المؤمنين عليه السلام. فقال رجل من القوم: أصلحك الله، فأين كان عز بني هاشم وما كانوا فيه من العدد؟!. فقال أبو جعفر عليه السلام: «ومن كان بقي من بني هاشم إنما كان جعفر وحمزة فمضيا، وبقي معه رجلان ضعيفان ذليلان[٦٩٦] حديثا عهد بالإسلام عباس وعقيل وكانا من الطلقاء، أما والله لو أن حمزة وجعفراً كانا بحضرتهما ما وصلا إلى ما وصلا إليه، ولو كانا شاهديهما لأتلفا نفسيهما»[٦٩٧].

وعن عمرو بن ثابت، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن النبي صلى الله عليه وآله لما قبض ارتد الناس على أعقابهم كفاراً إلا ثلاثاً: سلمان، والمقداد، وأبوذر الغفاري. إنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله جاء أربعون رجلاً إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فقالوا: لا والله لا نعطي أحداً طاعة بعدك أبداً. قال: ولِمَ؟. قالوا: إنا سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وآله فيك يوم غدير خم. قال: وتفعلون؟. قالوا: نعم. قال: فأتوني غداً محلقين. قال: فما أتاه إلا هؤلاء الثلاثة. قال: وجاءه عمار بن ياسر بعد الظهر فضرب يده على صدره، ثم قال له: ما لك أن تستيقظ من نومه الغفلة، ارجعوا فلا حاجة لي فيكم، أنتم لم تطيعوني في حلق الرأس فكيف تطيعوني في قتال جبال الحديد، ارجعوا فلا حاجة لي فيكم»[٦٩٨].

---

[٦٩٥] بحار الأنوار: ج٢٨ ص٣٥٢ ب٤ تبيين.

(٦٩٦) أي استذلهما القوم.

[٦٩٧] الكافي: ج٨ ص١٨٩ -١٩٠ حديث قوم صالح عليه السلام ح٢١٦.

[٦٩٨] الاختصاص: ص٦ المقدمة.

وعن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله عزوجل: **[ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس]**[٦٩٩]. قال: «ذاك والله حين قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير»[٧٠٠].

وعن عبد الرحيم القصير، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن الناس يفزعون إذا قلنا: إن الناس ارتدوا؟. فقال: «يا عبد الرحيم، إن الناس عادوا بعد ما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل جاهلية، إن الأنصار اعتزلت فلم تعتزل بخير جعلوا يبايعون سعداً وهم يرتجزون ارتجاز الجاهلية:

يـــا سعـــــد أنـــت المرجـــى

وشعرك المرجل

وفحلك المرجم»[٧٠١]

تأملات في «اشتملت...»

مسألة: صبر الإمام عليه السلام على تلك الظلامات لم يكن عن رغبة منه، وإليه يلمح قولها عليها السلام: «اشتملت شملة الجنين»، بل كان الصبر لإرادة قاهرة وأمر جازم، إذ لم يكن له عليه السلام خيار آخر، بل كان ذلك خياره الوحيد؛ فإن الجنين: لا مناص له من المشيمة ولا خيار آخر له.

والإمام عليه السلام لم يكن راغباً في السكون والقعود إلا أن الأمر الإلهي

.....

ووصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وملاحظة المصلحة العامة للإسلام والمسلمين، هي التي

---

[٦٩٩] سورة الروم: ٤١.

[٧٠٠] الكافي: ج٨ ص٥٨ رسالة منه عليه السلام إليه أيضاً ح١٩.

[٧٠١] الكافي: ج٨ ص٢٩٦ حديث نوح عليه السلام يوم القيامة ح٤٥٥.

اضطرته لذلك و قيدته وجعلته جليس بيته، وذلك أسمى درجات الإطاعة والانقياد والشجاعة.

قال الشاعر:

قيدتــه وصيـة من أخيـــه رب قيـد يقيد الضرغاما

علماً بأن ذلك السكون كان هو الذي يحمل في داخله وطياته بذور النمو والتقدم، وحفظ مدرسة الإسلام والقرآن، ونشر تعاليم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام.. وينبئ عن أن المرحلة مرحلة الوقاية وحفظ الذات، ومرحلة البناء لقطف الثمار في المستقبل.. لا الثورة؛ فإن المشيمة للجنين وقاية وحفظ، وهي له أيضاً العامل الرئيسي للنمو والرشد، وكلامها عليها السلام هذا يحمل إدانة للقوم بالتلويح الذي هو أقرب للتصريح، وهو من أرقى أنواع البلاغة.

لماذا اشتمال شملة الجنين؟

مسألة: (الثورة) قد تكون واجبة، وقد يكون السكون و(القعود) هو الواجب، وذلك على حسب الشروط والظروف المتعاكسة.. فالثائر ولما تكتمل الشروط عاص، والقاعد وقد اكتملت آثم، ولقد كانت الظروف والشروط بعد استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تفرض (القعود) بل أجلى مصاديقه، ويستفاد ذلك من قولها عليها السلام: (اشتملت...)، فالمراد به تقرير الحالة وإدانة القوم[٧٠٢] لا الاعتراض عليه عليه السلام.

.....

قولها عليها السلام: «اشتملت... » يقال: اشتمل الثوب إذا أداره على جسده،

---

[٧٠٢] بالدلالة الالتزامية.

والشملة: بالكسر هيئة الاشتمال، وبالفتح ما يشتمل به، وفسر بمطلق الكساء وربما بكساءً خاص[٧٠٣]، والمقصود هنا مشيمة الجنين وهي محل استقرار الجنين في الرحم، وهذا تشبيه لجلوسه (عليه الصلاة والسلام) بالجنين الذي في الرحم حيث إنه محاصر من جميع الجهات، ومحدود لا يتمكن من القبض والبسط والحركة وما أشبه ذلك.

فالجنين مشتمل بغطاء مادي، وهو عليه السلام مشتمل شملةً معنوية قيدته، كما هو حال الجنين المقيد.

وفي مكارم الأخلاق: «وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلبس الشملة ويأتزر بها»[٧٠٤].

وقال ابن عباس: (اسمه في التوراة أحمد الضحوك القتال، يركب البعير، ويلبس الشملة، ويجتزي بالكسرة، سيفه على عاتقه، ومن أسمائه صلى الله عليه وآله وسلم الماحي)[٧٠٥].

وروي: «أنه لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **[وَإِن جَهَنَّمَ لَمَوعِدَهُم أَجمَعِينَ ۞ لَهَا سَبعَةُ أَبوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنهُم جُزءٌ مَقسُومٌ]**[٧٠٦]، بكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكاء شديداً وبكت صحابته لبكائه، ولم يدروا ما نزل به جبرئيل عليه السلام، ولم يستطع أحد من صحابته أن يكلمه، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأى فاطمة عليها السلام فرح

.....

---

[٧٠٣] وهي دون القطيفة، وقيل: إنها كساء فيها خطوط سود وبيض، وقيل: بردة من صوف تلبسها الأعراب.

[٧٠٤] مكارم الأخلاق: ص٣٥ ب١ ف٥ في لباسه صلى الله عليه وآله وسلم.

[٧٠٥] كشف الغمة: ج١ ص٧ ذكر أسمائه.

[٧٠٦] سورة الحجر: ٤٣ - ٤٤.

بها. فانطلق بعض أصحابه إلى باب بيتها، فوجد بين يديها شعيراً وهي تطحن فيه، وتقول: [**وما عند الله خير وأبقى**][٧٠٧]، فسلم عليها وأخبرها بخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبكائه. فنهضت والتفت بشملة لها خلقة قد خيطت في اثني عشر مكاناً بسعف النخل، فلما خرجت نظر سلمان الفارسي رحمه الله إلى الشملة وبكى، وقال: واحزناه، إن بنات قيصر وكسرى لفي السندس والحرير وابنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عليها شملة صوف خلقة قد خيطت في اثني عشر مكاناً. فلما دخلت فاطمة عليها السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قالت: يا رسول الله، إن سلمان تعجب من لباسي، فوالذي بعثك بالحق ما لي ولعلي عليه السلام منذ خمس سنين إلا مسك كبش نعلف عليها بالنهار بعيرنا فإذا كان الليل افترشناه، وإن مرفقتنا لمن أدم حشوها ليف. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا سلمان إن ابنتي لفي الخيل السوابق.

ثم قالت: يا أبتِ فديتك، ما الذي أبكاك؟!

فذكر صلى الله عليه وآله وسلم لها ما نزل به جبرئيل من الآيتين المتقدمتين.

قال: فسقطت فاطمة عليها السلام على وجهها وهي تقول: الويل ثم الويل لمن دخل النار»[٧٠٨].

وعن زاذان خادم سلمان، قال: لما جاء أمير المؤمنين عليه السلام ليغسل سلمان وجده قد مات، فرفع الشملة عن وجهه، فتبسم وهم أن يقعد! فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «عد إلى موتك»، فعاد[٧٠٩].

---

[٧٠٧] سورة القصص: ٦٠، سورة الشورى: ٣٦.

[٧٠٨] بحار الأنوار: ج٤٣ ص٨٧ -٨٨ ب٤ ح٩.

[٧٠٩] بحار الأنوار: ج٢٢ ص٣٨٤ ب١١ ح٢١.

المقاومة السلبية

مسألة: ينبغي للمظلوم ـ في بعض الأحيان ـ الاعتكاف في الدار والجلوس في البيت إذا كان ذلك يشكل إدانةً للحكومة الجائرة ويعدّ احتجاجاً واستنكاراً لقراراتها الظالمة، وإذا كان فيه فضحها وتعريتها، أو إذا كان ذلك يسبب الحد من مقدرة الجائر على التحرش والظلم والتحدي.

فإن الجلوس في الدار من أوجه المقاومة السلبية، ومن أشد العوامل الضاغطة على الحكومات، بالإضافة إلى الاعتصامات والمظاهرات السلمية.. وكان جلوس أمير المؤمنين عليه السلام في الدار يرمز إلى ذلك ويكشف عن مدى الجور والظلم الذي لحقه فاضطره ـ وهو باب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله وأسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وآله ـ إلى الاعتزال، كما اعتزل إبراهيم عليه السلام قومه، قال تعالى: ﴿**فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا**﴾[٧١٠].

طرق مختلفة للحوار

مسألة: إن الكلام ـ كالعمل والإشارة ـ له مناح متعددة، وأحكام مختلفة، فقد يقول الإنسان قولاً أو يعمل عملاً بقصد الجد، وقد يكون بقصد التعلم أو التعليم، أو النقد أو الاستيضاح، أو لسان الحال، أو إظهار الانزجار من الغير، وقد يكون لغير ذلك من الدواعي المختلفة في مختلف الموارد.

---

[٧١٠] سورة مريم: ٤٩.

فالتعليم كما في قضية الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام حيث توضئا لتعليم ذلك الشيخ ـ الجاهل بكيفية الوضوء ـ فقولهما: «أحكم بيننا»، لم يكن بقصد الجد في أن أيهما أحسن وضوءً[٧١١].

والتعلم كما في قضية السيد عبد العظيم الحسني عليه السلام حيث عرض أصول دينه على الإمام عليه السلام بقصد أن يتأكد من صحة عقيدته[٧١٢]، وفيه التعليم أيضاً.

والاعتراض: كما اعترض الشيطان على الله سبحانه لماذا أمره بالسجود وهو خير من آدم؛ لأنه مخلوق من النار وآدم من التراب، والنار ـ في نظر الشيطان ـ أفضل وسبب للأفضلية.

والاستيضاح: مثل سؤال الملائكة من الله سبحانه ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾[٧١٣].

ولسان الحال: كقول أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«قال الحبيب وكيف لي بجوابكم وأنا رهين جنادل وتراب».

وإظهار الانزجار: مثل ﴿**وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه**﴾[٧١٤]، حيث إن هذين العملين كانا من موسى عليه السلام لإظهار الانزجار من عبدة العجل، ولم يكن إظهاراً للانزجار من الألواح كما هو واضح، أو من أخيه بقصد إهانته كما هو واضح أيضاً، وهذا متعارف فإنك إذا أردت الانزجار من مجلس أو كلام

---

[٧١١] راجع المناقب: ج٣ ص٤٠٠ فصل في مكارم أخلاقهما عليهما السلام.

[٧١٢] راجع صفات الشيعة: ص٤٨ -٥٠ ح٦٨.

[٧١٣] سورة البقرة: ٣٠.

[٧١٤] سورة الأعراف: ١٥٠.

أخذت بيد أو كتف أو حتى برأس[٧١٥] صديقك وجذبته إليك بانزجار قائلاً له بغضب: تعال لنذهب، مما يوهم الأمر على من يجهل الحال فيتصور أنك غضبت على ذلك الصديق وأنك منزجر منه، كما في كل مجاز لا يعرف الإنسان الآخر قرينة الحال أو المقال فيزعم أن المراد به الواقع والجد والمعنى الحقيقي[٧١٦]، كما تصور عمر أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ أراد حقيقة قطع لسان السائل فأدركه أمير المؤمنين علي عليه السلام وقال إنه صلى الله عليه وآله وسلم أراد إعطاءه شيئاً من المال.

روي: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما مدحه شاعر من الشعراء قال لرجل بحضرته: «اقطع لسانه». فذهب ليقطع لسانه بالسكين!، فأدركه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: «المراد أحسن إليه»[٧١٧].

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «جاء شاعر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأله وأطراه، فقال لبعض أصحابه: قم معه فاقطع لسانه، فخرج ثم رجع، فقال: يا رسول الله أقطع لسانه؟! قال إنما أمرتك أن تقطع لسانه بالعطاء»[٧١٨].

إذا عرفت هذا فاعلم أن الحوار الذي دار بين الإمام علي عليه السلام والصديقة الزهراء عليها السلام كان بهدف بيان الانزجار من القوم، وتعبيراً عن السخط والغضب عليهم، حيث قيدوا أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.. إضافة لاحتمال إرادتها الاستيضاح من باب تسائل العارف لكي يعرف الآخرون فلسفة سكوت

---

[٧١٥] حسب الأعراف المختلفة.

[٧١٦] كما أن من لا يعرف المعنى الكنائي لـ (كثير الرماد) أو (جبان الكلب) يتصور أن الطرف الآخر حقيقة كثير الرماد أو له كلب وكلبه جبان مع أن المقصود هو الكرم.

(٧١٧) شرح أصول الكافي للمولي محمد صالح المازندراني: ج١٠ ص٢٨٠.

[٧١٨] دعائم الإسلام: ج٢ ص٣٢٣ ف٢ ح١٢١٩.

الإمام عليه السلام وصبره على ما ارتكبه المخالفون.

أما احتمال الجد أو النقد أو ما أشبه فغير وارد إطلاقاً، بالإضافة إلى أنه يتنافى مع العصمة ومع إخبار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لهما عليهما السلام عن كل تلك القضايا بتفاصيلها وجزئياتها وأخذ الميثاق منهما، ومع علمها عليهما السلام بأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للإمام علي عليه السلام بالصبر ـ كما سبق ـ.

اللجوء إلى الإمام عليه السلام

مسألة: يلزم أن تلجأ الأمة في شكواها ومحنها وآلامها إلى الإمام المعصوم عليه السلام في حال حضوره، وإلى وكلائه حال غيبته عليه السلام؛ فإنهم حجج الله على الخلق، قال عليه السلام: «أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله»[٧١٩].

كما يجب على الأمة الاستماع لإرشاداته والالتزام بأوامره، ولو كان ذلك قد تم لسعد الناس وصلح المجتمع، وهذا مما يستفاد من جملة من الأدلة ومما يلمح إليه شكايتها عليها السلام هنا للإمام عليه السلام.. هذا كله في البلايا العامة، وأما الرزايا الخاصة فربما يستحب أن يشكوها، على ما سبق بعض الكلام في ذلك.

عن عمر بن حنظلة، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة في دين أو ميراث فيتحاكمان إلى السلطان أو إلى القضاة، أيحل ذلك؟. فقال عليه السلام: «من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتاً وإن كان حقه ثابتاً؛ لأنه أخذ بحكم الطاغوت وقد ما أمر الله تعالى أن يكفر به، قال الله تعالى: **[يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا**

[٧١٩] وسائل الشيعة: ج٢٧ ص١٤٠ ب١١ ح٣٣٤٢٤.

إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به][٧٢٠]».

فقال: كيف يصنعان؟. فقال عليه السلام: «ينظران إلى من كان منكم ممن قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما بحكم الله استخف وعلينا رد، والراد علينا كالراد على الله، فهو على حد الشرك بالله»[٧٢١].

وعن جميل بن دراج، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فاستقبلني رجل خارج من عند أبي عبد الله عليه السلام من أهل الكوفة من أصحابنا، فلما دخلت على أبي عبد الله عليه السلام قال لي: «لقيت الرجل الخارج من عندي». فقلت: بلى، هو رجل من أصحابنا من أهل الكوفة. فقال: لا قدس الله روحه ولا قدس مثله، إنه ذكر أقواماً كان أبي عليه السلام ائتمنهم على حلال الله وحرامه، وكانوا عيبة علمه، وكذلك اليوم هم عندي، هم مستودع سري أصحاب أبي عليه السلام حقاً، إذا أراد الله بأهل الأرض سوءً صرف بهم عنهم السوء، هم نجوم شيعتي أحياء وأمواتاً، يحيون ذكر أبي عليه السلام، بهم يكشف الله كل بدعة، ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين، وتأول الغالين». ثم بكى.

فقلت: من هم؟. فقال: «من عليهم صلوات الله ورحمته أحياء وأمواتاً: بريد العجلي وزرارة وأبوبصير ومحمد بن مسلم، أما إنه يا جميل سيبين لك أمر هذا الرجل إلى قريب». قال جميل: فو الله ما كان إلا قليلاً حتى رأيت ذلك الرجل ينسب إلى آل أبي الخطاب، قلت: الله يعلم حيث يجعل رسالته، قال

---

[٧٢٠] سورة النساء: ٦٠.

[٧٢١] غوالي اللآلي: ج٤ ص١٣٣ -١٣٤ الجملة الثانية في الأحاديث المتعلقة بالعلم وأهله وحامليه ح٢٣١.

جميل: وكنا نعرف أصحاب أبي الخطاب ببغض هؤلاء رحمة الله عليهم[٧٢٢].

وعن أحمد بن إسحاق، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: سألته وقلت: من أعامل وعمن آخذ وقول من أقبل؟. فقال: «العَمري ثقتي، فما أدى إليك عني فعني يؤدي، وما قال لك عني فعني يقول، فاسمع له وأطع؛ فإنه الثقة المأمون». قال: وسألت أبا محمد عليه السلام عن مثل ذلك. فقال: «العمري وابنه ثقتان، فما أديا إليك عني فعني يؤديان، وما قالا لك فعني يقولان، فاسمع لهما وأطعهما؛ فإنهما الثقتان المأمونان»[٧٢٣].

وعن أبي خديجة، قال: بعثني أبو عبد الله عليه السلام إلى أصحابنا. فقال: «قل لهم: إياكم إذا وقعت بينكم خصومة، أو تدارى بينكم في شيء من الأخذ والعطاء، أن تتحاكموا إلى أحد من هؤلاء الفساق، اجعلوا بينكم رجلاً ممن قد عرف حلالنا وحرامنا؛ فإني قد جعلته قاضياً، وإياكم أن يخاصم بعضكم بعضاً إلى السلطان الجائر»[٧٢٤].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم ارحم خلفائي. قيل: يا رسول الله، ومن خلفاؤك؟. قال: الذين يأتون من بعدي يروون حديثي وسنتي»[٧٢٥].

وعن الهروي، قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: «رحم الله عبداً أحيا أمرنا». فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟. قال: «يتعلم

---

[٧٢٢] رجال الكشي: ص١٣٧ - ١٣٨ زرارة بن أعين ح٢٢٠.

[٧٢٣] وسائل الشيعة: ج٢٧ ص١٣٨ ب١١ ح٣٣٤١٩.

[٧٢٤] تهذيب الأحكام: ج٦ ص٣٠٣ ب٩٢ ح٥٣.

[٧٢٥] من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٤٢٠ ومن ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الموجزة التي لم يسبق إليها ح٥٩١٩.

علومنا ويعلمها الناس؛ فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا». قال: قلت: يا ابن رسول الله، فقد روي لنا عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: من تعلم علماً ليماري به السفهاء، أو يباهي به العلماء، أو ليقبل بوجوه الناس إليه فهو في النار. فقال عليه السلام: «صدق جدي عليه السلام، أفتدري من السفهاء؟».

فقلت: لا يا ابن رسول الله. قال: «هم قصاص مخالفينا، وتدري من العلماء؟». فقلت: لا يا ابن رسول الله. فقال: «هم علماء آل محمد عليهم السلام الذين فرض الله طاعتهم وأوجب مودتهم ـ ثم قال: ـ وتدري ما معنى قوله: أو ليقبل بوجوه الناس إليه؟». قلت: لا. قال: «يعني والله بذلك ادعاء الإمامة بغير حقها، ومن فعل ذلك فهو في النار»[٧٢٦].

وعن حمزة بن حمران، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من استأكل بعلمه افتقر». فقلت له: جعلت فداك، إن في شيعتك ومواليك قوماً يتحملون علومكم ويبثونها في شيعتكم، فلا يعدمون على ذلك منهم البر والصلة والإكرام. فقال عليه السلام: «ليس أولئك بمستأكلين، إنما المستأكل بعلمه الذي يفتي بغير علم ولا هدى من الله عزوجل ليبطل به الحقوق طمعاً في حطام الدنيا»[٧٢٧].

الزوجة وشكواها

مسألة: يستحب للزوجة أن تشكو آلامها إلى زوجها، كما شكت الصديقة الطاهرة عليها السلام لأمير المؤمنين عليه السلام.

---

[٧٢٦] بحار الأنوار: ج٢ ص٣٠ ب٩ ح١٣.

[٧٢٧] معاني الأخبار: ص١٨١ باب معنى الاستئكال بالعلم ح١.

وكذلك بالنسبة إلى كل مشكوٍ إليه (في الجملة) إذا كان مؤمناً، فإن الشكاية إلى المؤمن شكاية إلى الله سبحانه وتعالى كما في الروايات[٧٢٨]، فلا خصوصية للزوج والزوجة من الجهة العامة، وإنما الخصوصية لها مَن جهة إن الرجل قيم عليها، فهو أفضل من تشتكي إليه.

عن يونس بن عمار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أيما مؤمن شكا حاجته وضره إلى كافر أو إلى من يخالفه على دينه فكأنما شكا الله عزوجل إلى عدو من أعداء الله، وأيما رجل مؤمن شكا حاجته وضره إلى مؤمن مثله كانت شكواه إلى الله عزوجل»[٧٢٩]. وعن الحسن بن راشد، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا حسن، إذا نزلت بك نازلة فلا تشكها إلى أحد من أهل الخلاف ولكن اذكرها لبعض إخوانك؛ فإنك لن تعدم خصلة من خصال أربع: إما كفاية بمال، وإما معونة بجاه، أو دعوة تستجاب، أو مشورة برأي»[٧٣٠].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من أبدى إلى الناس ضره فقد فضح نفسه، وخير الغنى ترك السؤال، وشر الفقر لزوم الخضوع»[٧٣١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ـ في حديث الأربعمائة ـ: «إذا ضاق المسلم فلايشكون ربه عزوجل وليشتك إلى ربه الذي بيده مقاليد الأمور وتدبيرها»[٧٣٢].

.....

---

[٧٢٨] راجع وسائل الشيعة: ج٢ ص٤١٢ ب٦ ح٢٥٠٣.

[٧٢٩] الكافي: ج٨ ص١٤٤ حديث محاسبة النفس ح١١٣.

[٧٣٠] وسائل الشيعة: ج٢ ص٤١١ - ٤١٢ ب٦ ح٢٥٠٢.

[٧٣١] كنز الفوائد: ج٢ ص١٩٤ فصل في ذكر الغنى والفقر.

[٧٣٢] الخصال: ج٢ ص٦٢٤ علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه في مجلس واحد أربعمائة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه ح١٠.

وعن أبي هاشم الجعفري، قال: أصابتني ضيقة شديدة، فصرت إلى أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام فأذن لي، فلما جلست قال: «يا أبا هاشم، أي نعم الله عزوجل عليك تريد أن تؤدي شكرها؟».

قال أبو هاشم: فوجمت فلم أدر ما أقول له.

فابتدأ عليه السلام فقال: «رزقك الإيمان فحرم به بدنك على النار، ورزقك العافية فأعانتك على الطاعة، ورزقك القنوع فصانك عن التبذل. يا أبا هاشم، إنما ابتدأتك بهذا لأني ظننت أنك تريد أن تشكو إلى من فعل بك هذا، وقد أمرت لك بمائة دينار فخذها»[٧٣٣].

إخبار الزوج

مسألة: يستحب للزوجة أن تخبر زوجها بما وقع عليها وجرى لها، كما أخبرت الصديقة فاطمة عليها السلام بذلك، وربما كان ذلك من صفات الصالحات.

وهناك روايات عديدة في مواصفات الزوجة الصالحة، نشير إلى بعضها:

عن إبراهيم الكرخي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إن صاحبتي هلكت وكانت لي موافقة، وقد هممت أن أتزوج. فقال لي: «انظر أين تضع نفسك، ومن تشركه في مالك، وتطلعه على دينك وسرك، فإن كنت لابد فاعلاً فبكراً تنسب إلى الخير وإلى حسن الخلق، واعلم أنهن كما قال:

ألا إن النساء خلقن شتى ... فمنهن الغنيمة والغرام

ومنهن الهلال إذا تجلى ... لصاحبه ومنهن الظلام

فمن يظفر بصالحهن يسعد ... ومن يغبن فليس له انتقام

.....

[٧٣٣] الأمالي للصدوق: ص٤١٢ - ٤١٣ المجلس الرابع والستون ح١١.

وهن ثلاث: فامرأة ولود ودود تعين زوجها على دهره لدنياه وآخرته ولاتعين الدهر عليه، وامرأة عقيمة لا ذات جمال ولا خلق ولا تعين زوجها على خير، وامرأة صخابة ولاجة همازة تستقل الكثير ولا تقبل اليسير»[٧٣٤].

وعن سليمان الجعفري، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «خير نسائكم الخمس. قيل: وما الخمس؟. قال: الهينة اللينة المؤاتية التي إذا غضب زوجها لم تكتحل بغمض حتى يرضى، وإذا غاب عنها زوجها حفظته في غيبته، فتلك عامل من عمال الله وعامل الله لا يخيب»[٧٣٥].

وعن عبد الله بن سنان، عن بعض أصحابنا، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنما المرأة قلادة فانظر ما تتقلد، وليس لامرأة خطر لا لصالحتهن ولا لطالحتهن، فأما صالحتهن فليس خطرها الذهب والفضة هي خير من الذهب والفضة، وأما طالحتهن فليس خطرها التراب التراب خير منها»[٧٣٦].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: ـ فتذاكرنا النساء وفضل بعضهن على بعض. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا أخبركم بخير نسائكم؟». قالوا: بلى يا رسول الله. فأخبرنا، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن من خير نسائكم الولود الودود، الستيرة العفيفة، العزيزة في أهلها، الذليلة مع بعلها، المتبرجة مع زوجها، الحصان مع غيره، التي تسمع قوله وتطيع أمره، وإذا خلا بها بذلت له ما أراد منها، ولم تبذل له تبذل الرجل»[٧٣٧].

---

[٧٣٤] الكافي: ج٥ ص٣٢٣ باب أصناف النساء ح٣.

[٧٣٥] وسائل الشيعة: ج٢٠ ص٢٩ ب٦ ح٢٤٩٤٤.

[٧٣٦] بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٢٣٣ ب٣ ح١٢.

[٧٣٧] من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٣٨٩ باب ما يستحب ويحمد من أخلاق النساء ح٤٣٦٧.

وعن إبراهيم بن الحسن بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين، عن أبيها الحسين بن علي عليهم السلام، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أعطي أربع خصال أعطي خير الدنيا والآخرة وفاز بحظه منهما: ورع يعصمه من محارم الله، وحسن خلق يعيش به في الناس، وحلم يدفع به جهل الجاهل، وزوجة صالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة»[٧٣٨].

وعن حسين بن علوان، عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حسن البشر نصف العقل، والتقدير نصف المعيشة، والمرأة الصالحة أحد الكاسبين»[٧٣٩].

وعن ربيعة بن كعب، قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من أعطي له خمساً لم يكن له عذر في ترك عمل الآخرة: زوجة صالحة تعينه على أمر دنياه وآخرته، وبنون أبرار، ومعيشة في بلده، وحسن خلق يداري به الناس، وحب أهل بيتي»[٧٤٠].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ملعونة ملعونة امرأة تؤذي زوجها وتغمه، وسعيدة سعيدة امرأة تكرم زوجها ولا تؤذيه، وتطيعه في جميع أحواله»[٧٤١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «سألت أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن فضل النساء في خدمة أزواجهن. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ما من امرأة رفعت من بيت زوجها شيئاً من موضع إلى موضع تريد به صلاحاً إلا نظر الله إليها، ومن نظر الله إليه

---

[٧٣٨] مستدرك الوسائل: ج١٤ ص١٧٠ -١٧١ ب٨ ح١٦٤١٠.

[٧٣٩] بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٢٣٨ ب٣ ح٣٩.

[٧٤٠] الدعوات: ص٤٠ ب١ ف٢ ح٩٧.

[٧٤١] كنز الفوائد: ج١ ص١٥٠ شرح قوله ولعن آخر أمتكم أولها.

لم يعذبه. فقالت أم سلمة (رضوان الله عليها): زدني في النساء المساكين من الثواب بأبي أنت وأمي. فقال ﷺ: يا أم سلمة، إن المرأة إذا حملت كان لها من الأجر كمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله عزوجل، فإذا وضعت قيل لها: قد غفر لكِ ذنبكِ فاستأنفي العمل، فإذا أرضعت فلها بكل رضعة تحرير رقبة من ولد إسماعيل»[٧٤٢].

وعن عمرو بن جميع، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «خير نسائكم الطيبة الريح الطيبة الطعام، التي إذا أنفقت أنفقت بمعروف، وإذا أمسكت أمسكت بمعروف، فتلك من عمال الله وعامل الله لا يخيب»[٧٤٣].

---

[٧٤٢] الأمالي للطوسي: ص٦١٨ المجلس٢٩ ح١٢٧٣.

[٧٤٣] تهذيب الأحكام: ج٧ ص٤٠٢ ب٣٤ ح١٤.

القعود عن الحق

مسألة: ربما يجب على الإنسان أن يصبر عن المطالبة بحقه وحق زوجته أو من يتعلق به، وبعبارة أخرى أن يقعد حجرة الظنين المتهم؛ وذلك للمصلحة الأهم وفق موازين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما إذا رأى عدم التأثير واحتمل الضرر الكثير، ولغير ذلك مما هو مذكور في محله.

قولها عليها السلام: «وقعدت حجرة الظنين»، الحجرة: البيت، والظنين: المتهم، فإن الإنسان إذا كان متهماً في المجتمع يجلس في بيته ولا يخرج حذراً من أن يشار إليه بالسوء. وهذا كناية عن قعود الإمام عليه السلام عن حقه وحق زوجته وعدم المطالبة بذلك، فكأنه نزل منزلة الخائف المتهم، وقد أشرنا إلى ما دعا بالإمام عليه السلام ليتخذ هذا الموقف الشجاع.

تقبل الشكاية

مسألة: ينبغي أن يتسع صدر الزوج لشكاية الزوجة، وذلك مما يقوي الأواصر بينهما، ويزيد الألفة والمحبة بينهما، ويدفع بالعديد من المشاكل والأمراض..

والمشاهد أن بعض الأزواج لا يفسح المجال لزوجته لكي تبث إليه همومها لكن ذلك غير صحيح، والتأسي بالإمام عليه السلام يقتضي ذلك.

---

[٧٤٤] وفي بعض النسخ: (حجزة).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا خيركم خيركم لنسائه، وأنا خيركم لنسائي»[٧٤٥].

وعن مسعدة، قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: «إن عيال الرجل أسراؤه، فمن أنعم الله عليه نعمة فليوسع على أسرائه؛ فإن لم يفعل أوشك أن تزول عنه تلك النعمة»[٧٤٦].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته؛ فإن الله عزوجل قد ملكه ناصيتها وجعله القيم عليها»[٧٤٧].

وعن يونس بن عمار، قال: زوجني أبو عبد الله عليه السلام جارية كانت لإسماعيل ابنه. فقال: «أحسن إليها». فقلت: وما الإحسان إليها؟. فقال: «أشبع بطنها، واكس جثتها، واغفر ذنبها ـ ثم قال ـ اذهبي وسطك الله ما لـه»[٧٤٨].

الشكاية لولي الأمر عليه السلام

مسألة: يستحب شكاية المظلوم حالته إلى ولي أمره، حيث شكت الصديقة عليها السلام لأمير المؤمنين عليه السلام إذ أن رزيتها كان لها كلا الجانبين العام والخاص، وكذلك بالنسبة إلى وكلاء المعصومين عليهم السلام وهم في زمن الغيبة مراجع التقليد، وكذلك من أشبههم ممن جعلهم الله سبحانه وتعالى ـ بصورة خاصة أو بصورة عامة ـ مأوى للناس وملجأً لهم؛ فإن الشكاية إليهم نوع رجوع

---

[٧٤٥] وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٧١ ب٨٨ ح٢٥٣٤٠.

[٧٤٦] الأمالي للصدوق: ج٤٤٢ المجلس٦٨ ح٣.

[٧٤٧] مكارم الأخلاق: ص٢١٧ ب٨ ف٥ في حق المرأة على الزوج.

[٧٤٨] الكافي: ج٥ ص٥١١ باب حق المرأة على الزوج ح٤.

ونوع اعتراف بالمرجعية الشرعية[٧٤٩] فلابد من عدم العدول لغيرهم مهما أمكن.

ثم إنه ليست الشكوى للإمام المعصوم عليه السلام خاصة بحال حياته، بل تشمل ما بعد وفاته أيضاً إذ هم ﴿أحياء عند ربهم يرزقون﴾[٧٥٠].

العتاب وشبهه

مسألة: يجوز للمظلوم أن يعاتب من يستنصره في الجملة؛ وذلك لبيان شدة الظلم، وإن كان في توجيه العتاب لهم عليهم السلام يلزم مراعاة الموازين اللازمة.

وقد يكون من هذا الباب ما ظاهره العتاب كأشعار السيد الحلي رحمه الله[٧٥١] يخاطب بها الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ فإنها بيان لعظم المصيبة وليس المقصود به العتاب الحقيقي كما لا يخفى.

وهكذا ما ظاهره العتاب من الصديقة عليها السلام في هذه الخطبة، فقد سبق أنه كان بهدف إبداء التنفّر والانزجار من جرائم المخالفين فقط ولم يكن إلا عتاباً شكلياً لا حقيقياً.

---

[٧٤٩] ربما يكون المراد بها المعنى اللغوي.

[٧٥٠] سورة البقرة: ٥٤.

[٧٥١] ولد شاعر أهل البيت السيد حيدر بن سليمان بن داود بن حيدر بن أحمد بن عمر الحلي الحسيني المعروف بالسيد حيدر الحلي في قرية بيرمانة من توابع الحلة في منتصف شهر شعبان عام ١٢٤٦هـ. مات أبوه وهو طفل فنشأ في حجر عمه مهدي بن داود . تميز بشعره الحسن والذي ترفع به عن المدح والاستجداء، وأشهر شعره حولياته في رثاء الإمام الحسين عليه السلام. كان رحمه الله موصفاً بالسخاء. له ديوان سماه (الدر اليتيم)، وكتاب (العقد المفصل في قبيلة المجد المؤثل) جزءان ، و(الأشجان في مراثي خير إنسان)، و(دمية القصر في شعراء العصر). توفي رحمه الله في الحلة في شهر ربيع الثاني عام ١٣٠٤هـ ودفن في النجف الأشرف.

أعلى درجات الصبر

مسألة: يستحب التأكيد على مدى صبر الإمام عليه السلام وشدة مرارته، وقوة إرادته وتحمله عليه السلام حفاظاً على الإسلام؛ فإن بيان مثل هذه الأمور له فوائده:

منها: التأسي في مواطن الصبر.

ومنها: إن ذكر صفاتهم (عليهم الصلاة والسلام) مما يوجب التفاف الناس حولهم أكثر فأكثر.

ومنها: إيضاح الرؤية وتعميق المعرفة بهم (عليهم الصلاة والسلام)، وأنهم كانوا يعملون بما يُؤمرون وما يأمرون، فحيث كانوا يؤمرون بالصبر يصبرون، وكما كانوا يأمرون به كانوا يعملون، وحيث كانوا يأمرون ويؤمرون بالتضحية كانوا يضحون، وهكذا.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة يذكر فيها آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) ويبين فضلهم: «هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ، يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ، لاَ يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلاَيَخْتَلِفُونَ فِيهِ، وَهُمْ دَعَائِمُ الإِسْلاَمِ وَوَلاَئِجُ الاِعْتِصَامِ، بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ، وَانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ، عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ، لاَ عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ؛ فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ»[٧٥٢].

وعن ابن عباس، أنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من سره أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن التي غرسها ربي، فليوال علياً عليه السلام من بعدي،

.....

وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعدي؛ فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي، وزقوا

[٧٥٢] نهج البلاغة الخطب: ٢٣٩ ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فهماً وعلماً، ويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين منهم صلتي، لاأنالهم الله شفاعتي»[٧٥٣].

وعن يونس بن يعقوب، قال: أمرني أبو عبد الله عليه السلام أن آتي المفضل وأعزيه بإسماعيل، وقال: «أقرئ المفضل السلام وقل له: إنا قد أصبنا بإسماعيل فصبرنا فاصبر كما صبرنا، إنا أردنا أمراً وأراد الله عزوجل أمراً فسلمنا لأمر الله عزوجل»[٧٥٤].

وعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام ـ في حديث في الإمامة ـ قال: «أما لو أن رجلاً قام ليله، وصام نهاره، وتصدق بجميع ماله، وحج جميع دهره، ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله حق في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان»[٧٥٥].

وعن زرارة، قال: كنت قاعداً عند أبي جعفر عليه السلام. فقال له رجل من أهل الكوفة يسأله عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: سلوني عما شئتم ولا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به؟.

فقال عليه السلام: «إنه ليس أحد عنده علم إلا خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام، فليذهب الناس حيث شاءوا، فو الله ليأتيهم الأمر من هاهنا» وأشار بيده إلى المدينة[٧٥٦].

[٧٥٣] المناقب: ج١ ص٢٩٢ فصل فيما روته العامة.

[٧٥٤] الكافي: ج٢ ص٩٢ باب الصبر ح١٦.

[٧٥٥] وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٦٥ - ٦٦ ب٧ ح٣٣٢١٣.

[٧٥٦] مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٢٧٥ ب٧ ح٢١٣٢٧.

مسألة: يستحب بيان مدى مظلومية أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث صبر على الأذى بالرغم من قدرته الكاملة على تصفية خصومه وأخذ حقه بالقوة.

فإن بيان مظلوميته عليه السلام أدعى للالتفاف حوله، إذ أن قلوب الناس مع المظلوم، كما سبق ..

وبيانها أيضاً فضح لظالميه وإسقاط لشخصياتهم، وإدانة لمنهجهم، ومحاكمة لفكرهم وتراثهم..

عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن الله عزوجل أوحى إلى نبي من أنبيائه في مملكة جبار من الجبارين: أن ائت هذا الجبار فقل له: إنني لم أستعملك على سفك الدماء واتخاذ الأموال، وإنما استعملتك لتكف عني أصوات المظلومين، فإني لم أدع ظلامتهم وإن كانوا كفاراً»[٧٥٧].

مضافاً إلى أن بيان مظلومية علي عليه السلام وأولاده المعصومين عليهم السلام نوع عبادة في ذاته، حيث ورد أن «نفس المهموم لظلمنا تسبيح وهمه لنا عبادة»[٧٥٨].

قال أمير المؤمنين عليه السلام ـ في حديث الأربعمائة ـ: «إن الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض فاختارنا واختار لنا شيعة ينصروننا، ويفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا، أولئك منا وإلينا»[٧٥٩].

.....

وفي (كتاب الإخوان) بإسناده، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «تجلسون

---

[٧٥٧] الكافي: ج٢ ص٣٣٣ باب الظلم ح١٤.

[٧٥٨] الظاهر أن الاستدلال بـ(الأولوية)، فإذا كان نفس المهموم للظلم تسبيحاً والهم عبادة فبيان مظلوميتهم للناس عبادة بشكل أولى.

[٧٥٩] الخصال: ج٢ ص٦٣٥ علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه في مجلس واحد أربعمائة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه ح١٠.

وتحدثون؟». قلت: نعم. قال: «تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا. يا فضيل، من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج عن عينيه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر»[٧٦٠].

وعن بكر بن محمد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه دمع مثل جناح بعوضة، غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»[٧٦١].

وعن علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، قال: قال الرضا عليه السلام: «من تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منا كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكر بمصابنا فبكى وأبكى لم تبكِ عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحيا فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»[٧٦٢]. وعن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السلام دمعة حتى تسيل على خده بوأه الله بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً، وأيما مؤمن دمعت عيناه دمعاً حتى تسيل على خده لأذى مسنا من عدونا في الدنيا بوأه الله مبوأ صدق في الجنة، وأيما مؤمن مسه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل دمعه على خديه من مضاضة ما أوذي فينا صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار»[٧٦٣].

.....

وعن محمد بن أبي عمارة الكوفي، قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام

---

[٧٦٠] وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٠ ب١٠ ح١٥٥٣٢.

[٧٦١] بحار الأنوار: ج٤٤ ص٢٧٨ ب٣٤ ح٣.

[٧٦٢] الأمالي للصدوق: ج٧٣ المجلس السابع عشر ح٤.

[٧٦٣] تفسير القمي: ج٢ ص٢٩١ -٢٩٢ ثواب بكاء الحسين عليه السلام.

يقول: «من دمعت عينه فينا دمعة لدم سفك لنا، أو حق لنا نقصناه، أو عرض انتهك لنا، أو لأحد من شيعتنا، بوأه الله تعالى بها في الجنة حقباً»[٧٦٤].

من فلسفة صبر الإمام عليه السلام

مسألة: إنما لم يتعرض الإمام عليه السلام لهم عسكرياً، لخوفه من القضاء على الإسلام؛ فإن دولة الإسلام كانت فتية وكان الفرس والروم الإمبراطوريتان القويتان يتربصان بالمسلمين، فإذا وقع بينهم نزاع وتحارب، استغل الفرس أو الروم هذه المحاربة للقضاء على الإسلام، ولعله كان يُمحى من الوجود، كما أشار إلى ذلك الإمام (عليه الصلاة والسلام) حيث قال لفاطمة الزهراء عليها السلام:

إن أخذت سيفي وحاربتهم لم تسمعي بعدها ذكراً لهذا الاسم ـ أي: اسم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

وقد روي عنه عليه السلام أن فاطمة عليها السلام حرضته يوماً على النهوض والوثوب فسمع صوت المؤذن: (أشهد أن محمداً رسول الله). فقال لها: «أيسركِ زوال هذا النداء من الأرض؟». قالت: «لا». قال: «فإنه ما أقول لكِ»[٧٦٥].

إضافة إلى أن الإسلام كان جديداً على النفوس ولم يكن متركزاً في أكثرها فكانت أية معركة داخلية بذلك المستوى تؤدي ربما إلى انهيار داخلي هائل وفتنة لا تطفأ.

---

[٧٦٤] بحار الأنوار: ج٤٤ ص٢٧٩ ب٣٤ ح٧.

[٧٦٥] بحار الأنوار: ج٢٩ ص٦٢٥، وشرح نهج البلاغة: ج١١ ص١١٣.

صقور الكفر

مسألة: ينبغي القضاء على صقور الكفر، وهو بين واجب ومستحب في موارده المذكورة ووفق الموازين الشرعية، كما قام أمير المؤمنين عليه السلام بذلك في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث نقض قادمة الأجدل.

قولها عليها السلام : «نقضت...» النقض: ضد الإبرام، و(القادمة): واحدة القوادم، وهي: مقاديم ريش الطائر القوية، يقال: إن في كل جناح من أجنحة الصقر عشرة من هذه القوادم. و(الأجدل) الصقر، من الجدل بمعنى الاستحكام والقوة وقد سمي الطائر به لقوته.

يعني: إنك تمكنت من صناديد قريش في شتى المواجهات، وفي عشرات الحروب والغزوات فقصصت أجنحة أولئك الطغاة الجبابرة.. فما ذا صار بك؟!.

الخيانة سلاح الضعفاء

مسألة: الخيانة سلاح الضعفاء، وكان القوم قد خانوا الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم في ابنته عليها السلام ووصيه علي عليه السلام وينبغي بيان ذلك.

ثم إنها (صلوات الله عليها) لم تقل: (تركت ريش الأعزل) بل أسندت الفعل في الفقرة الأولى (نقضت قادمة الأجدل) إليه عليه السلام وفي الفقرة الثانية إلى القوم، تأكيداً على أنه لم يترك التصدي والدفاع، بل كانت هنالك (خيانة) من القوم، والخيانة هي من شيم الضعفاء الجبناء فهم كالريش للطائر الأعزل إلا أن (خيانتهم) هي التي مكنتهم من السيطرة على مقاليد الأمور.

قولها عليها السلام: «فخانك ريش الأعزل» العزل: الذي لا سلاح له، أو الصقر الذي نقضت قوادمه فلم يبق له إلا الريش الضعيف.

أي: فكيف بك لم تتمكن من أن تنقض ريش الحيوان الأعزل الذي لاقوة لريشه كقوة القوادم؟!مع أنك تمكنت من قص جناح الصقور أي صناديد قريش.

وربما أريد بالأعزل: أراذل الناس، فيكون المعنى: إنك نازعت الأبطال فغلبتهم واليوم يغلبك هؤلاء الضعفاء!.

وفي هذا إشارة منها (صلوات الله عليها) إلى خيانة القوم، فإنهم لم يتغلبوا على علي عليه السلام بالقوة والقدرة والمواجهة، وإلا فالإمام عليه السلام كان أقواهم، بل بالمؤامرة والخيانة والحيلة، ولذلك عبرت عليها السلام بـ (فخانك ريش الأعزل).

كما دل كلامها عليها السلام على شدة قوة إبرازها في بدو الأمر حيث (نقضت) وغاية إخفائها في النهاية حيث (خانك ريش...).

يقول الشاعر:

جمعت في صفاتك الأضداد ... فلهذا عزت لك الأنداد

زاهد حاكم، حليم شجاع ... ناسك فاتك، فقير جواد

شيم ما جمعن في بشر ... قط ولا حاز مثلهن العباد

إنهم كريش أعزل

مسألة: يستحب بيان أن القوم كانوا كريش الأعزل بالنسبة إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام، فإن معرفة ما كان عليه الإمام عليه السلام من الشجاعة الفائقة وما كان يعاني منه أعداؤه المخالفون من الضعف الشديد.. هذه المعرفة ترشدنا إلى عظمة الإمام عليه السلام يوم التزم الصبر امتثالاً لأمر الله سبحانه. كما أن هذه المعرفة تدفعنا للتأسي به عليه السلام والاهتداء بهديه في الظروف المشابهة، وبذلك يكون الاقتراب إلى الله سبحانه وتعالى أكثر وإطاعة أمره بالنحو الأتم.

اسم الخصم

مسألة: ينبغي التصريح باسم الخصم أو كنيته أو لقبه حتى يعرف على مدى التاريخ ويكون أتم للحجة و[**لِيَهلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحيى مَن حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ**][٧٦٦].

ولذلك ـ وربما لغيره أيضاً ـ كان تصريح الصديقة عليها السلام بكنية الغاصب، وإلا فإن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان يعلم بذلك.

ولذلك ـ وربما لغيره أيضاً ـ كان تصريح القرآن الكريم بأسماء أعداء الله، كفرعون وقابيل وهامان، وكذلك تصريح الرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام بأسماء أعدائهم وأعداء الله..

ومن فوائد ذلك أن توجه اللعنة إليهم على مدى الأيام..

ومن الفوائد أن يُعرفوا فيجتنبوا.

وكذلك في كل مورد يكون من هذا القبيل مما يسجل في التاريخ، وتكون فيه فائدة مادية أو معنوية، دينية أو دنيوية.

نعم هناك موارد للتقية ينبغي مراعاتها.

وفي حديث الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام:

(ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى أتوا باب فاطمة عليها السلام فدقوا الباب، فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها باكية: «يا رسول الله، ما ذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة!.

---

[٧٦٦] سورة الأنفال: ٤٢.

فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين، فكادت قلوبهم تتصدع، وأكبادهم تتفطر، وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا علياً ومضوا به إلى أبي بكر، فقالوا: بايع.

فقال: «إن أنا لم أفعل فمه؟».

قالوا: إذاً والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك!

قال: «إذاً تقتلون عبد الله وأخا رسوله».

فقال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخا رسوله فلا!، وأبو بكر ساكت لايتكلم)[٧٦٧].

وفي الخطبة الشقشقية قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى، ينحدر عني السيل ولا يرقى إليَّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يشيب فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهباً، حتى إذا مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى عمر من بعده!، فيا عجباً بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها» الخطبة[٧٦٨].

يبتزني نحلة أبي وبلغة ابنيّ!

---

[٧٦٧] بحار الأنوار: ج٢٨ ص٣٥٦ ب٤ تبيين.

[٧٦٨] الاحتجاج: ج١ ص١٩١ -١٩٢ احتجاجه عليه السلام في الاعتذار من قعوده عن قتال من تآمر عليه من الأولين وقيامه إلى قتال من بغى عليه من الناكثين والقاسطين والمارقين.

الغصب والابتزاز

مسألة: الغصب محرم مطلقاً، سواء كان مجرداً عن الابتزاز أم لا، وتتأكد حرمته إذا صاحبه ذلك، وكان ما قام به ابن أبي قحافة ابتزازاً، لا غصباً فقط، كما صرحت الصديقة عليها السلام بذلك.

والابتزاز: هو الاستلاب وأخذ الشيء بالقهر والغلبة والتهديد.

الغصب الأشد عقوبة

مسألة: إن حرمة الغصب تتأكد أيضاً فيما إذا كان متعلقه حقاً لغير واحد، وعلى ذلك تكون العقوبة أشد..

ولم تكن جريمة ابن أبي قحافة مقتصرة على غصبه فدكاً من الصديقة الزهراء عليها السلام ولم يكن غصبه تعدياً على حقها فحسب، بل كان تعدياً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً، وعلى الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، وتعدياً على القرآن ورسالة السماء، بل على الباري عزوجل.

ولذلك أشارت الصديقة عليها السلام بقولها: «يبتزني نحلة أبي وبلغة ابنيّ...».

ولا يخفى أن الجماعة لم يأخذوا فدكاً والعوالي فحسب، وإنما منعوا أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) حتى من الخمس المقرر لهم، ولعل قولها (عليها الصلاة والسلام): (بلغة ابنيّ) إشارة إلى الأمرين.

قال تعالى: [**وَاعلمُوا أنمَا غنِمتمَ مِن شَيءٍ فأن للهِ خمسَهُ وَللرسُولِ وَلِذِي القربى وَاليتَامى وَالمسَاكِينِ وَابنِ السبِيلِ إِن كنتمَ آمنتمَ بِاللهِ وَمَا أنزلنَا**

.....

على عبدِنا يومَ الفرقانِ يومَ التقى الجمعانِ واللهُ على كل شيءٍ قديرٍ][٧٦٩].

الغصب الطولي

مسألة: كلما تجدد للغصب مصداق ـ عرضي أو طولي ـ تجددت للغاصب حرمة وعقوبة.

فلو غصب[٧٧٠] مالاً من زيد، فمات وورثه أبناؤه استحق الغاصب عقوبة أخرى على غصبه مالهم الذي كان ملكاً للمورّث المغصوب منه.

وذلك نظير «من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»[٧٧١].

ولعل لذلك أشارت الصديقة عليها السلام بقولها: «يبتزني.. بلغة ابنيّ» إذ أن النحلة كانت ملكاً لها عليها السلام وبعد شهادتها ورثها الحسنان عليهما السلام وكان المفروض أن يكون بلغة لهما عليهما السلام.

لماذا طالبت عليها السلام بفدك؟

مسألة: من الواضح أن هدف الصديقة الزهراء عليها السلام لم يكن المادة والدنيا، وينبغي بيان ذلك.

بل كان من أهدافها:

أ: إحقاق الحق وبيان الواقع، أمانة للناس والتاريخ.

---

[٧٦٩] سورة الأنفال: ٤١.

[٧٧٠] هذا مثال للغصب الطولي.

[٧٧١] الفصول المختارة: ص١٣٦ فصل.

ب: من المحبوب عند الله تعالى عمران الدنيا والآخرة معاً، قال سبحانه: ﴿**ومِنهم مَن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ۞ أولئك لهم نصيب مما كسبوا**﴾[٧٧٢].

وقال تعالى: ﴿**ولا تنس نصيبك من الدنيا**﴾[٧٧٣].

فالمطالبة بمتاع الدنيا الحلال لاتخاذه جسراً إلى الآخرة فضيلة مضاعفة، فإن فدك والعوالي كان واردهما كبيراً، إذ كانتا قريتين كبيرتين وفيهما البيوت والأشجار والمزارع وغيرها، حتى ذكر بعض المؤرخين أن واردها كان سبعين ألف دينار ذهباً، فإذا كانت في أيدي الحسن والحسين (عليهما الصلاة والسلام) كانا يقومان بالإنفاق على فقراء المسلمين وحوائجهم، وعلى الدفاع عن المظلومين، وعلى رفع راية الحق والدين المبين، ونشر تعاليمه وأحكامه، بينما إذا أعوزهما المال انتفى الإنفاق بقدره على الفقراء والمحتاجين، ولم يكن للحق ما يدعمه اقتصادياً.

ج: النهي عن المنكر، لأن السكوت عن الغصب سكوت عن المنكر، والنهي عنه واجب ولو في أدنى مراتبه.

د: إن الحق كان حقاً لابنيها الحسنين عليهما السلام أيضاً، إذ كانت فدك بلغة لهما، ولو جاز سكوت المرء عن حقه لم يجز سكوته عن حق من يتعلق به.

هـ: إن فضح غاصبي فدك هو فضح لسائر أعمالهم وممارساتهم ولغصبهم الخلافة أيضاً كما سبق، وهذا هو أهم الأهداف لكي يتبين للأمة الطريق الصحيح

.....

---

[٧٧٢] سورة البقرة: ٢٠١ -٢٠٢.

[٧٧٣] سورة القصص: ٧٧.

لرسالة رسول الله ﷺ دون المزيفين والذين غصبوا الخلافة وحكموا باسم الدين وباسم الرسول الكريم ﷺ.

قولها عليها السلام: «يبتزني نحلة أبي...» (يبتزني): أي يسلبني بالقهر والغلبة ويأخذه مني، و(النحلة): الهبة والعطية، والنُحيلة تصغيرها، وحيث لم يكن هذا في مقام الاحتجاج صرحت (عليها الصلاة والسلام) بأن فدك نحلة.

و(البلغة): ما يبلغ الإنسان به حاجته من العيش ويكتفي به.

والمراد بـ (ابنيَّ): الحسن والحسين (صلوات الله عليهما).

ولا يخفى أن (البلغة) ليست بلغة العيش الشخصي، بل هي بالمعنى الأعم الشامل لما يبلغ به الإنسان هدفه.

لا يقال: لماذا لم تذكر (عليها الصلاة والسلام) البنتين: زينب وأم كلثوم عليهما السلام.

لأنه يقال:

أولاً: لما ذكرناه من أن الهدف من استرجاع فدك هو القيام بقضاء الحوائج ودعم الخلافة الحقة، وكان القائم بذلك الحسنان (عليهما الصلاة والسلام) بعد أبيهما أمير المؤمنين عليه السلام.

وثانياً: إن البنت ـ عادةً ـ تتزوج وتكون في كفالة الزوج ومسئوليته.

عالم الأسباب والمسببات

مسألة: إن الله سبحانه لما جعل في عالم التكوين بعض الأمور سبباً وبعضها الآخر مسبباً فلا يتحقق المسبب بغير السبب، ولا يؤثر السبب في غير المسبب، مثلاً النار علة الإحراق فلا غير النار ـ وما شابهها ـ يحرق، ولا النار تفعل غير الإحراق، إلا بمشيئته سبحانه..

كذلك جعل الأمر في عالم التشريع والاعتبار، فلايتحقق النكاح بوضع الرجل يده على رأس من يريد أن يتزوجها، ولا الطلاق برفع اليد مثلاً، بل لابد من اللفظ الشرعي الذي اعتبره الشارع سببا له.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنما يحلل الكلام ويحرم الكلام»[٧٧٤].

وهذا ما يمكن أن يستفاد من قول الصديقة عليها السلام: «بلغة ابنيَّ» فليدقق. فإن فدك كان سبباً للبلغة وما أشبه. والمطالبة بها مطالبة بالبلغة.

لا يقال: يصح ذلك في اعتبار العقلاء، فإن أي نحو وضعوا الاعتبار يكون كذلك، كما نرى ذلك في النقود حيث تعتبر الدولة الورقة النقدية الخاصة تعادل كذا، والتي لها لون آخر تعادل مبلغاً آخر، ولها قوة شرائية معينة زيادة أو نقيصة أو مساواة وموازاة، أي لعملة أخرى.

لأنه يقال: (اعتبار خصوصية) قد يكون لخصوصية لا نعلمها، وقد لايكون ذلك لاعتبار خصوصية خاصة، إلا أن اعتبار تلك الخصوصية كان من باب أنها فرد ومصداق، وحيث أريد التنسيق وضرب القانون جعل الفرد الخاص و(اعتبر) هو المقياس حتى لايقع الاضطراب، فإذا كان يكفي في النظافة[٧٧٥] فرضاً ثلاث مرات من الوضوء، فيصح ـ بما هو هو ـ أن يجعل في ثلاثة أوقات مهما كانت، لكن إعطاء اختياره بيد الناس يسبب الاضطراب بأن يتوضأ زيد في الساعة الأولى ويستأنف كل ثمان ساعات، وعمرو في الساعة الثانية وهكذا، وعامر في الساعة الثالثة وهكذا مما يخل بالنظـم العام والمظهر الجامـع ـ وهذا المثال

.....

---

[٧٧٤] الكافي: ج٥ ص٢٠١ باب الرجل يبيع ما ليس عنده ح٦.

[٧٧٥] قد يصح ذلك إذا عممنا النظافة للظاهرية والباطنية كما ورد (الوضوء نور).

لتقريب الذهن فقط كما لا يخفى ـ فالتنسيق منضماً إلى التكوين في النظافة سبباً هذا الجعل الخاص.

وبهذا تبين أن كون الشمس تنير العالم، والمطر يروي الأرض، ليس معناه الإطلاق والعلية التامة، بل بشرطها وشروطها، ومنها عدم الموانع، فإنهما لايؤثران تلك التأثيرات في داخل الكهوف وأعماق البحار، ولا الأماكن المسقفة وما إلى ذلك..

وهكذا يكون حال الدعاء مثل: (اللهم اغن كل فقير) و(أشبع كل جائع)[٧٧٦] ففي مائة مليون فقير وجائع مثلاً يؤثر هذا الدعاء في الموضع القابل، فإن قابلية القابل شرط، وهي أيضاً ـ على تقدير وجودها ـ على درجات كما قال تعالى: ﴿**أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها**﴾[٧٧٧] فليس الدعاء بلا أثر إطلاقاً، كما وليس مؤثراً بنحو مطلق وعلة تامة، حاله حال التكوين فليس الدواء الفلاني مؤثراً إطلاقاً ولا بدون أثر إطلاقاً، فإن البلاء كالنعمة ينزلان كقطر المطر ـ كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام بالنسبة إلى البلاء[٧٧٨] ـ ففي الموضع القابل يؤثر كل واحد منهما[٧٧٩] أثره، وهذا ما عبر عنه الحكماء والمتكلمون بفاعلية الفاعل وقابلية القابل..

ومن المعلوم أنه اعتبر ـ ارتكازاً أو ما أشبه ـ الشرط والمعد والمانع والقاطع

.....

---

[٧٧٦] مستدرك الوسائل: ج٧ ص٤٤٧ ب١٤ ح٨٦٢٣.

[٧٧٧] سورة الرعد: ١٧.

[٧٧٨] راجع نهج البلاغة، الخطب: ٢٣ ومن خطبة له عليه السلام وتشتمل على تهذيب الفقراء بالزهد وتأديب الأغنياء بالشفقة.

[٧٧٩] أي من الدعاء والبلاء.

في الكليتين المذكورتين، فكون فدك بلغة الحسنين عليهما السلام من هذا الباب، فلايقال إنها عليها السلام كانت زاهدة ومتوكلة على الله سبحانه فلماذا نطقت بهذا الكلام وطالبت بفدك؟.

بلغة الأبناء

مسألة: يستحب للوالدة ـ وكذا الوالد ـ الاهتمام ببلغة الأبناء، أي ما يتبلغ به من العيش ويكتفى به، وهو سبب بلوغ العمر إلى الغاية والأجل إلى النهاية.

وهذا من فلسفة توزيع الإرث على الورثة فإنه بلغة لهم.

عن عامر بن سعد، عن أبيه: أنه مرض بمكة مرضة أشفى منها فعاده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقال: يا رسول الله، ليس يرثني إلا البنت، أفأوصي بثلثي مالي؟. فقال: «لا». قال: أفأوصي بنصف مالي؟. ـ وفي رواية: بشطر مالي؟ـ فقال: «لا». فقال: أفأوصي بثلث مالي؟. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «بالثلث، والثلث كثير ـ وقال ـ إنك أن تدع أولادك أغنياء خيراً من أن تدعهم عالة يتبلبون الناس»[٧٨٠].

وروى السكوني عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الوصية بالخمس؛ لأن الله عزوجل رضي لنفسه بالخمس ـ وقال ـ الخمس اقتصاد، والربع جهد، والثلث حيف»[٧٨١].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من لم يحسن عند الموت وصيته كان نقصاً في مروءته وعقله ـ قال: ـ وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى إلى علي عليه السلام، وأوصى علي إلى الحسن، وأوصى الحسن إلى الحسين، وأوصى الحسين

---

[٧٨٠] غوالي اللآلي: ج٣ ص٢٦٨ باب الوصايا ح٢.

[٧٨١] من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص١٨٥ باب مقدار ما يستحب الوصية به ح٥٤٢١.

إلى علي بن الحسين، وأوصى علي بن الحسين إلى محمد بن علي عليهم السلام»[٧٨٢].

وعن علي (صلوات الله عليه) أنه قال: «من أوصى بأكثر من الثلث أو أوصى بماله كله فإنه لايجوز، ويرد إلى المعروف غير المنكر، فمن ظلم نفسه في الوصية وخاف فيها فإنها ترد إلى المعروف، ويترك لأهل الميراث حقهم»[٧٨٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من أوصى ولم يحف ولم يضاد كان كمن تصدق به في حياته ـ وقال: ـ ما أبالي أضررت بورثتي أو سرقتهم ذلك المال»[٧٨٤].

وعن ثوبان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضل دينار: دينار أنفقه الرجل على عياله، ودينار أنفقه على دابته في سبيل الله، ودينار أنفقه على أصحابه في سبيل الله ـ ثم قال: ـ وأي رجل أعظم أجراً من رجل سعى على عياله صغاراً يعفهم ويغنيهم الله به»[٧٨٥].

وعن الحسن بن علي الحلال، عن جده، قال: سمعت الحسين بن علي (صلوات الله عليهما) يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ابدأ بمن تعول: أمك، وأباك، وأختك، وأخاك، ثم أدناك فأدناك، ـ وقال: ـ لا صدقة وذو رحم محتاج»[٧٨٦].

---

[٧٨٢] وسائل الشيعة: ج١٩ ص٢٦٥ ب٦ ح٢٤٥٥٧.

[٧٨٣] دعائم الإسلام: ج٢ ص٣٥٧ كتاب الوصايا ف٢ ح١٣٠١.

[٧٨٤] روضة الواعظين: ج٢ ص٤٨٢ مجلس في ذكر الوصية.

[٧٨٥] مستدرك الوسائل: ج٧ ص٢٤١ ب٣٩ ح٨١٤٢، والمستدرك: ج١٣ ص٥٥ ب٢٠ ح١٤٧٣٠.

[٧٨٦] بحار الأنوار: ج٩٣ ص١٤٧ ب١٥ ح٢٤.

إرهاب الحاكم

مسألة: الإرهاب أحد أهم عوامل تراجع نصرة الناس للمظلوم وهو من أكبر المحرمات، وهذا ما قام به ابن أبي قحافة تماماً (لقد أجهد.. وكان الألد)؛ لأن امتناع القوم من نصرة الصديقة عليها السلام كان خوفاً من الحاكم، حيث رأوه أجهد في خصامها وألدّ في كلامها.. ولهذا انسحبوا، كما هو عادة الناس غالباً إذا رأوا أن القوة الحاكمة مصرة على موقفها، فإنهم يتحاشون إغضابها والوقوف بوجهها رعاية لمصالحهم الشخصية وما أشبه.

منع نصرة المظلوم

مسألة: يحرم منع الآخرين عن نصرة المظلوم.

فإن مصادرة الحق وغصبه حرام، ومنع الذين يتمكنون من إرجاع الحق إلى صاحبه حرام آخر.

ترك النصرة

مسألة: امتناع القوم عن نصرة أهل البيت عليهم السلام كان حراماً، بل هو من أشد المحرمات، والأدلة عليها كثيرة، يكفي منها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طلب منهم ـ بأمر من الله عزوجل ـ كأجر للرسالة مودة أهل البيت عليهم السلام والمودة هي إظهار المحبة، قال تعالى: ﴿**قل لا أسئلكم عليهِ أجرا إلا المودة فِي القربى**﴾[٧٨٨] ويا للعجب

---

[٧٨٧] وفي بعض النسخ: (أجهر).

[٧٨٨] سورة الشورى: ٢٣.

من كيفية عملهم بوصية رسول الله ﷺ، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين.

الأشد عداوة

مسألة: ينبغي بيان أن ابن أبي قحافة كان أشد خصوم فاطمة الزهراء عليها السلام وأجهدهم في خصامها، وذلك بتصريح الصديقة الصادقة المصدقة عليها السلام.

وكيف يجوز للأشد عداوة لسيدة النساء عليها السلام أن يتصدى لخلافة رسول الله ﷺ، وقد قال تعالى: **[لا ينال عهدي الظالمين]**[٧٨٩] ؟.

قال الإمام الصادق عليه السلام في وصف الثاني إنه: «سيئة من سيئات الأول»[٧٩٠].

قولها عليها السلام: «خصامي» الخصام مصدر بمعنى المخاصمة، ويمكن أن يكون جمع الخصم.

عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قلت له: أسألك جعلت فداك عن ثلاث خصال أنفي عني فيه التقية، قال: فقال: ذلك لك، قلت: أسألك عن فلان وفلان؟ قال: فعليهما لعنة الله بلعناته كلها ماتا والله وهما كافران مشركان بالله العظيم»[٧٩١].

وقال علي بن إبراهيم: فقال الله عزوجل: **[ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم]**[٧٩٢] قال: يحملون آثامهم

---

[٧٨٩] سورة البقرة: ١٢٤.

[٧٩٠] قصص الأنبياء للجزائري: ص٤٢ ب١ ف٣.

[٧٩١] بصائر الدرجات: ص٢٦٩ -٢٧٠ ب٣ ح٢.

[٧٩٢] سورة النحل: ٢٥.

الذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السلام وآثام كل من اقتدى بهم، وهو قول الصادق عليه السلام: «والله ما أهريقت محجمة من دم، ولا قرع عصاً بعصا، ولا غصب فرج حرام، ولا أخذ مال من غير حله، إلا ووزر ذلك في أعناقهما من غير أن ينقص من أوزار العاملين بشيء»[٧٩٣].

وقال علي بن إبراهيم: في قوله: ([**يوم تقلب وجوههم في النار**] فإنها كناية عن الذين غصبوا آل محمد حقهم، [**يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا**] يعني في أمير المؤمنين عليه السلام، [**وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا**] وهما رجلان، والسادة والكبراء هما أول من بدا بظلمهم وغصبهم، وقوله: [**فأضلونا السبيلا**] أي: طريق الجنة، والسبيل أمير المؤمنين عليه السلام ثم يقولون [**ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا**][٧٩٤])[٧٩٥].

وجاء في تفسير قوله تعالى: [**وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس**]، قال العالم عليه السلام: «من الجن، إبليس الذي أشار على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دار الندوة وأضل الناس بالمعاصي، وجاء بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى فلان فبايعه، ومن الإنس فلان [**نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين**][٧٩٦]»[٧٩٧].

---

[٧٩٣] تفسير القمي: ج١ ص٣٨٣ سورة النحل.

[٧٩٤] سورة الأحزاب: ٦٧ -٦٨.

[٧٩٥] تفسير القمي: ج٢ ص١٩٧ نزول آية الحجاب.

[٧٩٦] سورة فصلت: ٢٩.

[٧٩٧] بحار الأنوار: ج٣٠ ص١٥٥ - ١٥٦ ب٢٠ ح١٣.

دراسة التاريخ

مسألة: دراسة التاريخ أمر واجب في الجملة، للعديد من الأدلة[٧٩٨] ومن مصاديقه:

معرفة الشخصيات الفاعلة سلباً وإيجاباً للتأسي بالصالحين منهم وتجنب الضالين، ولذلك ولغيره سلطت الصديقة الزهراء عليها السلام الأضواء على شخصية خصمها فقالت: «لقد أجهد.. وألد..».

ويعرف من كلامها عليها السلام هذا: إن الرأس والعقل المخطط لكل تلك المؤامرات كان هو ابن أبي قحافة، كما يعرف من كلامها عليها السلام أن ما يتصوره البعض من أنه كان ليناً مدارياً على عكس صاحبه حيث كان خشناً، غير صحيح فإنها عليها السلام تصرح بـ «لقد أجهد في خصامي.. وألفيته الألد في كلامي».

هل كانت البيعة فلتة؟

مسألة: يستفاد من قول الصديقة عليها السلام: (أجهد) أي بذل غاية الجهد في خصام الزهراء عليها السلام، ومنه يعرف أن ما قالوه من كونها (كانت فلتة..) ليس على ظاهره، بل كان أمراً مخططاً دُبر له بليل وعن سابق عمد وإصرار.. مع الالتزام بكل لوازمه بما فيه بذل غاية الجهد في خصام بضعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسيدة

---

[٧٩٨] من قبيل أسر (سر في ديارهم وانظر إلى آثارهم)، ومن قبيل العلة التي كانت وراء ذكر القرآن الكريم لقصص الماضين، وللتصريح بأسماء فرعون ونمرود وهامان وغيرهم من الطغاة، ومن قبيل التأسي والتجنب إلى غير ذلك.

نساء العالمين عليها السلام.

كما يعرف أن الأول شحذ كل طاقاته، وحرك كل خيوطه، وقام بكل ما لا يصح من وراء الكواليس، كما كان هو الواجهة أيضاً (أجهد.. ألفيته..)، وإن حاول التستر خلف شخصيات أخرى، وخلف دعوى أن المسلمين هم الذين دفعوه لذلك.

وهذا هو ديدن الحكومات الجائرة، فإنها تحاول القضاء على المصلحين أو تحديدهم بكل الصور وبشتى الأساليب الخفية والظاهرة.

وعلى المصلحين أن يعدوا أنفسهم لذلك، ويعرفوا أن طريق الله صعب، وأن أمرهم عليهم السلام مستصعب[٧٩٩]، فلا تهولنهم مخاوف الدرب، وليتأسوا بالصديقة الكبرى عليها السلام في مقارعة الظالمين ومجاهرتهم بكلمة الحق.

حقيقة الرجل

مسألة: لو لم يكن لنا من التاريخ ومن الروايات أي خبر وحديث إلا قولها عليها السلام هذا عن ابن أبي قحافة، لكفى في الكشف عن حقيقته، وفي معرفة هويته ومدى حجم جنايته وخصامه لبضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قولها عليها السلام: «وألفيته...» أي وجدته، و(الألد): شديد الخصومة، أي وجدت ابن أبي قحافة شديد الخصومة معي.

---

[٧٩٩] راجع مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٢٩٦ -٢٩٧ ب٢٣ ح١٤١٣١.

حرمة خصامها عليها السلام

مسألة: يحرم خصام الصديقة فاطمة عليها السلام؛ فإن من خاصمها خاصم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن خاصمه خاصم الله عزوجل على ما يستفاد من الروايات الشريفة.

عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي النساء أحب إليك؟. قال: «فاطمة». قلت: من الرجال؟. قال: «زوجها»[٨٠٠].

وعن السلامي مسنداً: أن جميعاً التيمي قال: (دخلت مع عمتي على عائشة. فقالت لها عمتي: ما حملكِ على الخروج على علي؟. فقالت عائشة: دعينا، فو الله ما كان أحد من الرجال أحب إلى رسول الله من علي، ولا من النساء أحب إليه من فاطمة)[٨٠١].

وقال علي بن إبراهيم القمي: وقوله: **[إِن الذِينَ يؤذون اللهَ وَرسُولَهُ لعنَهُمَ اللهُ فِي الدنيا والآخِرةِ وأعدَ لهم عذابا مهِينا]**[٨٠٢]، قال: نزلت فيمن غصب أمير المؤمنين عليه السلام حقه وأخذ حق فاطمة عليها السلام وآذاها، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من آذاها في حياتي كمن آذاها بعد موتي، ومن آذاها بعد موتي كمن آذاها في حياتي، و من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله»، و هو قول الله: **[إِن الذِينَ يؤذون اللهَ وَرسُولَه]** الآيـة، وقوله: **[والذِينَ يؤذون المؤمنِين**

---

[٨٠٠] المناقب: ج٣ ص٣٣١ فصل في حب النبي إياها.

[٨٠١] بحار الأنوار: ج٤٣ ص٣٨ ب٣.

[٨٠٢] سورة الأحزاب: ٥٧.

وَالمؤمِنَات] يعني علياً وفاطمة **[بِغَيرِ ما اكتسَبوا فقدِ احتَملوا بهَتانا وَ إثما مبِينا]**[٨٠٣] وهي جارية في الناس كلهم[٨٠٤].

وعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي عليه السلام، عن أبيه عليه السلام عن جده عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها»[٨٠٥].

وعن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال عليه السلام: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل على ابنته فاطمة عليها السلام وإذا في عنقها قلادة، فأعرض عنها فقطعتها ورمت بها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنتِ مني يا فاطمة. ثم جاء سائل فناوله القلادة، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اشتد غضب الله على من أهرق دمي وآذاني في عترتي»[٨٠٦].

وعن عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: سمعت سعد بن مالك ـ يعني: ابن أبي وقاص ـ يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «فاطمة بضعة مني، من سرها فقد سرني، ومن ساءها فقد ساءني، فاطمة أعز البرية عليَّ»[٨٠٧].

وعن الزهري، وابن أبي مليكة، والمسور بن مخرمة: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنما فاطمة شجنة مني، يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها»[٨٠٨].

---

[٨٠٣] سورة الأحزاب: ٥٨.

[٨٠٤] تفسير القمي: ج٢ ص١٩٦ نزول آية التطهير.

[٨٠٥] الأمالي للمفيد: ص٩٤ -٩٥ المجلس الحادي عشر ح٤.

[٨٠٦] كشف الغمة: ج١ ص٤٧١ فاطمة عليها السلام.

[٨٠٧] الأمالي للطوسي: ص٢٤ المجلس الأول ح٣٠.

[٨٠٨] بحار الأنوار: ج٤٣ ص٣٩ ب٣.

وعن مجاهد، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أخذ بيد فاطمة عليها السلام، وقال: «من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني، وهي قلبي الذي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»[٨٠٩].

وعن أبي خالد عمرو بن خالد الواسطي، قال: حدثني زيد بن علي عليه السلام وهو آخذ بشعره، قال: حدثني أبي علي بن الحسين عليه السلام وهو آخذ بشعره، قال: سمعت أبي الحسين بن علي عليه السلام وهو آخذ بشعره، قال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو آخذ بشعره، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو آخذ بشعره، قال: «من آذى شعرة مني فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله عزوجل، ومن آذى الله عزوجل لعنه ملأ السماوات وملأ الأرض، وتلا: **[إِن الذِينَ يؤذونَ اللهَ ورَسولَهُ لعنَهُمَ اللهُ فِي الدنيا والآخرةِ وأعدَ لهم عذابا مهِينا]**[٨١٠]»[٨١١].

---

[٨٠٩] كشف الغمة: ج١ ص٤٦٧ فاطمة عليها السلام.

[٨١٠] سورة الأحزاب: ٥٧.

[٨١١] الأمالي للطوسي: ج٤٥١ المجلس السادس عشر ح١٠٠٦.

حرمة حبس النصرة عنها

مسألتان: يحرم حبس النصرة عن الصديقة الطاهرة عليها السلام كما يحرم حبس صلتها عليها السلام، وقد ارتكب القوم هاتين المعصيتين الكبيرتين، فحبست الأنصار نصرها وحبست المهاجرة وصلها.

وصلة الصديقة عليها السلام أوجب من صلة الأرحام كما هو واضح، وفي الحديث القدسي أوحى الله إلى موسى عليه السلام في المناجاة: «...واقرن مع ذلك صلة الأرحام؛ فإني أنا الله الرحمن الرحيم، والرحم أنا خلقتها فضلاً من رحمتي ليتعاطف بها العباد، ولها عندي سلطان في معاد الآخرة، وأنا قاطع من قطعها وواصل من وصلها، وكذلك أفعل بمن ضيع أمري...»[٨١٣].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله تعالى: «أنا الرحمن شققت الرحم من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته»[٨١٤].

قال تعالى: [**وَالذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهَ بِهِ أَن يُوصَلَ**][٨١٥].

وفي (الكافي): عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «إن الرحم معلقة بالعرش تقول: اللهم صل من وصلني، واقطع من قطعني وهي رحم آل محمد، وهو قول الله عزوجل: [**الذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهَ**

---

[٨١٢] وفي بعض النسخ: (حين منعتني الأنصار نصرها).

[٨١٣] الكافي: ج٨ ص٤٥ حديث موسى عليه السلام ح٨.

[٨١٤] مستدرك الوسائل: ج١٥ ص٢٣٧ -٢٣٨ ب١١ ح١٨١١٢.

[٨١٥] سورة الرعد: ٢١.

بِهِ أن يوصل][٨١٦]، ورحم كل ذي رحم»[٨١٧].

وعن عمر بن يزيد، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: [الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل][٨١٨]؟.

قال عليه السلام: «نزلت في رحم آل محمد »صلى الله عليه وآله[٨١٩].

وعن محمد بن الفضيل، قال: سمعت العبد الصالح عليه السلام يقول: [والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل][٨٢٠]، قال:

«هي رحم محمد وآل محمد عليهم السلام معلقة بالعرش، تقول: اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني»[٨٢١].

وعن ابن مريم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: [والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل][٨٢٢]؟. قال: «من ذلك صلة الرحم، وغاية تأويلها صلتك إيانا»[٨٢٣].

قولها عليها السلام: «حتى حبستني» (حتى) بمعنى: الغاية، يعني: إن ابن أبي قحافة خاصمني وبلغ في الخصومة درجة حتى أن الصحابة خافوا من نصرتي

.....

---

[٨١٦] سورة الرعد: ٢١.

[٨١٧] الكافي: ج٢ ص١٥١ باب صلة الرحم ح٧.

[٨١٨] سورة الرعد: ٢١.

[٨١٩] بحار الأنوار: ج٧١ ص١٣٠ ب٣ ح٩٥.

[٨٢٠] سورة الرعد: ٢١.

[٨٢١] مستدرك الوسائل: ج١٥ ص٢٣٦ ب١١ ح١٨١٠٤.

[٨٢٢] سورة الرعد: ٢١.

[٨٢٣] تفسير العياشي: ج٢ ص٢٠٨ من سورة الرعد ح٣٠.

والوقوف إلى جانبي، رغم معرفتهم بمكانتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبمنزلتي عند رب السماوات والأرض، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله يرضى لرضى فاطمة ويغضب لغضبها»[٨٢٤].

و«قيلة» أي: بنو قيلة، وهي اسم أم الأوس والخزرج، وقد تقدم أنهما قبيلتان من الأنصار.

قولها عليها السلام: «والمهاجرة» أي الطائفة المهاجرة، والمراد بهم: المهاجرون من مكة، أو المهاجرون من مختلف البلاد الذين كانوا قادمين إلى المدينة المنورة في زمان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم..

و«وصلها»: بمعنى عونها، فإنهم امتنعوا عن معونتها وصلتها.

---

[٨٢٤] راجع إرشاد القلوب: ج٢ ص٢٣٢ في فضائل ومناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وغزواته عليه السلام.

اتخاذ موقف الحياد

مسألة: اتخاذ موقف الحياد أمام ظلم الظالم محرم، وقولها عليها السلام: «وغضت الجماعة دوني طرفها» كناية عن وقوف القوم موقف الحياد تجاه الصراع الذي دار بين ابن أبي قحافة وبين الصديقة الزهراء (عليها الصلاة والسلام)، ويستفاد منه حرمة (غض الطرف عن نصرة المظلوم)[٨٢٥].

وقد يكون في كلامها عليها السلام تلميح إلى ما سيحيق بالقوم، حيث إن من يغض بصره لا يرى أمامه فلا يتخذ التدبير اللازم في مسيره، فيكون للكلام ـ بهذا اللحاظ ـ دلالة تحذيرية مما سيترتب على سكوتهم من الآثار السيئة والمخاطر الدنيوية، إضافة للعواقب الأخروية، وذلك كما في (الضبع) التي تنام على طول اللدم[٨٢٦]؛ فإن من سنن الله تعالى: أن من يسكت على الظلم يلحقه الذل والعار ويلقى العنتَ في الدنيا قبل الآخرة.

ومن ذلك يعرف أن ما يذهب إليه البعض من التزامهم بالحياد أمام الظالم بتذرع عدم التدخل في السياسة غير صحيح، إذ أنه إضافة إلى حرمته الذاتية، لايجنبهم المخاطر التي منها فروا، بل الأمر بالعكس تماماً.

---

(٨٢٥) المراد حرمة ما كني عنه بـ (غض البصر) وليس المقصود تحريم الغض بنفسه.

(٨٢٦) اللدم ـ بسكون الدال ـ: ضرب الحجر أو غيره على الأرض ليس بالقوي. ويحكى أن الضبع تستغفل بمثل ذلك لتسكن حتى تصاد. مجمع البحرين: ج٦ ص١٦٢ مادة (لدم). ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام لما أشير عليه بأن لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال، وفيه يبين عن صفته بأنه عليه السلام لا يخدع، قال: «وَاللَّهِ لاَ أَكُونُ كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا، وَيَخْتِلَهَا رَاصِدُهَا»، نهج البلاغة: الخطبة رقم ٦.

قال مولى الموحدين عليه السلام: «جاهدوا تورثوا أبناءكم عزاً»[٨٢٧].

نعم قد تكون هناك ظروف التقية وما أشبه، فيلزم فيها مراعاة الموازين الشرعية.

روايات حرمة الموقف الحياد

عن عمرو بن قيس المشرقي، قال: دخلت على الحسين عليه السلام أنا وابن عم لي وهو في قصر بني مقاتل. فسلّمنا عليه فقال له ابن عمي: يا أبا عبد الله، هذا الذي أرى خضاب أو شعرك؟!. فقال: «خضاب والشيب إلينا بني هاشم يعجل». ثم أقبل علينا فقال: «جئتما لنصرتي؟». فقلت: إني رجل كبير السن، كثير الدَين، كثير العيال، وفي يدي بضائع للناس ولا أدري ما يكون، وأكره أن أضيع أمانتي. وقال له ابن عمي مثل ذلك. قال عليه السلام لنا: «فانطلقا فلا تسمعا لي واعية، ولا تريا لي سواداً؛ فإنه من سمع واعيتنا، أو رأى سوادنا فلم يجبنا ولم يعنا، كان حقاً على الله عزوجل أن يكبه على منخريه في النار»[٨٢٨].

وروى ابن رياح، قال: لقيت رجلاً أعمى قد حضر قتل الحسين عليه السلام، فسُئل عن ذهاب بصره؟. قال: كنت عاشر عشرة غير أني لم أضرب ولم أرمِ، فلما رجعت إلى منزلي وصليت فأتاني آتٍ في منامي، فقال: أجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقلت: ما لي وله، فأخذني يقودني إليه. فإذا هو جالس في صحراء حاسر عن ذراعيه آخذ بحربة، وملك قائم بين يديه وفي يده سيف من نار فقتل

(٨٢٧) راجع الكافي: ج٥ ص٨ باب فضل الجهاد ح١٢، وفيه: عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اغزوا تورثوا أبناءكم مجداً».

(٨٢٨) ثواب الأعمال: ص٢٥٩ عقاب من سمع واعية أهل البيت عليهم السلام ورأىسوادهم فلم يجبهم.

أصحابي، فكلما ضرب ضربة التهبت أنفسهم ناراً. فدنوت وجثوت بين يديه وقلت: السلام عليك يا رسول الله، فلم يرد عليَّ، ومكث طويلاً ثم رفع رأسه وقال: «يا عبد الله، انتهكت حرمتي وقتلت عترتي ولم ترع حقي»!. فقلت: يا رسول الله، والله ما ضربت بسيف، ولا طعنت برمح، ولا رميت بسهم. قال: «صدقت ولكنك كثّرت السواد، ادن مني». فدنوت فإذا طشت مملوء دماً، فقال: «هذا دم ولدي الحسين»، فكحلني منه، فانتبهت لا أرى شيئاً[٨٢٩].

وقال السدي لرجل: أنت تبيع القطران[٨٣٠]؟!. قال: والله ما رأيت القطران، إلا أنني كنت أبيع المسمار في عسكر عمر بن سعد في كربلاء. فرأيت في منامي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي بن أبي طالب عليه السلام يسقيان الشهداء، فاستسقيت علياً عليه السلام فأبى، فأتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاستسقيت فنظر إليَّ وقال: «أ لست ممن أعان علينا». فقلت: يا رسول الله، إنني محترق ووالله ما حاربتهم. فقال: «اسقه قطراناً». فسقاني شربة قطران، فلما انتبهت كنت أبول ثلاثة أيام القطران، ثم انقطع وبقيت رائحته[٨٣١].

وقال الشعبي: رأيت رجلاً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم اغفر

(٨٢٩) مثير الأحزان: ص٨٠ رواية ابن رياح في قتل الحسين عليه السلام وما جرى للأعمى فيه.

(٨٣٠) قال تعالى: ﴿سرابيلهم من قطران﴾ [٤٤/٥٠] هو بفتح القاف وكسر الطاء: الذي يطلى به الإبل التي فيها الجرب، يتخذ من حمل شجر العرعر فيطبخ بها ثم يهنأ به، وسكون الطاء وفتح القاف وكسرها لغة، وقد أوعد الله المشركين أن يعذبهم به لمعان أربعة: للذعه وحرقته، واشتعال النار فيه، وإسراعها في المطلي به، وسواد لونه بحيث تشمئز عنه النفوس من نتن رائحته، فتطلى به جلودهم حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل، لأنهم كانوا يستكبرون عن عبادته فألبسهم بذلك الخزي و الهوان. وقطران بمعنى نحاس قد انتهى حره أيضاً، ويقال الحديد المذاب.

(٨٣١) المناقب: ج٤ ص٥٨ فصل في آياته بعد وفاته عليه السلام.

لي ولا أراك تغفر لي. فسألته عن ذنبه؟. فقال: كنت من الوكلاء على رأس الحسين عليه السلام وكان معي خمسون رجلاً، فرأيت غمامة بيضاء من نور وقد نزلت من السماء إلى الخيمة وجمعاً كثيراً أحاطوا بها، فإذا فيهم آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، ثم نزلت أخرى وفيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجبرائيل وميكائيل وملك الموت عليهم السلام. فبكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبكوا معه جميعاً، فدنا ملك الموت وقبض تسعاً وأربعين فوثب عليَّ فوثبت على رجلي، وقلت: يا رسول الله، الأمان الأمان فو الله ما شايعت في قتله ولا رضيت. فقال: «ويحك وأنت تنظر إلى ما يكون». فقلت: نعم. فقال: «يا ملك الموت، خل عن قبض روحه؛ فإنه لابد أن يموت يوماً». فتركني وخرجت إلى هذا الموضع تائباً على ما كان مني[٨٣٢].

عدم نصرة أهل البيت عليهم السلام

مسألة: يحرم غض البصر عن نصرة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، كما يحرم عدم نصرة أهل البيت عليهم السلام.

والمسألة هذه من مصاديق الكلي المتقدم، والإفراد بالذكر للأهمية وللآكدية ولشدة الحرمة؛ فإن المظلوم إذا كان من أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) فإن غض الطرف عن التهجم عليهم أو التنقيص من قدرهم يكون أكثر حرمة، والنصرة أشد وجوباً، فكيف بالصديقة فاطمة عليها السلام وهي حجة الله على أهل البيت عليهم السلام.

قال الإمام جعفر بن محمد عليه السلام: «احفظوا فينا ما حفظ العبد الصالح في

(٨٣٢) بحار الأنوار: ج٤٥ ص٣٠٣ ب٤٦.

اليتيمين ـ قال: ـ ﴿**وكان أبوهما صالحا**﴾[٨٣٣]»[٨٣٤].

وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿**يوم ندعوا كل أناسٍ بإمامهم**﴾[٨٣٥]. قال المسلمون: يا رسول الله، ألستَ إمام الناس كلهم أجمعين؟. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي يقومون في الناس فيُكَذَّبون ويَظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم، فمن والاهم واتبعهم وصدّقهم فهو مني ومعي وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وكذبهم فليس مني ولا معي وأنا منه بريء»[٨٣٦].

وعن زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام قال: قرأ ﴿**وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما**﴾[٨٣٧]، ثم قال: «حفظهما ربهما لصلاح أبيهما، فمن أولى بحسن الحفظ منا، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جدنا، وابنته سيدة نساء الجنة أُمنا، وأول من آمن بالله ووحّده وصلّى أبونا»[٨٣٨].

وعن الكلبي ولوط بن يحيى الأزدي: أن ابن قيس بن زرارة الشاذي ـ فخذ من همدان ـ قدم على علي عليه السلام فأخبره بخروج بُسر. فندب علي عليه السلام الناس

---

(٨٣٣) سورة الكهف: ٨٢.

(٨٣٤) كشف الغمة: ج٢ ص١٦٢ وأما مناقبه وصفاته.

(٨٣٥) سورة الإسراء: ٧١.

(٨٣٦) الكافي: ج١ ص٢١٥ باب أن الأئمة في كتاب الله إمامان إمام يدعو إلى الله وإمام يدعو إلى النار ح١.

(٨٣٧) سورة الكهف: ٨٢.

(٨٣٨) الأمالي للمفيد: ص١١٦ المجلس الثالث عشر ح٩

فتثاقلوا عنه، فقال: «أتريدون أن أخرج بنفسي في كتيبة تتبع كتيبة في الفيافي والجبال، ذهب والله منكم أولو النهى والفضل الذين كانوا يُدعون فيجيبون، ويُؤمرون فيطيعون، لقد هممت أن أخرج عنكم فلا أطلب بنصركم ما اختلف الجديدان». فقام جارية بن قدامة فقال: أنا أكفيكهم يا أمير المؤمنين. فقال: «أنت لعمري لميمون النقيبة، حسن النية، صالح العشيرة». وندب معه ألفين وقال بعضهم ألفا، وأمره أن يأتي البصرة فيضم إليه مثلهم(٨٣٩).

وفي رواية عن أبي الوداك، قال: قدم زرارة بن قيس فخبر علياً عليه السلام بالقدمة التي خرج فيها بسر. فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، أيها الناس إن أول فرقتكم وبدء نقصكم ذهاب أولي النهى وأهل الرأي منكم، الذين كانوا يلقون فيصدقون، ويقولون فيعدلون، ويُدعون فيجيبون، وأنا والله قد دعوتكم عوداً وبدءً، وسراً وجهاراً، وفي الليل والنهار، والغدو والآصال، فما يزيدكم دعائي إلا فراراً وإدباراً. أما تنفعكم العظة والدعاء إلى الهدى والحكمة، وإني لعالم بما يُصلحكم ويقيم أودكم، ولكني واللّه لاأصلحكم بفساد نفسي، ولكن أمهلوني قليلاً فكأنكم والله بامرئ قد جاءكم يحرمكم ويعذبكم، فيعذبه الله كما يعذبكم. إن مِن ذُلّ المسلمين وهلاك الدين أن ابن أبي سفيان يدعو الأراذل والأشرار فيُجاب، وأدعوكم وأنتم الأفضلون الأخيار وتدافعون، ما هذا بفعل المتّقين. إن بُسر بن أبي أرطاة وجه إلى الحجاز، وما بُسر (لعنه الله) لينتدب إليه منكم عصابة حتى تردوه عن سننه، فإنما خرج في ستمائة أو يزيدون».

(٨٣٩) الغارات: ج٢ ص٤٢٧ مسير جارية بن قدامة.

قال: فأسكت القوم ملياً لا ينطقون. فقال: «ما لكم مخرسون لاتكلمون»[٨٤٠].

وفي (نهج البلاغة) لما تواترت الأخبار على أمير المؤمنين عليه السلام باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد، وقدم عليه عاملاه على اليمن وهما: عبيد الله بن عباس وسعيد بن نمران، قام عليه السلام على المنبر ضجراً بتثاقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له في الرأي، فقال عليه السلام:

«أُنْبِئْتُ بُسْراً قَدِ اطَّلَعَ الْيَمَنَ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لأَظُنُّ أَنَّ هَؤُلاَءِ الْقَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ، وَبِأَدَائِهِمُ الأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ، وَبِصَلاَحِهِمْ فِي بِلاَدِهِمْ وَفَسَادِكُمْ، فَلَوِ ائْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلاَقَتِهِ. اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلِلْتُهُمْ وَمَلُّونِي، وَسَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُونِي، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ، وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرّاً مِنِّي. اللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسِ بْنِ غَنْمٍ»[٨٤١].

لماذا نبش التاريخ؟

مسألة: لا فرق فيما ذكر من حرمة اتخاذ موقف الحياد، بين الحاضر والماضي وحتى المستقبل (كأخبار الظهور)، كما إذا كان الهجوم تاريخياً، فلا يصح الفرار من النصرة بدعوى أنها قضايا تاريخية أكل الدهر عليها وشرب، إذ:

(٨٤٠) بحار الأنوار: ج٣٤ ص١٤ ب٣١.

(٨٤١) نهج البلاغة، الخطب: ٢٥ ومن خطبة له عليه السلام وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد.

أولا: إن من منهج القرآن الكريم هو التطرق إلى التاريخ وذكر الأنبياء والأولياء عليهم السلام الماضين من جهة، وذكر الطغاة والأعداء كذلك وذمهم ولعنهم من جهة أخرى.

ثانيا: لقانون التأسي وعدمه، فالحديث عن الصالحين ليتخذوا أسوة، والحديث عن الفراعنة ليُجتنبوا.

ثالثا: إن عدم فضح عدو الله والظالم المتستر بلباس الدين، يجعل سائر أقواله وأفعاله حجة وربما استمرت للأجيال القادمة أو مدى الدهر.

رابعا: القدح والمدح يقعان في سلسلة الأجر والعقاب اللذين قررهما الله تعالى للصالحين والطالحين في الدنيا قبل الآخرة، ولذلك طلب إبراهيم عليه السلام من الله الذكر الحسن: ﴿**واجعل لِي لِسان صدقٍ فِي الآخرِين**﴾[٨٤٢]، وقال تعالى: ﴿**وجعلناهم أحاديث**﴾[٨٤٣].

خامساً: المستقبل وليد الماضي بنحو المقتضي[٨٤٤].

إلى غير ذلك مما هو مذكور في دراسة التاريخ وخاصة ما يرتبط بالمعتقدات.

في الحديث الشريف: «من ورخ مؤمناً فقد أحياه»[٨٤٥]. وفي وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الإمام الحسن عليه السلام كما في (نهج البلاغة):

---

(٨٤٢) سورة الشعراء: ٨٤.

(٨٤٣) سورة المؤمنون: ٤٤.

(٨٤٤) المراد أن الماضي السيئ يؤثر في صنع المستقبل السيئ، فكان لابد من دراسته ومعرفته حتى يمكن تجنب مساوئه.

(٨٤٥) انظر كتاب مستدرك سفينة البحار: ج١٠ ص٢٧٨، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ج١ ص٣، وفيه: «من ورخ مؤمنا فكأنما أحياه».

«أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ، وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ، وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ، فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وَعَمَّا انْتَقَلُوا، وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا؛ فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ انْتَقَلُوا عَنِ الأَحِبَّةِ، وَحَلُّوا دِيَارَ الْغُرْبَةِ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ، فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ وَلاَ تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ»(٨٤٦).

وقال الإمام الصادق عليه السلام في حديثه للمفضل: «تأمل يا مفضل ما أنعم الله تقدست أسماؤه به على الإنسان من هذا المنطق الذي يعبر به عما في ضميره، وما يخطر بقلبه وينتجه فكره، وبه يفهم عن غيره ما في نفسه. ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم المهملة التي لا تخبر عن نفسها بشيء، ولا تفهم عن مخبر شيئاً. وكذلك الكتابة التي بها تقيد أخبار الماضين للباقين، وأخبار الباقين للآتين، وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها»(٨٤٧).

هل جماعة المسلمين معصومة؟

مسألة: المراد من (الجماعة) في قولها عليها السلام: «وغضت الجماعة دوني طرفها» الأوس والخزرج والكثير من المهاجرين والأنصار، وليس المراد جميع المسلمين ولا أكثرهم، ولا جميع أهل الحل والعقد ولا أكثرهم، إذ:

.....

(٨٤٦) نهج البلاغة، الرسائل: ٣١ ومن وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليه السلام كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين.

(٨٤٧) توحيد المفضل: ص٧٩ اختصاص الإنسان بالمنطق والكتابة.

أولا: كان أكثر المسلمين خارج المدينة المنورة ـ وقت الحدث ـ وكان مجموع أهل المدينة أقلية بالقياس إلى كل المسلمين(٨٤٨).

وثانيا: كان أهل البيت عليهم السلام من المعارضين للغاصبين، ومن أشد المناصرين للصديقة الطاهرة عليها السلام.

وثالثا: كان العديد من كبار الصحابة من المناصرين للصديقة فاطمة عليها السلام كسلمان وعمار وأبي ذر والمقداد وغيرهم (رضوان الله عليهم).

ثم لو فرض أن المراد من (الجماعة) هو عامة المسلمين لكان كلامها عليها السلام دليلاً قاطعاً على بطلان ما ذهب إليه العامة من أن جماعة المسلمين معصومة، اللهم إلاّ جماعة المسلمين التي تضم في ضمنها أهل البيت عليهم السلام فإنها هي المعنية بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تجتمع أمتي على خطأ»(٨٤٩)، وذلك(٨٥٠) هو وجه حجية الإجماع عندنا، إذ المحور هو دخول المعصوم عليه السلام بينهم حدساً أو تشرفاً أو حساً ... الخ، فالإجماع ليس دليلاً مستقلاً بل هو كاشف عن السنة على ما ذكره الأصوليون، وتفصيل الكلام في علم الأصول.

قولها عليها السلام: «وغضّت...» أي كأنهم لم يروني ولم يسمعوا كلامي، وهذه كناية عن عدم الدفاع عنها عليها السلام والوقوف إلى جانبها.

وفي (إرشاد القلوب): روي عن الصادق عليه السلام: «أن أبا بكر لقي أمير المؤمنين عليه السلام في سكة من سكك بني النجار فسلّم عليه وصافحه. وقال له:

.....

(٨٤٨) إذ عدد نفوس أهل المدينة ـ مسلمين وغير مسلمين ـ كان حوالي عشرة آلاف على ما ذكره المؤرخون، والمسلمون كانوا أضعاف ذلك فقد اجتمع منهم في غدير خم مائة وثمانون ألف على بعض الروايات.

(٨٤٩) شرح نهج البلاغة: ج٨ ص١٢٣.

(٨٥٠) أي دخول المعصوم عليه السلام في ضمن المجمعين.

يا أبا الحسن، أفي نفسك شيء من استخلاف الناس إياي وما كان من يوم السقيفة وكراهيتك للبيعة، والله ما كان ذلك من إرادتي إلا أن المسلمين أجمعوا على أمر لم يكن لي أن أخالفهم فيه؛ لأن النبي ﷺ قال: لا تجتمع أمتي على الضلال!.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا بكر، أُمته الذين أطاعوه في عهده من بعده، وأخذوا بهداه، وأوفوا بما عاهدوا الله عليه، ولم يغيروا ولم يبدلوا.

قال له أبو بكر: والله يا علي لو شهد عندي الساعة من أثق به أنك أحق بهذا الأمر سلمته إليك، رضي من رضي وسخط من سخط!.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا بكر، هل تعلم أحداً أوثق من رسول الله وقد أخذ بيعتي عليك في أربعة مواطن، وعلى جماعة منكم وفيهم عمر وعثمان: في يوم الدار، وفي بيعه الرضوان تحت الشجرة يوم جلوسه في بيت أم سلمة، وفي يوم الغدير بعد رجوعه من حجة الوداع، فقلتم بأجمعكم: سمعنا وأطعنا لله ولرسوله. فقال لكم: الله ورسوله عليكم من الشاهدين. فقلتم بأجمعكم: الله ورسوله علينا من الشاهدين. فقال لكم: فليشهد بعضكم على بعض، وليبلغ شاهدكم غائبكم، ومن سمع منكم فليسمع من لم يسمع. فقلتم: نعم يا رسول الله ﷺ، وقمتم بأجمعكم تهنون رسول الله ﷺ وتهنوني بكرامة الله لنا، فدنا عمر وضرب على كتفي وقال بحضرتكم: بخ بخ يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى المؤمنين؟.

فقال أبو بكر: ذكرتني أمراً يا أبا الحسن لو يكون رسول الله ﷺ شاهداً فأسمعه منه.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ورسوله عليك من الشاهدين، يا أبا بكر إن رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حياً يقول لك: إنك ظالم في أخذ حقي الذي جعله الله ورسوله لي دونك ودون المسلمين أن تسلم هذا الأمر إليَّ وتخلع نفسك منه.

فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، وهذا يكون! أن أرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حياً بعد موته فيقول لي ذلك!.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: نعم يا أبا بكر.

قال: فأرني إن كان ذلك حقاً.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: والله ورسوله عليك من الشاهدين إنك تفي بما تقول؟. قال أبو بكر: نعم.

فضرب أمير المؤمنين عليه السلام على يده، وقال: تسعى معي نحو مسجد قبا. فلما ورده تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام فدخل المسجد وأبو بكر من ورائه، فإذا هو برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس في قبلة المسجد، فلما رآه أبو بكر سقط لوجهه كالمغشي عليه، فناداه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ارفع رأسك أيها الضليل المفتون.

فرفع أبو بكر رأسه وقال: لبيك يا رسول الله، أحياة بعد الموت يا رسول الله!.

فقال: ويلك يا أبا بكر، ﴿**إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير**﴾(٨٥١). قال: فسكت أبو بكر وشخصت عيناه نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال: ويلك يا أبا بكر، أنسيت ما عهدت الله ورسوله عليه في المواطن الأربع لعلي عليه السلام.

فقال: ما نسيتها يا رسول الله.

فقال: ما بالك اليوم تناشد علياً فيها ويذكرك فتقول نسيت؟.

---

(٨٥١) سورة فصلت: ٣٩.

وقص عليه رسول الله ﷺ ما جرى بينه وبين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى آخر، فما نقص منه كلمة وما زاد فيه كلمة.

فقال أبو بكر: يا رسول الله، فهل من توبة، وهل يعفو الله عني إذا سلمت هذا الأمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام؟.

قال: نعم يا أبا بكر، وأنا الضامن لك على الله ذلك إن وفيت.

قال: وغاب رسول الله ﷺ عنهما.

فتشبث أبو بكر بعلي عليه السلام وقال: الله، الله فيَّ يا علي سر معي إلى منبر رسول الله ﷺ حتى أعلو المنبر وأقص على الناس ما شاهدت ورأيت من أمر رسول الله وما قال لي وما قلت لـه وأمرني به، وأخلع نفسي من هذا الأمر وأسلمه إليك.

فقال لـه أمير المؤمنين عليه السلام: أنا معك إن تركك شيطانك.

فقال أبو بكر: إن لم يتركني تركته وعصيته.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إذاً تطيعه ولا تعصيه، وإنما رأيت ما رأيت لتأكيد الحجة عليك.

وأخذ بيده وخرجا من مسجد قبا يريدان مسجد رسول الله ﷺ وأبو بكر يخفق بعضه بعضاً ويتلون ألواناً، والناس ينظرون إليه ولا يدرون ما الذي كان حتى لقيه عمر بن الخطاب. فقال لـه: يا خليفة رسول الله ما شأنك، وما الذي دهاك؟، إلى آخر الحديث(٨٥٢).

فلا دافع ولا مانع

---

(٨٥٢) راجع إرشاد القلوب: ج٢ ص٢٦٤ -٢٦٦ ، وبحار الأنوار: ج٢٩ ص٣٥ ب٥.

خذلان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

مسألة: خذلان القوم لفاطمة الزهراء عليها السلام خذلان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن قولها عليها السلام: «دوني» بضميمة قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فاطمة بضعة مني» يفيد أن الجماعة خذلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن الواضح ما يترتب على خذلانه صلى الله عليه وآله وسلم من الحرمة والفسق وسوء العذاب.

دافع ومانع

مسألة: يجب أن يكون هناك دافع ومانع على مر الأزمان، وذلك للدفاع عن حق أهل البيت عليهم السلام ومنع الظالمين والغاصبين من مكائدهم. فإن أتباع من ظلم أهل البيت عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يظلمونهم اليوم ويظلمون شيعتهم ويتآمرون عليهم. في (منية المريد) عن التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام:

قال محمد بن علي عليه السلام: «إن من تكفل بأيتام آل محمد المنقطعين عن إمامهم، المتحيرين في جهلهم، الأسراء في أيدي شياطينهم وفي أيدي النواصب من أعدائنا، فاستنقذهم منهم وأخرجهم من حيرتهم، وقهر الشياطين بردّ وسواسهم، وقهر الناصبين بحجج ربهم ودليل أئمتهم، ليفضلوا عند الله على العابد بأفضل المواقع، بأكثر من فضل السماء على الأرض، والعرش على الكرسي، والحجب على السماء، وفضلهم على هذا العابد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب في السماء»[٨٥٣].

وفي (المنية) أيضاً، عن التفسير المنسوب:

(٨٥٣) منية المريد: ص١١٨ ف٤.

وقال علي بن محمد عليه السلام: «لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم من العلماء الداعين إليه، والدالين عليه، والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك السفينة سكانها، لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله، أولئك هم الأفضلون عند الله عزوجل»(٨٥٤).

قولها عليها السلام: «فلا دافع ولا مانع» أي: لم يكن مانع أمام ابن أبي قحافة يمنعه من اغتصاب فدك، ولا دفعه أحد بعد الغصب حتى يُرجع الحق إلى أهله(٨٥٥).

(٨٥٤) منية المريد: ص١١٨ ف٤.

(٨٥٥) قد يقال: المنع يتضمن معنى سلبياً، والدفع يتضمن معنى إيجابياً، فـ (المانع) هو من يقف سداً أمام العدو، و(الدافع) هو من يهاجمه.

كلي الظلامة وجزئيها

مسألة: كما يجب ـ أو يستحب حسب الموارد ـ ذكر كلي ظلامة آل الرسول عليهم السلام، يجب أو يستحب ذكر الجزئيات والمفردات، ومن ذلك بيان أن الصديقة فاطمة عليها السلام خرجت كاظمة.

و(الكاظمة): الممتلئة غيظاً.. الصابرة عليه؛ فإن الإنسان الذي يمتلأ غيظاً ولايُظهِره يكون كاظماً. و(الكظم): هو تجرع الغيظ مع الصبر، وكظم غيضه كظماً: إذا تجرعه وحبسه وهو قادر على إمضائه، يعني أنها عليها السلام خرجت من الدار وهي ممتلئة غيظاً لكنها كظمت غيظها وكان خروجها محاولة لاسترجاع فدك وإحقاق الحق حسب الموازين الشرعية.

و(الكاظم) لقب مولانا موسى بن جعفر عليه السلام.. وفي (المجمع): سمي بذلك لأنه عليه السلام كان يعلم من يجحد بعده إمامته ويكظم غيظه عليهم، وقد سقي السم في سبع تمرات ومات في حبس سندي بن شاهك من عمال هارون[٨٥٦].

وجاء في وصف المؤمن: «كظام بسام»[٨٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾[٨٥٨].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «ما من عبد كظم غيظاً إلا زاده الله عزوجل عزاً في الدنيا والآخرة، وقد قال الله عزوجل: ﴿**والكاظمِين الغيظ والعافِين عـن**

(٨٥٦) مجمع البحرين: ج٦ ص١٥٥ مادة (كظم).

(٨٥٧) الكافي: ج٢ ص٢٢٦ باب المؤمن وعلاماته وصفاته ح١.

(٨٥٨) سورة آل عمران: ١٣٤.

الناسِ والله يحبِ المحسنِين﴾[٨٥٩]، وأثابه الله مكان غيظه ذلك»[٨٦٠].

وروي: أن عبداً لموسى بن جعفر عليه السلام قدم إليه صفحة فيها طعام حار فعجل، فصبها على رأسه ووجهه فغضب. فقال له: ﴿**والكاظمِين الغيظ**﴾. قال عليه السلام: «قد كظمت». قال: ﴿**والعافِين عنِ الناسِ**﴾. قال عليه السلام: «قد عفوت». قال: ﴿**والله يحبِ المحسنِين**﴾[٨٦١]. قال عليه السلام: أنت حرّ لوجه الله وقد نحلتك ضيعتي الفلانية»[٨٦٢].

والوجه في كون الصديقة عليها السلام خرجت كاظمة[٨٦٣] إضافة إلى غصبهم الخلافة وغصبهم فدكاً الموجبين لأشد الغيظ: إن الخروج إلى الأعداء والمحاجة معهم مما يشق على النفس أشد المشقة.. فكيف لو كانت التي خرجت هي سيدة نساء العالمين وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ وكيف لو كان الخروج إلى من تعلم أنهم سوف لا ينصفونها بل يزيدونها غماً إلى غم وهماً فوق هم؟.

ولعل الوجه في (كاظمة) أنها عليها السلام كان بمقدورها الدعاء عليهم لاستئصال شأفتهم، ولكنها لم تفعل فقد كظمت غيظها من هذه الجهة أيضاً.

---

(٨٥٩) سورة آل عمران: ١٣٤.

(٨٦٠) بحار الأنوار: ج٦٨ ص٤٠٩ -٤١٠ ب٩٣ ح٢٤.

(٨٦١) سورة آل عمران: ١٣٤.

(٨٦٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ج١٨ ص٤٦ نبذ من الأقوال الحكيمة.

(٨٦٣) أي الوجه في كون الخروج حالة كظم الغيظ.

كيف عادت الزهراء عليها السلام؟

مسألة: يستحب بيان أن فاطمة الزهراء عليها السلام رجعت بعد محاجة أبي بكر راغمة، وقد يجب بيان ذلك حسب الموارد. و(الراغمة) بمعنى: المرغَمة، والرغام هو التراب، وهذا كناية عن الإنسان الذي يُهان من قبل خصمه ولم يتحقق هدفه ويرجع صفر اليدين عما خرج من أجله.

قولها عليها السلام: «عدتُ راغمة» يُشكّل إدانة أخرى للقوم، حيث كان الواجب عليهم أن يرضوها حيث إن الله يرضى لرضاها(٨٦٤) لكنهم لم يرضوها فحسب، بل لم ينصفوها، بل أسخطوها حتى عادت راغمة.

المظلوم المهان

مسألة: يحرم إرجاع المظلوم راغماً مهاناً ذليلاً.

عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كان أبي يقول: اتقوا الظلم؛ فإن دعوة المظلوم تصعد إلى السماء»(٨٦٥).

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اتقوا الظلم؛ فإنه ظلمات يوم القيامة»(٨٦٦).

.....

(٨٦٤) إرضاء الله على درجات، منها الواجب ومنها المستحب، وكذلك إرضاؤها عليها السلام بين واجب ومستحب ـ منه قدس سره.

(٨٦٥) وسائل الشيعة: ج٧ ص١٢٨ -١٢٩ ب٥٢ ح٨٩١٧.

(٨٦٦) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٤٦ ب٧٧ ح٢٠٩٤١.

وعن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إياكم ودعوة المظلوم؛ فإنها ترفع فوق السحاب حتى ينظر الله عزوجل إليها فيقول: ارفعوها حتى أستجيب له. وإياكم ودعوة الوالد؛ فإنها أحدّ من السيف»(٨٦٧).

وعن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن الله عزوجل أوحى إلى نبي من الأنبياء في مملكة جبار من الجبابرة: أن ائت هذا الجبار فقل له: إني لم أستعملك على سفك الدماء واتخاذ الأموال، وإنما استعملتك لتكف عني أصوات المظلومين؛ فإني لن أدع ظلامتهم وإن كانوا كفاراً»(٨٦٨).

وعن الوليد بن صبيح، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «ما من مظلمة أشد من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عوناً إلا الله عزوجل»(٨٦٩).

وعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «ما من أحد يظلم مظلمة إلا أخذه الله بها في نفسه وماله، فأما الظلم الذي بينه وبين الله فإذا تاب غفر له»(٨٧٠).

وعن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿**إن ربك لبالمرصاد**﴾(٨٧١)، قال: «قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة»(٨٧٢).

---

(٨٦٧) الكافي: ج٢ ص٥٠٩ باب من تستجاب دعوته ح٣.

(٨٦٨) ثواب الأعمال: ص٢٧٢ عقاب من ظلم.

(٨٦٩) الكافي: ج٢ ص٣٣١ باب الظلم ح٤.

(٨٧٠) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٤٧ ب٧٧ ح٢٠٩٤٢.

(٨٧١) سورة الفجر: ١٤.

(٨٧٢) ثواب الأعمال: ص٢٧٢ عقاب من ظلم.

من سيرة النبي والوصي عليهما السلام

هذا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم أفضل أسوة للدفاع عن المظلوم والأخذ بحقه، وما أكثر القصص في هذا الباب:

عن عاصم بن حمزة السلولي، قال: سمعت غلاماً بالمدينة وهو يقول: يا أحكم الحاكمين، احكم بيني وبين أمي!.

فقال له عمر بن الخطاب: يا غلام، لم تدعو على أمك؟.

فقال: يا أمير، إنها حملتني في بطنها تسعة أشهر وأرضعتني حولين، فلما ترعرعت وعرفت الخير من الشر، ويميني عن شمالي، طردتني وانتفت مني، وزعمت أنها لا تعرفني.

فقال عمر: أين تكون الوالدة؟.

قال: في سقيفة بني فلان.

فقال عمر: عليَّ بأم الغلام.

قال: فأتوا بها مع أربعة إخوة لها، وأربعين قسامة يشهدون لها أنها لاتعرف الصبي، وأن هذا الغلام غلام مدعٍ ظلومٌ غشوم يريد أن يفضحها في عشيرتها، وأن هذه جارية من قريش لم تتزوج قط، وأنها بخاتم ربها.

فقال عمر: يا غلام، ما تقول؟.

فقال: يا أمير ، هذه والله أمي حملتني في بطنها تسعة أشهر وأرضعتني حولين، فلما ترعرعت وعرفت الخير من الشر، ويميني من شمالي، طردتني وانتفت مني وزعمت أنها لا تعرفني.

فقال عمر: يا هذه، ما يقول الغلام؟.

فقالت: يا أمير، والذي احتجب بالنور فلا عين تراه، وحق محمد وما ولد، ما أعرفه ولا أدري من أي الناس هو، وإنه غلام مدعٍ يريد أن يفضحني في عشيرتي، وإني جارية من قريش لم أتزوج قط، وإني بخاتم ربي.

فقال عمر: ألكِ شهود؟.

فقالت: نعم هؤلاء.

فتقدم الأربعون القسامة فشهدوا عند عمر أن الغلام مدع يريد أن يفضحها في عشيرتها، وأن هذه جارية من قريش لم تتزوج قط، وأنها بخاتم ربها.

فقال عمر: خذوا هذا الغلام وانطلقوا به إلى السجن حتى نسأل عن الشهود، فإن عدلت شهادتهم جلدته حد المفتري.

فأخذوا الغلام ينطلق به إلى السجن، فتلقاهم أمير المؤمنين عليه السلام في بعض الطريق، فنادى الغلام: يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إنني غلام مظلوم.

وأعاد عليه الكلام الذي كلم به عمر، ثم قال: وهذا عمر قد أمر بي إلى الحبس!.

فقال علي عليه السلام: «ردوه إلى عمر».

فلما ردوه، قال لهم عمر: أمرت به إلى السجن فرددتموه إليَّ.

فقالوا: يا أمير، أمرنا علي بن أبي طالب عليه السلام أن نرده إليك، وسمعناك وأنت تقول: لا تعصوا لعلي عليه السلام أمراً.

فبينا هم كذلك إذ أقبل علي عليه السلام فقال: «عليَّ بأم الغلام».

فأتوا بها، فقال علي عليه السلام: «يا غلام، ما تقول؟».

فأعاد الكلام، فقال علي عليه السلام لعمر: «أ تأذن لي أن أقضي بينهم».

فقال عمر: سبحان الله، وكيف لا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أعلمكم علي بن أبي طالب.

ثم قال للمرأة: «يا هذه، ألكِ شهود».

قالت: «نعم».

فتقدم الأربعون قسامة فشهدوا بالشهادة الأولى. فقال علي عليه السلام: «لأقضين اليوم بقضية بينكما هي مرضاة الرب من فوق عرشه علمنيها حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ ثم قال لها ـ ألكِ ولي؟».

قالت: نعم هؤلاء إخوتي.

فقال لإخوتها: «أمري فيكم وفي أختكم جائز؟».

فقالوا: نعم يا ابن عم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أمرك فينا وفي أختنا جائز.

فقال علي عليه السلام: «أشهد الله وأشهد من حضر من المسلمين أني قد زوجت هذا الغلام من هذه الجارية بأربعمائة درهم والنقد من مالي، يا قنبر عليَّ بالدراهم». فأتاه قنبر بها فصبها في يد الغلام، قال: «خذها فصبها في حجر امرأتك، ولا تأتنا إلاّ وبك أثر العرس»، يعني: الغسل.

فقام الغلام فصب الدراهم في حجر المرأة، ثم تلببها فقال لها: قومي.

فنادت المرأة: النار النار يا ابن عم محمد، تريد أن تزوجني من ولدي هذا، والله ولدي زوجني إخوتي هجيناً فولدت منه هذا الغلام، فلما ترعرع وشب أمروني أن أنتفي منه وأطرده، وهذا والله ولدي وفؤادي يتقلى أسفاً على ولدي.

قال: ثم أخذت بيد الغلام وانطلقت، ونادى عمر: وا عمراه، لولا علي لهلك عمر»[٨٧٣].

ما شأنك يا جارية؟

عن أبان الأحمر، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقد بلى ثوبه، فحمل إليه اثني عشر درهماً.

فقال: يا علي، خذ هذه الدراهم فاشتر لي ثوباً ألبسه.

قال علي عليه السلام: فجئت إلى السوق فاشتريت له قميصاً باثني عشر درهماً، وجئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فنظر إليه.

فقال: يا علي، غير هذا أحب إليَّ، أترى صاحبه يقيلنا؟.

فقلت: لا أدري. فقال: انظر. فجئت إلى صاحبه فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد كره هذا، يريد ثوباً دونه فأقلنا فيه. فرد عليَّ الدراهم وجئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فمشى معي إلى السوق ليبتاع قميصاً، فنظر إلى جارية قاعدة على الطريق تبكي، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ما شأنكِ؟.

قالت: يا رسول الله، إن أهل بيتي أعطوني أربعة دراهم لأشتري لهم بها حاجة فضاعت فلا أجسر أن أرجع إليهم.

فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله أربعة دراهم، وقال: ارجعي إلى أهلكِ.

ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السوق فاشترى قميصاً بأربعة دراهم ولبسه وحمد الله، وخرج فرأى رجلاً عرياناً يقول: من كساني كساه الله من ثياب

(٨٧٣) الكافي: ج٧ ص٤٢٣ باب النوادر ح٦.

الجنة. فخلع رسول الله ﷺ قميصه الذي اشتراه وكساه السائل، ثم رجع إلى السوق فاشترى بالأربعة التي بقيت قميصاً آخر فلبسه وحمد الله ورجع إلى منزله، وإذا الجارية قاعدة على الطريق، فقال لها رسول الله ﷺ: ما لكِ لاتأتين أهلكِ؟.

قالت: يا رسول الله، إني قد أبطأت عليهم وأخاف أن يضربوني.

فقال رسول الله ﷺ: مري بين يدي ودليني على أهلكِ.

فجاء رسول الله ﷺ حتى وقف على باب دارهم، ثم قال: السلام عليكم يا أهل الدار. فلم يجيبوه، فأعاد السلام فلم يجيبوه، فأعاد السلام، فقالوا: عليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فقال لهم: ما لكم تركتم إجابتي في أول السلام والثاني؟.

قالوا: يا رسول الله، سمعنا سلامك فأحببنا أن تستكثر منه.

فقال رسول الله ﷺ: إن هذه الجارية أبطأت عليكم فلا تؤاخذوها.

فقالوا: يا رسول الله، هي حرة لمشاك.

فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله، ما رأيت اثني عشر درهماً أعظم بركة من هذه، كسا الله بها عريانين وأعتق بها نسمة»[٨٧٤].

ولد لستة أشهر

وروي أنه كان الهيثم في جيش، فلما جاء جاءت امرأته بعد قدومه لستة أشهر بولد، فأنكر ذلك منها وجاء إلى عمر وقص عليه، فأمر برجمها!، فأدركها

.....

(٨٧٤) بحار الأنوار: ج١٦ ص٢١٤ -٢١٥ ب٩ ح١

علي عليه السلام من قبل أن ترجم، ثم قال لعمر: «اربع على نفسك، إنها صدقت إن الله تعالى يقول: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهرا﴾[٨٧٥]، وقال: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾[٨٧٦]، فالحمل والرضاع ثلاثون شهراً».

فقال عمر: لولا علي لهلك عمر، وخلى سبيلها وألحق الولد بالرجل[٨٧٧].

ألم يقتله مرة

وعن الإمام الرضا عليه السلام ـ في خبر ـ: «أنه أقر رجل بقتل ابن رجل من الأنصار فدفعه عمر إليه ليقتله به، فضربه ضربتان بالسيف حتى ظن أنه هلك، فحمل إلى منزله وبه رمق فبرأ الجرح بعد ستة أشهر، فلقيه الأب وجره إلى عمر فدفعه إليه عمر، فاستغاث الرجل إلى أمير المؤمنين. فقال لعمر: «ما هذا الذي حكمت به على هذا الرجل! ». فقال: النفس بالنفس. قال: «أ لم يقتله مرة». قال: قد قتلته ثم عاش. قال: «فيقتل مرتين! ». فبهت ثم قال: فاقض ما أنت قاض. فخرج عليه السلام، فقال للأب: «أ لم تقتله مرة؟». قال: بلى، فيبطل دم ابني!. قال: «لا ولكن الحكم أن تدفع إليه فيقتص منك مثل ما صنعت به، ثم تقتله بدم ابنك». قال: «هو و الله الموت ولابد منه». قال: «لابد أن يأخذ بحقه». قال: فإني قد صفحت عن دم ابني ويصفح لي عن القصاص. فكتب بينهما كتاباً بالبراءة، فرفع عمر يده إلى السماء وقال: الحمد لله أنتم أهل بيت الرحمة يا أبا الحسن ـ ثم قال ـ لو لا علي لهلك عمر»[٨٧٨].

---

(٨٧٥) سورة الأحقاف: ١٥.

(٨٧٦) سورة البقرة: ٢٣٣.

(٨٧٧) مستدرك الوسائل: ج١٥ ص١٢٣ ب١٢ ح١٧٧٣٠.

(٨٧٨) المناقب: ج٢ ص٣٦٥ -٣٦٦ فصل في ذكر قضاياه عليه السلام في عهد عمر.

لماذا أضرع الإمام عليه السلام خده؟

مسألة: ربما يكون الواجب بالعنوان الأولي من أشد المحرمات بالعنوان الثانوي، وكذلك المحرم قد يتحول إلى واجب إذا طرأ العنوان الثانوي عليه، فتعريض النفس للقتل وإلقاؤها في التهلكة حرام.. ولكنه من أعظم القربات في ساحة القتال والجهاد المشروع، والتعرض للأسر والذل محرم إلا أنه يكون من أعظم الطاعات عندما يكون السبب في إعلاء راية الإسلام في الأرض، والسبب في فضح الظالم على مدى الدهر، ولذلك عرّض سيد الشهداء عليه السلام أهل بيته عليهم السلام وهم حُرم رسول الله صلى الله عليه وآله للأسر باصطحابهم معه إلى كربلاء.

ولذلك السبب كان موقف أسد الله الغالب علي بن أبى طالب عليه السلام من ظالميه وغاصبي حقه ومن ظالمي زوجته الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وغاصبي حقها، فقد «أضرع خده وأضاع حده» وذلك بأمر صريح ووصية واضحة من رسول الله صلى الله عليه وآله على ما مر، فإن هذا الصبر لهو أكبر الجهاد: أن يصبر المرء على أذى وهو قادر على إزاحته، امتثالاً لأمر الله تعالى.. كما صبر رسول الله صلى الله عليه وآله طوال فترة وجوده في مكة ولم يأذن للمسلمين بالدفاع عن أنفسهم أو عن أي مظلوم منهم، بل كان يمر هو صلى الله عليه وآله عليهم وهم يُعذَبون أشد التعذيب فيأمرهم بالصبر ثم الصبر ثم الصبر..

قال صلى الله عليه وآله: «صبراً يا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة»[٨٧٩].

وهذا الصبر هو أجلى مصاديق الصبر الواجب ذي الأجر العظيم، وقد قال

(٨٧٩) شرح نهج البلاغة: ج١٣ ص٢٥٥ القول في إسلام أبي بكر وعلي وخصائص كل منهما.

تعالى: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[٨٨٠].

ومن ذلك يتضح أن خطاب الصديقة الزهراء عليها السلام لبعلها الإمام علي عليه السلام بـ «أضرعت خدك يوم أضعت حدك» ليس نقداً له عليه السلام وعتاباً ـ كما قد يتصوره سطحيو التفكير ـ كيف وهي عليها السلام عالمة بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له وأمره إياه بالصبر وعدم التصدي للقوم بالقوة؟.

بل إن هذا الخطاب منها عليها السلام له عليه السلام وهو كالعتاب في ظاهر الأمر، لتوضح عظمة الإمام عليه السلام وعظمة موقفه حيث ضحى بمكانته ومهابته وحدّه امتثالاً لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكيلا تمحى كلمة (لا إله إلا الله.. محمد رسول الله) من وجه الأرض.

قولها عليه السلام: «أضرعت» بمعنى: أذللت، ضرع الرجل: خضع وذل.

و(الخد) كناية عن الشخصية، بالإضافة إلى أن حالة العز والذل تظهر عادة على ملامح الوجه والخد.

و«أضعت حدك» بمعنى: أهملت قدرك، من الإضاعة والضياع.

يعني: إن القوم لم يخافوك ولم يهابوك فلم يردوا عليَّ فدك.

وقد سبق أن ذلك منه عليه السلام كان من أعظم الجهاد، حيث ضحى بمهابته ومكانته وقدرته على التصدي، التزاماً بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيته.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى علو العرش»[٨٨١].

---

(٨٨٠) سورة الزمر: ١٠.

(٨٨١) إرشاد القلوب: ج١ ص١٢٧ -١٢٨ ب٣٨.

وقال علي بن الحسين عليه السلام: «الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله»[٨٨٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام: «من صبر نال بصبره درجة الصائم القائم، ودرجة الشهيد الذي قد ضرب بسيفه قدام محمد صلى الله عليه وآله»[٨٨٣].

وقال صلى الله عليه وآله: «من صبر على مصيبة فله من الأجر بوزن جبال الدنيا»[٨٨٤].

افترست الذئاب وافترشت التراب

مقياس الإيمان

مسألة: يلزم على المؤمن أن يتصف بالصفات المتضادة[٨٨٥] في المواقف المتضادة كل بحسبه وامتثالاً أمر الله تعالى، فإن المقياس في الإيمان ليس هو نوعية موقف الإنسان حالة الرخاء فقط، ولا موقفه حالة الشدة فحسب، ولا موقفه في السلم دون الحرب أو العكس، أو موقفه محكوماً إذا غاير موقفه حاكماً.

بل المؤمن هو المسلّم لأمر الله، المتحري رضوانه، في الشدة والرخاء[٨٨٦]،

(٨٨٢) الكافي: ج٢ ص٦٠ باب الرضا بالقضاء ح٣.

(٨٨٣) ثواب الأعمال: ص١٩٨ ثواب الاسترجاع عند المصيبة.

(٨٨٤) مستدرك الوسائل: ج٢ ص٤٣٠ ب٦٤ ح٢٣٧٤.

(٨٨٥) المقصود ما يبدو متضاداً وإن كان في واقعه يشكل الصورة المتكاملة، كما في قوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ سورة الفتح: ٢٩.

(٨٨٦) في الشدة صبور وفي الرخاء شكور.

وفي المنزل وخارجه، وفي السلم والحرب، ومع العدو[٨٨٧] والصديق، وفي القوة

.....

والضعف[٨٨٨]، ففي موطن الحرب أسد باسل لا يخاف من مواجهة الأعداء.. وفي محراب العبادة عبد ذليل خاضع، وهكذا وهلم جراً.

ولقد تجلت تلك الصفات المتضادة ـ في بدو النظر ـ أشد التجلي في الإمام علي عليه السلام فكان كما قال القائل[٨٨٩]:

جمعت في صفاتك الأضداد فلهذا عزت لك الأنداد
زاهد حاكم حليم شجاع ناسك فاتك فقير جواد
شيم ما جمعن في بشر قط ولا حاز مثلهن العباد

وقد أشارت الصديقة الكبرى عليها السلام إلى تجلي صفتين من أعظم تلك الصفات ـ التي قد تبدو متضادة ـ في مولى الموحدين وأمير المؤمنين عليه السلام حيث قالت: «افترست الذئاب» و«افترشت التراب».

فعندما كانت مسؤوليته عليه السلام الحرب والقتال لم يتوان ولم يضعف، بل (افترس الذئاب).

وعندما كانت مسؤوليته عليه السلام الصبر وكظم الغيظ لم ينفجر ولم يقاتل، بل (افترش التراب).

وما أندر من استطاع أن يجمع كلتا الصفتين؟.

ولا أحد ـ غير أمير المؤمنين علي عليه السلام ـ استطاع أن يجمعهما بتلك الدرجة

---

(٨٨٧) مثل الالتزام بقوله: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا﴾ سورة المائدة: ٨.

(٨٨٨) فعند القوة لا يطغى، وعند الضعف لا يجبن، ولا يتملق للطاغي.

(٨٨٩) وهو صفي الدين الحلي عبد العزيز بن السرايا تلميذ المحقق الحلي رحمه الله.

العظيمة.

.....

شجاعة الإمام عليه السلام

مسألة: يستحب التحدث عن شجاعة الإمام علي عليه السلام كما قالت الصديقة الطاهرة عليها السلام: «افترست الذئاب» وقد يجب ذلك، فإن التحدث عن شجاعته (عليه الصلاة والسلام) تعظيم له وتخليد لذكره، بالإضافة إلى أنه يوجب التفاف الناس حوله؛ لأنهم يحبون ذوي الشجاعة كما يحبون أصحاب الفضائل ويلتفون حولهم، وبذلك يكون بيان الشجاعة تحريضاً على الالتفاف، كما أنه يبعث على التأسي، وعلى تجذر صفة الشجاعة في الناس وتوسع دائرتها. وهكذا كان سائر الأئمة عليهم السلام قمة في الشجاعة. عن علي بن جعفر، عن أبي الحسن عليه السلام قال: «نحن في العلم والشجاعة سواء، وفي العطايا على قدر ما نؤمر»(٨٩٠).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أعطينا أهل البيت سبعة لم يعطهن أحد كان قبلنا ولا يعطاهن أحد بعدنا: الصباحة، والفصاحة، والسماحة، والشجاعة، والعلم، والحلم، والمحبة للنساء»(٨٩١).

وقال صلى الله عليه وآله: «إن الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية»(٨٩٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الشجاعة زين»(٨٩٣).

---

(٨٩٠) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٣٥٧ ب١٢ ح٧.

(٨٩١) النوادر للراوندي: ص١٥.

(٨٩٢) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٢٩٧ ب٣٩ ح٩٤٩٠.

وقال عليه السلام: «الشجاعة عز حاضر»[٨٩٤].

.....

وقال عليه السلام: «السخاء والشجاعة غرائز شريفة يضعها الله سبحانه فيمن أحبه وامتحنه»[٨٩٥].

وفي يوم الخندق عند ما قال ابن عبد ود في المبارزة:

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشجع موقف البطل المناجز
إن السماحة والشجاعة في الفتى خير الغرائز

أجابه أمير المؤمنين عليه السلام:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجي كل فائز
إني لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز[٨٩٦]

مظلومية الإمام عليه السلام

مسألة: يستحب التأكيد على مظلومية الإمام علي عليه السلام وعلى عظيم صبره، وقد يجب ذلك لما سبق ذكره، خاصة أن بيان الظلامة يوجب إثارة عواطف الناس وإنشدادهم ـ عاطفياً ـ له (عليه الصلاة والسلام) إضافة للإنشداد

(٨٩٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٥٩ ق٣ ب٢ ف٢ الشجاعة والفتوة ح٥٥٢٤.
(٨٩٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٥٩ ق٣ ب٢ ف٢ الشجاعة والفتوة ح٥٥٢٥.
(٨٩٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٧٥ ق٥ ب٤ ف١ مدحها وفضيلتها ح٨٤٤٣.
(٨٩٦) بحار الأنوار: ج٢٠ ص٢٠٣ -٢٠٤ ب١٧.

العقلي والفكري والعلمي والعقائدي، فإن الإنشداد العاطفي أقوى في بعض الأحيان، وهو إلى ذلك يعمق ويركز سائر الانتماءات الفكرية والعقائدية.. فـإن

.....

الناس عادةً يتعاطفون مع المظلوم ويجتمعون حوله ويهتفون باسمه؛ لأن المظلومية مقرونة بالمحبوبيّة.

ولذا نرى التفاف الناس حول الإمام الحسين (صلوات الله وسلامه عليه) والأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) وهذا يوجب الإقتداء بهم والاستعداد للتضحية بكل غال ونفيس في سبيل الله سبحانه.

بالإضافة إلى أن التحدث عن ظلامة أهل البيت عليهم السلام يوجب تعرية الظالم وفضحه وكشف القناع المزيف عن وجهه الحقيقي كما سبق.

قولها عليها السلام: «افترست الذئاب وافترشت التراب»، يعني أنك في السابق كنت تفترس الذئاب فكانوا يخافونك ويهابونك ويحذرون من بأسك، أما اليوم فقد افترشت التراب وقعدت في البيت حتى تجرؤوا عليك وغصبوا نحلة زوجتك، ولعل في الكلام تلميحاً إلى جبن القوم وهشاشتهم حيث إنهم لم يفعلوا ما فعلوا إلا عندما علموا أن الإمام عليه السلام قد افترش التراب وأنه مأمور بالصبر.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَأَكْفَئُوا إِنَائِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا: أَلاَ إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ فَاصْبِرْ مَغْمُوماً أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً، فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ وَلاَ ذَابٌّ وَلاَ مُسَاعِدٌ إِلاَّ أَهْلَ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ، فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ

مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ»[٨٩٧].

.....

وعن إسحاق بن موسى، عن أبيه موسى بن جعفر عليه السلام، عن أبيه جعفر بن محمد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «خطب أمير المؤمنين عليه السلام خطبة بالكوفة، فلما كان في آخر كلامه قال: ألا وإني لأولى الناس بالناس، وما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

فقام إليه أشعث بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين، لم تخطبنا خطبة منذ قدمت العراق إلا وقلت: والله إني لأولى الناس بالناس، فما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله ولما ولي تيم وعدي، ألا ضربت بسيفك دون ظلامتك؟.

فقال أمير المؤمنين: «يا ابن الخمارة، قد قلت قولاً فاسمع مني، والله ما منعني من ذلك إلا عهد أخي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرني وقال لي: يا أبا الحسن، إن الأمة ستغدر بك وتنقض عهدي، وإنك مني بمنزلة هارون من موسى. فقلت: يا رسول الله فما تعهد إليَّ إذا كان ذلك كذلك. فقال: إن وجدت أعواناً فبادر إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فكفّ يدك واحقن دمك حتى تلحق بي مظلوماً، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اشتغلت بدفنه والفراغ من شأنه، ثم آليت يميناً أني لا أرتدي إلا للصلاة حتى أجمع القرآن[٨٩٨]، ففعلت ثم أخذته وجئت به فأعرضته عليهم، قالوا: لا حاجة لنا به، ثم أخذت بيد فاطمة وابني الحسن والحسين عليهم السلام ثم درت على أهل بدر وأهل السابقة فأنشدتهم حقي ودعوتهم إلى نصرتي، فما أجابني منهم إلا أربعة رهط: سلمان، وعمار، والمقداد، وأبو ذر، وذهب من كنت أعتضد بهم على دين الله من أهل بيتي،

(٨٩٧) نهج البلاغة، الخطب: ٢١٧ ومن كلام له عليه السلام في التظلم والتشكي من قريش.

(٨٩٨) أي جمع تفسيره وتأويله وعلومه، أما القرآن فقد جمع في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبأمر مباشر منه.

وبقيت بين حفيرين قريبي العهد بجاهلية عقيل والعباس.

.....

فقال له الأشعث: كذلك كان عثمان لما لم يجد أعواناً كف يده حتى قتل.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا ابن الخمارة، ليس كما قست إن عثمان جلس في غير مجلسه، وارتدى بغير ردائه، صارع الحق فصرعه الحق، والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالحق لو وجدت يوم بويع أخو تيم أربعين رهطاً لجاهدتهم في الله إلى أن أبلي عذري ـ ثم قال ـ أيها الناس، إن الأشعث لا يزن عند الله جناح بعوضة، وإنه أقل في دين الله من عفطة عنز»(٨٩٩).

ولما دفن أمير المؤمنين عليه السلام الصديقة فاطمة عليها السلام ليلاً وجاءه فلان وفلان فقالا: يا أبا الحسن ما حملك على أن تدفن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم نحضرها؟.

قال عليه السلام: «ذلك عهدها إليَّ».

فقال الثاني: هذا والله شيء في جوفك.

فثار إليه أمير المؤمنين عليه السلام فأخذ بتلابيبه ثم جذبه فاسترخى في يده، ثم قال: «والله لولا كتاب سبق وقول من الله، والله لقد فررتَ يوم خيبر وفي مواطن، ثم لم ينزل الله لك توبة حتى الساعة»(٩٠٠).

وفي الحديث: أن الأول والثاني بعد خطبة الصديقة فاطمة عليها السلام في المسجد تآمرا على قتل أمير المؤمنين عليه السلام وكلفا خالد بن الوليد بهذه المهمة، فلما جلس الأول في التشهد ندم على ما قال وخاف الفتنة، وعرف شدة علي عليه السلام وبأسه، فلم يزل متفكراً لا يجسر أن يسلّم حتى ظن الناس أنه قد سها، ثم التفت

(٨٩٩) راجع الاحتجاج: ج١ ص١٩٠ -١٩١ احتجاجه عليه السلام في الاعتذار من قعوده عن قتال من تآمر عليه من الأولين، وقيامه إلى قتال من بغى عليه من الناكثين والقاسطين والمارقين.

(٩٠٠) راجع بحار الأنوار: ج٢٩ ص١١٢ -١١٣ ب١١.

إلى خالد فقال: يا خالد لا تفعلن ما أمرتك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

.....

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا خالد، ما الذي أمرك به؟».

فقال: أمرني بضرب عنقك.

قال: «أوكنت فاعلاً»؟.

قال: إي والله لولا أنه قال لي: لا تقتله قبل التسليم لقتلتك.

قال: فأخذه علي عليه السلام فجلد به الأرض، فاجتمع الناس عليه وقالوا: يا أبا الحسن، الله الله بحق صاحب القبر. فخلى عليه السلام عنه ثم التفت إلى الثاني فأخذ بتلابيبه وقال: «يا ابن صهاك، والله لولا عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكتاب من الله سبق لعلمت أينا أضعف ناصراً وأقل عدداً»، ودخل منزله(٩٠١).

في قصة السقيفة وامتناع أمير المؤمنين عليه السلام من البيعة لأبي بكر، فقد أرسل أبو بكر عدة من الناس ليأتوا بأمير المؤمنين عليه السلام إليه، فاعترضتهم فاطمة الزهراء عليها السلام فعادوا، فقالوا: إن فاطمة قالت كذا وكذا، فتحرجنا أن ندخل بيتها بغير إذن. فغضب عمر وقال: ما لنا وللنساء.

ثم أمر أناساً حوله أن يحملوا الحطب فحملوا الحطب وحمل معهم عمر، فجعلوه حول منزل علي وفاطمة وابنيهما عليهم السلام، ثم نادى الثاني حتى أسمع علياً وفاطمة عليهما السلام: والله لتخرجن يا علي ولتبايعن خليفة رسول الله وإلا أضرمت عليك بيتك النار.

فقالت فاطمة عليها السلام: «يا فلان، ما لنا ولك».

فقال: افتحي الباب وإلا أحرقنا عليكم بيتكم.

(٩٠١) راجع الاحتجاج: ج١ ص٩٤ -٩٥ احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على أبي بكر وعمر لما منعا فاطمة الزهراء عليها السلام فدك بالكتاب والسنة.

فقالت: «أما تتقي الله، تدخل على بيتي».

فأبى أن ينصرف ودعا بالنار فأضرمها في الباب، ثم دفعه فدخل فاستقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت: «يا أبتاه، يا رسول الله».

فرفع الثاني السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها، فصرخت عليها السلام: «يا أبتاه»، فرفع السوط فضرب به ذراعها فنادت: «يا رسول الله، لبئس ما خلفك فلان وفلان».

فوثب علي عليه السلام فأخذ بتلابيبه ثم نتره فصرعه، ووجأ أنفه ورقبته وهمّ بقتله، فذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما أوصاه به. فقال: «والذي كرم محمداً بالنبوة يا ابن صهاك، لولا كتاب من الله سبق وعهد عهده إليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلمت أنك لا تدخل بيتي» الحديث[٩٠٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام وقد سمع صارخاً ينادي: أنا مظلوم. فقال عليه السلام: «هلم فلنصرخ معاً فإني ما زلت مظلوماً»[٩٠٣].

وروي: أن أعرابياً أتى أمير المؤمنين عليه السلام و هو في المسجد فقال: مظلوم. قال عليه السلام: «ادن مني». فدنا فقال: يا أمير المؤمنين، مظلوم. قال عليه السلام: «ادن». فدنا حتى وضع يديه على ركبتيه قال: «ما ظلامتك؟». فشكا ظلامته فقال: «يا أعرابي، أنا أعظم ظلامة منك، ظلمني المدر والوبر، ولم يبق بيت من العرب إلا وقد دخلت مظلمتي عليهم، وما زلت مظلوماً حتى قعدت مقعدي هذا، ثم كتب له بظلامته ورحل[٩٠٤].

---

(٩٠٢) راجع كتاب سليم بن قيس: ص٥٨٥ -٥٨٦ الحديث الرابع.

(٩٠٣) راجع شرح نهج البلاغة: ج٩ ص٣٠٧.

(٩٠٤) راجع الخرائج والجرائح: ج١ ص١٨٠ ب٢.

وعن عبد الله بن شريك، عن أبيه، قال: صعد علي عليه السلام المنبر يوم جمعة، فقال: «أنا عبد الله وأخو رسوله، لا يقولها بعدي إلا كذاب، ما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتال الناكثين: طلحة والزبير، والقاسطين: معاوية وأهل الشام، والمارقين: وهم أهل النهروان، ولو أمرني بقتال الرابعة لقاتلتهم»[٩٠٥].

وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال للحسن عليه السلام: «وايم الله يا بني ما زلت مظلوما مبغياً عليَّ منذ هلك جدك صلى الله عليه وآله»[٩٠٦].

بيان حقيقة القوم

مسألة: يستحب ـ وقد يجب ـ بيان حقيقة القوم وما كانوا عليه من السبعية والضراوة والتوحش، وكفى بوصف الصديقة الزهراء عليها السلام لأسلافهم بـ «الذئاب» شاهد صدق على ذلك.

روي أنه أتى رجل إلى عمر فقال: يا أمير، إن فلاناً ظلمني فأعدني عليه. فرفع في السماء درّته وضرب بها رأسه!، وقال: تدعون عمر وهو معرض لكم حتى إذا شغل في أمر المسلمين أتيتموه أعدني أعدني. فانصرف الرجل يتذمر[٩٠٧].

وذكروا أنه غضب عمر على بعض عماله، فكلم امرأة من نساء عمر في أن تسترضيه لـه، فكلمته فيه، فغضب وقال: وفيم أنتِ من هذا يا عدوة الله، إنما

(٩٠٥) الأمالي للطوسي: ص٧٢٦ مجلس٤٤ ح١٥٢٦.

(٩٠٦) بحار الأنوار: ج٢٩ ص٦٢٨ ب١٥ بيان.

(٩٠٧) شرح نهج البلاغة: ج١٢ ص١٨ نكت من كلام عمر وسيرته وأخلاقه.

أنت لعبة نلعب بكِ وتفركين[٩٠٨].

وقال محمد بن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ لما استشار أبا بكر وعمر وسعد بن معاذ في أمر الأسارى[٩٠٩]، غلظ عمر عليهم غلظة شديدة. فقال: يا رسول الله، أطعني فيما أشير به عليك فإني لا آلوك نصحاً، قدّم عمك العباس فاضرب عنقه بيدك!، وقدّم عقيلاً إلى علي أخيه يضرب عنقه!، وقدّم كل أسير منهم إلى أقرب الناس إليه يقتله!.

قال: فكره رسول الله ﷺ ذلك ولم يعجبه[٩١٠].

وعن أنس بن مالك، قال: لما ماتت رقية بنت النبي ﷺ فبكت النساء عليها، فجاء عمر يضربهن بسوطه، فأخذ النبي ﷺ بيده وقال:

«يا عمر، دعهن يبكين ـ وقال لهن: ـ ابكين وإياكن ونعيق الشيطان؛ فإنه مهما يكن من العين والقلب فمن الله ومن الرحمة، ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان».

فبكت فاطمة عليها السلام وهي على شفير القبر، فجعل النبي ﷺ يمسح الدمع من عينيها بطرف ثوبه[٩١١].

(٩٠٨) شرح نهج البلاغة: ج١٢ ص٢٣ نكت من كلام عمر وسيرته وأخلاقه.

(٩٠٩) أي أسرى بدر.

(٩١٠) شرح نهج البلاغة: ج١٤ ص١٨٣ القول فيما جرى في الغنيمة والأسارى.

(٩١١) مستدرك الوسائل: ج٢ ص٤٦٧ ب٧٤ ح٢٤٨٢.

عدم كف الأذى لأمر أهم

مسألة: كف الأذى عن الغير واجب في الجملة، إلا إذا كان لأمر أهم، فإنه إذا تعارض أهم ومهم يلزم تقديم الأهم عقلاً وشرعاً..

فبينما يجب كف الأذى عن الصديقة فاطمة (عليها الصلاة والسلام) بل عن كل مظلوم، نرى أن أمير المؤمنين علياً (عليه الصلاة والسلام) ـ حيث كان مُوصى من قبل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ صبر محتسباً لله سبحانه وتعالى.. حيث كان عدم محاربة القوم لأمر أهم كما سبق الإلماع إليه.

قولها عليها السلام: «ما كففتَ..» أي: ما منعت القائل الذي يقول الباطل، حتى يقف عند حده ولا يتمادى في بطلانه وغيه.

كتب الإمام الصادق عليه السلام لعبد الله النجاشي ـ بعدما وصل إليه كتابه يطلب منه نصيحته ـ فقال: «واعلم أن خلاصك ونجاتك في حقن الدماء وكف الأذى عن أولياء الله والرفق بالرعية»[٩١٢].

(٩١٢) كشف الريبة: ص٨٧ ف٥ ح١٠.

إبطال الباطل

مسألة: إبطال الباطل واجب في الجملة، وقد يترك لأمر أهم؛ فإن القوم كانوا على باطل في غصبهم للخلافة ولفدك، ولكن أمير المؤمنين عليه السلام صبر لأمر أهم كما سبق.

قولها عليها السلام: «ولا أغنيتَ ..» إغناء الباطل كناية عن إبطاله؛ فإن الإغناء بمعنى الإجزاء والكفاية.

وفي بعض النسخ: «ولا أغنيت طائلاً» كما في رواية السيد رحمه الله، وفي اللغة: (هذا أمر لا طائل فيه) أي لا فائدة ولا مزية.

عن عاصم بن حميد، رفعه قال:

جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام. فقال: أخبرني عن السنة والبدعة، وعن الجماعة، وعن الفرقة؟.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «السنة ما سن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والبدعة ما أحدث من بعده، والجماعة أهل الحق وإن كانوا قليلاً، والفرقة أهل الباطل وإن كانوا كثيراً»(٩١٣).

(٩١٣) معاني الأخبار: ص١٥٤ -١٥٥ باب معنى الجماعة والفرقة والسنة والبدعة ح٣.

فرض الحصار على المظلوم

مسألة: يحرم فرض (الحصار) على المظلوم بحيث لا يبقى له خيار في استرجاع حقه، وهذه هي سياسة الحكومات الجائرة، فإنهم يضغطون على المظلوم بشتى أنواع الضغط حتى لا يبقى له منفذ يطالب فيه بحقه ويسترجعه..

وقولها عليها السلام: «لا خيار لي» يستكشف منه أن ابن أبي قحافة لم يكتف بمجرد ظلمها، بل أحكم الحصار حولها حتى لم يبق لها أي خيار.. وهذه الجملة تؤكد مظلوميتها عليها السلام وأنها قد بلغت الغاية فيها؛ فإن من لا خيار له وتصب عليه المحن والآلام يكون في غاية الظلامة، إذ ألم (الحصار) والإحساس بالمحاصرة يزيد من ألم الظلم والظلامة.

ثم إن من الواضح أن عدم وجود خيار آخر لها (عليها الصلاة والسلام) إنما هو بالنسبة إلى المعادلات الظاهرية، وإلا فإنهم عليهم السلام يمتلكون القدرة على قلب كل المعادلات، مستمدة من قدرة الله سبحانه وتعالى، كما هو مذكور في باب الولاية التكوينية، لكنهم ليسوا مأمورين باستخدام تلك القدرة إلا في مواضع الإعجاز وما أشبه، كما ثبت ذلك بالنسبة إلى الأنبياء والأئمة (عليهم الصلاة والسلام).

قولها عليها السلام: «ولا خيار..» إما تمهيد لقولها (عليها الصلاة والسلام): «ليتني مت قبل هينتي» أو تعقيب لما سبق، والمعنى: لا خيار لي ولا اختيار حتى أتمكن من استرجاع فدك وأكف الباطل وأغني طائلاً.

الدفاع حتى آخر الخيارات

مسألة: يجب بذل الوسع في الدفاع عن المظلوم وكذلك لإحقاق الحق؛ فإنه يلزم في ذلك القيام بكل ما يمكن، ولا يسقط التكليف إلا بعد انعدام كل الخيارات.. وهذا هو ما حصل للصديقة الطاهرة عليها السلام فإنه مدلول كلامها هذا، حيث بذلت كل ما بوسعها في المطالبة بحقها والدفاع عن بعلها عليه السلام، وأن ما قامت به كان غاية ما يمكن أن تقوم به، ولا خيار آخر لها على الإطلاق ولا سبيل ولا مجال.

ولعل في قولها عليها السلام: «لا خيار لي» نوع اعتذار منه عليه السلام حيث إن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان إمام زمانها عليها السلام فكان الواجب الدفاع عنه، فهي تقول بأنني قد بذلت قصارى جهدي في الدفاع عن حقك وحقي ـ الذي هو حقه عليه السلام بالمآل ـ وفي التصدي لـ (الباطل) ولقول (القائل)[٩١٤] ولا قدرة لي على الأكثر ولا خيار.. والله العالم.

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام في رسالته إلى جماعة شيعته وأصحابه: «إياكم أن تعينوا على مسلم مظلوم يدعو الله عليكم ويستجاب له فيكم؛ فإن أبانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن دعوة المسلم المظلوم مستجابة»[٩١٥].

وعن وهب بن عبد ربه وعبيد الله الطويل، عن شيخ من النخع، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إني لم أزل والياً منذ زمن الحجاج إلى يومي هذا فهل لي

---

(٩١٤) وهو أبو بكر وعمر.

(٩١٥) تحف العقول: ص٣١٥ رسالته عليه السلام إلى جماعة شيعته وأصحابه.

من توبة؟. قال: فسكت، ثم أعدت عليه. فقال: «لا حتى تؤدي إلى كل ذي حق حقه»[٩١٦].

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من عذر ظالماً بظلمه سلط الله عليه من يظلمه، فإن دعا لم يستجب له ولم يأجره الله على ظلامته»[٩١٧].

وجاء في صحيفة الإمام علي بن الحسين عليه السلام وكلامه في الزهد قوله: «إياكم وصحبة العاصين، ومعونة الظالمين، ومجاورة الفاسقين، احذروا فتنتهم وتباعدوا من ساحتهم»[٩١٨].

وروي في حديث: أنه دخل على الصادق عليه السلام رجل، فمت له بالإيمان أنه من أوليائه فولى عنه بوجهه، فدار الرجل إليه وعاود اليمين فولى عنه، فأعاد اليمين ثالثة. فقال له عليه السلام: «يا هذا، من أين معاشك؟». فقال: إني أخدم السلطان وإني والله لك محب. فقال عليه السلام: «روى أبي عن أبيه عن جده عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من السماء من قبل الله عزوجل: أين الظلمة، أين أعوان أعوان الظلمة، أين من برئ لهم قلماً، أين من لاق لهم دواة، أين من جلس معهم ساعة؟. فيؤتى بهم جميعاً فيؤمر بهم أن يضرب عليهم بسور من نار، فهم فيه حتى يفرغ الناس من الحساب ثم يرمى بهم إلى النار»[٩١٩].

ليتني متّ قبل هينتي ودون ذلتي

---

(٩١٦) الكافي: ج٢ ص٣٣١ باب الظلم ح٣.

(٩١٧) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٥٦ ب٨٠ ح٢٠٩٦٦.

(٩١٨) الأمالي للمفيد: ص٢٠٣ المجلس٢٣ ح٣٣.

(٩١٩) غوالي اللآلي: ج٤ ص٦٩ الجملة الثانية ح٣١.

تمني الموت

مسألة: يجوز تمني الموت عند شدة المصاب أو كثرة المصائب، وقد يرجح في الجملة، وإن كان ذلك بما هو هو مرجوحاً على ما سبق.

وتمني الصديقة عليها السلام للموت هاهنا يدل على فداحة الإهانة التي أهينت بها، وشدة الإذلال الذي تعرضت له مما يكشف عن عظيم جرم القوم وخطير وزرهم.

وقد سبق أنه لولا وجود جهة مرجحة كما في المقام فإن الأفضل أن يسأل الإنسان من الله سبحانه وتعالى طول العمر كما في الأحاديث والأدعية: «أن تطيل عمري في خير وعافية»(٩٢٠).

ومن مصاديق جواز تمني الموت ـ بالمعنى الأعم أي بما يشمل الرجحان ـ عند خوف الوقوع في المعاصي ـ في الجملة ـ، كما ورد في الدعاء المروي عن مولانا زين العابدين (عليه الصلاة والسلام) في الصحيفة السجادية، قال عليه السلام: «وَعَمِّرْنِي مَا كَانَ عُمُرِي بِذْلَةً فِي طَاعَتِكَ، فَإِذَا كَانَ عُمُرِي مَرْتَعاً لِلشَّيْطَانِ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ إِلَيَّ، أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ»(٩٢١).

وكان أبو ذر الغفاري رحمه الله يقول: «اللهم إن كان ما عندك خيراً لي فاقبضني إليك غير مبدل ولا مغير»(٩٢٢).

وفي الدعاء: «اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب

(٩٢٠) إقبال الأعمال: ص٦١ دعاء آخر في كل ليلة منه.

(٩٢١) الصحيفة السجادية: الدعاء رقم٢٠ وكان من دعائه عليه السلام في مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال.

(٩٢٢) بحار الأنوار: ج٢٢ ص٣٩٥ ب١٢ ح٢.

المساكين، وإذا أردت في الناس فتنة فاقبضني إليك غير مفتون برحمتك يا رحمان يا رحيم، يا عزيز يا عليم»[٩٢٣].

وأيضاً: «اللهم ومُدّ لي في العمر ما دامت الحياة موصولة بطاعتك، مشغولة بعبادتك، فإذا صارت الحياة مرتعة للشيطان فاقبضني إليك قبل أن يسبق إليَّ مقتك، ويستحكم عليَّ سخطك»[٩٢٤].

سلب الشرعية

مسألة: يلزم سلب الشرعية عن الطغاة والظلمة والغاصبين، ولا يخفى الأثر العظيم الذي خلّفه كلام الصديقة عليها السلام حيث إنها بأقوالها هذه سلبت الشرعية من ابن أبي قحافة وجردته من القناع الذي كان يتظاهر به بالصلاح، وبيّنت لجميع الناس إلى يوم القيامة مظلوميتها ومظلومية بعلها أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾[٩٢٥].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المعروفة بالشقشقية:

«أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلاَنٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلاَ يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً، وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ،

.....

فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى، وَفِي الْحَلْقِ شَجاً،

(٩٢٣) العدد القوية: ص٢٣ اليوم الخامس عشر.

(٩٢٤) بحار الأنوار: ج٩٨ ص٢٤٨ ب١٨ ح٣٨.

(٩٢٥) سورة الأنفال: ٤٢.

أَرَى تُرَاثِي نَهْباً، حَتَّى مَضَى الأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلاَنٍ بَعْدَهُ ـ ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الأَعْشَى ـ:

شتان ما يومي على كورها ... ويوم حيان أخي جابر

فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ، لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا، فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ، يَغْلُظُ كَلْمُهَا، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا، وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا، وَالاِعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ، فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ، وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ، فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ، حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَا لَلَّهِ وَلِلشُّورَى، مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ، لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا، وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا، فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ، وَمَالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ، مَعَ هَنٍ وَهَنٍ، إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ الإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ، إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ، فَمَا رَاعَنِي إِلاَّ وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطْفَايَ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ، فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَقَسَطَ آخَرُونَ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين**﴾(٩٢٦)، بَلَى وَاللَّهِ

.....

(٩٢٦) سورة القصص: ٨٣.

لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا وَلَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا، أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْلاَ حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلاَّ يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلاَ سَغَبِ مَظْلُومٍ، لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، وَلأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ»(٩٢٧).

وعن محمد بن عذافر، عن أبيه، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا عذافر، إنك تعامل أبا أيوب والربيع، فما حالك إذا نودي بك في أعوان الظلمة» قال: فوجم أبي. فقال له أبو عبد الله عليه السلام لما رأى ما أصابه ـ أي عذافر ـ: «إنما خوفتك بما خوفني الله عزوجل به». قال محمد: فقدم أبي فلم يزل مغموماً مكروباً حتى مات(٩٢٨).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إياكم وأبواب السلطان وحواشيها! فإن أقربكم من أبواب السلطان وحواشيها أبعدكم من الله تعالى، ومن آثر السلطان على الله تعالى أذهب الله عنه الورع وجعله حيران»(٩٢٩).

وعن صفوان بن مهران الجمال، قال: دخلت على أبي الحسن الأول عليه السلام فقال لي: «يا صفوان، كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً». قلت: جعلت فداك أي شيء؟. قال: «إكراؤك جمالك من هذا الرجل ـ يعني: هارون». قلت: والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ولا للصيد ولا للّهو، ولكني أكريته

.....

(٩٢٧) نهج البلاغة، الخطب: ٣ ومن خطبة له عليه السلام وهي المعروفة بالشقشقية، وتشتمل على الشكوى من أمر الخلافة، ثم ترجيح صبره عنها، ثم مبايعة الناس له.

(٩٢٨) الكافي: ج٥ ص١٠٥ باب عمل السلطان وجوائزهم ح١.

(٩٢٩) ثواب الأعمال: ص٢٦٠ عقاب من اقترب من سلطان جائر.

لهذا الطريق ـ يعني: طريق مكة ـ ولا أتولاه بنفسي، ولكني أبعث معه غلماني. فقال لي: «يا صفوان، أيقع كراؤك عليهم؟». قلت: نعم جعلت فداك. قال: فقال لي: «أتحب بقاءهم حتى يخرج كراؤك؟». قلت: نعم. قال: «من أحب بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم كان ورد النار». قال صفوان: فذهبت فبعت جمالي عن آخرها، فبلغ ذلك إلى هارون فدعاني. فقال لي: يا صفوان، بلغني أنك بعت جمالك!. قلت: نعم. قال: ولِمَ؟. قلت: أنا شيخ كبير وإن الغلمان لا يفون بالأعمال. فقال: هيهات هيهات إني لأعلم من أشار عليك بهذا، أشار عليك بهذا موسى بن جعفر. قلت: ما لي ولموسى بن جعفر؟. فقال: دع هذا عنك، فو الله لولا حسن صحبتك لقتلتك[٩٣٠].

وعن محمد بن مسلم، قال: كنت قاعداً عند أبي جعفر عليه السلام على باب داره بالمدينة، فنظر إلى الناس يمرون أفواجاً. فقال لبعض من عنده: «حدث بالمدينة أمر؟». فقال: جعلت فداك، ولي المدينة والٍ فغدا الناس يهنئونه. فقال: «إن الرجل ليغدى عليه بالأمر تهنأ به وإنه لباب من أبواب النار»[٩٣١].

وعن سليمان الجعفري، قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: ما تقول في أعمال السلطان؟. فقال: «يا سليمان، الدخول في أعمالهم والعون لهم والسعي في حوائجهم عديل الكفر، والنظر إليهم على العمد من الكبائر الذي يستحق به النار»[٩٣٢].

---

(٩٣٠) وسائل الشيعة: ج١٧ ص١٨٢ - ١٨٣ ب٤٢ ح٢٢٣٠٥.

(٩٣١) الكافي: ج٥ ص١٠٧ باب عمل السلطان وجوائزهم ح٦.

(٩٣٢) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٣٥٦ ب٤٦ ح١٣٢٤٦.

حرمة إهانة الصديقة عليها السلام

مسألة: من المحرمات إهانة المؤمن وإذلاله، وكذلك المؤمنة، بل ربما قيل بحرمة إهانة مطلق الإنسان وإذلاله في الجملة، ومن أشدها حرمة إهانة أولياء الله والصالحين، وأشدها حرمة إهانة بضعة الرسول صلى الله عليه وآله وسيدة النساء العالمين ومحور الكائنات أجمعين الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها).

وكلامها عليها السلام صريح في أنها أُهينت وأُذلت، فالويل لمن أهانها وأذلها.

وما سبق من كلامها واضح الدلالة على أن ابن أبي قحافة وابن الخطاب كانا هما اللذان أذلاها وأهاناها بالدرجة الأولى، وسكوت الأصحاب ـ إلاّ أمثال سلمان وأبي ذر والمقداد وعمار ـ مشاركة منهم لهما في هذه الإهانة بل هو من مصاديق الإهانة(٩٣٣).

عن معلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «قال الله عزوجل: ليأذن بحرب مني من أذل عبدي المؤمن، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن»(٩٣٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من حقر مؤمناً فقيراً لم يزل الله عزوجل له حاقراً ماقتاً حتى يرجع عن محقرته إياه»(٩٣٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لقد أسرى ربي بي

.....

(٩٣٣) بل أية إهانة أكبر من أن تستنجد بضعة الرسول صلى الله عليه وآله بالقوم فيهملون أمرها ويتنكرون لها؟.

(٩٣٤) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٦٩ ب١٤٧ ح١٦٢٧٨.

(٩٣٥) مستدرك الوسائل: ج٩ ص١٠٣ ب١٢٧ ح١٠٣٥١.

فأوحى إليَّ من وراء الحجاب ما أوحى وشافهني إلى أن قال لي: يا محمد، من أذل لي ولياً فقد أرصدني بالمحاربة، ومن حاربني حاربته. قلت: يا رب، ومن وليك هذا فقد علمت أن من حاربك حاربته. قال لي: ذاك من أخذت ميثاقه لك ولوصيك ولذريتكما بالولاية»(٩٣٦).

وعن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من استذل مؤمناً أو مؤمنة أو حقره لفقره أو قلة ذات يده شهره الله تعالى يوم القيامة ثم يفضحه»(٩٣٧). وعن معلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «قال الله عزوجل: قد نابذني من أذل عبدي المؤمن»(٩٣٨).

وعن إسماعيل بن مخلد السراج، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: خرجت هذه الرسالة من أبي عبد الله عليه السلام إلى أصحابه ـ إلى أن قال ـ: «وعليكم بحب المساكين المسلمين؛ فإنه من حقرهم وتكبر عليهم فقد زل عن دين الله، والله له حاقر ماقت، وقد قال أبونا رسول الله صلى الله عليه وآله: أمرني ربي بحب المساكين المسلمين منهم. واعلموا أن من حقر أحداً من المسلمين ألقى الله عليه المقت منه والمحقرة حتى يمقته الناس والله له أشد مقتاً، فاتقوا الله في إخوانكم المسلمين المساكين فإن لهم عليكم حقاً أن تحبوهم؛ فإن الله أمر رسوله صلى الله عليه وآله بحبهم فمن لم يحب من أمر الله بحبه فقد عصى الله ورسوله، ومن عصى الله ورسوله ومات على ذلك مات وهو من الغاوين»(٩٣٩).

---

(٩٣٦) الكافي: ج٢ ص٣٥٣ باب من آذى المسلمين واحتقرهم ح١٠.

(٩٣٧) بحار الأنوار: ج٦٩ ص٤٤ ب٩٤ ح٥٢.

(٩٣٨) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٧١ ب١٤٧ ح١٦٢٨٣.

(٩٣٩) الكافي: ج٨ ص٧ كتاب الروضة ح١.

أقسام الإهانة

مسألة: إن الإهانة والإذلال على أقسام، وكثير مما نشاهده في المجتمع، من مصاديقهما ومن أقسامهما: كاستهزاء البعض بالعلماء، أو استخفافه بالصالحين، وكالتعبير عنهم وعن المؤمنين بمثل (الرجعي) و(المتحجر) وما أشبه ذلك؛ فإن كل ذلك من الحرام.

وربما كان من المصاديق: عدم استجابة بعض أصحاب الأموال لمن يراجعونهم في المشاريع الخيرية في الجملة؛ فإنه نوع إهانة وإذلال إلى غير ذلك.

عن إسحاق بن عمار، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا إسحاق، كيف تصنع بزكاة مالك إذا حضرت؟». قال: يأتوني إلى المنزل فأعطيهم. فقال لي: «ما أراك يا إسحاق إلاّ قد أذللت المؤمنين، فإياك إياك، إن الله تعالى يقول: من أذل لي ولياً فقد أرصد لي بالمحاربة»(٩٤٠).

وعن أبي بصير، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: الرجل من أصحابنا يستحيي أن يأخذ من الزكاة فأعطيه من الزكاة ولا أسمي له أنها من الزكاة؟. فقال: «أعطه ولا تسم له، ولا تذل المؤمن»(٩٤١).

وعن داود الرقي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله عزوجل خلق المؤمن من عظمة جلاله وقدرته، فمن طعن عليه أو ردّ عليه قوله فقد رد على الله»(٩٤٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ـ في حديث الأربعمائة ـ: «لا تحقروا ضعفاء إخوانكم؛ فإنه من احتقر مؤمناً لم يجمع الله عزوجل بينهما في الجنة إلاّ أن

---

(٩٤٠) وسائل الشيعة: ج٩ ص٣١٥ -٣١٦ ب٥٨ ح١٢١٠٩.

(٩٤١) وسائل الشيعة: ج٩ ص٣١٤ -٣١٥ ب٥٨ ح١٢١٠٧.

(٩٤٢) بحار الأنوار: ج٧٢ ص١٤٢ ب٥٦ ح١.

يتوب»[٩٤٣].

وقال رسول الله ﷺ: «رُبّ أشعث أغبر ذي طمرين يدفع بالأبواب لو أقسم على الله تعالى لأبره»[٩٤٤].

التحرز من الذل والمهانة

مسألة: يحرم ترك امتثال التكليف الإلهي فراراً مما يسببه للإنسان من المهانة والذلة في الجملة، كما تراه عند كثير من الناس حيث يتركون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حذراً من إهانة الناس لهم والاستهزاء بهم، ويتركون كثيراً من الواجبات[٩٤٥] أو يقتحمون عدداً من المحرمات[٩٤٦] خوفاً مما يخيل إليهم من أنه ذل ومهانة.

وغير خفي أن الذل الظاهري والإهانة الدنيوية من شرور هذه الدنيا الدنية التي تصيب المؤمن.. ولكنها لا تسبب له المهانة والذلة الواقعية، بل إن ذلك يزيد المؤمن عزاً وشرفاً وسؤدداً عند الله تعالى، بل وعند الناس أيضاً، وفي محكمة التاريخ كما هو واضح.

وذلك نظير ما جرى للصديقة الكبرى عليها السلام في هذه القضية.. وللإمام

الحسن عليه السلام في صلحه.. وللإمام السجاد عليه السلام وعقيلة بني هاشم عليها السلام في

(٩٤٣) الخصال: ج٢ ص٦١٤ علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه في مجلس واحد أربعمائة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه ح١٠.

(٩٤٤) الأمالي للطوسي: ص٤٢٩ المجلس١٥ ح٩٥٩.

(٩٤٥) كترك الصلاة لخوف الاستهزاء في بعض البلاد غير الإسلامية.

(٩٤٦) كمصافحة الأجنبية في البلاد الغربية خوفاً من رميه بالرجعية وما أشبه، وكاشتراكه في مجالس الغيبة والتهمة خوفاً من السخرية إذا غادر المجلس أو احتج عليهم.

الأسر بعد واقعة كربلاء الدامية.

وقد أقدمت الصديقة الزهراء عليها السلام على الخروج للمسجد ومقارعة القوم ومحاججتهم رغم علمها بالمهانة والذلة الظاهرية اللتين ستمنى بهما لما سبق. واليوم نرى العزة لله ولرسوله ولبضعته الطاهرة عليها السلام والذل والهوان لأعدائها.

سعي القوم لإهانتها

مسألة: يستحب بيان أن القوم عموماً وابن أبي قحانة خصوصاً قد سعى في إهانة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام وإذلالها حتى تحقق له ما أراد ـ من الناحية الظاهرية ـ فإنه من الواضح أن غصب حقها وعدم تلبية طلبها، ومن ثم إهانة بعلها، وتكذيبها في قولها وكلامها، من أكبر الإذلال لها (عليها الصلاة والسلام). وينبغي التنبيه إلى أن القوم كانوا يبيتون لها الإهانة.. ولم يكن كل ما جرى لمجرد الاستحواذ على فدك والخلافة فقط، بل كانت في أنفسهم أشياء من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام، وأحقاد بدرية وخيبرية وحنينية أفرغوها على ابنته وبضعته عليها السلام في أول فرصة سانحة، قال تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾(٩٤٧) فـ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(٩٤٨) .. ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾(٩٤٩) .. ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٩٥٠).

ولا يخفى أن ما ذكرناه من الاستحباب في جملة من البنود السابقة وهذا البند أيضاً، إنما هو فيما إذا لم يكن الأمر واجباً لموازينه، وإلاّ فهو منه(٩٥١)،

---

(٩٤٧) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٩٤٨) سورة البقرة: ١٥٦.

(٩٤٩) سورة الشعراء: ٢٢٧.

(٩٥٠) سورة الأعراف: ١٢٨، سورة القصص: ٨٣.

(٩٥١) أي من الواجب.

فكل من الواجب والمستحب ـ وكذلك الجائز فيما ذكرناه في قولها عليها السلام: «ليتني مت» ـ إنما هو بموازينه العامة المذكورة في الفقه.

قولها عليها السلام: «قبل هينتي» أي مهانتي حتى لا أكون فأهان بمثل هذه الإهانة العظيمة.

و(الهين): الذي لا كرامة لـه. يقال: أهنت فلاناً وتهاونت به واستهنت به[٩٥٢].

قولها عليها السلام: «ودون ذلتي» أي قبل أن أذل بسبب رد ابن أبي قحافة عليَّ مقالي على رؤوس الملأ واغتصابه نحلتي.

(٩٥٢) انظر كتاب العين: ج٤ ص٩٢ مادة (هون).

الاستنصار بالله

مسألتان: يجب الاعتقاد بأن الله سبحانه هو الناصر ـ عند توفر النصير وعدمه ـ فإن الأسباب بيده.

أزمة الأمور طرا بيده والكل مستمد من مدده

ويجب الاستنصار بالله تعالى.

والذي يبدو أن معنى قول الصديقة عليها السلام: «عذيري الله منه» وفي بعض النسخ «منك» أي: نصيري منه هو الله، أو عوضاً عنك وبدلاً منك، فإذا لم تكن أنت قادراً على نصرتي ـ نظراً لوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ فإن الله قادر على ذلك. فإن من معاني العذير: النصير. ومن معاني العُذر: الغلبة والنجح.

فإذا كانت النسخة: (عذيري الله منه عادياً ومنك حامياً) كان المعنى أن الله هو نصيري من عدوان ابن أبي قحافة، ونصيري بدلاً عنك وعن حمايتك، فيكون ضمير (منه) راجعاً إلى ابن أبي قحافة، وعادياً من العدوان والاعتداء.

وإن كانت النسخة: (عذيري الله منك عادياً ومنك حامياً) كان معنى عادياً هو صارفاً، من عدوت فلاناً عن الأمر أي صرفته عنه، فالعادي هو الصارف أي نصيري الله بدلاً عنك حالة كونك عادياً أي صارفاً نصرتك عني، وقد سبق أن صرف النصرة كان لأمر من الله ووصية خاصة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر والسكوت، وكانت عليها السلام تعلم بكل ذلك. وتكون (من) هنا للبدل كما ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾[٩٥٣].

(٩٥٣) سورة التوبة: ٣٨.

شبهة وإجابة

ثم إنه لو فرض أن (عادياً) في قولها عليها السلام من العدوان، فإن المراد به تجاوز الحد في المقام وهو (الحد الظاهري) لا (الحد المأمور به)، إذ لم يتجاوز الإمام عليه السلام الحد الذي حده الله له بل التزم به وصبر، فكان تجاوزاً للحد العرفي الذي قد يظن بعض الناس أنه كان عليه أن لا يتجاوزه.

لا يجوز إنكار ظلامتها عليها السلام

مسألة: لا يجوز إنكار ما فعله القوم من الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام، وإحراق الدار، وضرب الصديقة الطاهرة عليها السلام وكسر ضلعها .. حتى أسقطت جنينها... إلى غيرها من الحقائق التاريخية، لورود النصوص بذلك، ولتواتر الروايات، ولمختلف القرائن التي تفيد العلم.

ومن ذلك يتضح بطلان ما ربما يقال من استغراب أو إنكار الهجوم على دارها وضربها وإسقاط جنينها.. بدعوى أن ذلك لا يعقل مع وجود أمير المؤمنين عليه السلام وهو أسد الله الغالب.. فيكف يصبر عليه السلام على ضربهم زوجته سيدة نساء العالمين عليها السلام؟.

إذ من الثابت أن الإمام عليه السلام كان مأموراً بالصبر، ولولاه لما صبر ولأوقفهم عند حدهم، وذلك نظير صبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طوال فترة وجوده في مكة وكان يرى أصحابه يُعذبون، بل ويأمر أصحابه بالصبر وعدم القتال.

إضافة إلى أن الأمر لم يكن كما يزعمه هؤلاء من أن علياً عليه السلام كان جالساً ينظر إلى زوجته وهي تُضرب ولا يحرك ساكناً، بل إن فاطمة عليها السلام كانت خلف

الباب تكلم القوم وتحذّرهم من مغبة أعمالهم والباب مغلق ـ ولذلك لم يكن عليها خمار[٩٥٤] ـ وإذا بابن الخطاب وصحبه رفسوا الباب بعنف وقسوة فجأة، وعصروها عصرة حتى أسقطت جنينها، كما هاجموا فاطمة عليها السلام بالضرب على بطنها ووجهها، ويبدو أنهم أرادوا قتل الزهراء عليها السلام حتى لا يبقى للإمام علي عليه السلام ناصر ولا معين؛ فإن الصديقة عليها السلام كانت أكبر ناصر للإمام عليه السلام وهي التي استطاعت أن تسلب شرعيتهم وتبين للعالم إلى يوم القيامة غصبهم للخلافة.

وعند هجوم القوم وثب الإمام عليه السلام ومسك بتلابيب الرجل وصرعه، ثم قال: «والذي كرّم محمداً بالنبوة يا ابن صهاك لولا كتاب من الله سبق وعهد عهده إليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلمت أنك لا تدخل بيتي»[٩٥٥] ولولا تلك الوصية لقتله، ونظراً لرد فعل الإمام عليه السلام السريع والقوي تراجع القوم عن قتل فاطمة وابنيها والإمام (صلوات الله عليهم أجمعين) فإنهم أرادوا ذلك[٩٥٦].

---

(٩٥٤) قال الفاضل العلامة السيد محمد بن السيد مهدي القزويني الحلي النجفي (ت ١٣٣٥ هـ ق) في أبيات له:

قال سليم قلت يا سلمان هل دخلوا ولم يك استئذان
فقال إي وعزة الجبار ليس على الزهراء من خمار
لكنها لاذت وراء الباب رعاية للستر والحجاب
فمذ رأوها عصروها عصرة كادت بروحي أن تموت حسرة
تصيح يا فضة اسنديني فقد وربي قتلوا جنيني
فأسقطت بنت الهدى واحزنا جنينها ذاك المسمى محسنا

(٩٥٥) كتاب سليم بن قيس: ص٥٨٦ ح٤.

(٩٥٦) للتفصيل انظر كتاب سليم بن قيس: ص٥٨٤ -٥٩٢ ح٤، وبحار الأنوار: ج٢٨ ص٢٦٤ -

معاني أخرى لكلامها عليها السلام

هذا وربما يمكن أن يقال في معنى كلام الصديقة عليها السلام: «عذيري الله...» أو قد قيل في ذلك وجوه أخر نقتصر على ثلاثة منها:

الوجه الأول:

إن قولها عليها السلام: «عذيري الله منك عادياً ومنك حامياً» يعني أن الله سبحانه وتعالى ليعذرني منك في كلتا حالتي سكوتك عن المطالبة بحقي وحمايتك لي للأخذ بظلامتي، والمعنى: أنها تطلب من الله سبحانه وتعالى أن يعذره عليه السلام في كلتا الحالتين ـ كما هو كذلك، إذ أنه عليه السلام كان مأموراً بالصبر ـ والاعتذار عن القصور حسن.

والعذير: العاذر وهو الذي يرفع اللوم والذنب، أي إن الذي يرفع لَوْمي وعتبي عليك هو الله، والمراد به المآل، أي مآل العتب واللوم وليس نفسه، إذ لا عتب ولوم حقيقي منها له عليها السلام، بل هو كناية عن شدة ما جرى عليها كما لايخفى، والمآل هو استرجاع الحق إذ هذا هو ما يقصد من اللوم في نهاية الأمر.

وبعبارة أخرى: كأن الله يعذرها من جهته، فكأنها تطلب من الله إعذارها من جهة موقف بعلها، فتأمل.

الوجه الثاني:

إن عذيرك من فلان، يعني هات من يعذرك فيه، فيكون (عذيري)

.٢٨٢

منصوباً (والله) مجروراً بالقسم[٩٥٧].

.....

وقيل: منه قول أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) حين نظر إلى ابن ملجم (لعنه الله) وقال:

أريـــد حباءه ويريد قتلـــــــي عذيرك [٩٥٨] من خليلك من مراد[٩٥٩]

ومنه قوله عليه السلام حينما خرج طلحة والزبير لقتاله: «عذيري من طلحة والزبير بايعاني طائعين غير مكرهين ثم نكثا بيعتي من غير حدث، ثم تلا هذه الآية: **﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون﴾**[٩٦٠]»[٩٦١].

الوجه الثالث:

الطلب من الله أن يعذرها عليها السلام فيما قالت وفعلت ـ بالنسبة إليه عليه السلام ـ فكأنها عليها السلام تعتذر منه عليه السلام لما بدر منها مما ظاهره العتاب.. وهو وإن لم يكن عتاباً واقعاً بل كان لكشف حقائق القوم ومدى ظلمهم، وقد صيغ في شكل

---

(٩٥٧) ربما يكون مقصود المصنف من هذا أن معنى (عذيري الله منك) أنها تقول: والله سآتي بمن يعذرني ◄ منك (من جهتك) أي بمن يطلب لي العذر من جهتك، أي يبرأ ساحتك، وهو الرسول صلى الله عليه وآله باعتباره أمر علياً عليه السلام بالصبر.

(٩٥٨) قد يكون المعنى: هات من يعذرك من أي واحد من أخلائك من قبيلة (مراد)، أي لا يوجد من يعذرك في قتلي حتى من أصدقائك في قبيلتك.

(٩٥٩) شرح نهج البلاغة: ج٩ ص١١٨ ومن كلام له عليه السلام قبل موته.

(٩٦٠) سورة التوبة: ١٢.

(٩٦١) الأمالي للمفيد: ص٧٢ -٧٣ المجلس الثامن ح٧.

عتاب لـه كناية إلا أن ذلك أيضاً استدعى اعتذارها منه ومن الله، إذ هي مضطرة لعدم الرعاية الظاهرية مما يتصوره البعض عتاباً، ومثل هذا الكلام مستحب؛ فإنه يستحب للإنسان أن يطلب من الله أن يعذره في كل قول أو فعل صدر منه.

.....

لا يقال: إن ما قالت وفعلت كان بين واجب ومستحب وجائز ـ بل الجائز منه مستحب كما ذكرناه في موطن آخر ـ وكل ذلك لا يحتاج إلى طلب العذر من الله سبحانه وتعالى؟.

لأنه يقال: كلامها عليها السلام ذلك ينبع من عظيم معرفتها بالله وشديد خضوعها لـه سبحانه وتعالى، وهذا الاعتراف وطلب العذر هو مقتضى العبودية لله عزوجل كما فصل في محله، فكل ما يفعله الإنسان ـ حتى الواجب ـ بحاجة إلى الاعتذار من الله سبحانه وتعالى.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني استغفر الله كل يوم سبعين مرة من غير ذنب»[٩٦٢]، وذلك لأن مقام الله عظيم جداً وفوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى، ومن هنا فإن الأعمال التي يقدمها العبد مهما كانت فإنها لا تناسب شأنه سبحانه وتعالى، فعلى العبد أن يستغفر الله دائماً وأبداً، كما ذكره بعض العلماء في مسألة أدعيتهم التي يعترفون فيها بالذنوب، مثل قول الإمام السجاد (عليه الصلاة والسلام) في (دعاء أبي حمزة): «أنا الذي.. أنا الذي.. الخ»[٩٦٣]، وكذلك أدعية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام[٩٦٤] وسائر الأئمة الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم

---

(٩٦٢) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٨٥ ب٩٢ ح٢١٠٥٠، وفيه: عن ابن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام ـ في حديث ـ قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتوب إلى الله كل يوم سبعين مرة من غير ذنب».

(٩٦٣) المصباح للكفعمي: ص٥٩٤ دعاء السحر لعلي بن الحسين عليه السلام رواه حمزة الثمالي.

(٩٦٤) كما في دعاء كميل عليه السلام.

أجمعين)، فإن تلك التعابير هي مقتضى العبودية ورعاية لحق الربوبية، لا أنه ـ والعياذ بالله ـ صدر من المعصوم ذنب، كما هو واضح.

ولهذه الأدعية وجه آخر ذكر في محله، والله العالم بحقائق الأمور.

.....

عذير المعصوم عليه السلام هو الله

مسألة: عذير المعصوم عليه السلام هو الله تعالى فيما يفعله أو يتخذه من موقف، فإن المعصوم عليه السلام لا يفعل إلاّ ما أراده الله عزوجل؛ لأنهم عليهم السلام أوعية مشيئة الله عزوجل، وقد أمر الباري بطاعتهم عليهم السلام.

ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»(٩٦٥).

وعن أبي محمد العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الباقر عليه السلام، قال: «أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي والحسن والحسين عليهم السلام ـ ثم قال ـ في قول الله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾(٩٦٦)، قال: الأئمة من ولد علي وفاطمة عليهم السلام إلى أن تقوم الساعة»(٩٦٧).

وعن داود بن فرقد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام ـ وعنده إسماعيل ابنه عليه السلام ـ يقول: ﴿**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**﴾(٩٦٨) الآية، قال: فقال: «الملك العظيم افتراض الطاعة»(٩٦٩).

---

(٩٦٥) المناقب: ج٣ ص٣٩٤ فصل في معالي أمورهما عليهما السلام.

(٩٦٦) سورة النساء: ٥٩.

(٩٦٧) بحار الأنوار: ج٢٣ ص٢٨٦ ب١٧ ح٣.

(٩٦٨) سورة النساء: ٥٤.

(٩٦٩) تفسير العياشي: ج١ ص٢٤٨ من سورة النساء ح١٦٢.

وعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأنبياء ورضى الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته ـ ثم قال ـ إن الله يقول: ﴿**من يطعِ الرسول فقد أطاع الله**﴾ إلى ﴿**حفيظا**﴾[٩٧٠] أما لو أن رجلاً قام ليله

.....

وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالة منه إليه، ما كان له على الله حق في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان ـ ثم قال ـ أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضله ورحمته»[٩٧١].

وعن أبي إسحاق النحوي، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن الله أدب نبيه على محبته فقال: ﴿**وإنك لعلى خلقٍ عظيمٍ**﴾[٩٧٢] ـ إلى أن قال ـ وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوض إلى علي عليه السلام فائتمنه فسلمتم وجحد الناس، فوالله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا، وتصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله، ما جعل الله لأحد خيراً في خلاف أمرنا»[٩٧٣].

عن جعفر بن محمد الفزاري معنعناً، عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية من قول الله تعالى: ﴿**فليحذرِ الذين يخالِفون عن أمرِهِ أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**﴾[٩٧٤]. قال: «الفتنة الكفار». قال: يا أبا جعفر، حدثني

---

(٩٧٠) سورة النساء: ٨٠.

(٩٧١) بحار الأنوار: ج٢٣ ص٢٩٤ ب١٧ ح٣٣.

(٩٧٢) سورة القلم: ٤.

(٩٧٣) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٧٣ ب٧ ح٣٣٢٣٤.

(٩٧٤) سورة النور: ٦٣.

فيمن نزلت؟. قال: «نزلت في رسول الله ﷺ وجرى مثلها من النبي ﷺ في الأوصياء في طاعتهم»(٩٧٥).

وعن بريد العجلي، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله تبارك وتعالى: ﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما﴾. قال: «جعل

منهم الرسل والأنبياء والأئمة، فكيف يقرون في آل إبراهيم عليه السلام وينكرونه في آل محمد ﷺ. قال: قلت: ﴿وآتيناهم ملكا عظيما﴾؟. قال: «الملك العظيم أن جعل فيهم أئمة من أطاعهم أطاع الله، ومن عصاهم عصى الله فهو الملك العظيم»(٩٧٦).

ويلاي في كل شارق.. ويلاي في كل غارب..

طلب الويل والإخبار عنه

مسألة: يجوز الإخبار عن الويل الذي تعرض له الإنسان، كما يجوز طلبه (بالمعنى الذي سيأتي)؛ فإنه يجوز للمظلوم والمصاب بمال أو عزيز أو نفس أو ما أشبه أن يقول هذه الكلمة، دلالة على عظيم ما أصابه من المصاب في نفسه، أو ذوي قرابته، أو أحبته وأصحابه، أوما أشبه ذلك.

وهذا لا يعني الجزع، وإن كان الجزع في مصاب أهل البيت عليهم السلام جائزاً بل راجحاً.

(٩٧٥) تفسير فرات الكوفي: ص٢٨٩ ومن سورة النور ح٣٩٢.

(٩٧٦) الكافي: ج١ ص٢٠٦ باب أن الأئمة عليهم السلام ولاة الأمر وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله عزوجل ح٥.

عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «ما من عبد يصاب بمصيبة فيسترجع عند ذكر المصيبة ويصبر حين تفجأه إلا غفر الله له ما تقدم من ذنبه، وكلما ذكر مصيبة فاسترجع عند ذكره المصيبة غفر له كل ذنب اكتسبه فيما بينهما»(٩٧٧).

وعن داود بن رزين، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من ذكر مصيبته ولو

.....

بعد حين فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين، اللهم آجرني على مصيبتي وأخلف عليَّ أفضل منها، كان له من الأجر مثل ما كان عند أول صدمة»(٩٧٨).

معنى (ويلاي)

مسألة: من المستحب بيان ما جرى على الصديقة الطاهرة عليها السلام من المصائب حتى قالت: «ويلاي في كل شارق.. ويلاي في كل غارب».. وقد يجب ذلك.

والذي يظهر أن معنى قولها عليها السلام: «ويلاي» هو أن البؤس والشدة (وهما معنى الويل) أصبحا ملازمين لي، وذلك نتيجة غصبهم حقي وحق بعلي عليه السلام وإهانتي وإيذائي.. وقد كنَّتْ عن الملازمة بـ (كل شارق وغارب) أي كل صباح ومساء..

ومن الواضح أن كلامها هذا إخبار وليس إنشاءً ودعاءً.

ومن معاني الويل: حلول الشر.. ومن معانيه: الهلاك.. فكأنها عليها السلام تقول: إن الشر (والمراد به المرض والعنت والهوان بسبب ما لحقها من مواقف

(٩٧٧) مشكاة الأنوار: ص٢٧٨ -٢٧٩ ف١.

(٩٧٨) الكافي: ج٣ ص٢٢٤ باب الصبر والجزع والاسترجاع ح٦.

وتصرفات القوم وغاصبي الخلافة) يحل بي كل صباح ومساء، وذلك إما كناية عن الدوام كما سبق.. أو إشارة لتجدد آلامها وأحزانها كل صباح ومساء.

وكذلك الهلاك.. فكأنهما قتلاها في كل صباح ومساء، إذ أن الذل والهوان المستمرين قد يكونان أسوأ وأشد وأقسى وأمرّ من أن يقتل المرء مئات المرات.. وكفاهما ذلك إثماً وجرماً.

مات العَمَد، ووهن العضد

ومن المحتمل أن تكون (ويلاي) دعاءً فيكون المعنى: إنها تتمنى الموت كل صباح ومساء، إذ إنه أهون وأخف من المهانة الاجتماعية التي ألحقاها بها.

وفي اللغة: الويل: الحزن والهلاك، وكل من وقع في الهلكة دعا بالويل، وفي الندبة يقال: ويلاه.

مات العَمَد، ووهن العَضُد

بين حياته صلى الله عليه وآله وسلم وموته

مسألة: لا ينبغي الريب في أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والصديقة الكبرى عليها السلام والأئمة عليهم السلام والشهداء أحياء بعد موتهم، كما قال تعالى: ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون**﴾(٩٧٩)، و(الموت) بالنسبة إليهم ليس بالمعنى الذي يفهمه الناس منه من عدم القدرة على التصرف في شؤون هذه الدنيا.

إلاّ أن الفرق بين حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وموته هو:

---

(٩٧٩) سورة آل عمران: ١٦٩.

أولاً: عدم تصرفه ﷺ عبر جسده المادي عادةً، إلا فيما خرج بالدليل.

وثانياً: ترتب بعض الآثار على حياته المباركة فحسب، وليس كلها، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٩٨٠] حيث إن حياته المادية كانت إحدى سببي رفع العذاب، فتأمل.

.....

فقولها عليها السلام: «مات العَمَد..»، إشارة إلى فقدانها عليها السلام بموته ﷺ جانباً [٩٨١] من حمايته وتصرفاته التي انقطعت بموته ﷺ.

و(العَمَد): هو ما يُعتمد عليه في الأمور.

و(العَضُد) للإنسان بمنزلة يده حيث يقبض ويبسط ويدفع ويجذب بسبب اليد.. والعضد هي محور القدرة في كل ذلك.

ومن الواضح أن الرسول ﷺ - بالنسبة إلى المسلمين عامة والصديقة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) خاصة - كان عمداً وعضداً.

هذا ويحتمل أن يكون المراد من (العمد): الرسول ﷺ، ومن (العضد): الإمام علي عليه السلام.. ووهنه عليه السلام أولاً لفقده أول مدافع عنه وهو الرسول ﷺ وثانياً لتقييده بوصيته ﷺ.. مضافاً إلى تكالب الأعداء عليه وظلمهم له.

قولها عليها السلام: (مات ..ووهن) تشير به إلى أن ذلك كان هو السبب في عدم استرجاع الحق في فدك والخلافة.

الاعتماد على الرسول ﷺ

---

(٩٨٠) سورة الأنفال: ٣٣.

(٩٨١) أي: ليس كل تصرفاته وحمايته قد انقطع، ولذلك كانت الشكوى (أي بلحاظ ما بقي).

مسألة: يستحب أن يُتخذ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عمداً وأمير المؤمنين عليه السلام عضداً، وهذا لا يعني الشرك كما هو واضح، بل ابتغاء الوسيلة إلى الله عزوجل حيث قال تعالى: ﴿**وابتغوا إليه الوسيلة**﴾[٩٨٢] على ما هو مذكور في العقائد.

وفي الحديث: «إن الشيطان إذا سمع منادياً ينادي: يا محمد، يا علي، ذاب

.....

كما يذوب الرصاص»[٩٨٣].

وفي الدعاء: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الَّذِينَ أَمَرْتَنَا بِطَاعَتِهِمْ، وَعَجِّلِ اللَّهُمَّ فَرَجَهُمْ بِقَائِمِهِمْ، وَأَظْهِرْ إِعْزَازَهُ، يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ اكْفِيَانِي فَإِنَّكُمَا كَافِيَانِي، يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ انْصُرَانِي فَإِنَّكُمَا نَاصِرَانِي، يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ احْفَظَانِي فَإِنَّكُمَا حَافِظَانِي، يَا مَوْلَايَ يَا صَاحِبَ الزَّمَانِ ـ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ـ الْغَوْثَ، الْغَوْثَ، أَدْرِكْنِي، أَدْرِكْنِي، الأَمَانَ، الأَمَانَ»[٩٨٤].

وفي بعض الصلوات المستحبة[٩٨٥]: «ثم تضع خدك الأيمن على الأرض وتقول مائة مرة في سجودك: يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ، اكْفِيَانِي فَإِنَّكُمَا كَافِيَايَ، وَانْصُرَانِي فَإِنَّكُمَا نَاصِرَايَ»[٩٨٦].

وفي بعضها[٩٨٧]: «ثم يقلب خده الأيسر على الأرض ويقول: يَا مُحَمَّدُ،

---

(٩٨٢) سورة المائدة: ٣٥.

(٩٨٣) الكافي: ج٦ ص٢٠ باب الأسماء والكنى ح١٢.

(٩٨٤) وسائل الشيعة: ج٨ ص١٨٦ ب٥٣ ح١٠٣٧٤.

(٩٨٥) وهي صلاة لدفع شر السلطان.

(٩٨٦) راجع مستدرك الوسائل: ج٦ ص٣٠٨ -٣١٠ ب١٩ ح٦٨٨٥.

(٩٨٧) وهي صلاة يوم الاثنين.

يَا عَلِيُّ، يَا جَبْرَئِيلُ، بِكُمْ أَتَوَسَّلُ إِلَى اللَّهِ، ثم يسجد ويكرر هذا القول ويسأل حاجته»(٩٨٨).

وفي صلاة الغياث: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا كانت لأحدكم استغاثة إلى الله تعالى فليصلّ ركعتين، ثم يسجد ويقول: يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ

.....

يَا عَلِيُّ يَا سَيِّدَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، بِكُمَا أَسْتَغِيثُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ أَسْتَغِيثُ بِكُمَا يَا غَوْثَاهُ بِاللَّهِ وَبِمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَ ـ وَتَعُدُّ الأئِمَّةَ عليهم السلام ـ بِكُمْ أَتَوَسَّلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فإنك تُغاث من ساعتك إذ شاء الله تعالى»(٩٨٩).

وفي حرب أُحُد: كان النبي صلى الله عليه وآله يقول: «يا علي رد هذه الكتيبة عني»، «يا علي اكفني هذه الكتيبة»(٩٩٠)، فكانت تقارب خمسين فارسا وعلي عليه السلام راجل فما زال يضربها بالسيف حتى تتفرق عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم تجتمع عليه هكذا مراراً... حتى قال جبرئيل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا محمد إن هذه المواساة!، لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وما يمنعه مني وهو مني وأنا منه، وقال جبرائيل: وأنا منكما، وسمع ذلك اليوم صوت من قبل السماء لا يرى الشخص الصارخ به، ينادي مرارا:

لا فتـــى إلا عـلـــي لا سيف إلا ذو الفقار(٩٩١)

فإنه لما عصى المسلمون أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وتركوا الثغرة التي وكلهم

---

(٩٨٨) راجع جمال الأسبوع: ص٧١ -٧٢ صلاة أخرى ليوم الاثنين.

(٩٨٩) مكارم الأخلاق: ص٣٣٠ -٣٣١ ف٤ صلاة الغياث.

(٩٩٠) راجع بحار الأنوار: ج٢٠ ص١٢٧ ب١٢.

(٩٩١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٤ ص٢٥٠ -٢٥١ قصة غزوة أحد.

بها، ولم يبق فيها سوى نفر قليل، حمل عليهم خالد بن الوليد فقتلهم، بعد أن تراموا بالنبال، وتطاعنوا بالرماح، وتقاتلوا بالسيوف، ثم جاء من ظهر رسول الله ﷺ يريده، فنظر إلى النبي ﷺ وهو في قلّة من أصحابه فقال لمن معه: دونكم هذا الذي تطلبون فشأنكم به.

.....

وبصرت قريش في هزيمتها إلى الراية قد رفعت فلاذوا بها، فحملوا على رسول الله ﷺ حملة رجل واحد ضرباً بالسيوف، وطعناً بالرماح، ورمياً بالنبل، ورضخاً بالحجارة.

وجعل أصحاب رسول الله ﷺ يقاتلون عنه حتى قتل منهم سبعون رجلاً، أربعة من المهاجرين: حمزة، ومصعب بن عمير، وعثمان بن شماس، وعبدالله بن جحش، وسائرهم من الأنصار، فانهزم على أثره الباقون، ولم يثبت للقوم إلاّ علي عليه السلام، وأبو دجانة، وسهل بن حنيف، يدفعون عن النبي ﷺ وقد كثر عليهم المشركون.

فالتفت النبي ﷺ إلى علي عليه السلام، وقال: «ما صنع الناس يا علي؟».

قال عليه السلام: «كفروا يا رسول الله وولّوا الدبر من العدو وأسلموك».

قال: «ما لك لاتذهب مع القوم؟».

فقال: «أذهب وأدعك يا رسول الله؟ أكُفرٌ بعد ايمان؟! إنّ لي بك اُسوة والله لا برحت حتى اُقتل، أو ينجز الله لك ما وعدك من النصر»، فثبت معه يدفع عنه الكتائب.

فنظر رسول الله ﷺ إلى كتيبة قد أقبلت إليه، فقال لعلي عليه السلام: «ردّ عني يا علي هذه الكتيبة»، فحمل عليها وفرَّقها، وكلّما حملت طائفة على رسول الله ﷺ استقبلهم علي عليه السلام فيدفعهم عنه، ويقتلهم حتى تقطّع سيفه

ثلاث قطع[٩٩٢].

شكواي إلى أبي

لمن الشكوى

مسألة: يستحب بث الشكوى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام والصالحين في الجملة، أحياءً وأمواتاً، وهذا مما يدل على تأثير وجوده صلى الله عليه وآله وسلم حتى بعد موته، فإنه لو كانت الشكوى له بعد موته لغواً لما شكت إليه الصديقة الزهراء عليها السلام ظلامتها بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم.

واستفادة الاستحباب لأدلة الأسوة وحجية قولها عليها السلام وفعلها وتقريرها وما أشبه.

ومنه يعلم أن ما جرت عليه سيرة المؤمنين من اللجوء إلى أضرحة المعصومين والأولياء والصالحين عليهم السلام وبث الشكوى لهم هو نوع تضرع إلى الله فإنهم عليهم السلام الطريق إليه عزوجل والدليل عليه، قال عزوجل: ﴿**وابتغوا إليه الوسيلة**﴾[٩٩٣].

مضافاً إلى ما تقدم من كونه تأسياً بالصديقة الكبرى عليها السلام[٩٩٤] والأئمة الأطهار عليهم السلام.. فإن الشكوى إلى الرسول والأئمة الطاهرين والزهراء (صلوات الله عليهم أجمعين) سبيل إلى الشكوى إلى الله سبحانه، لأنهم شفعاء إلى الله، وهم الوسيلة إليه لقضاء الحوائج وكشف النوائب، بل إن الشكوى إلى هؤلاء بنفسه

---

(٩٩٢) راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم) للإمام الشيرازي قدس سره: ج١ ص١٤٧ غزوة أحد المسلمون لما عصوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

(٩٩٣) سورة المائدة: ٣٥.

(٩٩٤) في قولها هذا وفي لجوئها إلى قبره صلى الله عليه وآله وسلم وقبر عمه حمزة عليه السلام.

أيضاً مستحب، لأنهم محل مشيئة الله وأوعية علمه كما ورد في الروايات.

وهناك روايات وقصص كثيرة في الشكوى إلى المعصوم عليه السلام منها:

.....

روى أبو علي بن راشد، عن أبي هاشم الجعفري، قال: شكوت إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام الحاجة، فحك بسوطه الأرض فأخرج منها سبيكة فيها نحو الخمسمائة دينار، فقال: «خذها يا أبا هاشم و أعذرنا»(٩٩٥).

ودخل أبو عمرو عثمان بن سعيد، وأحمد بن إسحاق الأشعري، وعلي بن جعفر الهمداني على أبي الحسن العسكري عليه السلام، فشكا إليه أحمد بن إسحاق دَيناً عليه. فقال: «يا أبا عمرو ـ وكان وكيله ـ ادفع إليه ثلاثين ألف دينار، وإلى علي بن جعفر ثلاثين ألف دينار، وخذ أنت ثلاثين ألف دينار»، فهذه معجزة لا يقدر عليها إلا الملوك، وما سمعنا بمثل هذا العطاء(٩٩٦).

وقال محمد بن عبد الله البكري: قدمت المدينة أطلب بها دَيناً فأعياني. فقلت: لو ذهبت إلى أبي الحسن موسى عليه السلام وشكوت إليه، فأتيته بنعمي في ضيعته، فخرج إليَّ ومعه غلام معه منسف فيه قديد مجزع ليس معه غيره، فأكل وأكلت معه، ثم سألني عن حاجتي، فذكرت له قصتي، فدخل فلم يقم إلا يسيراً حتى خرج إليَّ فقال لغلامه: «اذهب فمد يده إليَّ»، فدفع صرة فيها ثلاثمائة دينار ثم قام فولى، فقمت فركبت دابتي و انصرفت(٩٩٧).

وعن إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده المعلى بن خنيس إذ دخل عليه رجل من أهل خراسان. فقال: يا ابن

---

(٩٩٥) الإرشاد: ج٢ ص٣٢٨ -٣٢٩ باب ذكر طرف من أخبار أبي محمد عليه السلام ومناقبه وآياته ومعجزاته.

(٩٩٦) المناقب: ج٤ ص٤٠٩ فصل في معجزاته عليه السلام.

(٩٩٧) دلائل الإمامة: ص١٥٠ ذكر ولده عليه السلام.

رسول الله، أنا من مواليكم أهل البيت تعرف موالاتي إياكم، وبيني وبينكم شقة بعيدة، وقد قلّ ذات يدي ولا أقدر أن أتوجه إلى أهلي إلاّ أن تعينني. قال: فنظر

.....

أبو عبد الله عليه السلام يميناً وشمالاً وقال: «ألا تسمعون ما يقول أخوكم، إنما المعروف ابتداءً، فأما ما أعطيت بعد ما سأل فإنما هو مكافأة لما بذل لك من وجهه ـ ثم قال ـ فيبيت ليلة متأرقاً متململاً بين اليأس والرجاء لا يدري أين يتوجه بحاجته، فيعزم على القصد إليك فأتاك وقلبه يجب وفرائصه ترتعد، وقد نزل دمه في وجهه وبعد هذا فلا يدري أينصرف من عندك بكآبة الرد أم بسرور النجح، فإن أعطيته رأيت أنك قد وصلته، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لما يتجشم من مسألته إياك أعظم مما ناله من معروفك». قال: فجمعوا للخراساني خمسة آلاف درهم(٩٩٨).

وعن اليسع بن حمزة، قال: كنت في مجلس أبي الحسن الرضا عليه السلام أحدثه وقد اجتمع إليه خلق كثير يسألونه عن الحلال والحرام، إذ دخل عليه رجل طوال آدم. فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله، رجل من محبيك ومحبي آبائك وأجدادك، مصدري من الحج وقد افتقدت نفقتي وما معي ما أبلغ به مرحلة، فإن رأيت أن تنهضني إلى بلدي، ولله عليَّ نعمة فإذا بلغت بلدي تصدقت بالذي توليني عنك فلست بموضع صدقة. فقال له: «اجلس رحمك الله»، وأقبل على الناس يحدثهم حتى تفرقوا وبقي هو وسليمان الجعفري وخيثمة وأنا. فقال: «أتأذنون لي في الدخول». فقال له سليمان: قدم الله أمرك. فقام ودخل الحجرة وبقي ساعة ثم خرج ورد الباب وأخرج يده من أعلى الباب، وقال: «أين

(٩٩٨) مستدرك الوسائل: ج٧ ص: ٢٣٦ ب٣٦ ح٨١٢٦.

الخراساني؟». فقال: ها أنا ذا. فقال: «خذ هذه المائتي دينار فاستعن بها في مئونتك ونفقتك وتبرك بها، ولا تصدق بها عني واخرج فلا أراك ولاتراني».

.....

ثم خرج عليه السلام فقال سليمان: جعلت فداك، لقد أجزلت ورحمت فلماذا سترت وجهك عنه؟. فقال: «مخافة أن أرى ذل السؤال في وجهه لقضائي حاجته، أما سمعت حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: المستتر بالحسنة تعدل سبعين حجة، والمذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور له.

أما سمعت قول الأول:

متى آته يوما أطالب حاجـــة رجعت إلى أهلي ووجهي بمائه (٩٩٩)

وعن الحارث الهمداني، قال: سامرت أمير المؤمنين عليه السلام. فقلت: يا أمير المؤمنين، عرضت لي حاجة. قال: «فرأيتني لها أهلاً؟».

قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: «جزاك الله عني خيراً».

ثم قام إلى السراج فأغشاها وجلس ثم قال: «إنما أغشيت السراج لئلا أرى ذل حاجتك في وجهك فتكلم؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: الحوائج أمانة من الله في صدور العباد فمن كتمها كتب له عبادة، ومن أفشاها كان حقاً على من سمعها أن يعينه»(١٠٠٠).

---

(٩٩٩) وسائل الشيعة: ج٩ ص٤٥٦ -٤٥٧ ب٣٩ ح١٢٤٨٩.

(١٠٠٠) بحار الأنوار: ج٤١ ص٣٦ ب١٠٢ ح١٣.

تهديد الظالم

مسألتان: ينبغي تهديد الظالم برفع أمره إلى الله عزوجل، كما ينبغي ـ في مرحلة الثبوت ـ إيكال الأمر إليه تعالى وإحالة الانتقام من العدو عليه.

قولها عليها السلام: «عدواي إلى ربي»، أي: أسأل الله أن يقاضي عدوي وأن يجزيه بالعدوان عدواناً.

ويسمى جزاء التعدي بالتعدي للمشاكلة، كما قال سبحانه: ﴿ **فمنِ اعتدى عليكم فاعتدوا عليهِ بِمثلِ ما اعتدى عليكم**﴾[1001] ، وهو من أبواب البلاغة، وفي القرآن الحكيم أيضاً عن لسان عيسى (عليه الصلاة والسلام): ﴿**تعلمُ ما فِي نفسِي ولا أعلمُ ما فِي نفسِك**﴾[1002] وقوله تعالى: ﴿**وجزاءُ سيئةٍ سيئة**﴾[1003] إلى غير ذلك من أمثلة المشاكلة.

وفي اللغة (العدوى): طلبك إلى والٍ ليعديك على من ظلمك أي ينتقم منه[1004].

فالمشتكى إليه هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي يطلب منه الفصل أخيراً وعقوبة المعتدي هو الله سبحانه وتعالى. فهي (صلوات الله عليها) تقول: إني أذهب بشكواي إلى أبي صلى الله عليه وآله وسلم وأطلب من الله سبحانه وتعالى أن يرد تعديهم عليَّ.

(١٠٠١) سورة البقرة: ١٩٤.

(١٠٠٢) سورة المائدة: ١١٦.

(١٠٠٣) سورة الشورى: ٤٠.

(١٠٠٤) لسان العرب: ج١٥ ص٣٩ مادة (عدو).

شكوى الأنبياء

مسألة: ينبغي بيان أن الصديقة الطاهرة عليها السلام قد اشتكت من القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطلبت من الله عزوجل أن ينتقم منهم من تلك المظلمة التي ظلموها بها. وهذه هي سيرة الأولياء والأنبياء عليهم السلام ، وهناك آيات عديدة وروايات كثيرة في شكوى الأنبياء عليهم السلام إلى الله من قومهم وطلب نزول العذاب عليهم: قال تعالى: ﴿**قال رب إني دعوت قومي ليلا و نهارا ۞ فلم يزدهم دعائي إلا فرارا ۞ وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ۞ ثم إني دعوتهم جهارا ۞ ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا**﴾[1005].

وقال سبحانه: ﴿**قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ۞ ومكروا مكرا كبارا**﴾[1006].

وقال تعالى: ﴿**وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ۞ إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا ۞ رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا**﴾[1007].

وقال سبحانه: ﴿**وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا**﴾[1008].

.....

وقال تعالى: ﴿**وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم**

(١٠٠٥) سورة نوح: ٥ -٩.

(١٠٠٦) سورة نوح: ٢١ -٢٢.

(١٠٠٧) سورة نوح: ٢٦ -٢٨.

(١٠٠٨) سورة الفرقان: ٣٠.

الراحمين ۞ فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾(١٠٠٩).

وقال سبحانه: ﴿**وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ۞ فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ۞ وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين ۞ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات و يدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾**(١٠١٠).

وقال تعالى: ﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾**(١٠١١).

وفي البحار: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابنته فاطمة عليها السلام: «يا بنية أنت المظلومة بعدي، وأنت المستضعفة بعدي، فمن آذاك فقد آذاني، ومن غاظك فقد غاظني، ومن سرك فقد سرني، ومن برّك فقد برني، ومن جفاك فقد جفاني، ومن وصلك فقد وصلني، ومن قطعك فقد قطعني، ومن أنصفك فقد أنصفني، ومن ظلمك فقد ظلمني، لأنك مني وأنا منك، وأنت بضعة مني وروحي التي بين جنبي، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: إلى الله أشكو ظاليك من أمتي»(١٠١٢).

اللهم إنك أشد منهم قوة وحولاً، وأشد بأساً وتنكيلاً

(١٠٠٩) سورة الأنبياء: ٨٣ -٨٤.

(١٠١٠) سورة الأنبياء: ٨٧ -٩٠.

(١٠١١) سورة البقرة: ٢١٤.

(١٠١٢) بحار الأنوار: ج٢٨ ص٧٦ ب٢ ح٣٤.

وقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يحيا حياتي، ويموت ميتتي، ويدخل جنة عدن منزلي، قصباً غرسه ربي عزوجل ثم قال له: كن فكان، فليتول علي بن أبي طالب ولياً، ثم بالأوصياء من ولده؛ فإنهم عترتي خلقوا من طينتي، إلى الله أشكو أعداءهم من أمتي، المنكرين لفضلهم، القاطعين فيهم صلتي، وايم الله ليقتلن بعدي ابني الحسين لا أنالهم الله شفاعتي»[١٠١٣].

اللهم إنك أشد منهم قوة وحولاً، وأشد بأساً وتنكيلاً

الاستنجاد بالله

مسائل: يجب الاستنجاد بالله عزوجل كما استنجدت الصديقة عليها السلام، ويجب إيكال الأمر إليه كما فعلت عليها السلام، وينبغي الإعلان عن ذلك والجهر به كما صنعت عليها السلام.

والقوة: عبارة عن القدرة التي يفعل الله سبحانه وتعالى بها ما يشاء.

والحول: عبارة عن تحويله الحال إلى حال آخر، من حسن إلى أحسن، ومن حسن إلى حسن آخر[١٠١٤]، ومن حسن إلى سيئ، ومن الأحسن إلى الحسن أو السيئ، وكذلك من جانب السوء.

.....

(١٠١٣) روضة الواعظين: ج١ ص١٠١ مجلس في ذكر الإمامة وإمامة علي ابن أبي طالب وأولاده (صلوات الله عليهم أجمعين).

(١٠١٤) كفردي كلي حسن متساويين في الحسن مختلفين في المصداق.

والبأس: العذاب ونحو العذاب كالخوف الشديد، وربما كان بمعنى العذاب الشديد أيضاً[١٠١٥]. قال سبحانه: ﴿**فلما رأوا بأسنا**﴾[١٠١٦]. أي شدة عذابنا. وقال عزوجل: ﴿**وكم من قريةٍ أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون**﴾[١٠١٧].

وقال تعالى: ﴿**أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون**﴾[١٠١٨]. وقال سبحانه: ﴿**أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون**﴾[١٠١٩].

وقال عزوجل: ﴿**حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم**

وقال سبحانه: ﴿**فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون**﴾[١٠٢١].

وقال تعالى: ﴿**فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون**﴾[١٠٢٢].

والتنكيل: العقوبة بما يظهر أثره، فإنه يسمى قطع الأنف والأذن وما أشبه بالتنكيل. وفي اللغة: تنكيل المولى بعبده بأن يجدع أنفه أو يقطع أذنه ونحو ذلك[١٠٢٣].

(١٠١٥) انظر لسان العرب: ج٦ ص٢٠ مادة (بأس).

(١٠١٦) سورة غافر: ٨٤.

(١٠١٧) سورة الأعراف: ٤.

(١٠١٨) سورة الأعراف: ٩٧

(١٠١٩) سورة الأعراف: ٩٨.

(١٠٢٠) سورة يوسف: ١١٠.

(١٠٢١) سورة الأنبياء: ١٢.

(١٠٢٢) سورة غافر: ٨٥.

(١٠٢٣) مجمع البحرين: ج٥ ص٤٨٦ مادة (نكل).

وهذا [١٠٢٤] من باب ضيق اللفظ، وإلاّ فلا تقاس نسبة حول الله وقوته وبأسه وتنكيله بالإنسان إلاّ قياساً يعدّ أبعد من البعيد حتى أضحى كالمجاز مثل قوله:

﴿هو خير الرازقين﴾[١٠٢٥] وهو ﴿أحسن الخالقين﴾[١٠٢٦] أو ما أشبه ذلك.

وكأنها (صلوات الله عليها) توجهت في قولها هذا إلى الله سبحانه وتعالى قائلة ـ في خضوع ودعاء وتضرع ـ أنت القوي في أخذ حقي ولا قوة أقوى من قوتك، وأنت القادر على تحويل الحال من هذا الحال السيئ إلى الحسن، فكلامها تضرع لله واستنجاد به ودعاء على القوم. وفي بعض النسخ: «وأحدّ بأساً وتنكيلاً» أي: إن بأسك حاد ونافذ كالسكين الحاد الذي ينفذ في اللحم.

لماذا لم يحول الله الحال؟

لا يقال: لماذا لم يحوّل سبحانه وتعالى الحال ولم ينتقم من القوم، رغم أنه جل وعلا أشد منهم حولاً وقوة وأحد باساً وتنكيلاً؟.

إذ يقال: **أولا**: الدنيا دار ابتلاء وامتحان، ولذلك جرى على الأنبياء والأوصياء والصالحين عليهم السلام ما جرى من الظلم والتعدي حتى وصل الأمر في كثير منهم إلى التعذيب والتنكيل والقتل، والتغيير الإعجازي خلاف فلسفة الامتحان والإمهال[١٠٢٧] والإمداد[١٠٢٨]، إلا فيما خرج بالدليل.

(١٠٢٤) أي قولها عليها السلام: «اللهم إنك أشد منهم قوة وحولاً، وأشد بأساً وتنكيلاً».

(١٠٢٥) سورة المؤمنون: ٧٢، سورة سبأ: ٣٩.

(١٠٢٦) سورة المؤمنون: ١٤، سورة الصافات: ١٢٥.

(١٠٢٧) إشارة إلى (إن الله يمهل ولا يهمل) كما ورد.

(١٠٢٨) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كُلاًّ نُمِدُّ﴾ سورة الإسراء: ٢٠.

وثانيا: إن استجابة الله لدعائها عليها السلام هي كما في قوله: ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**﴾[1029]، وقد فسر ذلك في بعض الأحاديث بزمن ظهور خاتم الأوصياء الحجة المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف)[1030].

وثالثا: ما ذكرناه في مواضع من (الفقه) من أن عقوبة الله ـ في الدنيا قبل الآخرة وقبل الظهور ـ تتجلى في العديد من المحاكم منها: محكمة البدن، ومحكمة النفس، ومحكمة الاجتماع، ومحكمة التاريخ، ومحكمة الطبيعة[1031]، وما أشبه، وقد حصلت هذه العقوبات وستحصل في مراتب أشد وأكثر.

وفي مستدرك الوسائل: عن الشيخ الكفعمي في (مصباحه)، عن النعماني في كتاب (دفع الهموم والأحزان)، عن علي عليه السلام:

«أنه من ظُلم ولم يرجع ظالمه عنه فليفضّ الماء على نفسه، ويسبغ الوضوء ويصلي ركعتين، ويقول:

اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ ظَلَمَنِي وَاعْتَدَى عَلَيَّ، وَنَصَبَ لِي وَأَمَضَّنِي وَأَرْمَضَنِي، وَأَذَلَّنِي وَأَخْلَقَنِي، اللَّهُمَّ فَكِلْهُ إِلَى نَفْسِهِ، وَهُدَّ رُكْنَهُ، وَعَجِّلْ جَائِحَتَهُ، وَاسْلُبْهُ نِعْمَتَكَ عِنْدَهُ، وَاقْطَعْ رِزْقَهُ، وَابْتُرْ عُمُرَهُ، وَامْحُ أَثَرَهُ، وَسَلِّطْ عَلَيْهِ عَدُوَّهُ، وَخُذْهُ فِي مَأْمَنِهِ كَمَا ظَلَمَنِي وَاعْتَدَى عَلَيَّ، وَنَصَبَ لِي وَأَمَضَّ وَأَرْمَضَ، وَأَذَلَّ وَأَخْلَقَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ فَأَعِدْنِي، فَإِنَّكَ

(١٠٢٩) سورة غافر: ٥١.

(١٠٣٠) راجع العمدة: ص٤٢٨ -٤٢٩ فصل في ذكر ما جاء في المهدي عليه السلام من متون الصحاح الستة ح٨٩٧.

(١٠٣١) كما في لعن كثير من الموجودات (من الجمادات والحيوانات والملائكة) لهم، وغير ذلك مما نعلمه وما لا نعلمه.

أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً؛ فَإِنَّهُ لاَ يُمْهَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاثاً»[١٠٣٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله تعالى يُمهل الظالم حتى يقول: أهملني، ثم إذا أخذه أخذه أخذة رابية»[١٠٣٣].

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا ويل لكِ، بل الويل لشانئكِ

تسلية المظلوم

مسألة: يستحب تسلية[١٠٣٤] المظلوم والتخفيف عن آلامه والتفريج عنه، فإنها من مصاديقه، وتفريج كربة المكروب من أفضل القربات.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلطفه بها وفرج عنه كربته لم يزل في ظل الله الممدود عليه الرحمة ما كان في ذلك»[١٠٣٥].

وفي الحديث: «من عزى مصاباً فله مثل أجره، ومن عزى ثكلى كُسِيَ بُرداً في الجنة»[١٠٣٦].

(١٠٣٢) مستدرك الوسائل: ج٦ ص٢٩٨ ب١١ ح٦٨٦٨.

(١٠٣٣) كنز الفوائد: ج١ ص١٣٥ فصل مما ورد في ذكر الظلم.

(١٠٣٤) سلاّه عن همّه: أي أزال همه وغمه، وسلّى يسلّي تسليةً فلاناً عن كذا: أي أنساه ذلك المصاب أو الهم وصرف فكره عنه أو طيب نفسه.

(١٠٣٥) الكافي: ج٢ ص٢٠٦ باب في إلطاف المؤمن وإكرامه ح٥.

(١٠٣٦) راجع مستدرك الوسائل: ج٢ ص٣٤٨ ب٤٠ ح٢١٦١ وفيه: وسئل النبي صلى الله عليه وآله عن التصافح في التعزية؟. فقال: «هو سكن للمؤمن، ومن عزى مصاباً فله مثل أجره». وفي ح٢١٦٣ قال رسول الله

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «من عزى أخاه المؤمن كسي في الموقف حلة»(١٠٣٧).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من عزى مصاباً كان له مثل أجره من غير أن ينقصه الله من أجره شيئاً»(١٠٣٨).

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من عزى أخاه المؤمن من مصيبة كساه الله عزوجل حلة خضراء يحبر بها يوم القيامة». قيل: يا رسول الله، ما يحبر بها؟. قال: «يغبط بها»(١٠٣٩).

وروي: «أن إبراهيم عليه السلام سأل ربه قال: يا رب، فما جزاء من يصبّر الحزين ابتغاء وجهك؟. قال: أكسوه ثوباً من الإيمان يتبوأ بها في الجنة، ويتقى بها من النار»(١٠٤٠).

وروي: «أن داود عليه السلام قال: إلهي ما جزاء من يعزّي الحزين على المصاب ابتغاء مرضاتك؟. قال: جزاؤه أن أكسوه رداءً من أردية الإيمان أستره به من النار»(١٠٤١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «التعزية تورث الجنة»(١٠٤٢).

وروي أنه: «من عزى حزيناً كسي في الموقف حلة يحبر بها»(١٠٤٣).

صلى الله عليه وآله وسلم: «من عزى ثكلى كسي برداً في الجنة».

(١٠٣٧) مستدرك الوسائل: ج٢ ص٣٤٨ ب٤٠ ح٢١٥٨.

(١٠٣٨) مسكن الفؤاد: ص١١٥ وأما الخاتمة.

(١٠٣٩) بحار الأنوار: ج٧٩ ص٩٤ ب١٦ ضمن ح٤٦.

(١٠٤٠) مسكن الفؤاد: ص١١٧ وأما الخاتمة.

(١٠٤١) مستدرك الوسائل: ج٢ ص٣٤٩ ب٤٠ ح٢١٦٥.

(١٠٤٢) من لا يحضره الفقيه: ج١ ص١٧٤ باب التعزية والجزع عند المصيبة ح٥٠٧.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من عزى الثكلى أظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله»[١٠٤٤].

إلى غير ذلك من الروايات الواردة في باب التسلية والتعزية.

وفي الحديث القدسي قال الله عزوجل: «إني تطولت على عبادي بثلاث: ألقيت عليهم الريح بعد الروح ولولا ذلك ما دفن حميم حميماً، وألقيت عليهم السلوة بعد المصيبة ولولا ذلك لم يتهن أحد منهم بعيشه، وخلقت هذه الدابة وسلطتها على الحنطة والشعير ولولا ذلك لكنزهما ملوكهم كما يكنزون الذهب والفضة»[١٠٤٥].

تسلية المريض والمهموم

مسألة: تسلية المتألم نفسياً، والمتألم جسدياً ـ كتسلية المظلوم ـ مستحبة، ومن مصاديقها عيادته والدعاء له؛ فإن إطلاق قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من سلى (عزى) مصاباً له مثل أجره»[١٠٤٦] السابق الذكر كما يشمل المظلوم يشمل غيره، ويعمّ كل (مصاب) بـ (ظلم) أو (مرض) أو (فقر) أو (فقد عزيز) أو ما أشبه ذلك.

والصديقة الزهراء عليها السلام كانت مظلومة ومضطهدة ومتألمة نفسياً وجسدياً لشدة ما جرى عليها من المصائب فـ «ما زالت بعد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معصبة الرأس، ناحلة الجسم، يُغشى عليها ساعة بعد ساعة»[١٠٤٧].

(١٠٤٣) مستدرك الوسائل: ج٢ ص٣٥٠ ب٤٠ ح٢١٦٩.

(١٠٤٤) الكافي: ج٣ ص٢٢٧ باب ثواب التعزية ح٣.

(١٠٤٥) الخصال: ج١ ص١١٢ تطول الله عزوجل على عباده بثلاث ح٨٧.

(١٠٤٦) الكافي: ج٣ ص٢٠٥ باب ثواب من عزى حزيناً ح٢.

(١٠٤٧) المناقب: ج٣ ص٣٦٢ فصل في وفاتها وزيارتها عليها السلام.

عن جعفر بن يحيى الخزاعي، عن أبيه، قال: دخلت مع أبي عبد الله عليه السلام على بعض مواليه يعوده، فرأيت الرجل يكثر من قول: آه. فقلت له: يا أخي، اذكر ربك واستغث به. فقال أبو عبد الله عليه السلام: «آه اسم من أسماء الله، فمن قال: آه، استغاث بالله عزوجل»(١٠٤٨).

وعن محمد بن المنكدر، قال: مرض عون بن عبد الله بن مسعود فأتيته أعوده. فقال: أفلا أحدثك بحديث عن عبد الله بن مسعود؟. قال: بلى. قال: قال عبد الله: بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ تبسم. فقلت: ما لك يا رسول الله تبسمت؟. قال: «عجبت من المؤمن وجزعه من السقم، ولو يعلم ما له في السقم من الثواب لأحب أن لا يزال سقيماً حتى يلقى ربه عزوجل»(١٠٤٩).

وعن الأرقط ـ وهو ابن أخت أبي عبد الله الصادق عليه السلام ـ قال: مرضت مرضاً شديداً وأرسلت أمي إلى خالي، فجاء وأمي خارجة في باب البيت ـ وهي أم سلمة بنت محمد بن علي ـ وهي تقول: وا شباباه. فرآها خالي فقال: «ضمي عليكِ ثيابكِ ثم ارقي فوق البيت، ثم اكشفي قناعكِ حتى تبرزي شعركِ إلى السماء ثم قولي: ربِ أنت أعطيتنيه وأنت وهبته لي، اللهم فاجعل هبتك اليوم جديدة إنك قادر مقتدر، ثم اسجدي فإنكِ لا ترفعين رأسكِ حتى يبرأ ابنكِ». فسمعت ذلك وفعلته، قال: فقمت من ساعتي فخرجت مع خالي إلى المسجد»(١٠٥٠).

وروي: أن صفوان بن يحيى قال: قال لي العبدي: قالت أهلي: قد طال

(١٠٤٨) بحار الأنوار: ج٧٨ ص٢٠٢ ب٢ ح٣.

(١٠٤٩) الأمالي للصدوق: ص٥٠١ المجلس الخامس والسبعون ح١٤.

(١٠٥٠) طب الأئمة عليهم السلام: ص١٢٢ دعاء الوالدة للولد من فوق البيت.

عهدنا بالصادق عليه السلام، فلو حججنا وجددنا به العهد. فقلت لها: والله ما عندي شيء أحج به. فقالت: عندنا كسو وحلي فبع ذلك وتجهز به. ففعلت فلما صرنا قرب المدينة مرضت مرضاً شديداً وأشرفت على الموت، فلما دخلنا المدينة خرجت من عندها وأنا آيس منها، فأتيت الصادق عليه السلام وعليه ثوبان ممصران، فسلمت عليه فأجابني وسألني عنها، فعرفته خبرها وقلت: إني خرجت وقد أيست منها، فأطرق ملياً ثم قال: «يا عبدي، أنت حزين بسببها؟». قلت: نعم. قال: «لا بأس عليها، فقد دعوت الله لها بالعافية، فارجع إليها فإنك تجدها قاعدة والخادمة تلقمها الطبرزد». قال: فرجعت إليها مبادراً فوجدتها قد أفاقت وهي قاعدة والخادمة تلقمها الطبرزد. فقلت: ما حالكِ؟. قالت: قد صب الله عليَّ العافية صباً وقد اشتهيت هذا السكر. فقلت: خرجت من عندك آيساً، فسألني الصادق عنكِ فأخبرته بحالكِ، فقال: لا بأس عليها ارجع إليها فهي تأكل السكر. قالت: خرجت من عندي وأنا أجود بنفسي، فدخل عليَّ رجل عليه ثوبان ممصران، قال: ما لكِ؟. قلت: أنا ميتة وهذا ملك الموت قد جاء يقبض روحي. فقال: يا ملك الموت. قال: لبيك أيها الإمام. قال: ألست أُمرت بالسمع والطاعة لنا؟. قال: بلى. قال: فإني آمرك أن تؤخر أمرها عشرين سنة. قال: السمع والطاعة. قالت: فخرج هو وملك الموت فأفقت من ساعتي»[١٠٥١].

وعن أبي يحيى، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «تمام العيادة أن تضع يدك على المريض إذا دخلت عليه»[١٠٥٢].

(١٠٥١) بحار الأنوار: ج٤٧ ص١١٥ -١١٦ ب٥ ح١٥٢.

(١٠٥٢) وسائل الشيعة: ج٢ ص٤٢٦ ب١٦ ح٢٥٤٦.

وعن موسى بن القاسم، قال: حدثني أبو زيد، قال: أخبرني مولى لجعفر بن محمد عليه السلام، قال: مرض بعض مواليه فخرجنا إليه نعوده ونحن عدة من موالي جعفر، فاستقبلنا جعفر عليه السلام في بعض الطريق، فقال لنا: «أين تريدون؟» فقلنا: نريد فلاناً نعوده. فقال لنا: «قفوا». فوقفنا، فقال: «مع أحدكم تفَاحة، أو سفرجلة، أو أترجة، أو لعقة من طيب، أو قطعة من عود بخور؟». فقلنا: ما معنا شيء من هذا. فقال: «أما تعلمون أن المريض يستريح إلى كل ما أدخل به عليه»[١٠٥٣].

وعن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن من أعظم العواد أجراً عند الله لمن إذا عاد أخاه خفف الجلوس إلا أن يكون المريض يحب ذلك ويريده ويسأله ذلك ـ وقال ـ من تمام العيادة أن يضع العائد إحدى يديه على الأخرى أو على جبهته»[١٠٥٤].

تسلية الزوج زوجته

مسألة: يستحب أن يُسَلّي الزوج زوجته عند المصاب، وذلك من مصاديق المعاشرة بالمعروف المأمور به في الكتاب الكريم[١٠٥٥]، وهي بين واجب ومستحب كما ذكرناه في (الفقه)[١٠٥٦].

ولا يخفى أن اجتماع عنوانين مرجحين بـل العناوين المرجحة سبب لآكدية

(١٠٥٣) الكافي: ج٣ ص١١٨ باب في كم يعاد المريض وقدر ما يجلس ح٣.

(١٠٥٤) وسائل الشيعة: ج٢ ص٤٢٥ -٤٢٦ ب١٥ ح٢٥٤٤.

(١٠٥٥) قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، سوة النساء: ١٩.

(١٠٥٦) راجع (الفقه: النكاح) و(الفقه: الواجبات والمحرمات).

الطلب ولزيادة الثواب، كعكسه أيضاً[١٠٥٧]، فكونه مصاباً سبب لاستحباب تسليته، فإذا كان المصاب رحماً أو زوجةً تأكد الاستحباب وزاد الثواب لقوله عزوجل: ﴿**وأولوا الأرحامِ بعضهم أولى ببعضٍ فِي كِتابِ اللهِ**﴾[١٠٥٨]، وقوله سبحانه: ﴿**هنّ لِباس لكم وأنتم لِباس لهنّ**﴾[١٠٥٩]، إلى غير ذلك مما يدل على هذه الأولوية في جميع الأبواب.

والصديقة فاطمة عليها السلام قد جمعت إلى كل ما سبق كونها بضعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأم الأئمة النجباء عليهم السلام، وسيدة نساء العالمين، والحجة على أهل العالمين بما فيهم أبناؤها الهداة حتى الإمام القائم (عجل الله فرجه الشريف)، كما ورد في الحديث عن العسكري عليه السلام[١٠٦٠].

قوله عليه السلام: «لا ويل لكِ» فإنه لا منافاة بين قول الزهراء عليها السلام وقول الإمام علي عليه السلام إذ قولها على سبيل المجاز والظاهر، وقوله على سبيل الواقع والحقيقة.

الدعاء على أعداء آل البيت عليهم السلام

مسألتان: الدعاء على العدو والظالم جائز، بما[١٠٦١] يجوز، أما الدعاء بغيره فمرجوح أو محرم[١٠٦٢].

(١٠٥٧) أي إن اجتماع عنوانين أو عناوين مرجوحة سبب لآكدية النهي وأشدية العقاب.

(١٠٥٨) سورة الأنفال: ٧٥، سورة الأحزاب: ٦.

(١٠٥٩) سورة البقرة: ١٨٧.

(١٠٦٠) قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «وأمنا فاطمة حجة علينا». يذكر النص؟؟؟

(١٠٦١) متعلق بالدعاء.

(١٠٦٢) كأن يدعو عليه بإيقاع أهله في الحرام، أو إيقاعه هو في الحرام كالزنا، أو ما أشبه.

أما الدعاء على أعداء أهل البيت عليهم السلام بالويل والثبور واللعن وشبه ذلك فهو من أعظم القربات إلى الله تعالى وهو بين مستحب وواجب، ويدل عليه الآيات والروايات المتواترة الآمرة باللعن أو الناطقة به، ومنها دعاء أمير المؤمنين عليه السلام عليهم هنا حيث قال: «بل الويل لشانئكِ»، والظاهر أنه إنشاء..

ويحتمل كونه إخباراً بأن البؤس والهلاك الحقيقي والشقاء على أعدائها (صلوات الله عليها).

ثم إن إثبات كون الويل للشانئ لا ينفي كونه أيضاً لغير المحب وغير الموالي العارف بهم أو المقصر في معرفتهم، فإن البؤس والشقاء لمن لم يعرف الحق وأهله وإن لم يبغضهم وقد فصلنا الحديث عن ذلك في موضع آخر.

قال تعالى: ﴿**إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا**﴾[١٠٦٣] وإيذاء أهل البيت إيذاء له صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال عزوجل: ﴿**ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين**﴾[١٠٦٤].

وقال سبحانه: ﴿**أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**﴾[١٠٦٥]. وقال تعالى: ﴿**ألا لعنة الله على الظالمين**﴾[١٠٦٦].

وقال سبحانه: ﴿**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم**

(١٠٦٣) سورة الأحزاب: ٥٧.

(١٠٦٤) سورة آل عمران: ٦١.

(١٠٦٥) سورة آل عمران: ٨٧.

(١٠٦٦) سورة هود: ١٨.

﴿اللاعِنون﴾[١٠٦٧].

.....

إلى غيرها مما نزل في أعداء أهل البيت عليهم السلام أو كانوا من أبرز مصاديقها، أي كان اللعن على من ظلمهم أو كذبهم أو آذاهم من أبرز المصاديق.

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «تصلي ليلة عاشوراء أربع ركعات في كل ركعة الحمد مرةً و﴿قل هو الله أحد﴾[١٠٦٨] خمسين مرةً، فإذا سلمت من الرابعة فأكثر ذكر الله تعالى، والصلاة على رسوله، واللعن لأعدائهم ما استطعت»[١٠٦٩].

وعن ذريح المحاربي، قال: قال له الحارث بن المغيرة النصري ـ أي لأبي عبد الله عليه السلام ـ: إن أبا معقل المزني حدثني عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه صلى بالناس المغرب فقنت في الركعة الثانية، فلعن معاوية وعمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري وأبا الأعور السلمي؟. قال الشيخ عليه السلام: «صدق فالعنهم»[١٠٧٠].

وعن عبد الله بن معقل عن علي عليه السلام: أنه قنت في الصبح فلعن معاوية، وعمرو بن العاص، وأبا موسى، وأبا الأعور، وأصحابهم[١٠٧١].

وروي: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قنت في الصبح ودعا على جماعة وسماهم[١٠٧٢].

وقال الصادق عليه السلام: «طوبى للذين هم كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يحمل

(١٠٦٧) سورة البقرة: ١٥٩.

(١٠٦٨) سورة الإخلاص.

(١٠٦٩) وسائل الشيعة: ج٨ ص١٨٢ ب٥٠ ح١٠٣٧٠.

(١٠٧٠) مستدرك الوسائل: ج٤ ص٤١٠ ب١٠ ح٥٠٣٥.

(١٠٧١) الأمالي للطوسي: ص٧٢٥ مجلس٤٣ ح١٥٢٥.

(١٠٧٢) عوالي اللآلي: ج٢ ص٤٣ ب١ المسلك الرابع ح١٠٧.

هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. فقال له رجل: يا ابن رسول الله، إني عاجز ببدني عن نصرتكم، ولست أملك إلا البراءة من أعدائكم واللعن عليهم، فكيف حالي؟

.....

فقال له الصادق عليه السلام: «حدثني أبي عن أبيه عن جده عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: من ضعف عن نصرتنا أهل البيت فلعن في خلواته أعداءنا، بلغ الله صوته جميع الأملاك من الثرى إلى العرش، فكلما لعن هذا الرجل أعداءنا لعناً ساعدوه فلعنوا من يلعنه ثم ثنوا فقالوا: اللهم صل على عبدك هذا الذي قد بذل ما في وسعه، ولو قدر على أكثر منه لفعل، فإذا النداء من قبل الله تعالى: قد أجبت دعاءكم، وسمعت نداءكم، وصليت على روحه في الأرواح، وجعلته عندي من المصطفين الأخيار»(١٠٧٣).

وقال الشهيد في (الذكرى): يجوز الدعاء فيه للمؤمنين بأسمائهم والدعاء على الكفرة والمنافقين؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا في قنوته لقوم بأعيانهم وعلى آخرين بأعيانهم، كما روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين، واشدد وطأتك على مضر ورعل وذكوان»(١٠٧٤).

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام: «إن أشرف أعمالهم ـ أي المؤمنين ـ في مراتبهم التي قد رتبوا فيها من الثرى إلى العرش: الصلاة على محمد وآله الطيبين، واستدعاء رحمة الله ورضوانه لشيعتهم المتقين، واللعن للمتابعين

(١٠٧٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٤٧ ص٢١ أعظم الطاعات.

(١٠٧٤) مستدرك الوسائل: ج٤ ص٤١ ب١٠ ح٥٠٣٨.

لأعدائهم المجاهرين والمنافقين»[١٠٧٥].

وروي عنهم عليهم السلام، قال: «إذا أتيت قبر علي بن موسى عليه السلام بطوس فاغتسل ... والبس أطهر ثيابك وامش حافياً وعليك السكينة والوقار بالتكبير

.....

والتهليل والتسبيح والتمجيد وقصّر خطاك ـ إلى أن قال: ـ ابتهل في اللعن على قاتل أمير المؤمنين عليه السلام وعلى قتلة الحسن والحسين عليهما السلام وعلى جميع قتلة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[١٠٧٦].

الويل لأعداء فاطمة عليها السلام

مسألة: يجب الاعتقاد بأن الويل لأعداء الصديقة الطاهرة عليها السلام ومبغضيها، كما يلزم بيان ذلك للناس، وهو فرع من فروع الإيمان بالله ورسوله[١٠٧٧]، قال تعالى: ﴿**ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم**﴾[١٠٧٨] فإن محادتها عليها السلام محادة لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم للحديث النبوي المجمع عليه بين الشيعة والسنة: «إن الله يرضى لرضى فاطمة ويغضب لغضبها»[١٠٧٩]، و«من أذاها فقد أذاني ومن أذاني فقد أذى الله»[١٠٨٠]، وكما قال أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام): «الويل لشانئكِ»

(١٠٧٥) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٥٩١ في عقاب من كتم شيئاً من فضائلهم عليهم السلام ح٣٥٣.

(١٠٧٦) مستدرك الوسائل: ج١٠ ص٣٦١ ب٦٨ ح١٢١٨٥.

(١٠٧٧) فإن الإيمان يتقوم بالتولي لأولياء الله والتبري من أعداء الله.

(١٠٧٨) سورة التوبة: ٦٣.

(١٠٧٩) راجع الاحتجاج: ج٢ ص٣٥٤ احتجاج أبي عبد الله الصادق عليه السلام في أنواع شتى من العلوم الدينية على أصناف كثيرة من أهل الملل والديانات.

(١٠٨٠) شرح نهج البلاغة: ج١٦ ص٢٧٣ ف٣.

أي لمبغضكِ؛ فإن الويل الحقيقي هو ويل الدنيا والآخرة حيث العقاب فيهما للإنسان الذي يبغض أهل البيت عليهم السلام ويتعدى على حقهم عليهم السلام.

عن سديف المكي، قال: حدثني محمد بن علي الباقر عليه السلام ـ وما رأيت محمدياً قط يعدله ـ قال: حدثنا جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: خطبنا رسول الله

.....

صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «أيها الناس، من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يوم القيامة يهودياً». قال: قلت: يا رسول الله، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم؟. فقال: «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»(١٠٨١).

وعن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أبغضنا أهل البيت بعثه الله عزوجل يهودياً. قيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن شهد الشهادتين؟. قال: قال: نعم، إنما احتجب بهاتين الكلمتين عند سفك دمه، أو يؤدي إليّ الجزية وهو صاغر ـ ثم قال: ـ من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يهودياً. قيل: وكيف يا رسول الله؟. قال: إن أدرك الدجال آمن به»(١٠٨٢).

عن ابن عباس، قال: قلت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: أوصني. قال: «عليك بمودة علي بن أبي طالب عليه السلام، والذي بعثني بالحق نبياً لا يقبل الله من عبد حسنة حتى يسأله عن حب علي بن أبي طالب عليه السلام وهو تعالى أعلم؛ فإن جاءه بولايته قبل عمله على ما كان منه، وإن لم يأت بولايته لم يسأله عن شيء ثم أمر به إلى النار. يا ابن عباس، والذي بعثني بالحق نبياً إن النار لأشدّ غضباً على مبغض علي عليه السلام منها على من زعم أن لله ولداً. يا ابن عباس، لو أن الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين اجتمعوا على بغضه ولن يفعلوا لعذبهم الله بالنار».

(١٠٨١) ثواب الأعمال: ص٢٠٤ عقاب من أبغض أهل البيت عليهم السلام.

(١٠٨٢) بحار الأنوار: ج٢٧ ص٢١٨ ب١٠ ح١.

قلت: يا رسول الله، وهل يبغضه أحد؟. قال: «يا ابن عباس، نعم يبغضه قوم يذكرون أنهم من أمتي لم يجعل الله لهم في الإسلام نصيباً. يا ابن عباس، إن من علامة بغضهم له تفضيلهم من هو دونه عليه، والذي بعثني بالحق ما بعث الله نبياً أكرم عليه مني ولا أوصياء أكرم عليه من وصيي علي». قال ابن عباس: فلم

.....

أزل له كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأوصاني بمودته وإنه لأكبر عملي عندي(١٠٨٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث: «يا علي ادنُ مني»، فدنا منه فقال: «إن السعيد حق السعيد من أحبك وأطاعك، وإن الشقي كل الشقي من عاداك ونصب لك وأبغضك. يا علي، كذب من زعم أنه يحبني ويبغضك. يا علي، من حاربك فقد حاربني، ومن حاربني فقد حارب الله عزوجل. يا علي، من أبغضك فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله، وأتعس الله جده وأدخله نار جهنم»(١٠٨٤). وعن الربيع بن المنذر، عن أبيه، قال: سمعت محمد بن الحنفية يحدث عن أبيه قال: «ما خلق الله عزوجل شيئاً أشر من الكلب والناصب أشر منه»(١٠٨٥). وعن خالد بن يزيد القسري، قال: حدثني أمي الصيرفي، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام يقول: «برئ الله ممن تبرأ منا، لعن الله من لعننا، أهلك الله من عادانا، اللهم إنك تعلم أنا سبب الهدى لهم وإنما يعادونا لك فكن أنت المنفرد بعذابهم»(١٠٨٦).

(١٠٨٣) بحار الأنوار: ج٢٧ ص٢١٩ -٢٢٠ ب١٠ ح٤.

(١٠٨٤) الأمالي للصدوق: ص٣٨٢ -٣٨٣ المجلس٦٠ ح١١.

(١٠٨٥) بحار الأنوار: ج٢٧ ص٢٢١ ب١٠ ح٧.

(١٠٨٦) الأمالي للمفيد: ص٣١١ -٣١٢ المجلس٣٧ ح٤.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي، وعلى من قاتلهم، وعلى المعين عليهم، وعلى من سبهم، أولئك لا خلاق لهم في الآخرة، ولا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم»[١٠٨٧].

نهنهي عن وجدك

الأمر بالصبر

مسألة: يستحب الأمر بالصبر مطلقاً، من العالي للداني، وعكسه، وللماثل، وللأعلى، أو الأدنى[١٠٨٨]، وأمره عليه السلام لها عليها السلام بالصبر المستفاد من قوله «نهنهي» من قبيل الثالث[١٠٨٩].

وقد يجب ـ على حسب اختلاف حال المتعلق ـ قال تعالى: ﴿**وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**﴾[١٠٩٠]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**﴾[١٠٩١]، ومن الواضح أن كل الأربع صبر إما بلفظه وإما بغيره.

فإن (صابروا) بمعنى المصابرة، أي: صبر بعضهم بعضاً.

و(رابطوا) يتقوم بالصبر أيضاً، فإن الرباط يحتاج إلى الصبر في الليل

(١٠٨٧) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٣٤ ب٣١ ح٦٥.

(١٠٨٨) فهذه ست صور: العالي للداني، عكسه أي الداني للعالي، وللداني، وللمماثل، أي من العالي للعالي ومن الداني للداني، وكذا من العالي للأعلى، ومن الداني للأدنى.

(١٠٨٩) أي المماثل للمماثل.

(١٠٩٠) سورة العصر: ٣.

(١٠٩١) سورة آل عمران: ٢٠٠.

والنهار، وعلى الحر والبرد، والضيق والخوف والغربة وما أشبه ذلك.

و(اتقوا) عبارة عن الصبر مدى الحياة في شتى الجهات، فصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر في المصيبة حتى لا يجزع، إلى غير ذلك، وقد جاءت مادة الصبر في القرآن الحكيم في أكثر من خمسين موضعاً.

لا يقال: هل يحتاج مثلها عليها السلام إلى الوصية بالصبر؟.

.....

إذ يقال:

أولا: إن ذلك كأمره سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر ﴿**فاصبِر كما صبَر أولوا العزمِ مِنَ الرسلِ**﴾[١٠٩٢].

ثانيا: الصبر حقيقة تشكيكية ذا مراتب، وعلى حسب عظمة المصيبة تكون درجة الصبر، وعلى حسب مقام الشخص يكون مستوى درجة المأمور به[١٠٩٣] فليدقق.

قوله عليه السلام: «نهنهي» بمعنى: كفّي، من نهنهت الرجل عن الشيء فتنهنه أي كففته وزجرته فكفّ.

و(الوجد) يأتي بمعنى الغضب، وبمعنى الحزن وهو الأنسب للمقام، خاصة بلحاظ التفريع اللاحق، إضافة إلى أن الأول[١٠٩٤] يتعدى بـ (على).

والمعنى: كفّي عن بث آلامكِ المقرحة للقلب. ويمكن تفسيره بأن مقصوده عليها السلام مرحلة الثبوت، أي كفّي وامتنعي عن حزنك المتزايد فإنه اختياري في

(١٠٩٢) سورة الأحقاف: ٣٥.

(١٠٩٣) المأمور به هو الصبر في المقام، فذو المقام الداني يوصى بدرجة الصبر التي من شأنه تحملها، وذو المقام العالي لا يوصى بمثل ذلك لأنه قد تجاوز تلك المرحلة بكثير بل يوصى بالمراتب الأسمى من الصبر.

(١٠٩٤) أي الوجد بمعنى الغضب.

الجملة.

هذا وفي كتبهم: (ماتت فاطمة وهي واجدة على أبي بكر)[١٠٩٥]، أي غاضبة.

يا ابنة الصفوة وبقية النبوة

إكرام الزوجة

مسألة: يستحب أن يكرم الزوج زوجته وأن يبين فضائلها.

فإن تكريم الزوج لزوجته والعكس، وكذلك بيان كل واحد منهما فضائل الآخر من آداب حسن المعاشرة، قال سبحانه: ﴿**هن لباس لكم وأنتم لباس لهن**﴾[١٠٩٦]، وقال تعالى: ﴿**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف**﴾[١٠٩٧]، وقال عزوجل: ﴿**وعاشروهن بالمعروف**﴾[١٠٩٨].

وهناك روايات عديدة في الآداب الزوجية والمعاشرة بالمعروف، منها:

عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن قوماً أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: يا رسول الله، إنا رأينا أناساً يسجد بعضهم لبعض. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[١٠٩٩].

(١٠٩٥) شرح نهج البلاغة: ج٦ ص٥٠ ذكر أمر فاطمة مع أبي بكر.

(١٠٩٦) سورة البقرة: ١٨٧.

(١٠٩٧) سورة البقرة: ٢٢٨.

(١٠٩٨) سورة النساء: ١٩.

(١٠٩٩) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٦٢ -١٦٣ ب٨١ ح٢٥٣١٣.

وعن الأصبغ بن نباتة، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كتب الله الجهاد على الرجال والنساء، فجهاد الرجل أن يبذل ماله ونفسه حتى يُقتل في سبيل الله، وجهاد المرأة أن تصبر على ما ترى من أذى زوجها وغيرته»[١١٠٠].

وفي حديث آخر: «جهاد المرأة حسن التبعل»[١١٠١].

.....

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من كان له امرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها ولا حسنةً من عملها حتى تعينه وترضيه، وإن صامت الدهر وقامت، وأعتقت الرقاب، وأنفقت الأموال في سبيل الله، وكانت أول من ترد النار» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «وعلى الرجل مثل ذلك الوزر والعذاب إذا كان لها مؤذياً ظالماً، ومن صبر على سوء خلق امرأته واحتسبه أعطاه الله بكل مرة يصبر عليها من الثواب مثل ما أعطى أيوب على بلائه، وكان عليها من الوزر في كل يوم وليلة مثل رمل عالج، فإن ماتت قبل أن تعتبه وقبل أن يرضى عنها حشرت يوم القيامة منكوسةً مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار، ومن كانت له امرأة ولم توافقه ولم تصبر على ما رزقه الله وشقت عليه وحملته ما لم يقدر عليه، لم يقبل الله لها حسنةً تتقي بها النار وغضب الله عليها ما دامت كذلك»[١١٠٢].

وعن يونس بن يعقوب، قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول: ملعونة ملعونة امرأة تؤذي زوجها وتغمه، وسعيدة سعيدة امرأة تكرم زوجها ولا تؤذيه وتطيعه في جميع أحواله»[١١٠٣].

(١١٠٠) تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٢٦ ب٥٧ ح١.

(١١٠١) الكافي: ج٥ ص٩ باب جهاد الرجل والمرأة ح١.

(١١٠٢) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٦٣ -١٦٤ ب٨٢ ح٢٥٣١٥.

(١١٠٣) كنز الفوائد: ج١ ص١٥٠ شرح قوله: ولعن آخر أمتكم أولها.

ابنة الصفوة

مسألة: يستحب بيان أن الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام هي ابنة الصفوة.

عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن جده عليه السلام عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال له: «يا علي، أوصيك بوصية فاحفظها، فلا تزال بخير ما حفظت وصيتي ... يا علي، إن الله عزوجل أشرف على أهل الدنيا

فاختارني منها على رجال العالمين، ثم اطلع الثانية فاختارك على رجال العالمين، ثم اطلع الثالثة فاختار الأئمة من ولدك على رجال العالمين، ثم اطلع الرابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين»(١١٠٤).

وعن مسروق، قالت عائشة: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقال رسول الله: «مرحباً بابنتي»، فأجلسها عن يمينه وأسر إليها ... ثم قال: «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين المؤمنين»(١١٠٥).

والقاضي أبو محمد الكرخي في كتابه، عن الصادق عليه السلام: «قالت فاطمة عليها السلام: لما نزلت ﴿**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا**﴾(١١٠٦)، هبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أقول له: يا أبة، فكنت أقول: يا رسول الله. فأعرض عني مرة واثنتين أوثلاثاً، ثم أقبل عليَّ فقال: يا فاطمة، إنها لم تنزل فيكِ، ولا في أهلكِ، ولا في نسلكِ، أنت مني وأنا منك، إنما نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش أصحاب البذخ والكبر، قولي: يا أبة؛ فإنها أحيا للقلب، وأرضى

(١١٠٤) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٧٤ باب النوادر وهو آخر أبواب الكتاب ح٥٧٦٢.

(١١٠٥) روضة المناقب: ج٣ ص٣٦٢ فصل في وفاتها وزيارتها عليها السلام.

(١١٠٦) سورة النور: ٦٣.

للرب»[١١٠٧].

وعن ابن عباس، قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم وهو آخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو يقول: «يا معشر الأنصار، يا معشر بني هاشم، يا معشر بني عبد المطلب، أنا محمد رسول الله.. ألا إني خلقت من طينة مرحومة في أربعة من أهل بيتي: أنا وعلي وحمزة وجعفر».

فقال قائل: يا رسول الله، هؤلاء معك ركبان يوم القيامة؟.

فقال: «ثكلتك أمك إنه لن يركب يومئذ إلا أربعة: أنا وعلي وفاطمة وصالح نبي الله، فأما أنا فعلى البراق، وأما فاطمة ابنتي فعلى ناقتي العضباء، وأما صالح فعلى ناقة الله التي عقرت، وأما علي فعلى ناقة من نوق الجنة»[١١٠٨].

وعن الثمالي عن الباقر عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن جده عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها»[١١٠٩].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى اختار من كل شيء أربعة ... واختار من النساء أربعة: مريم، وآسية، وخديجة، وفاطمة»[١١١٠].

وقال النبي ﷺ: «الحسن والحسين خير أهل الأرض بعدي وبعد أبيهما، وأمهما أفضل نساء أهل الأرض»[١١١١].

وعن الحسن بن زياد العطار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول رسول

(١١٠٧) المناقب: ج٣ ص٣٢٠ فصل في تفضيلها على النساء.

(١١٠٨) راجع بحار الأنوار: ج٧ ص٢٣٢ ب٨ ح٢ عن الخصال والأمالي للصدوق.

(١١٠٩) بحار الأنوار: ج٤٣ ص١٩ ب٣ ح٢.

(١١١٠) روضة الواعظين: ج٢ ص٤٠٥ مجلس في ذكر فضائل مكة حماها الله تعالى.

(١١١١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٦٢ ب٣١ ح٢٥٢.

الله: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»، أسيدة نساء عالمها؟.

قال: «ذاك مريم، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة من الأولين والآخرين».

فقلت: فقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة؟».

قال: «هما والله سيدا شباب أهل الجنة من الأولين والآخرين»[١١١٢].

(١١١٢) الأمالي للصدوق: ص١٢٥ المجلس٢٦ ح٧.

بقية النبوة

مسألة: يستحب بيان أن الصديقة الزهراء عليها السلام هي بقية النبوة.

قوله عليه السلام: «بقية النبوة» يدل على أنها عليها السلام البقية الباقية من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصفته نبياً، وهذا كمال المدح.

وينبغي أن يلاحظ أنه عليه السلام لم يعبر بـ (بقية النبي) بل عبر بـ (بقية النبوة) وهذا أدل على المقصود، وإن كان التعبير بـ (بقية النبي) بما هو نبي أي بصفته نبياً يفيد نفس المعنى إلا أن ذاك أوضح وأقوى دلالة، فهي عليها السلام ذلك الامتداد الحقيقي للنبوة، وهي خلاصة سائر الأنبياء عليهم السلام.. وقد يكون إشارة إلى (والسر المستودع فيها). ويحتمل إرادة أنها (صلوات الله عليها) هي الباقية من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الطبقة الأولى من الوراث.

عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام: «أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل عليها علي عليه السلام وبه كآبة شديدة. فقالت: ما هذه الكآبة؟. فقال: سألنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مسألة ولم يكن عندنا جواب لها. فقالت: وما المسألة؟ قال: سألنا عن المرأة ما هي؟. قلنا: عورة. قال: فمتى تكون أدنى من ربها فلم ندر؟. قالت: ارجع إليه فأعلمه أن أدنى ما تكون من ربها أن تلزم قعر بيتها. فانطلق فأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ماذا من تلقاء نفسك يا علي؟. فأخبره أن فاطمة عليها السلام أخبرته. فقال: صدقت إن فاطمة بضعة مني»[1113].

وعن جعفر بن محمد عليه السلام، أنه قال: «استأذن أعمى على فاطمة عليها السلام

(١١١٣) مستدرك الوسائل: ج١٤ ص١٨٢ ب٢١ ح١٦٤٥٠.

فحجبته. فقال لها النبي ﷺ: لم تحجبينه وهو لا يراكِ؟.

قالت: يا رسول الله، إن لم يكن يراني فإني أراه، وهو يشم الريح.

فقال رسول الله ﷺ: أشهد أنك بضعة مني»[١١١٤].

وعن جعفر بن محمد عليه السلام، وعن جابر الأنصاري: أنه رأى النبي ﷺ فاطمة عليها السلام وعليها كساء من أجلة الإبل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله ﷺ. فقال: «يا بنتاه، تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة». فقالت: يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه، فأنزل الله: ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾[١١١٥]»[١١١٦].

فضائل الحسب والنسب

مسألة: يستحب ـ عند ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام ـ بيان الفضائل التي تتعلق بالحسب والتي تتعلق بالنسب معاً.

ومن المصاديق استحباب بيان أنها (صلوات الله عليها) ابنة الصفوة وبقية النبوة، فإن كونها (عليها الصلاة والسلام) ابنة الصفوة وبقية النبوة يدل على النسب الأرفع والحسب الأشرف، ورفعتها بنفسها، إذ الولد سرّ أبيه فكيف بها عليها السلام وهي بضعة منه ﷺ وروحه التي بين جنبيه، فهاتان الجملتان مدح لها ولأبيها (صلوات الله عليهما).

(١١١٤) دعائم الإسلام: ج٢ ص٢١٤ ف٤ ح٧٩٢.

(١١١٥) سورة الضحى: ٥.

(١١١٦) بحار الأنوار: ج٤٣ ص٨٥ -٨٦ ب٤ ضمن ح٨.

قال رسول الله ﷺ: «إن فاطمة بضعة مني وهي نور عيني وثمرة فؤادي يسوؤني ما ساءها ويسرني ما سرها»[١١١٧].

وقال ﷺ: «وأما ابنتي فاطمة، فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبيّ، وهي الحوراء الأنسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربها جل جلاله زهر نورها لملائكة السماء، كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزوجل لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى أمتي فاطمة سيدة إمائي، قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أني قد آمنت شيعتها من النار»[١١١٨].

(١١١٧) بحار الأنوار: ج٤٣ ص٢٤ ب٣ ح٢٠.

(١١١٨) راجع بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: ص١٩٧.

الاعتقاد بالعصمة ودرجاتها

مسألة: يجب الاعتقاد بعصمة الأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام، كما يجب الاعتقاد بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والصديقة فاطمة عليها السلام والأئمة من ذريتها عليهم السلام كانوا في أعلى درجات العصمة الشمولية، فهم معصومون عن المعصية والسهو والخطأ وحتى عن المكروه وحتى عن ترك الأولى.. ومن مصاديق ذلك:

الاعتقاد بأن أمير المؤمنين علياً عليه السلام ما ونى عن دينه ولا أخطأ مقدوره بالنسبة إلى ما جرى على الصديقة الطاهرة عليها السلام؛ فإن ما عمله عليه السلام من السكوت كان عين الدين لما قد وصاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، وذلك مثل صلح الحديبية حيث كان عين الدين، وكذا قعود الإمام الحسن عليه السلام [١١١٩] إذ إن الله سبحانه وتعالى كان قد أمره على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، وكان ذلك مقدوره الشرعي أيضاً[١١٢٠] وإن كان مقدوره العقلي والبدني فوق ذلك، كما قال الشاعر:

قيدته وصية من أخيـــه ... رب حلم يقيد الضرغاما

بيان العصمة

مسألة: يجب بيان عصمتهم عليهم السلام للناس، فإنه من أكبر عوامل الهداية والإرشاد، إذ أن النموذج كلما كان أسمى وأرفع في نظر الناس كان اهتداؤهم

(١١١٩) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا». روضة الواعظين: ج١ ص١٥٦ مجلس في ذكر إمامة السبطين ومناقبهما عليهما السلام.

(١١٢٠) إذا كان ذلك هو الذي قدره الله له في عالم التشريع.

بهديه وخضوعهم لـه أكبر.

كما يلزم على المسلم ـ رجل دين كان أم تاجراً أم طالباً في المدرسة أم غير ذلك ـ أن يذكر فضائلهم عليهم السلام وأنهم كيف كانوا يأتمرون بأوامر الله سبحانه وتعالى في الشدة والرخاء والراحة والبلاء، وأن صبره (عليه الصلاة والسلام) ليس أقل من شجاعته عليه السلام في ميادين الحرب إن لم يكن أكثر؛ لأنه من أكبر درجات السيطرة على النفس، ومن المعلوم أن السيطرة على النفس هو الجهاد الأكبر في مقابل الحرب الذي هو الجهاد الأصغر حسب تعبير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

فعن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام: «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث بسرية فلما رجعوا، قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر. قيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما الجهاد الأكبر؟. قال: جهاد النفس»[١١٢١].

وفي الخبر: «رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وهو مجاهدة النفس»[١١٢٢].

وفي الغرر: «ردع النفس عن الهوى الجهاد الأكبر»[١١٢٣].

التقصير في الدين

مسألة: يحرم التقصير في الدين؛ فإنه من أشد المحرمات، بل اللازم أن يسير الإنسان وفق التعاليم الدينية بلا زيادة ولا نقيصة. وعليه أن يتبع حماة الدين وهم أهل البيت عليهم السلام لايتقدم عليهم ولا يتأخر، قال عليه السلام: «المتقدم

(١١٢١) الكافي: ج٥ ص١٢ باب وجوه الجهاد ح٣.

(١١٢٢) بحار الأنوار: ج٦٤ ص٣٦٠ ب١٤ ضمن ح٦٢.

(١١٢٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٤١ ق٣ ب٢ ف١ مخالفة الهوى ح٤٨٧٦.

لهم مارق، والمتأخر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق»[١١٢٤].

وعن سعد بن طريف، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحب أن يحيا حياة تشبه حياة الأنبياء، ويموت ميتة تشبه ميتة الشهداء، ويسكن الجنان التي غرسها الرحمن، فليتول علياً عليه السلام وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعده؛ فإنهم عترتي خلقوا من طينتي، اللهم ارزقهم فهمي وعلمي، وويل للمخالفين لهم من أمتي، اللهم لا تنلهم شفاعتي»[١١٢٥].

وعن أبي حمزة الثمالي، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله تبارك وتعالى يقول: إن من استكمال حجتي على الأشقياء من أمتك من ترك ولاية علي واختار ولاية من والى أعداءه، وأنكر فضله وفضل الأوصياء من بعده؛ فإن فضلك فضلهم، وحقك حقهم، وطاعتك طاعتهم، ومعصيتك معصيتهم، وهم الأئمة الهداة من بعدك، جرى فيهم روحك، وروحك ما جرى فيك من ربك، وهم عترتك من طينتك ولحمك ودمك، قد أجرى الله فيهم سنتك وسنة الأنبياء قبلك، وهم خزاني على علمي من بعدك، حقاً عليَّ لقد اصطفيتهم وانتجبتهم، وأخلصتهم وارتضيتهم، ونجا من أحبهم ووالاهم وسلم بفضلهم ـ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولقد أتاني جبرئيل بأسمائهم، وأسماء آبائهم، وأحبائهم، والمسلمين لفضلهم»[١١٢٦].

وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الروح والراحة، والفلج والفلاح، والنجاح والبركة، والعفو والعافية والمعافاة، والبشرى

(١١٢٤) البلد الأمين: ص١٨٦ شهر شعبان.

(١١٢٥) الكافي: ج١ ص٢٠٨ باب ما فرض الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم من الكون مع الأئمة عليهم السلام ح٣.

(١١٢٦) بصائر الدرجات: ص٥٤ ب٢٣ ح٣.

والنصرة، والرضا والقرب والقرابة، والنصر والظفر والتمكين، والسرور والمحبة من الله تبارك وتعالى على من أحب علي بن أبي طالب، وحق علي أن أدخلهم في شفاعتي، وحق على ربي أن يستجيب لي فيهم، وهم أتباعي ومن تبعني فإنه مني، جرى فيَّ مثل إبراهيم عليه السلام وفي الأوصياء من بعدي؛ لأني من إبراهيم وإبراهيم مني، دينه ديني، وسنته سنتي، وأنا أفضل منه، وفضلي من فضله، وفضله من فضلي، وتصديق قولي قول ربي: ﴿**ذرية بعضها من بعضٍ والله سميع عليم**﴾[1127]»[1128].

وعن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي جعفر عليه السلام ـ في حديث الاستطاعة ـ قال: «الناس كلهم مختلفون في إصابة القول وكلهم هالك». قال: قلت: إلا من رحم ربك؟. قال: «هم شيعتنا ولرحمته خلقهم، وهو قوله: ﴿**ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم**﴾[1129]، يقول: طاعة الإمام الرحمة التي يقول: ﴿**ورحمتي وسعت كل شيء**﴾[1130]، يقول: علم الإمام ووسع علمه الذي هو من علمه كل شيء، هم شيعتنا ـ إلى أن قال: ـ ﴿**ويحل لهم الطيبات**﴾[1131] أخذ العلم من أهله ﴿**ويحرم عليهم الخبائث**﴾[1132] والخبائث قول من خالف»[1133].

(١١٢٧) سورة آل عمران: ٣٤.

(١١٢٨) المحاسن: ج١ ص١٥٢ ب٢٠ ح٧٤.

(١١٢٩) سورة هود: ١١٨ -١١٩.

(١١٣٠) سورة الأعراف: ١٥٦.

(١١٣١) سورة الأعراف: ١٥٧.

(١١٣٢) سورة الأعراف: ١٥٧.

(١١٣٣) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٦٧ -٦٨ ب٧ ح٣٣٢١٨.

وعن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «يغدو الناس على ثلاثة أصناف: عالم ومتعلم وغثاء، فنحن العلماء، وشيعتنا المتعلمون، وسائر الناس غثاء»(١١٣٤).

وعن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام، قال: «أما إنه ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب إلا شيء أخذوه منا أهل البيت، ولا أحد من الناس يقضي بحق ولا عدل إلاّ ومفتاح ذلك القضاء وبابه وأوله وسننه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فإذا اشتبهت عليهم الأمور كان الخطأ من قبلهم إذا أخطئوا، والصواب من قبل علي بن أبي طالب عليه السلام إذا أصابوا»(١١٣٥).

دفع الشبهة والدفاع عن النفس

مسألتان: يجوز ـ بالمعنى الأعم ـ أن يدفع الإنسان الشبهة ويدافع عن نفسه، فربما قد يتصور البعض أن الإمام عليه السلام ونى عن دينه ـ والعياذ بالله ـ أو أخطأ مقدوره، وذلك في قضية الدفاع عن الصديقة الطاهرة عليها السلام، فأراد الإمام عليه السلام أن يبين صحة موقفه حيث كان مطابقاً للدين كل المطابقة، فهو عليه السلام وإن كان يخاطب الزهراء عليها السلام ولكنه أراد إفهام الغير، وإلاّ فإنها عليها السلام كانت تعلم بصحة موقفه عليه السلام قطعاً.

عن أبي مريم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قتل دون مظلمتـه فهو شهيد ـ ثم قال ـ يا أبا مريم، هل تدري ما دون مظلمته؟».

.....

(١١٣٤) الكافي: ج١ ص٣٤ باب أصناف الناس ح٤.

(١١٣٥) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٢٨٣ ب٧ ح٢١٣٥٤.

قلت: جعلت فداك الرجل يقتل دون أهله، ودون ماله، وأشباه ذلك. فقال: «يا أبا مريم، إن من الفقه عرفان الحق»[١١٣٦].

إضاءات

يمكن استفادة عدة نقاط من هاتين الجملتين:

منها: إن قوله عليه السلام: «فما ونيت عن ديني» سد لباب توهم من قد يتوهم ـ على مر التاريخ ـ بأنه عليه السلام قد ضعف واستكان في الدفاع عن الصديقة عليها السلام أو عن حقه في الخلافة، فهو عليه السلام يؤكد أن موقفه لم يكن عن ضعف في الدين دون ريب ـ وهو الصادق المصدق الذي قال عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «علي مع الحق»[١١٣٧] أي في قوله وفعله وتقريره ومواقفه[١١٣٨] وحالاته .. «والحق مع علي» كذلك في كل حالاته ومواقفه وأقواله وأفعاله وتقاريره.

ومنها: إن فاء التفريع تدل على أن حزن الصديقة فاطمة عليها السلام لم يكن على فدك لما هي هي، بل على غصب الخلافة، فكأنها عليها السلام سألت عن عدم تصديه عليه السلام لهم وإرجاع الأمر إلى نصابه، فأجاب بـ «فما ونيت عن ديني» فربما يكون هذا هو الأنسب بذاك.

ومنها: إن الأمام عليه السلام يشير إلى حقيقتين تكمل إحداهما الأخرى:

الأولى: تتعلق به عليه السلام وبفلسفة طريقة تعامله مع الأحداث التي جرت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(١١٣٦) الكافي: ج٥ ص٥٢ باب من قتل دون مظلمته ح٢.

(١١٣٧) إعلام الورى: ص١٥٩ ب٢.

(١١٣٨) الموقف: من مصاديق الفعل كما لا يخفى.

والثانية: تتعلق بالتقدير الإلهي العام وتكشف عن معرفته عليه السلام والتزامه به[١١٣٩].

وقد أشار عليه السلام إلى الحقيقة الأولى بقوله: «فما ونيت عن ديني»، وإلى الثانية بقوله: «ولا أخطأت مقدوري».

ومنها: إن قوله عليه السلام «ما ونيت عن ديني» ليس إخباراً لها عليها السلام بما لاتعلمه، إذ الأمر بديهي بالنسبة لها وهي عالمة بسمو منزلته عليه السلام وعالمة بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له بالصبر، بل من باب (إياك أعني واسمعي يا جاره)[١١٤٠].

قوله عليه السلام: «فما ونيت» بمعنى ما ضعفت، من (ونى يَني ونياً) بمعنى العجز والضعف. وفي اللغة: (ونيت في الأمر: ضعفت وفترت)[١١٤١].

لماذا لم يقم عليه السلام بالأمر؟

مسألة: يشير الإمام عليه السلام بقوله: «ولا أخطأت مقدوري» إلى أنه لم يكن في مقدوره الشرعي أكثر من الذي عمله، أي أنه عليه السلام قد عرف ما قدره الله له والتزم به ولم يتجاوزه لا قصوراً ولا تقصيراً.

فإن القدرة قد يراد بها القدرة العقلية، وقد يراد بها القدرة الشرعية، وأمير المؤمنين علي عليه السلام وإن كانت له القدرة العقلية لكن الشرع أمره فائتمر بالصبر حتى لا تحدث الفتنة التي كان يتربصها الأعداء من الفرس والروم وغيرهم للقضاء على الإسلام والمسلمين إذ قد سبق أن بيّنا أن قيامه عليه السلام بالأمر وإشهاره

(١١٣٩) غير خفي أن الحقيقة الأولى من مصاديق الحقيقة الثانية.

(١١٤٠) الكافي: ج٢ ص٦٣٠ -٦٣١ باب النوادر ح١٤.

(١١٤١) انظر لسان العرب مادة (ونى) ومجمع البحرين: مادة (ونى).

السلاح كان يوجب وقوع حرب داخلية شعواء لا يمكن السيطرة على نتائجها، فينتهز الفرس والروم الفرصة للانقضاض على الإسلام واقتلاعه من الجذور، إضافة إلى أنه لو تحارب المسلمون في المدينة، ارتدت الجزيرة العربية عن الإسلام لأنه كان جديداً عليهم ولم يتجذر في نفوسهم، ولذا قال عليه السلام حينما أرادوا نبش قبر الصديقة الزهراء (صلوات الله عليها) ومنعهم عن ذلك: «أما حقي فقد تركته مخافة أن يرتد الناس»[١١٤٢].

لا يقال: كيف ذاك[١١٤٣] وهو عليه السلام كان يقول إذا وجدت أربعين شخصاً فسأقوم بالأمر[١١٤٤] وما أشبه؟.

إذ يقال: لعله عليه السلام كان بالأربعين شخصاً يسيطر على الوضع فلا تحدث فتنة ولا هرج ومرج ولا حرب.

هذا ولعله كان جواباً على حسب عقلية السائلين أو من سيصل الجواب إليهم[١١٤٥]، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»[١١٤٦].

.....

هذا كله بعد استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى حين، لكن لما قوى الإسلام ولم

(١١٤٢) انظر بحار الأنوار: ج٤٣ ص١٧١ ب٧.

(١١٤٣) أي لو كانت ثورته سبباً لانقضاض الروم والفرس وسبباً لارتداد الناس فكيف كان يقول إنه كان سيقوم بالأمر ويثور لو توفّر له الأربعون، ألم يكن الأمر حينئذٍ أيضاً كذلك (أي ألم تكن ثورته وله الأربعون أيضاً سبباً لانقضاض الروم ولارتداد الناس)؟.

(١١٤٤) راجع شرح نهج البلاغة: ج٢ ص٢٢ حديث السقيفة.

(١١٤٥) إذ لعل السائل يعرف، لكن الإجابة لكي تصل لغيره.

(١١٤٦) الكافي: ج١ ص٢٣ كتاب العقل والجهل ح١٥، والكافي: ج٨ ص٢٦٨ حديث نوح عليه السلام يوم القيامة ح٣٩٤.

يكن خوف الارتداد، ولا انقضاض ما بقي من الفرس والروم ككل، قام عليه السلام بالأمر واستعد لأن يحارب ـ دفاعاً ـ في الجمل والنهروان وصفين.

نقل عاصمة الخلافة

ومن نافلة القول أن نشير إلى أن أمير المؤمنين عليه السلام إنما نقل الخلافة إلى الكوفة، ولم يرجعها إلى المدينة المنورة؛ لأن المدينة لم تكن حاضرة ذا سوابق تاريخية بحيث يمكن أن تكون مركز ثقل الإسلام بعد توسعه شرقاً وغرباً، نعم هي كانت أفضل مكان لعاصمة الإسلام في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أما الكوفة فقد كانت قريبة من عاصمة الفرس بغداد التي تمرست في الحكم، ولذا نقل الإمام عليه السلام عاصمة دولة الإسلام إليها، فإن الحكم وإن أمكن ابتداؤه في مكان غير متمرس إلا أنه لا يمكن دوامه كذلك، ولذا نشاهد أن مركز الحكم انتقل أيضاً من الكوفة ـ بعد قرن تقريباً ـ إلى بغداد العاصمة المتمرسة ذات البُنى المؤسساتية، كما أن حكم بني أمية في الشام كان وضعاً للشيء في غير موضعه، وفي المقابل كان من أسباب تمكن العثمانيين في القسطنطينية والاستمرار لعدة قرون أن القسطنطينية كانت عاصمة الروم المتمرسة في الحكم، ولنفس السبب لم تتمكن سامراء من أن تحتوي الحكومة العباسية وتبقى عاصمة ولذا عادت بعد لأيٍ[1147] إلى بغداد. وتفصيل البحث في الكتب السياسية وما يرتبط بنظام الحكم وقوام استقرار الدول.

فإن كنتِ تريدين البلغة فرزقكِ مضمون

طمأنة المظلوم

(١١٤٧) أي فترة ومكث.

مسألة: يستحب مواساة المظلوم وطمأنته، تأسياً بالإمام عليه السلام في كلامه هذا ولسائر الأدلة، ومن مصاديق ذلك أن يبين له بأن رزقه مضمون، هذا بالنسبة إلى المظلوم في رزقه، وأما المظلوم من جهة تعرضه لاعتداء يمس جسده كالضرب، أو روحه كتلويث سمعته أو ما أشبه، فينبغي أن يبيَّن له أن الله سبحانه وتعالى يعوّضه أجراً وثواباً ـ كما سيأتي ـ وأنه عزوجل سينتقم من ظالمه، إلى غير ذلك؛ فإنه كله مصداق لقوله تعالى: ﴿**وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبرِ**﴾(١١٤٨).

المراد بـ (البلغة) و (الرزق)؟

قوله عليه السلام: «فإن كنتِ تريدين البلغة» يحتمل فيه إرادة الأعم من البلغة الشخصية والبلغة النوعية وإن احتمل الانصراف للأول، فإن (البلغة) ما يبلغ به الإنسان مراده، وما يراد بلوغه قد يكون مراداً شخصياً ـ كضمان وضعه الخاص ـ وقد يكون نوعياً كخدمة الناس وهدايتهم إلى الصراط المستقيم والذب عن حياض الشريعة.

و(الرزق) أيضاً يطلق على كلا النوعين، إذ لا شك أن ما يحصل عليه المرء من مال ليبذله في سبيل الله رزق للإنسان، فقوله عليه السلام: «فإن كنتِ تريدين البلغة فرزقكِ مضمون» لا يبعد أن يراد به الأعم الشامل للجانبين الشخصي والنوعي وهذا هو الأنسب بمقام الصديقة الطاهرة عليها السلام.

ولو فرض أن المراد هو الجانب الشخصي فقط فنقول:

أولا: إن هذا كمال وليس نقصاً، إذ طلب الرزق من الله ابتغاء من فضله

(١١٤٨) سورة العصر: ٣.

قال تعالى: ﴿**وابتغوا من فضلِ الله**﴾[١١٤٩] وهو مطلوب، والمطالبة بالحق الشخصي محبذة شرعاً حتى ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من قتل دون ماله فهو شهيد»[١١٥٠].

وفي رواية أخرى: «فهو بمنزلة الشهيد»[١١٥١].

وفي الرضوي عليه السلام: «والجهاد واجب مع الإمام العدل، ومن قُتل دون ماله فهو شهيد»[١١٥٢].

وفي رواية أخرى: «فقُتل دون ماله ورحله ونفسه فهو شهيد»[١١٥٣].

ثانيا: يمكن أن يكون الحوار كله بلحاظ من يبلغهم الخطاب فهو على قدر فهم السامعين[١١٥٤] إذ أن إثارة الجانب الشخصي قد تكون أشد إثارة للعواطف وأقوى في مقام محاجة القوم، خاصة مع لحاظ أن القوم عزموا على حرمانهم من حقهم في الخلافة، وهو عليه السلام قد جمع في حديثه بين الجانب النوعي (فما ونيت عن ديني ...) والشخصي، على فرضه كما سبق.

ثالثا: القضية الشرطية ـ كما هو ثابت في المنطق ـ تصدق حتى مع عدم

.....

وقوع المقدم بل حتى مع استحالته ـ كما في ﴿**لو كان فِيهِما آلِهَة إِلا الله**

(١١٤٩) سورة الجمعة: ١٠.

(١١٥٠) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٩٥ باب تحريم الدماء والأموال بغير حقها ح٥١٦١.

(١١٥١) الكافي: ج٥ ص٥٢ باب من قتل دون مظلمته ح٣.

(١١٥٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص١٢٤ ب٣٥ ح١.

(١١٥٣) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٤٩ ب١٢ ح١٩٩٦٣.

(١١٥٤) وقد يكون بقصد أن يصل للخصم أن كل ما يقوم به لا يؤدي لغرضه وأن ما خطط له لا يصل إليه.

﴿لفسدتا﴾[1155] ـ وعلى هذا فلا دلالة في «وإن كنتِ تريدين البلغة» على إرادتها للبلغة[1156] فعلاً، فليتأمل جيداً.

قوله عليه السلام: «فإن كنتِ تريدين البلغة فرزقكِ مضمون»، البلغة: الكفاية لها ولأولادها، فإنها ما يتبلّغ به من العيش وهو قدر الكفاف والعفاف في المعيشة، وما دام الرزق مضموناً فلا فرق فيه بين رزق الوالدة وأولادها ولذلك لم يذكر (عليه الصلاة والسلام) بلغة الأولاد لأنه يفهم من قوله عليه السلام (مضمون).

(١١٥٥) سورة الأنبياء: ٢٢.

(١١٥٦) إذا فسرت بالمعنى الشخصي.

روح التوكل على الله

مسألة: ينبغي إشاعة وبث وتقوية روح التوكل على الله في الناس عامة، وفي المظلومين خاصة، ومن مصاديقه أن يبّين للمظلوم أن ما أعدّ الله له أفضل مما قطعوا عنه، كما صنع عليه السلام في كلامه لها عليها السلام؛ فإن من الواضح أن ما أعدّ الله سبحانه وتعالى في الآخرة للمتقين والصابرين والمظلومين خير من الدنيا وما فيها، فكيف بذلك الجزء البسيط الذي قطع عن الإنسان في هذه الدنيا الزائلة؟! ذلك أن الإنسان سيرى في الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما ورد بذلك النص(١١٥٧).

وقد فصل في محله أن حالة (التوكل على الله) لا تعني (التواكل) بل هي تضاده وتعاكسه، فلا يقال: إن في ذلك تثبيطاً لهمم المظلومين.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن الغنى والعز يجولان فإذا ظفرا بموضع التوكل أوطناه»(١١٥٨).

وعن علي بن سويد، عن أبي الحسن الأول عليه السلام، قال: سألته عن قول الله عزوجل: ﴿**ومن يتوكل على اللهِ فهو حسبه**﴾(١١٥٩)؟. فقال: «التوكل على الله درجات منها: أن تتوكل على الله في أمورك كلها، فما فعل بك كنت عنه راضياً تعلم أنه لايألوك خيراً وفضلاً، وتعلم أن الحكم في ذلك له فتوكل على الله

(١١٥٧) راجع من لا يحضره الفقيه: ج١ ص٢٩٥ باب الأذان والإقامة وثواب المؤذنين ح٩٠٥.

(١١٥٨) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢١٦ ب١١ ح١٢٧٨٢.

(١١٥٩) سورة الطلاق: ٣.

بتفويض ذلك إليه وثق به فيها وفي غيرها»[١١٦٠].

وعن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من أُعطي ثلاثاً لم يمنع ثلاثاً: من أعطي الدعاء أعطي الإجابة، ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة، ومن أعطي التوكل أعطي الكفاية ـ ثم قال ـ أتلوت كتاب الله عزوجل: ﴿**ومن يتوكل على اللهِ فهو حسبه**﴾[١١٦١] وقال: ﴿**لئن شكرتم لأزيدنكم**﴾[١١٦٢] وقال: ﴿**ادعوني أستجب لكم**﴾[١١٦٣]»[١١٦٤].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «ليس شيء إلا وله حد». قال: قلت: جعلت فداك، فما حد التوكل؟. قال: «اليقين». قلت: فما حد اليقين؟. قال: «أن لا تخاف مع الله شيئاً»[١١٦٥].

وعن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي، عن أبيه، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أبا ذر، إن سرّك أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله، وإن سرّك أن تكون أكرم الناس فاتق الله عزوجل، وإن سرّك أن تكون أغنى الناس فكن بما في يدي الله عزوجل أوثق منك بما في يديك. يا أبا ذر، لو أن الناس كلهم أخذوا بهذه الآية لكفتهم ﴿**ومن يتقِ الله يجعل له مخرجا ۞ ويرزقه مِن حيث لا يحتسِب ومن يتوكل على اللهِ فهو حسبه إن الله بالغ**

(١١٦٠) الكافي: ج٢ ص٦٣ باب التفويض إلى الله والتوكل عليه ح٥.

(١١٦١) سورة الطلاق: ٣.

(١١٦٢) سورة إبراهيم: ٧.

(١١٦٣) سورة غافر: ٦٠.

(١١٦٤) بحار الأنوار: ج٦٨ ص١٢٩ ب٦٣ ح٦.

(١١٦٥) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص١٨٤.

أمرِهِ قد جعل الله لِكل شيءٍ قدرا﴾[1166] »[1167].

قوله عليه السلام: «وكفيلكِ مأمون» المراد بالكفيل: هو الله سبحانه وتعالى، ويحتمل أن يكون المراد به هو الإمام عليه السلام إذ هو المتكفل بشؤونها عليها السلام وهو الكفيل لها.

و(المأمون) من لا يحتمل فيه أن يخلف وعده أو يكذب.

أما بالنسبة إلى كلي تكفل الله سبحانه بالأرزاق، فإن المراد به طبيعة الأمر، فلا يقال: فكيف يموت كثير من الناس جوعاً؟.

وذلك كما ورد: أن الدعاء يستجاب كما قال تعالى: ﴿**ادعوني أستجِب لكم**﴾[1168] أي طبيعة الدعاء، أو ما يقال: من أن الدواء الفلاني شفاء للمرض الكذائي ونحو ذلك؛ فإنه على نحو المقتضي، ولابد فيه من توفر الشروط وانتفاء الموانع أيضاً وليس على نحو العلية التامة والقضية الخارجية في كل مورد مورد، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

(١١٦٦) سورة الطلاق: ٢ -٣.

(١١٦٧) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢١٦ ب١١ ح١٢٧٨١.

(١١٦٨) سورة غافر: ٦٠.

ثواب الله أعظم

مسألة: يلزم الاعتقاد بأن ما أعدّه الله للصديقة فاطمة عليها السلام من الأجر والثواب والمقام[١١٦٩] وما شابه أفضل مما غُصب منها، ويستحب بيان ذلك للناس.

وهذه صغرى من صغريات ما تقدم.

ثم إن فاطمة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) لها من الأجر والثواب والفضيلة والكرامة في الآخرة ما لأمير المؤمنين علي عليه السلام، وهما في المرتبة الثانية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الفضائل والمقامات الأخروية حسب بعض الروايات التي ذكرها السيد البحراني[١١٧٠] قدس سره في (معالم الزلفى)، وغيره في غيره.

(١١٦٩) كمقام الشفاعة الكبرى.

(١١٧٠) السيد هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبد الجواد بن علي بن سليمان بن السيد ناصر الحسيني البحراني التوبلي الكتكاني، كان (رضوان الله عليه) من أولاد السيد المرتضى علم الهدى (رضوان الله عليه). ولد رحمه الله في كتكان في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري القمري. رحل إلى النجف الأشرف وأقام فيها مدة من الزمن طلباً للعلم. انتهت إلى السيد رحمه الله رئاسة البلد بعد الشيخ محمد بن ماجد بن مسعود البحراني الماحوزي، فقام بالقضاء في البلاد وتولي الأمور الحسبية وقام بذلك أحسن قيام، وقمع أيدي الظلمة والحكام، ونشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالغ في ذلك وأكثر، ولم تأخذه لومة لائم في الدين، وكان من الأتقياء المتورعين، شديداً على الملوك والسلاطين.
صنف رحمه الله كتباً عديدة تشهد بعمق تتبعه وسعة اطلاعه تبلغ خمسة وسبعين مؤلفاً بين صغير ووسيط وكبير، منها: ١: إثبات الوصية، ٢: احتجاج المخالفين على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، ٣: الإنصاف في النص على الأئمة الأشراف من آل عبد مناف، ٤: إيضاح المسترشدين في بيان تراجم الراجعين إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وقد يعبر عنه بـ (هداية المستبصرين)، ٥: البرهان في تفسير القرآن، ٦: البهجة المرضية في إثبات الخلافة والوصية، ٧: بهجة النظر في إثبات الوصاية والإمامة للأئمة الاثني عشر، ◄

مقام فاطمة عليها السلام في القيامة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: يا معشر الخلائق، غضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم»(١١٧١).

وفي رواية أخرى: «إذا كان يوم القيامة قيل: يا أهل الجمع، غضّوا أبصاركم تمر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فتمر وعليها ريطتان حمراوان»(١١٧٢).

وعن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تحشر ابنتي فاطمة عليها السلام عليها حلة الكرامة قد عجنت بماء الحيوان، تنظر إليها الخلائق فيتعجبون منها، ثم تُكسى حلة من حلل الجنة، وهي ألف حلة مكتوب على كل حلة بخط أخضر: (أدخلوا ابنة محمد الجنة على أحسن صورة وأحسن كرامة وأحسن منظر) فتزف إلى الجنة كما تزف العروس، ويوكل بها سبعون ألف جارية»(١١٧٣).

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كان يوم القيامة تقبل ابنتي فاطمة عليها السلام على ناقة من نوق الجنة، مدبجة الجنبين،

◄٨: تبصرة الولي فيمن رأي المهدي عليه السلام في زمان أبيه عليه السلام وفي أيام الغيبة الصغرى والكبرى، ٩: التحفة البهية في إثبات الوصية لعلي عليه السلام، ١٠: ترتيب التهذيب، وغيرها. توفي رحمه الله سنة (١١٠٧) أو (١١٠٩) من الهجرة في قرية نعيم، ونقل جثمانه الشريف إلى قرية توبلي، ودفن في مقبرة ماتيني من مساجد القرية المشهورة، وقبره مزار معروف.

(١١٧١) تفسير فرات الكوفي: ص٤٤٣ ومن سورة الطور ح٥٨٥.

(١١٧٢) بحار الأنوار: ج٤٣ ص٢٢٠ -٢٢١ ب٨ ح٥.

(١١٧٣) دلائل الإمامة: ص٥٨ أخبار في مناقبها عليها السلام.

خطمها من لؤلؤ رطب، قوائمها من الزمرد الأخضر، ذنبها من المسك الأذفر، عيناها ياقوتتان حمراوان، عليها قبة من نور، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، داخلها عفو الله، وخارجها رحمة الله، على رأسها تاج من نور، للتاج سبعون ركناً، كل ركن مرصع بالدر والياقوت، يضيء كما يضيء الكوكب الدري في أفق السماء، وعن يمينها سبعون ألف ملك، وعن شمالها سبعون ألف ملك، وجبرئيل آخذ بخطام الناقة ينادي بأعلى صوته: غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم. فلا يبقى يومئذ نبي ولا رسول، ولا صديق ولا شهيد إلا غضوا أبصارهم حتى تجوز فاطمة عليها السلام.

فتسير حتى تحاذي عرش ربها جل جلاله فتزج بنفسها عن ناقتها وتقول: إلهي وسيدي، احكم بيني وبين من ظلمني. اللهم احكم بيني وبين من قتل ولدي.

فإذا النداء من قبل الله جل جلاله: يا حبيبتي وابنة حبيبي، سليني تعطى (أعطك)، واشفعي تشفعي، فو عزتي وجلالي لا جازني ظلم ظالم.

فتقول: إلهي وسيدي، ذريتي وشيعتي، وشيعة ذريتي، ومحبي، ومحبي ذريتي.

فإذا النداء من قبل الله جل جلاله: أين ذرية فاطمة وشيعتها، ومحبوها، ومحبو ذريتها؟. فيقبلون وقد أحاط بهم ملائكة الرحمة، فتقدمهم فاطمة عليها السلام حتى تدخلهم الجنة»[١١٧٤].

(١١٧٤) الأمالي، للصدوق: ص١٧ -١٨ المجلس الخامس ح٤.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «إذا كان يوم القيامة ووقف الخلائق بين يدي الله تعالى، نادى مناد من وراء الحجاب: أيها الناس، غضوا أبصاركم ونكسوا من رؤوسكم؛ فإن فاطمة بنت محمد عليها السلام تجوز على الصراط»(١١٧٥).

وفي حديث أبي أيوب: «فتمر معها سبعون جارية من الحور العين كالبرق اللامع»(١١٧٦).

وعن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: يا معشر الخلائق، غضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم. فتكون أول من تُكسى، ويستقبلها من الفردوس اثنا عشر ألف حوراء لم يستقبلن أحداً قبلها ولا أحداً بعدها على نجائب من ياقوت أجنحتها وأزمتها اللؤلؤ، عليها رحائل من درّ، على كل رحالة منها نمرقة من سندس، وركابها زبرجد. فيجزن بها الصراط حتى ينتهين بها إلى الفردوس، فيتباشر بها أهل الجنان. وفي بطنان الفردوس قصور بيض، وقصور صفر من اللؤلؤ من غرز واحد، وإن في القصور البيض لسبعين ألف دار، منازل محمد وآله صلى الله عليه وآله وسلم، وإن في القصور الصفر لسبعين ألف دار، مساكن إبراهيم وآله عليهم السلام، فتجلس على كرسي من نور، ويجلسن حولها ويبعث إليها ملك لم يبعث إلى أحد قبلها ولا يبعث إلى أحد بعدها، فيقول: إن ربك يقرؤك السلام ويقول: سليني أعطكِ. فتقول: قد أتم عليَّ نعمته، وهنأني كرامته، وأباحني جنته، أسأله ولدي وذريتي ومن ودّهم بعدي، وحفظهم من بعدي. فيوحي الله إلى الملك من غير أن يزول من مكانــه: أن سرها وبشرها أنــي

(١١٧٥) المناقب: ج٣ ص٣٢٦ فصل في منزلتها عند الله تعالى.

(١١٧٦) بحار الأنوار: ج٤٣ ص٢٢٣ ب ٨ ح١٠.

قد شفّعتها في وُلدها ومن ودّهم بعدها وحفظهم فيها. فتقول: ﴿**الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن**﴾[1177]»[1178].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كان يوم القيامة جاءت فاطمة عليها السلام في لمة من نسائها، فيقال لها: ادخلي الجنة. فتقول: لا أدخل حتى أعلم ما صنع بولدي من بعدي. فيقال لها: انظري في قلب القيامة. فتنظر إلى الحسين عليه السلام قائماً وليس عليه رأس، فتصرخ صرخة وأصرخ لصراخها، وتصرخ الملائكة لصراخها. فيغضب الله عزوجل عند ذلك فيأمر ناراً يقال لها: هبهب، قد أوقد عليها ألف عام حتى اسودت، لا يدخلها رَوح أبداً ولا يخرج منها غم أبداً. فيقال: التقطي قتلة الحسين، فتلتقطهم. فإذا صاروا في حوصلتها صهلت وصهلوا بها، وشهقت وشهقوا بها، وزفرت وزفروا بها، فينطقون بألسنة ذلقة طلقة: يا ربنا، فيما أوجبت لنا النار قبل عبدة الأوثان؟. فيأتيهم الجواب عن الله تعالى: أن من علم ليس كمن لا يعلم»[1179].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كان يوم القيامة نصب لفاطمة عليها السلام قبة من نور، ويقبل الحسين عليه السلام ورأسه في يده، فإذا رأته شهقت شهقة لا يبقى في الجمع ملك مقرب ولا نبي مرسل إلاّ بكى لها، فيمثله الله عزوجل لها في أحسن صورة وهو يخاصم قتلته بلا رأس، فيجمع الله عزوجل لها قتلته والمجهزين عليه ومن شركهم في قتله، فأقتلهم حتى آتي على آخرهم، ثم ينشرون فيقتلهم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، ثم ينشرون فيقتلهم الحسن عليه السلام، ثم ينشرون فيقتلهم

(١١٧٧) سورة فاطر: ٣٤.

(١١٧٨) تفسير فرات الكوفي: ص٤٤٣ ومن سورة الطور ح٥٨٥.

(١١٧٩) راجع بحار الأنوار: ج٧ ص١٢٧ ب٦ ح٦، ومثير الأحزان: ص٨١.

الحسين عليه السلام، ثم ينشرون فلا يبقى أحد من ذريتنا إلا قتلهم قتلة، فعند ذلك يكشف الغيظ وينسى الحزن». ثم قال الصادق عليه السلام: «رحم الله شيعتنا، شيعتنا هم والله المؤمنون، فقد والله شركونا في المصيبة بطول الحزن والحسرة»(١١٨٠).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يمثل لفاطمة عليها السلام رأس الحسين عليه السلام متشحطاً بدمه. فتصيح: وا ولداه، وا ثمرة فؤاداه. فتصعق الملائكة لصيحة فاطمة عليها السلام، وينادي أهل القيامة: قتل الله قاتل ولدك يا فاطمة ـ قال ـ فيقول الله عزوجل: ذلك أفعل به وبشيعته وأحبائه وأتباعه. وإن فاطمة عليها السلام في ذلك اليوم على ناقة من نوق الجنة، مدبجة الجنبين، واضحة الخدين، شهلاء العينين، رأسها من الذهب المصفى، وأعناقها من المسك والعنبر، خطامها من الزبرجد الأخضر، رحائلها در مفضض بالجوهر، على الناقة هودج غشاؤها من نور الله، وحشوها من رحمة الله، خطامها فرسخ من فراسخ الدنيا، يحف بهودجها سبعون ألف ملك بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والثناء على رب العالمين، ثم ينادي مناد من بطنان العرش: يا أهل القيامة، غضوا أبصاركم فهذه فاطمة بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وآله تمر على الصراط. فتمر فاطمة عليها السلام وشيعتها على الصراط كالبرق الخاطف. قال النبي صلى الله عليه وآله: ويلقى أعداؤها وأعداء ذريتها في جهنم»(١١٨١).

وعن ابن عباس، قال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «دخل رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم على فاطمة عليها السلام وهي حزينة. فقال لها: ما حزنك يا بنية؟. قالت: يا أبة، ذكرت المحشر ووقوف الناس عراة يوم

(١١٨٠) اللهوف: ص١٣٧ -١٣٩ المسلك الثاني في وصف حال القتال وما يقرب من تلك الحال.

(١١٨١) بحار الأنوار: ج٤٣ ص٢٢٢ -٢٢٣ ب٨ ح٩. عن ثواب الأعمال.

القيامة. قال: يا بنية، إنه ليوم عظيم، ولكن قد أخبرني جبرئيل عليه السلام عن الله عزوجل أنه قال: أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة أنا، ثم أبي إبراهيم، ثم بعلك علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم يبعث الله إليكِ جبرئيل في سبعين ألف ملك، فيضرب على قبركِ سبع قباب من نور، ثم يأتيكِ إسرافيل بثلاث حلل من نور، فيقف عند رأسكِ فيناديكِ: يا فاطمة ابنة محمد، قومي إلى محشركِ. فتقومين آمنة روعتكِ، مستورة عورتكِ، فيناولكِ إسرافيل الحلل فتلبسينها، ويأتيك روفائيل بنجيبة من نور، زمامها من لؤلؤ رطب، عليها محفة من ذهب، فتركبينها ويقود روفائيل بزمامها، وبين يديك سبعون ألف ملك، بأيديهم ألوية التسبيح، وإذا جد بك السير استقبلتك سبعون ألف حوراء يستبشرون بالنظر إليكِ، بيد كل واحدة منهن مجمرة من نور يسطع منها ريح العود من غير نار، وعليهن أكاليل الجوهر مرصع بالزبرجد الأخضر فيسرن عن يمينكِ، فإذا مثل الذي سرت من قبركِ إلى أن لقينكِ استقبلتكِ مريم بنت عمران عليها السلام في مثل من معكِ من الحور، فتسلم عليك وتسير هي ومن معها عن يسارك، ثم استقبلتكِ أمكِ خديجة بنت خويلد عليها السلام أول المؤمنات بالله ورسوله ومعها سبعون ألف ملك بأيديهم ألوية التكبير، فإذا قربتِ من الجمع استقبلتكِ حواء عليها السلام في سبعين ألف حوراء ومعها آسية بنت مزاحم عليها السلام فتسير هي ومن معها معكِ، فإذا توسطتِ الجمع وذلك أن الله يجمع الخلائق في صعيد واحد فيستوي بهم الأقدام، ثم ينادي مناد من تحت العرش يسمع الخلائق: غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة الصديقة ابنة محمد صلى الله عليه وآله ومن معها. فلا ينظر إليكِ يومئذ إلاّ إبراهيم خليل الرحمن (صلوات الله وسلامه عليه) وعلي بن أبي طالب عليه السلام، ويطلب آدم حواء

فيراها مع أمكِ خديجة أمامكِ، ثم ينصب لكِ منبر من نور فيه سبع مراق، بين المرقاة إلى المرقاة صفوف الملائكة بأيديهم ألوية النور، وتصطف الحور العين عن يمين المنبر وعن يساره، وأقرب النساء منكِ عن يسارِكِ حواء وآسية بنت مزاحم، فإذا صرت في أعلى المنبر أتاكِ جبرئيل عليه السلام، فيقول لكِ: يا فاطمة، سلي حاجتك. فتقولين: يا رب، أرني الحسن والحسين عليهما السلام. فيأتيانك وأوداج الحسين تشخب دماً وهو يقول: يا رب، خذ لي اليوم حقي ممن ظلمني. فيغضب عند ذلك الجليل وتغضب لغضبه جهنم والملائكة أجمعون.

فتزفر جهنم عند ذلك زفرة، ثم يخرج فوج من النار فيلتقط قتلة الحسين وأبناءهم وأبناء أبنائهم. ويقولون: يا رب، إنا لم نحضر الحسين عليه السلام. فيقول الله لزبانية جهنم: خذوهم بسيماهم بزرقة الأعين وسواد الوجوه، خذوا بنواصيهم فألقوهم في الدرك الأسفل من النار، فإنهم كانوا أشد على أولياء الحسين من آبائهم الذين حاربوا الحسين فقتلوه. فيسمع شهيقهم في جهنم»(١١٨٢).

وفي الحديث: «ثم يقول جبرئيل عليه السلام: يا فاطمة، سلي حاجتك.

فتقولين: يا رب شيعتي. فيقول الله: قد غفرت لهم.

فتقولين: يا رب، شيعة ولدي. فيقول الله: قد غفرت لهم.

فتقولين: يا رب، شيعة شيعتي.

فيقول الله: انطلقي فمن اعتصم بكِ فهو معكِ في الجنة.

فعند ذلك يود الخلائق أنهم كانوا فاطميين!، فتسيرين ومعكِ شيعتكِ وشيعة ولدكِ وشيعة أمير المؤمنين عليه السلام آمنة روعاتهم، مستورة عوراتهم، قد

(١١٨٢) تفسير فرات الكوفي: ص ٤٤٤ -٤٤٦ ومن سورة الطور ح٥٨٧.

ذهبت عنهم الشدائد، وسهلت لهم الموارد، يخاف الناس وهم لا يخافون، ويظمأ الناس وهم لا يظمئون، فإذا بلغتِ باب الجنة تلقتكِ اثنا عشر ألف حوراء لم يتلقين أحداً كان قبلكِ ولا يتلقين أحداً كان بعدكِ، بأيديهم حراب من نور، على نجائب من نور، رحائلها من الذهب الأصفر والياقوت، أزمتها من لؤلؤ رطب، على كل نجيبة نمرقة من سندس منضود، فإذا دخلتِ الجنة تباشر بكِ أهلها، ووضع لشيعتكِ موائد من جوهر على أعمدة من نور، فيأكلون منها والناس في الحساب، ﴿**وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون**﴾(١١٨٣).

فإذا استقر أولياء الله في الجنة زاركِ آدم عليه السلام ومن دونه من النبيين عليهم السلام، وإن في بطنان الفردوس للؤلؤتان من عرق واحد، لؤلؤة بيضاء ولؤلؤة صفراء فيها قصور ودور، في كل واحدة سبعون ألف دار، البيضاء منازل لنا ولشيعتنا، والصفراء منازل لإبراهيم وآل إبراهيم عليهم السلام.

قالت: يا أبة، فما كنت أحب أن أرى يومك وأبقى بعدك.

قال: يا بنية، لقد أخبرني جبرئيل عليه السلام عن الله أنكِ أول من يلحقني من أهل بيتي، فالويل كله لمن ظلمكِ، والفوز العظيم لمن نصركِ».

قال عطاء: وكان ابن عباس إذا ذكر هذا الحديث تلا هذه الآية: ﴿**والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين**﴾(١١٨٤)، (١١٨٥).

وفي (البحار): عن أبي ذر (رحمة الله عليه) قال: رأيت سلمان وبلالاً يقبلان

(١١٨٣) سورة الأنبياء: ١٠٢.

(١١٨٤) سورة الطور: ٢١.

(١١٨٥) تفسير فرات الكوفي: ص ٤٤٦ -٤٤٧ ومن سورة الطور ح٥٨٧.

إلى النبي ﷺ إذا انكب سلمان على قدم رسول الله ﷺ يقبلها، فزجره النبي ﷺ عن ذلك ثم قال له: «يا سلمان، لا تصنع بي ما تصنع الأعاجم بملوكها، أنا عبد من عبيد الله آكل مما يأكل العبد وأقعد كما يقعد العبد».

فقال سلمان: يا مولاي، سألتك بالله إلا أخبرتني بفضل فاطمة عليها السلام يوم القيامة؟.

قال: فأقبل النبي ﷺ ضاحكاً مستبشراً ثم قال: «والذي نفسي بيده، إنها الجارية التي تجوز في عرصة القيامة على ناقة رأسها من خشية الله، وعيناها من نور الله، وحطامها من جلال الله، وعنقها من بهاء الله، وسنامها من رضوان الله، وذنبها من قدس الله، وقوائمها من مجد الله، إن مشت سبّحت، وإن رغت قدّست، عليها هودج من نور، فيه جارية إنسية، حورية عزيزة، جمعت فخلقت، وصنعت ومثلت من ثلاثة أصناف، فأولها من مسك أذفر، وأوسطها من العنبر الأشهب، وآخرها من الزعفران الأحمر، عجنت بماء الحيوان، لو تفلت تفلة في سبعة أبحر مالحة لعذبت، ولو أخرجت ظفر خنصرها إلى دار الدنيا يغشى الشمس والقمر، جبرئيل عن يمينها، وميكائيل عن شمالها، وعلي عليه السلام أمامها، والحسن والحسين عليهما السلام وراءها، والله يكلؤها ويحفظها، فيجوزون في عرصة القيامة، فإذا النداء من قبل الله جل جلاله: معاشر الخلائق، غضوا أبصاركم ونكسوا رؤوسكم هذه فاطمة بنت محمد نبيكم، زوجة علي إمامكم، أم الحسن والحسين، فتجوز الصراط وعليها ريطتان بيضاوان، فإذا دخلت الجنة ونظرت إلى ما أعد الله لها من الكرامة قرأت: ﴿**بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ الحمدُ للهِ الذي أذهبَ عنا الحزنَ إن ربنا لغفورٌ شكورٌ ۞ الذي أحلنا دارَ**

المقامةِ مِن فضلِهِ لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب﴾[١١٨٦].

قال: فيوحي الله عزوجل إليها: يا فاطمة، سليني أعطكِ وتمني عليَّ أُرضكِ. فتقول: إلهي أنت المنى وفوق المنى، أسألك أن لا تُعذّب محبي ومحبي عترتي بالنار. فيوحي الله إليها: يا فاطمة، وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لقد آليت على نفسي من قبل أن أخلق السماوات والأرض بألفي عام أن لا أعذب محبيكِ ومحبي عترتكِ بالنار»[١١٨٧].

تعويض المظلوم

مسألة: ينبغي أن يُبين للمظلوم ما سيعوضه الله تعالى ويعدّه له من الثواب والأجر، وهذا مما يحافظ على نفسية المظلوم ويجعله صابراً مثاباً، وهو سبب أيضاً لعدم إصابته بالإحباط والكآبة وما أشبه من الأمراض النفسية.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيضربونه، فيقال لهم: من أنتم؟. فيقولون: نحن أهل الصبر. فيقال لهم: على ما صبرتم؟. فيقولون: كنا نصبر على طاعة الله، ونصبر عن معاصي الله. فيقول الله عزوجل: صدقوا أدخلوهم الجنة، وهو قوله عزوجل: **﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغيرِ حسابٍ﴾**[١١٨٨] »[١١٨٩].

وعن أبي الحسن الثالث عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الصادق (صلوات الله عليهم)

(١١٨٦) سورة فاطر: ٣٤ -٣٥.

(١١٨٧) بحار الأنوار: ج٢٧ ص١٣٩ -١٤١ ب٤ ح١٤٤.

(١١٨٨) سورة الزمر: ١٠.

(١١٨٩) مشكاة الأنوار: ص١١٢ ب٣ ف٢.

قال: «ثلاث دعوات لا يحجبن عن الله تعالى: دعاء الوالد لولده إذا برّه ودعوته عليه إذا عقّه، ودعاء المظلوم على ظالمه ودعاؤه لمن انتصر له منه، ورجل مؤمن دعا لأخ له مؤمن واساه فينا ودعاؤه عليه إذا لم يواسه مع القدرة عليه واضطرار أخيه إليه»[١١٩٠].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «دعوة المظلوم مستجابة» [١١٩١].

وعن الحارث، عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يقول الله عزوجل: اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصراً غيري»[١١٩٢].

وعن سعد بن طريف، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «الظلم ثلاثة: ظلم يغفره الله، وظلم لا يغفره الله، وظلم لا يدعه الله. فأما الظلم الذي لا يغفره فالشرك، وأما الظلم الذي يغفره فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله، وأما الظلم الذي لا يدعه فالمداينة بين العباد»[١١٩٣].

وعن حسين بن عثمان ومحمد بن أبي حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن الله يبغض الغني الظلوم»[١١٩٤].

(١١٩٠) بحار الأنوار: ج٧٢ ص٣١٠ ب٧٩ ح١٠.

(١١٩١) وسائل الشيعة: ج٧ ص١٣٠ ب٥٢ ح٨٩٢٢.

(١١٩٢) الأمالي، للطوسي: ص٤٠٥ المجلس١٤ ح٩٠٨ -٥٦.

(١١٩٣) الكافي: ج٢ ص٣٣٠ باب الظلم ح١.

(١١٩٤) ثواب الأعمال: ص٢٧٤ عقاب من ظلم.

احتساب المصائب عند الله

مسألتان: يستحب احتساب المصائب عند الله تعالى، كما يستحب الأمر باحتسابها كذلك. ولا ينبغي أن يتوهم أن قوله لها عليها السلام: «احتسبي» طلب لغير الحاصل، إذ هو كقولهم عليهم السلام في صلواتهم: ﴿**اهدِنا الصراط المستقيم**﴾(١١٩٥) وقد سبق بيان عدة أجوبة عن ذلك(١١٩٦).

ثم إن الخطاب وإن كان لها عليها السلام إلا أنه يعم ويشمل الجميع، كخطابات الكتاب العزيز الموجهة أولاً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم والشاملة لغيره، إلا ما علم اختصاصه به صلى الله عليه وآله وسلم على ما هو مذكور في بحث الخطابات القرآنية.

وإنما قلنا بالاستحباب، لأن الأمر باحتساب المصائب عند الله سبحانه وتعالى من الأمر بالمعروف المستحب؛ فإن الاحتساب من أفضل درجات الصابرين المسلِّمين أمرهم لله عزوجل وهو مشمول لقوله سبحانه: ﴿**الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ۞ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**﴾(١١٩٧).

قوله عليه السلام: «فاحتسبي الله» أي: اجعلي ما ورد عليك من الظلم والعدوان على حساب الله سبحانه وتعالى؛ لأنه بعين الله، والله هو المتكفل بالأمر، وهو الذي سيعوضك بأفضل الجزاء ويعطيك أسنى العطاء.

(١١٩٥) سورة الفاتحة: ٦.

(١١٩٦) منها إرادة المستقبل باعتبار تجدد العزم آناً فآناً، ومنها إرادة المرتبة الأسمى، إلى غير ذلك، فليراجع.

(١١٩٧) سورة البقرة: ١٥٦ -١٥٧.

وماذا عن اسم الله الأعظم؟

لا يقال: لماذا لم يستفد الإمام عليه السلام من قدراته الخاصة كعلمه بالاسم الأعظم ودعائه المستجاب وقدرته على الإعجاز وما أشبه؛ وذلك لكشف هذه الغمة وإرجاع الحق إلى نصابه واجتثاث جذور الظلمة فوراً، ولماذا لم يأمرها باستخدام تلك القدرات، بل أمرها عليها السلام بالصبر والاحتساب عند الله، كما صبر بنفسه عليه السلام [1198] مع أنهما عليها السلام مستجابا الدعوة قطعاً؟.

إذ يقال:

أولا: الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وقد خلقها الله على ذلك وأرادها كذلك، ومن هنا نرى قتل الكثير من الأنبياء عليهم السلام وأنهم عُذبوا بأشد التعذيب، وكذلك أوصياؤهم عليهم السلام على مر الدهور، مع أنه كان بمقدورهم الدعاء المستجاب والطلب من الله لرفع ذلك البلاء والإعجاز لقلب الأمر، ولكنهم لم يستفيدوا من هذه القدرات الإعجازية إلا في أقصى الضرورات وذلك ﴿**ليميز الله الخبيث من الطيب**﴾[1199]، وقد قال تعالى: ﴿**أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ۞ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**﴾[1200]، إلى غيرها[1201].

(١١٩٨) بل أمر سلمان أن يطلب منها عليها السلام عدم كشف رأسها للدعاء.

(١١٩٩) سورة الأنفال: ٣٧.

(١٢٠٠) سورة العنكبوت: ٢ -٣.

(١٢٠١) فالدعاء الحتمي الإجابة إذا كان يغير المعادلات الكونية دائماً ويوجب التدخل الغيبي المستمر، فإنه يناقض الهدف من الخلقة والامتحان كما لا يخفى.

عن عبد الرحمن بن الحجاج، قال: ذكر عند أبي عبد الله عليه السلام البلاء وما يخص الله عزوجل به المؤمن. فقال: «سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أشد الناس بلاءً في الدنيا؟. فقال: النبيون ثم الأمثل فالأمثل، ويبتلى المؤمن بعدُ على قدر إيمانه وحسن أعماله، فمن صح إيمانه وحسن عمله اشتد بلاؤه، ومن سخف إيمانه وضعف عمله قل بلاؤه»(١٢٠٢).

وعن معاوية بن عمار، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إن الله لم يؤمن المؤمن من بلايا الدنيا ولكن آمنه من العمى في الآخرة، ومن الشقاء يعني عمى البصر»(١٢٠٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن الله عزوجل يبتلي المؤمن بكل بلية ويميته بكل ميتة ولا يبتليه بذهاب عقله، أما ترى أيوب عليه السلام كيف سلط إبليس على ماله وعلى ولده وعلى أهله وعلى كل شيء منه ولم يسلط على عقله ترك له ليوحد الله به»(١٢٠٤).

وعن زيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن عظيم الأجر لمع عظيم البلاء، وما أحب الله قوماً إلا ابتلاهم»(١٢٠٥).

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن لله عباداً في الأرض من خالص عباده، ليس ينزل من السماء تحفة للدنيا إلاّ صرفها عنهم إلى غيرهم، ولا ينزل من السماء بلاء للآخرة إلاّ صرفه إليهم، وهم شيعة علي عليه السلام

(١٢٠٢) الكافي: ج٢ ص٢٥٢ باب شدة ابتلاء المؤمن ح٢.

(١٢٠٣) صفات الشيعة: ص٣٣ ح٥٠.

(١٢٠٤) مستدرك الوسائل: ج٢ ص١٤٥ ب٣٩ ح١٦٥٦.

(١٢٠٥) وسائل الشيعة: ج٣ ص٢٦٣ ب٧٧ ح٣٥٩٣.

وأهل بيته»[١٢٠٦].

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً غته بالبلاء غتاً، وثجه بالبلاء ثجاً، فإذا دعاه قال: لبيك عبدي، لئن عجلت لك ما سألت إني على ذلك لقادر، ولئن ادخرت لك فما ادخرت لك خير لك»[١٢٠٧].

وعن زيد أبي أسامة الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن عظيم البلاء يكافأ به عظيم الجزاء، وإذا أحب الله عبداً ابتلاه بعظيم البلاء، فمن رضي فله الرضا عند الله عزوجل، ومن سخط البلاء فله السخط»[١٢٠٨].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «وعك أبو ذر، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله، إن أبا ذر قد وعك. فقال: امض بنا إليه نعوده. فمضينا إليه جميعاً، فلما جلسنا قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كيف أصبحت يا أبا ذر؟. قال: أصبحت وعكاً يا رسول الله. فقال: أصبحت في روضة من رياض الجنة، قد انغمست في ماء الحيوان، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك فأبشر يا أبا ذر»[١٢٠٩].

وعن الباقر عليه السلام، قال: «إنما يبتلى المؤمن في الدنيا على قدر دينه ـ أو قال ـ على حسب دينه»[١٢١٠].

وروي: «أن نبياً من الأنبياء مر برجل قد جهده البلاء. فقال: يا رب، أما

(١٢٠٦) التمحيص: ص٣٥ ب١ ح٢٦.

(١٢٠٧) مشكاة الأنوار: ص٢٩٧ ب٧ ف٧.

(١٢٠٨) الخصال: ج١ ص١٨ إذا أحب الله عزوجل عبدا ابتلاه بعظيم البلاء ح٦٤.

(١٢٠٩) الدعوات: ص١٦٧ -١٦٨ ب٣ فصل في صلاة المريض وصلاحه وأدبه ودعائه عند المرض ح٤٦٧.

(١٢١٠) مشكاة الأنوار: ص٢٩٨ ب٧ ف٧.

ترحم هذا مما به؟. فأوحى الله إليه: كيف أرحمه مما به أرحمه»[١٢١١].

ثانيا: كما أنه في عالم التكوينيات والماديات مُعدّ ومقتضٍ وشروط وموانع، كذلك في عالم المعنويات والماورائيات وعالم التأثيرات الغيبية على الظواهر الطبيعية، فمثلاً في عالم الأمور التكوينية يُعدّ إطلاق الرصاص مؤثراً في قتل الإنسان، إلاّ أنه ليس بعلة تامة، إذ اللازم ـ بعد أن تتوفر في الآلة القاتلة (كالمسدس مثلاً) كافة الشرائط في حد ذاتها ـ أن يكون المطلق ذا شأنية ومقدرة على الإطلاق أولاً، وعلى التوجيه نحو الهدف ثانياً، كما يلزم عدم وجود حائل أو مانع مبطل لأثر الطلقة بعد إطلاقها وهي في الطريق والفضاء، كما تبطل الصواريخ في الهواء بسبب صاروخ مضاد ـ ثالثاً.

كذلك الأمر في عالم التأثيرات الغيبية على الظواهر الطبيعية، مثل تأثير اسم الله الأعظم الذي «إذا دعي به على مغالق أبواب السماء للفتح بالرحمة انفتحت...»[١٢١٢]، إلى آخر (دعاء السمات) في هذا الباب وغيره.

ولمزيد التوضيح نقول: إن ﴿**بِسمِ اللهِ الرحمنِ الرحِيمِ**﴾ من اسم الله الأعظم، كما يستفاد من بعض الروايات[١٢١٣]، فهو ـ ولا مناقشة في الأمثال ـ: كالرصاص المطلق، لكن الكلام في من يتفوه بالبسملة وينطق بها [١٢١٤]، وهل

(١٢١١) كنز الفوائد: ج١ ص٣٧٩ فصل من ذكر المرضى والعيادة.

(١٢١٢) البلد الأمين: ص٩٠ دعاء مروي عن النبي ﷺ في الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة

(١٢١٣) راجع تهذيب الأحكام: ج٢ ص٢٨٩ ب١٥ ح١٥وفيه: عن عبد الله بن يحيى الكاهِلي عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها».

(١٢١٤) فهل هو طاهر من المعاصي، وهل نطق بها عن يقين بتأثيرها، أم عن احتمال ووهم، أو شك أو ظن، وهل قالها بتجربة أم عن إيمان تام؟.

عارف بإصابة الهدف وشرائطها، وهل هنالك حائل بين الأمرين؟، إلى غيرها مما مر ذكرها.

فالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، والإمام عليه السلام، والصديقة الزهراء عليها السلام، وسائر الأنبياء والأولياء عليهم السلام، المستجابو الدعاء مَثَلَهم ـ على اختلاف في الدرجات ـ مَثَل المطلِق المستجمع للشرائط، العارف بالتهديف، الخبير بالموانع، حيث إنهم عليهم السلام ـ يعرفون الهدف وشرائط الإصابة وموانعها، مضافاً إلى مقامهم عند الله عزوجل، ولذا إذا دعوا به استجيب لهم، وفي القرآن الحكيم: ﴿**قال الذي عندَه علمٌ من الكتابِ...**﴾[١٢١٥]. ومن هنا نجدهم في بعض الموارد لا يدعون[١٢١٦]؛ لأنهم أعرف بالمصالح والخصوصيات والشرائط والموانع وبباب التزاحم، حالهم ـ ولا مناقشة في الأمثال ـ حال الطبيب الذي يعرف أن هذا المريض لا يبرأ فإنه لا يعطيه الدواء[١٢١٧] لما يعرف من عدم توفر الشرائط.

وإذا عرفنا ذلك ارتفع ما يتوهم من الإشكال عن عدم التأثير أحياناً في مثل ما ورد من «استجابة الدعاء تحت قبته عليه السلام، والشفاء في تربته عليه السلام»[١٢١٨]، وهو ما يجاب به عن التساؤلات حول ﴿**ادعوني أستجِب لكم**﴾[١٢١٩] إلى غير

(١٢١٥) سورة النمل: ٤٠.

(١٢١٦) كما في بعض الروايات من عدم دعاء الإمام عليه السلام لمريض خاص؟؟؟ أذكر بعض الروايات. ع ٣٤

(١٢١٧) وإذا أعطاه فإنه يعطيه تسلية له لا غير وإن كان عالماً بأنه غير نافع له، وكذلك إذا دعا الإمام عليه السلام له وهو يعلم بعدم التأثير.

(١٢١٨) راجع وسائل الشيعة: ج١٤ ص٥٣٧ ب٧٦ ح١٩٧٧٣.

(١٢١٩) سورة غافر: ٦٠.

ذلك.

وبذلك يجاب أيضاً عن أن علياً أمير المؤمنين عليه السلام كان قادراً ـ بالقدرة

فقالت: «حسبي الله» وأمسكَت.

الظاهرية أو القدرة الغيبية الخارقة ـ على اجتثاث جذور الفتن، وقطع دابر الأعداء، وحل المشاكل التي أثيرت في أيام حكومته عليه السلام؛ فإن لم يكن قادراً فكيف وهم عليهم السلام أوعية قدرة الله ومشيئته؟ وإن كان قادراً فلماذا لم يفعل؟.

هذا بالإضافة إلى النقض بقدرة الله سبحانه، وقدرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكل الأنبياء والأولياء عليهم السلام، في كل أمثال ذلك[١٢٢٠] ولم يفعلوا، فليدقق.

فقالت: «حسبي الله» وأمسكَت.

حسبي الله

مسألة: يستحب ـ عند ورود المصائب ـ قول: (حسبي الله) تأسياً بالصديقة الطاهرة عليها السلام.. ولسائر الأدلة، ويستحب تكرار ذلك في كل المصائب سواء كانت مصائب جسدية كالمرض وما أشبه، أم مالية، أم روحية، أم نفسية[١٢٢١]، أو في سائر الشؤون المتعلقة بالإنسان، وسواء كانت مما يتعلق بنفسه أم أسرته أم عشيرته أم مجتمعه أم أمته..

ولا فرق بين أن يقول: (حسبي الله) أو (حسبنا الله) أو (الله حسبنا) أو ما أفاد معنى ذلك، باللغة العربية أو بسائر اللغات؛ لأن المقصود هو حسبان المشكلة

(١٢٢٠) من اجتثاث جذور الفتن، وقطع دابر الأعداء، وحل المشاكل التي أثيرت في أيامهم...

(١٢٢١) ومن ذلك ما يرتبط بالسّمعة والعِرض ـ بالمعنى العام ـ.

على الله سبحانه وتعالى، والالتجاء إليه، وإبراز ذلك، وإن كان النطق بـ (حسبنا الله) وما أشبهه مما ورد في القرآن الكريم أو السنة المطهرة بلحاظ وروده أفضل.

.....

قال تعالى: ﴿**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**﴾(١٢٢٢).

وقال سبحانه: ﴿**ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون**﴾(١٢٢٣).

وقال عزوجل: ﴿**وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين**﴾(١٢٢٤).

وقال تعالى: ﴿**يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين**﴾(١٢٢٥).

وقال سبحانه: ﴿**ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا**﴾(١٢٢٦).

وقال تعالى: ﴿**فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم**﴾(١٢٢٧). وقال سبحانه: ﴿**ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني**

(١٢٢٢) سورة آل عمران: ١٧٣.

(١٢٢٣) سورة التوبة: ٥٩.

(١٢٢٤) سورة الأنفال: ٦٢.

(١٢٢٥) سورة الأنفال: ٦٤.

(١٢٢٦) سورة الطلاق: ٣.

(١٢٢٧) سورة الأنفال: ١٢٩.

الله بِضرٍ هل هن كاشِفات ضرِه أو أرادني بِرحمةٍ هل هن ممسِكات رحمتِه قل حسبِي الله عليهِ يتوكل المتوكلون﴾(١٢٢٨).

.....

وقال تعالى: ﴿**فأشهدوا عليهم وكفى بِالله حسِيبا**﴾(١٢٢٩).

وقال سبحانه: ﴿**إن الله كان على كل شيءٍ حسِيبا**﴾(١٢٣٠).

وقال تعالى: ﴿**الذين يبلغون رِسالاتِ اللهِ ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بِالله حسِيبا**﴾(١٢٣١).

وفي (الكافي)، عن أبي حمزة، قال: استأذنت على أبي جعفر عليه السلام، فخرج إليَّ وشفتاه تتحركان، فقلت له. فقال: «أفطنت لذلك يا ثمالي؟». قلت: نعم جعلت فداك. قال: «إني والله تكلمت بكلام ما تكلم به أحد قط إلا كفاه الله ما أهمه من أمر دنياه وآخرته». قال: قلت له: أخبرني به. قال: «نعم من قال حين يخرج من منزله: بِسْمِ اللَّهِ، حَسْبِيَ اللَّهُ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ أُمُورِي كُلِّهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ، كفاه الله ما أهمه من أمر دنياه وآخرته»(١٢٣٢).

وعن محمد بن الفرج، أنه قال: كتب إليّ أبو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام بهذا الدعاء وعلّمنيه وقال: من دعا به في دبر صلاة الفجر، لم يلتمس حاجة إلا يسرت له، وكفاه الله ما أهمه (بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى

(١٢٢٨) سورة الزمر: ٣٨.

(١٢٢٩) سورة النساء: ٦.

(١٢٣٠) سورة النساء: ٨٦.

(١٢٣١) سورة الأحزاب: ٣٩.

(١٢٣٢) الكافي: ج٢ ص٥٤١ باب الدعاء إذا خرج الإنسان من منزله ح٣.

مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ، فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَه وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ، حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ

.....

اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ، مَا شَاءَ اللَّهُ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، مَا شَاءَ اللَّهُ، لاَ مَا شَاءَ النَّاسُ، مَا شَاءَ اللَّهُ وَإِنْ كَرِهَ النَّاسُ، حَسْبِيَ الرَّبُّ مِنَ الْمَرْبُوبِينَ، حَسْبِيَ الْخَالِقُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، حَسْبِيَ الرَّازِقُ مِنَ الْمَرْزُوقِينَ، حَسْبِيَ الَّذِي لَمْ يَزَلْ حَسْبِي، حَسْبِي مَنْ كَانَ مُنْذُ كُنْتُ حَسْبِي لَمْ يَزَلْ حَسْبِي، حَسْبِيَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»(١٢٣٣).

وفي أحاديث نقوش خواتم الأئمة عليهم السلام أن «في خاتم الحسن والحسين عليهما السلام : حسبي الله»(١٢٣٤).

وعن يونس بن عبد الرحمن، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن نقش خاتمه وخاتم أبيه عليه السلام قال: «نقش خاتمي: (مَا شَاءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ)، ونقش خاتم أبي: (حَسْبِيَ اللَّهُ)، وهو الذي كنت أختم به»(١٢٣٥).

الاعتقاد بكفاية الله عبده

مسألة: أصل الاعتقاد بأن الله هو كافٍ عبده وهو حسبه واجب، والمستحب هو المراتب اللاحقة؛ لأنه مما يرتبط بأصول الدين الذي منه واجب

(١٢٣٣) من لا يحضره الفقيه: ج١ ص٣٢٦ -٣٢٧ باب التعقيب ح٩٥٩.

(١٢٣٤) الكافي: ج٦ ص٤٧٣ باب نقش الخواتيم ح٢.

(١٢٣٥) وسائل الشيعة: ج٥ ص١٠٠ ب٦٢ ح٦٠٣٥.

ومنه مستحب، فالمستحب مثل: الاعتقاد ببعض خصوصيات الجنة والنار والقبر، وبعض خصوصيات الأئمة الطاهرين (عليهم الصلاة والسلام) مثل معرفة أمهاتهم وأحوالهن وما أشبه، فليس المراد بأصول الدين المستحبة ـ إذ أطلق

.....

ذلك[١٢٣٦] ـ الأصول الخمسة بالمعنى المنصرف إليه، وإلاّ فهي من أوجب الواجبات العقلية والشرعية.

عن المفضل، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «أوحى الله عزوجل إلى داود: ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيته ثم تكيده السماوات و الأرض ومن فيهن إلاّ جعلت له المخرج من بينهن، وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماوات من يديه وأسخت الأرض من تحته ولم أبال بأي واد هلك»[١٢٣٧].

وعن عبد الله بن القاسم، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن جده عليه السلام عن علي عليه السلام، قال: «كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو؛ فإن موسى بن عمران عليه السلام خرج يقتبس لأهله ناراً فكلمه الله عزوجل فرجع نبياً، وخرجت ملكة سبأ فأسلمت مع سليمان، وخرج سحرة فرعون يطلبون العزة لفرعون فرجعوا مؤمنين»[١٢٣٨].

تأكد الوجوب

(١٢٣٦) أي إذا أطلق (أصول الدين المستحبة) في قبال (أصول الدين الواجبة) ـ إذ هو محذوف المضاف أي (خصوصيات أصول الدين) و(المستحبة) أي المستحب معرفتها والاعتقاد بها.

(١٢٣٧) بحار الأنوار: ج٦٨ ص١٢٥ -١٢٦ ب٦٣ ح٢.

(١٢٣٨) الأمالي للصدوق: ص١٧٨ المجلس٣٣ ح٧.

مسألة: قد يتأكد الوجوب والاستحباب في بعض المصاديق، فبالنسبة للمظلوم والمصاب والمفجوع يتأكد لزوم ترسيخ الاعتقاد بكفاية الله عبدَه، ويتأكد تلفظه ونطقه بما يدل عليه، وهذا مصداق من مصاديق ما تقـــدم، فإن احتســاب

.....

الأمور لله سبحانه وتعالى والاعتماد عليه وتفويض الأمور إليه وما أشبه ذلك عام بالنسبة إلى المظلوم وغير المظلوم، والمصاب وغير المصاب، لكنه في المظلوم والمصاب آكد، إذ هو مأمور به في الشريعة بصورة خاصة، بالإضافة إلى أنه يسبب التخفيف النفسي والترفيه الروحي على ما تقدم. إضافة إلى أن المصاب والمفجوع قد يكون في معرض تزلزل اعتقاده أكثر من غيره، فكان لابد من مزيد العناية والرعاية بلحاظ المقدمية إضافة إلى النفسية[١٢٣٩].

إطاعة الإمام عليه السلام

مسألة: يجب إطاعة الإمام عليه السلام وقد يجب إظهار ذلك، كما صنعته الصديقة عليها السلام حيث امتثلت كلامه عليه السلام، فقالت: «حسبي الله».

والوجوب بالنسبة إلى طاعة الإمام (عليه الصلاة والسلام) في ما صدر عنه عليه السلام مولوياً على نحو الإلزام، أو في الواجب إرشاداً[١٢٤٠]، كما يستحب أحياناً[١٢٤١].

(١٢٣٩) المقصود الوجوب أو الاستحباب النفسي، أي: ما هو بحد ذاته واجب أو مستحب وليس لمقدميته.

(١٢٤٠) فإذا أمر الإمام عليه السلام بالواجب عقلاً، كما في ما يلزم من المولوية فيه الدور، أو المستقلات العقلية، فإنه إرشاد بل ربما يقال حتى في مثل (صلّ) على بعض الوجوه ـ فتأمل ـ وقد يقال بعدم وجوب زائد على أصل الوجوب فلا يستحق عقوبتين بالترك، وقد يتأمل في بعض الموارد على حسب المستفاد من الأدلة أو المركوز في أذهان المتشرعة ولو بالأشدية (للعقوبة) والآكدية (للطلب) ـ منه قدس سره.

(١٢٤١) أي فيما عدا ذلك.

وهل الأمر هنا من قبيل الواجب أو المستحب حيث امتثلت الصديقة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) كلامه (صلوات الله عليه) وقالت: «حسبي الله»؟.

احتمالان، ومن المعلوم أن امتثال أمر الإمام عليه السلام حتى في الأمور المستحبة مندوب إليه شرعاً.

.....

عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى الطاعة للإمام بعد معرفته ـ ثم قال ـ إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا**﴾[١٢٤٢]»[١٢٤٣].

وعن أبي الصباح الكناني، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا أبا الصباح، نحن قوم فرض الله طاعتنا، لنا الأنفال ولنا صفو المال، ونحن الراسخون في العلم، ونحن المحسودون الذين قال الله في كتابه: ﴿**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**﴾[١٢٤٤]»[١٢٤٥].

وعن أبي الصباح، قال: أشهد أني سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أشهد أن علياً إمام فرض الله طاعته، وأن الحسن إمام فرض الله طاعته، وأن الحسين إمام فرض الله طاعته، وأن علي بن الحسين إمام فرض الله طاعته، وأن محمد بن علي إمام فرض الله طاعته»[١٢٤٦].

(١٢٤٢) سورة النساء: ٨٠.

(١٢٤٣) الكافي: ج١ ص١٨٥ -١٨٦ باب فرض طاعة الأئمة عليهم السلام ح١.

(١٢٤٤) سورة النساء: ٥٤.

(١٢٤٥) تفسير العياشي: ج١ ص٢٤٧ من سورة النساء ح١٥٥.

(١٢٤٦) الكافي: ج١ ص١٨٦ باب فرض طاعة الأئمة عليهم السلام ح٢.

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن الأئمة عليهم السلام هل يجرون في الأمر والطاعة مجرى واحد؟. قال: «نعم»(١٢٤٧).

وعن الفضيل، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: أي شيء أفضل ما يتقرب

به العباد إلى الله فيما افترض عليهم؟. فقال: «أفضل ما يتقرب به العباد إلى الله طاعة الله وطاعة رسوله، وحب الله وحب رسوله صلى الله عليه وآله وأولي الأمر»، وكان أبو جعفر عليه السلام يقول: «حبنا إيمان وبغضنا كفر»(١٢٤٨).

وعن أبي سلمة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «نحن الذين فرض الله طاعتنا، لا يسع الناس إلا معرفتنا، ولا يعذر الناس بجهالتنا، من عرفنا كان مؤمناً، ومن أنكرنا كان كافراً، ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالاً حتى يرجع إلى الهدى الذي افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة؛ فإن يمت على ضلالته يفعل الله به ما يشاء»(١٢٤٩).

امتثال الزوج

مسألة: يستحب للزوجة امتثال أمر زوجها في شؤون الحياة.

فإن على الزوجة آداباً بالنسبة إلى الزوج واجبة، وآداباً مستحبة، كما ذكره الفقهاء في كتاب النكاح.

عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وآله. فقالت: يا رسول الله، ما حق الزوج على المرأة؟. فقال لها: أن تطيعه

(١٢٤٧) الكافي: ج١ ص١٨٧ باب فرض طاعة الأئمة عليهم السلام ح٩.

(١٢٤٨) المحاسن: ج١ ص١٥٠ ب٢٠ ح٦٨.

(١٢٤٩) بحار الأنوار: ج٣٢ ص٣٢٥ ب٨ ح٣٠٢.

ولاتعصيه، ولا تصدق من بيته إلا بإذنه، ولا تصوم تطوعاً إلا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها. فقالت: يا رسول الله، من أعظم الناس حقاً على

الرجل؟. قال: والده. فقالت: يا رسول الله، من أعظم الناس حقاً على المرأة؟. قال: زوجها»[١٢٥٠].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «أيما امرأة باتت وزوجها عليها ساخط في حق، لم يتقبل منها صلاة حتى يرضى عنها، وأيما امرأة تطيبت لغير زوجها لم تقبل منها صلاة حتى تغتسل من طيبها كغسلها من جنابتها»[١٢٥١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحج جهاد كل ضعيف، وجهاد المرأة حسن التبعّل»[١٢٥٢].

وعن عمرو بن جبير العزرمي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. فقالت: يا رسول الله، ما حق الزوج على المرأة؟. قال: أكثر من ذلك. قالت: فخبرني عن شيء منه؟. قال: ليس لها أن تصوم إلاّ بإذنه ـ يعني: تطوعاً ـ ولا تخرج من بيتها بغير بإذنه، وعليها أن تطيب بأطيب طيبها، وتلبس أحسن ثيابها، وتزين بأحسن زينتها، وتعرض نفسها عليه غدوة وعشية، وأكثر من ذلك حقوقه عليها»[١٢٥٣].

(١٢٥٠) الكافي: ج٥ ص٥٠٦ -٥٠٧ باب حق الزوج على المرأة ح١.

(١٢٥١) وسائل الشيعة: ج٣ ص٣٣٩ ب٣٠ ح٣٨١٢، والوسائل: ج٢٠ ص١٦٠ ب٨٠ ح٢٥٣٠٥.

(١٢٥٢) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٨ ب١ ح٨٩١٩.

(١٢٥٣) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٥٨ ب٧٩ ح٢٥٣٠١.

وعن الحسين بن زيد عن جعفر بن محمد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام ـ في حديث المناهي ـ قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن تخرج المرأة من بيتها بغير إذن زوجها؛ فإن خرجت لعنها كل ملك في السماء، وكل شيء تمر عليه من الجن والإنس حتى ترجع إلى بيتها. ونهى أن تتزين لغير زوجها؛ فإن فعلت كان حقاً على الله

.....

أن يحرقها بالنار»[١٢٥٤].

وفي مسائل علي بن جعفر، قال: سألته عليه السلام عن المرأة المغاضبة زوجها هل لها صلاة أو ما حالها؟. قال عليه السلام: «لا تزال عاصية حتى يرضى عنها»[١٢٥٥].

تطابق القول والفعل

مسألة: قد يكون من الواجب ـ فيما كان فعله واجباً ـ إبراز ذلك بالقول أو غيره، وإظهار الالتزام، بحيث يكون (القول) كاشفاً عن الفعل والالتزام[١٢٥٦]، وقد يكون ذلك[١٢٥٧] مستحباً، وقد لا يكون أياً منهما، وذلك حسب العناوين التي تعرض. وقد يكون من المستحب ـ فيما كان فعله مستحباً ـ التجلي على الجوارح، وقد لا يكون كذلك[١٢٥٨].

(١٢٥٤) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٦١ -١٦٢ ب٨٠ ح٢٥٣١٠.

(١٢٥٥) مسائل علي بن جعفر عليه السلام: ص١٨٥.

(١٢٥٦) قد تكون من الأمثلة: البيعة في بعض الموارد والعقود لو حدث أن كان أصلها واجباً (كما فيمن وجب عليه الزواج خوف الوقوع في الحرام) فتأمل.

(١٢٥٧) أي الإبراز والإظهار.

(١٢٥٨) أي على حسب العناوين الطارئة.

ويمكن استفادة مطلق رجحان الإبراز والإظهار من قولها عليها السلام: «حسبي الله» وإمساكها عملياً، ويمكن القول بأن من الأفضل في الأمور المستحبة أن يظهر أثر ذلك الشيء على مجموع القلب واللسان والجوارح.

كما أن في الأمور الواجبة قد يتعلق الوجوب بالكل الواجب، وقد ينفرد بعضها بمتعلَّقيه الواجب، فيكون عقد القلب فقط مثلاً هو الواجب، أو يكون

.....

الواجب متعلقاً بأحد الجوارح فقط حسب ما ذكروه في الكتب الفقهية والأصولية والكلامية.

قوله عليه السلام: «وأمسكت» أي لم تتكلم عليها السلام بعد ذلك في هذا الشأن مع أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام) وهذا من كمال التسليم وتمام الطاعة.

فصلوات الله وسلامه عليها وعلى بعلها وبنيها عدد ما أحاط به علمه، واللعنة على أعدائها أعداء الله، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

قم المقدسة

محمد الشيرازي ١٤١٤هـ

إلى هنا تم بحمد الله تعالى

المجلد الخامس من كتاب (من فقه الزهراء عليها السلام)

وذلك بتمام الخطبة الشريفة

التي ألقتها الصديقة الطاهرة عليها السلام في المسجد

وسيأتي بعده المجلد السادس ويبدأ بـ (خطبة الدار)

التي ألقتها عليها السلام على نساء المهاجرين والأنصار

في البيت عند عيادتهن لها

الفهرس

المقدمة ٥
بداية سقوط الأمم ٧
من جهد الرسول صلى الله عليه وآله والعترة الطاهرة عليهم السلام ٧
الجد والنشاط ١٠
سر رزايا المسلمين ١٥
إقصاء الكفاءات ظلم محرم ١٨
إبعاد الإمام عن الخلافة من أكبر الكبائر ٢٠
السعة الشيطانية ٢٣
من عوامل الانحطاط ٢٦
الإيمان مستقر ومستودع ٢٧
من يخسر المستقبل؟ ٣٠
الوعي المتجذر والسطحي ٣١
الانقلاب الشمولي على الأعقاب ٣٣
الكفر العقائدي والعملي ٣٤
خذلان أهل البيت عليهم السلام ٤١
المحطة الأولى للغدر ٤٥
المؤرخ والتقييم العادل ٤٧
التنفيس عن النفس ٥٠
إتمام الحجة وبيان الحق ٥٦
الخلافة المغصوبة / نتائج غصب الخلافة ٦٣
إبقاء عار أفعالهم عليهم ٦٥
كيف يعقب غضب الله غضبها عليها السلام ٦٩
حرمة ما يوجب النار الموقدة ٧٦
ذكر أوصاف النار ٨٠
علم الله بالجزئيات ٨٥
للقوم أشد العذاب ٨٨
القوم قد ظلموها ٩٠
تهديد الظالم ٩١
المحاكم التسعة ٩٣
الإنذار عام / بين العمل والانتظار ٩٥

الجهات الذاتية والعرضية / الاستمرارية ٩٧
إنهم غير مؤمنين ٩٨
اسم الخصم وخصوصياته ١٠٤
اعترافات من الخصم ١٠٦
مكانة العترة الطاهرة عليهم السلام عند المسلمين / العلم والمعرفة ١٠٨
من أنواع المغالطة ١١١
من أنواع المكر ١١٣
السر وراء إقرار أهل الباطل ١١٤
استماع الباطل ١٢١
عدم قطع الكلام ١٢٣
إشكالات على الاستدلال بقوله: إنا معاشر الأنبياء ١٢٤
مناقشة الإجماع المزعوم ١٢٩
حكمه على نفسه ١٣٠
التصدي لأكاذيب الظالم ١٣٣
دفع التهمة ١٣٤
الدفاع عن المؤمن ١٣٦
أنواع الكذب ١٣٧
أقسام التهمة ١٣٩
حرمة الإعراض عن الكتاب ١٤٠
من صفات القيادة ١٤٢
شمولية إتباع الكتاب ١٤٤
ديدن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ١٤٦
حرمة الغدر ١٤٩
الاجتماع المحرم ١٥١
التستر على الغدر بالزور ١٥٢
سياسة الطغاة ١٥٣
هل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلهم كالنجوم؟ ١٥٥
ما لقي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الغوائل ١٦٦
حرمة إثارة المشاكل ١٦٩
القرآن هو الحَكَم ١٧٢
الظواهر حجة بدون الضميمة ١٧٨
التأكيد على حَكَمية القرآن ١٨١
هل متشابه القرآن فصل؟ ١٨٣
سبب تركيزها عليها السلام على فدك ١٨٩
لا ضريبة على الإرث ١٩٠
إزاحة علة المبطلين ١٩٢

هل إزالة التظني تكوينية؟ ١٩٣
إثارة الشبهات محرمة ١٩٤
دوافع الظلم والغدر ١٩٦
الاستعانة بالله ٢٠٣
استنباطات ٢٠٦
مكانة الصديقة عليها السلام في نفوس المسلمين ٢٠٨
إقرار ابن أبي قحافة ٢٠٨
خدعة الغاصبين ٢١١
حرمة الإسراع إلى الباطل ٢١٧
هل كانت (معاشر المسلمين) أقلية؟ ٢١٨
الإشاعات المغرضة ٢١٩
السكوت على القبائح ٢٢٠
ترك التدبر محرم ٢٢٣
شهادتان من الزهراء عليها السلام ٢٢٩
التأويل والمكيدة الشيطانية ٢٣٨
الإشارة بالباطل ٢٤٠
الاستشارة المحرمة ٢٤٥
غصب فدك بداية المسيرة ٢٤٩
تحذير الطغاة ٢٥١
إذا كشف الغطاء / وحدة العالمين ٢٥٤
محطة الخسارة الكبرى / بين الوحدة والسكوت عن الحق ٢٥٦
محورية قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ٢٥٨
زيارتها عليها السلام لقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقبر حمزة وقبور الشهداء ٢٥٩
السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمعصومين عليهم السلام بعد مماتهم ٢٦٠
زيارة القبور ٢٦٢
العطف على قبور الأولياء عليهم السلام ٢٦٣
التجاء المظلومين للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ٢٦٧
قبر الوالدين ٢٦٨
خطاب المعصومين عليهم السلام ٢٧٣
رثاء البنت ٢٧٧
دراسة التاريخ ٢٧٨
ما حدث بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ٢٧٩
الآثار التكوينية للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ٢٩٢
نماذج من الولاية التكوينية للمعصومين عليهم السلام ٢٩٣
الشكوى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد الوفاة ٣٠٨
انحراف القوم ٣١٣

المؤامرة على أهل البيت عليهم السلام ٣١٦
الحقوق الامتدادية ٣١٧
نفاق القوم وعصيانهم ٣٢٢
تجهم بعض الصحابة / رثاء الفقيد ٣٢٧
الكفاءات الإلهية / أهكذا يمتثل أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ٣٢٩
هل النور علة للهداية؟ ٣٣١
الاستضاءة بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم ٣٣٣
السر في النزول التدريجي للقرآن ٣٣٥
العلاقة بين العترة والسماء ٣٣٧
إيناس الغير / حجب كل الخير ٣٣٨
ضاقت البلاد عليها / مكانة السبطين ٣٣٩
تمني الموت في رثاء الفقيد / المظلوم وتمني الموت ٣٤٤
كراهة تمني الموت ٣٤٥
تمني الموت في فقد المعصوم عليه السلام ٣٤٦
البكاء على الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم / الاجتماع للبكاء ٣٥٨
المؤسس لظلم أهل البيت صلى الله عليه وآله وسلم ٣٦٠
رجوع الزهراء عليها السلام إلى المنزل ٣٦٣
سبل مواجهة الطاغوت ٣٦٤
اللقب المناسب ٣٦٥
علم بمواقف الزهراء عليها السلام / من مصاديق الانتظار ٣٦٩
انتظار المعصوم عليه السلام ٣٧١
التكلم بعد الاستقرار ٣٧٨
لماذا صبر الإمام عليه السلام؟ ٣٨٤
احترام الزوجة / أبو طالب عليه السلام والمواقف المشرفة ٣٨٨
خذلان القوم للإمام عليه السلام ٣٩٠
تأملات في «اشتملت...» ٣٩٣
لماذا اشتمال شملة الجنين؟ ٣٩٤
المقاومة السلبية / طرق مختلفة للحوار ٣٩٧
اللجوء إلى الإمام عليه السلام ٤٠٠
الزوجة وشكواها ٤٠٣
إخبار الزوج ٤٠٥
القعود عن الحق / تقبل الشكاية ٤٠٩
الشكاية لولي الأمر عليه السلام ٤١٠
العتاب وشبهه ٤١١
أعلى درجات الصبر ٤١٢
بيان المظلومية ٤١٤

من فلسفة صبر الإمام عليه السلام ٤١٦
صقور الكفر / الخيانة سلاح الضعفاء ٤١٧
اسم الخصم ٤١٩
الغصب والابتزاز ٤٢١
الغصب الأشد عقوبة ٤٢١
الغصب الطولي / لماذا طالبت عليها السلام بفدك؟ ٤٢٢
بلغة الأبناء ٤٢٧
إرهاب الحاكم / منع نصرة المظلوم / ترك النصرة ٤٢٩
الأشد عداوة ٤٣٠
هل كانت البيعة فلتة؟ ٤٣٢
حرمة خصامها عليها السلام ٤٣٤
حرمة حبس النصرة عنها ٤٣٧
اتخاذ موقف الحياد ٤٤٠
عدم نصرة أهل البيت عليهم السلام ٤٤٣
لماذا نبش التاريخ؟ ٤٤٦
هل جماعة المسلمين معصومة؟ ٤٤٨
كلي الظلامة وجزئيها ٤٥٥
كيف عادت الزهراء عليها السلام؟ / المظلوم المهان ٤٥٧
مقياس الإيمان ٤٦٧
شجاعة الإمام عليه السلام ٤٦٩
مظلومية الإمام عليه السلام ٤٧٠
إبطال الباطل ٤٧٩
سلب الشرعية ٤٨٤
حرمة إهانة الصديقة عليها السلام ٤٨٨
التحرز من الذل والمهانة ٤٩١
سعي القوم لإهانتها عليها السلام ٤٩٢
الاستنصار بالله ٤٩٤
شبهة وإجابة / لا يجوز إنكار ظلامتها عليها السلام ٤٩٥
طلب الويل والإخبار عنه ٥٠٢
معنى (ويلاي) ٥٠٣
بين حياته صلى الله عليه وآله وموته ٥٠٤
الاعتماد على الرسول صلى الله عليه وآله ٥٠٥
تهديد الظالم ٥١٣
شكوى الأنبياء عليهم السلام ٥١٤
الاستنجاد بالله ٥١٦
لماذا لم يحوّل الله الحال؟ ٥١٨

تسلية المظلوم ٥٢٠
تسلية المريض والمهموم ٥٢٢
تسلية الزوج زوجته ٥٢٥
الدعاء على أعداء آل البيت عليهم السلام ٥٢٦
الويل لأعداء فاطمة عليها السلام ٥٣٠
الأمر بالصبر ٥٣٣
إكرام الزوجة ٥٣٥
ابنة الصفوة ٥٣٦
فضائل الحسب والنسب ٥٤٠
الاعتقاد بالعصمة ودرجاتها / بيان العصمة ٥٤٢
التقصير في الدين ٥٤٣
دفع الشبهة والدفاع عن النفس ٥٤٦
لماذا لم يقم عليه السلام بالأمر؟ ٥٤٨
نقل عاصمة الخلافة ٥٥٠
طمأنة المظلوم / المراد بـ (البلغة) و (الرزق)؟ ٥٥١
روح التوكل على الله ٥٥٤
مقام فاطمة عليها السلام في القيامة ٥٥٨
تعويض المظلوم ٥٦٧
احتساب المصائب عند الله ٥٦٩
الاعتقاد بكفاية الله عبدَه ٥٧٨
إطاعة الإمام عليه السلام ٥٨٠
امتثال الزوج ٥٨٢
تطابق القول والفعل ٥٨٤